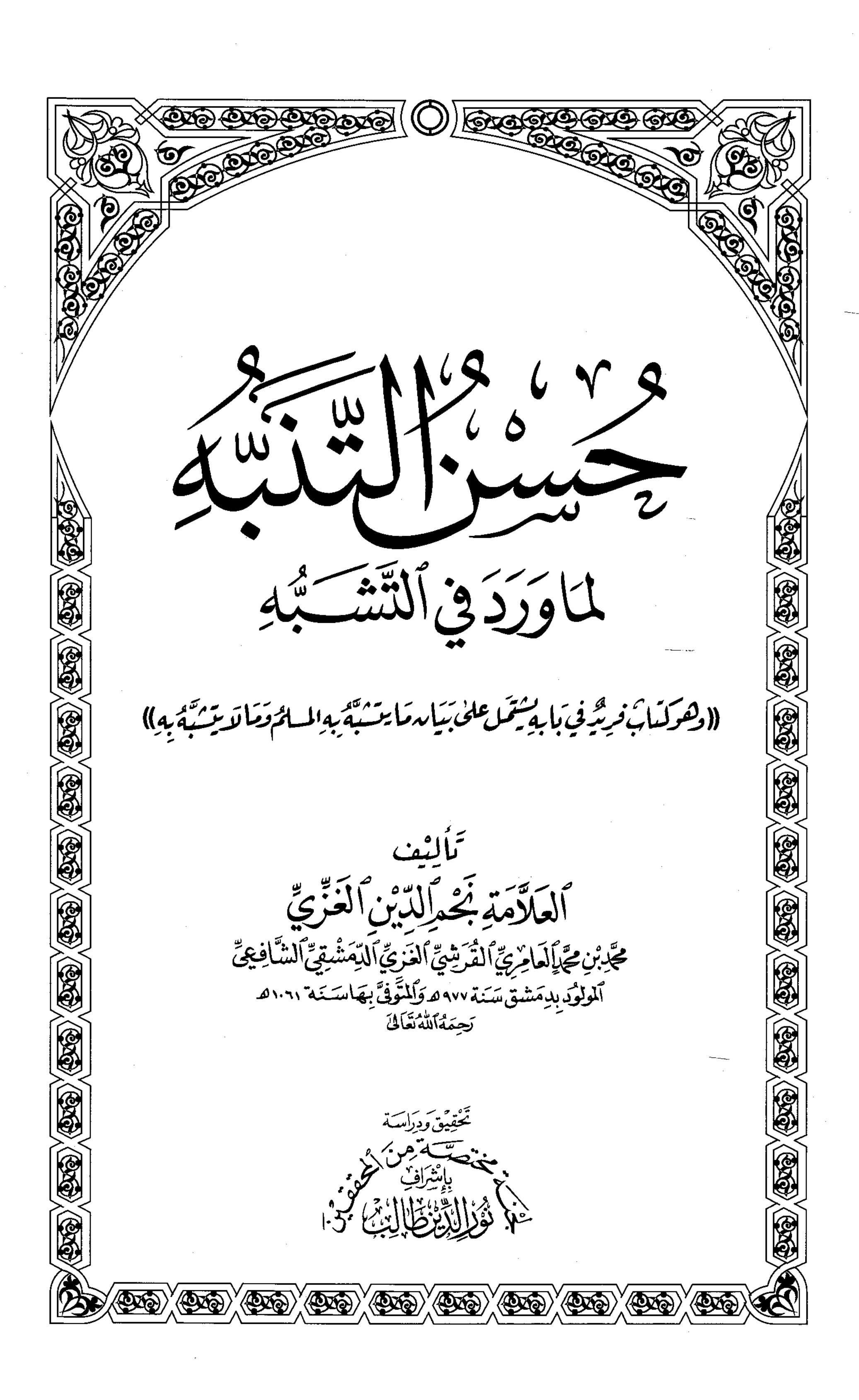


حسن التنبه لما ورد في التشبه

((وهو كتاب فريد في بابه يشتمل على بيان ما يتشبه به المسلم وما لا يتشبه به))

تأليف

العلامة نجم الدين الغزي

محمد بن محمد العامري القرشي الغزي الدمشقي الشافعي

المولود بدمشق سنة ٩٧٧ هـ والمتوفى بها سنة ١٠٦١ هـ

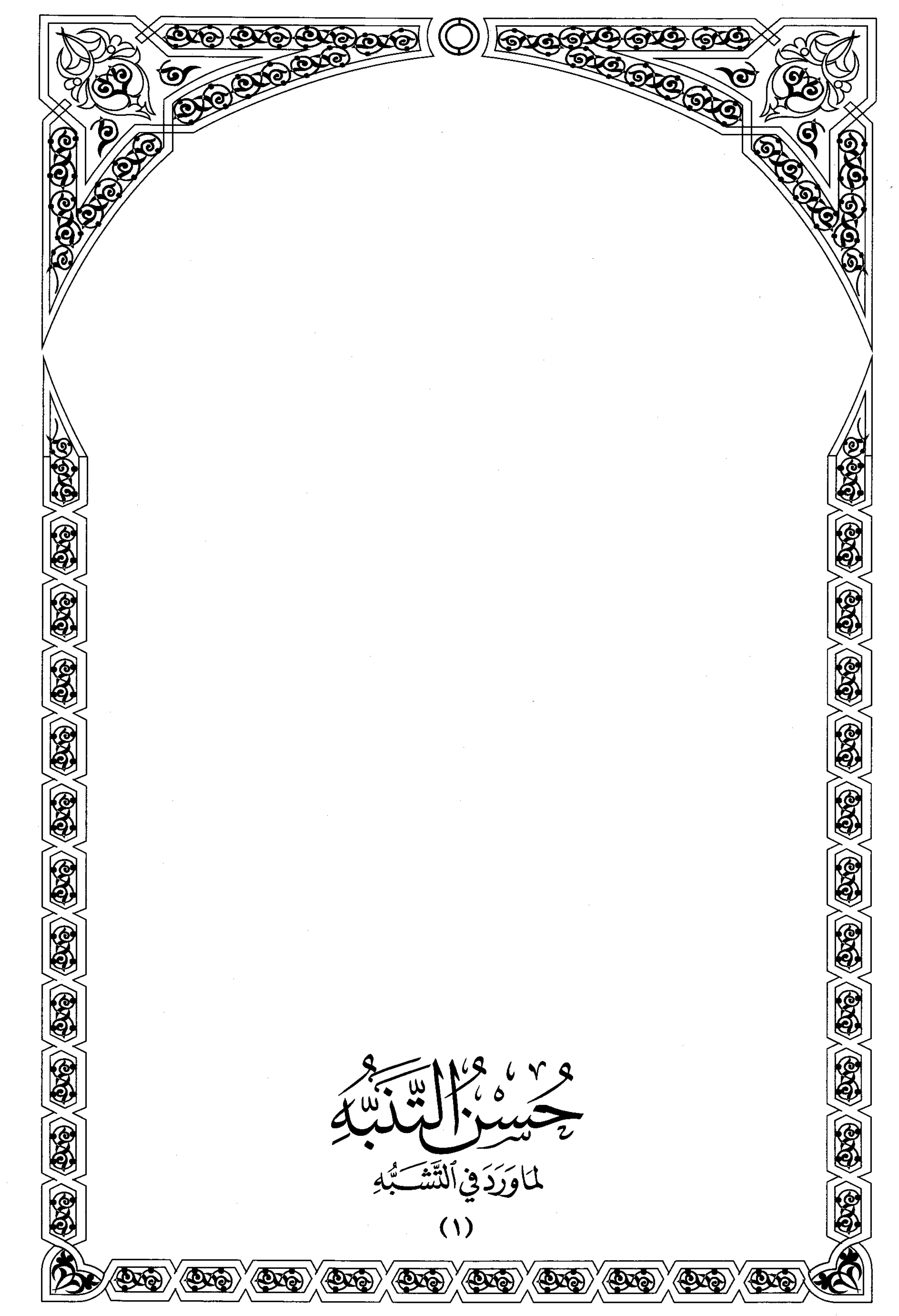
رحمه الله تعالى

تحقيق ودراسة

مختصة من المحققين

بإشراف

أ. د. نور الدين طالب



حُسْنُ التَّنَبُّهِ

لِمَا وَرَدَ فِي التَّشَبُّهِ

(١)



الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

ردمك: ٧ - ٨٤ - ٤١٨ - ٩٩٣٣ - ٩٧٨ :ISBN
9789933418847

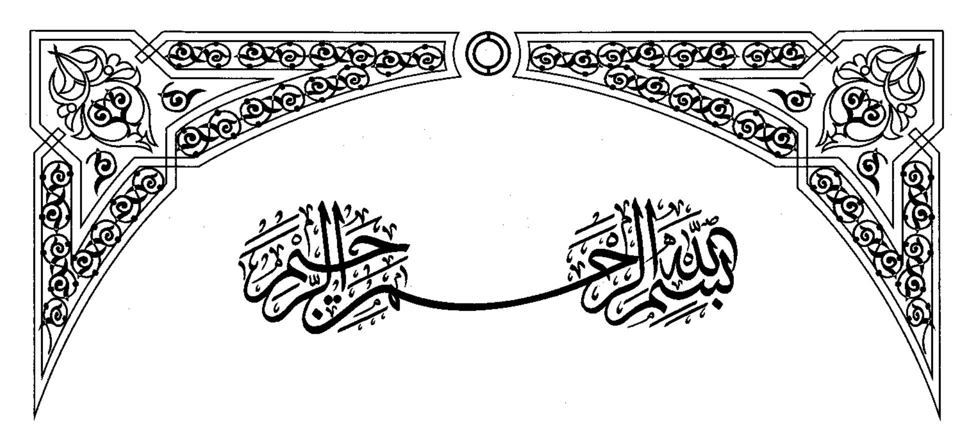
دار النوادر

سورية - لبنان - الكويت

مُؤسَسَة دَارُ النَّوَادِر م.ف - سُورِيَة * شَرِكَة دَارُ النَّوَادِرِ اللُّبْنَانِيَّة ش.م.م - لُبْنَان * شَرِكَة دَارُ النَّوَادِرِ الكُوَيْتِيَّة ذ.م.م - الكُوَيْت

سورية - دمشق - ص. ب: ٣٤٣٠٦ - هاتف: ٢٢٢٧٠٠١ - فاكس: ٢٢٢٧٠١١ (٠٠٩٦٣١١)
لبنان - بيروت - ص. ب: ١٤/٥١٨٠ - هاتف: ٦٥٢٥٢٨ - فاكس: ٦٥٢٥٢٩ (٠٠٩٦١١)
الكويت - الصالحية - برج السحاب - ص. ب: ٤٣١٦ حولي - الرمز البريدي: ٣٢٠٤٦
هاتف: ٢٢٢٧٣٧٢٥ - فاكس: ٢٢٢٧٣٧٢٦ (٠٠٩٦٥)
www.daralnawader.com info@daralnawader.com

أسسها سنة: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م نُورُ الدِّين طَالِب المدير العام والرئيس التنفيذي



الحمد لله الذي بحمده يحسُن الابتداء، وبشمول رِفْدِه تمتد النفوس إلى الطلب والرجاء، وتَضَرَّعُ القلوب إلى صدق اللِّجاء، وترتاح الأرواح إلى التنزه في رياض البهاء، والتروي من حياض العطاء في دار البقاء.

سبحانه وتعالى من إله عظيمٍ اختصَّ بإزار العظمة ورِداء الكبرياء، ويا له من ربٍّ حكيم استبدَّ بالخَلق والأمر والفصل والقضاء، وشرع لنا من الدِّيْنِ ما وصَّى به الأنبياء، وأمرنا بالاقتداء بأهل الاهتداء، ونهانا عن التشبه بأهل الضلال والافتراء والجدال والامتراء؛ ثم هو سبحانه يختصُّ برحمته من يشاء.

أحمده أن أرشدنا إلى التخلق بأخلاقه أبلغَ الحمدِ والثناء، وأشكره أن أمدَّنا بإدراراته وأرزاقه أوفى الشكر على أوفر العطاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا مثيل، ولا عديل له، الواحدُ، المحيط بالموجودات من سائر الأرجاء؛ شهادةً خالصةً عن شوائب التعطيل والتشبيه والغلو والإرجاء.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبدُه ورسولُه وصفيه ونبيه وخليله، قطبُ

دائرة الاصطفاء، وحقيقة حقائق النبوة والولاية والاجتباء، المبعوثُ بأخص الأنباء، والمخصوصُ بعموم البعثة والإنباء، صلى الله وسلم عليه وعلى المنتمين من الآل والصحب إليه صلاةً وسلاماً دائمين ما دامت الآلاء، وتوالت النَّعماء، وتلألأت الأضواء، وتلاحقت الأَنْواء، وامتدت سطور القدرة على طروس المصنوعات من غير انتهاء.

أمّا بعد:

فيقول العبد الفقير إلى رحمة ربه القدير؛ نجمُ الدِّين محمدُ بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغَزِّيُّ العامريُّ الشافعيُّ ـ ألحقه الله تعالى بأهل الولاء، وحشره في زمرة العلماء ـ:

هذا كتاب كريم تطمئن إليه قلوب الأتقياء، وتنشرح له صدور الفضلاء، وتنبسط به أرواح الأولياء، وتنقبض منه نفوس أهل الآراء الفاسدة والأهواء، ضَمَّنته الأمرَ باتباع مَن ورد الأمر بالاقتداء بهداهم والاقتفاء، والنَّهي عن التشبه بمن ورد الزجر عن اتباع هواهم من أهل الافتراء، وأتبعت ذلك بالكلام على التشبه بالبهائم والسباع، كالهر والعواء؛ ليتنزه الإنسانُ عما لا يليق به من الطباع ـ كالهُزْء والهراء ـ إلى مقام الْمُرُوَّةِ والمعرفة والترقي عن مراكز النسر والعواء.

وهو كتاب لم أسبق ـ فيما أعلم ـ إلى جمعه وترتيبه، ولم أزاحم على اختراعه وتهذيبه، ولا وجدت من جاء في بابه بمثله ولا على أسلوبه، ذكرت فيه ما ورد في ذلك بحسب الاطلاع على سبيل السبر والاستقراء،

ولاحظت فيه مع مراعاة الإيجاز والتقريب طريق الاستيفاء، ولم آلُ جهداً في تحرير معانيه ـ وإن رَقَتْ ـ ولا في تنوير مبانيه ـ وإن انقادت إليه في الزمن اليسير، وحُقَّتْ ـ وذلك بفضل الله الذي يؤتي فضلَه من يشاء، ويخص مَن شاء بما شاء.

وإني ـ وإن كنت في نفس الأمر مقصراً عن مقامات المحققين، وعن صعود هذا القصر ـ فقد أنجد من رأى حصناً، وكاد الباسل أن يظفر بهمته باليتيمة العصماء.

وما الباعث لي على الإقدام على مزاحمة الأئمة الأعلام في جمع المؤلفات النافعة والكتب الجامعة، إلا أني شاهدت أن فضل ربي لا يختص بزمان، وأن المبرز في الفضل في علم الله تعالى عند حضور السباق في مضمار الرهان متقدم في حلبة الموفَّقين ـ وإن تأخر زمناً ـ، بذلك قضى أهل الحكمة إلا من كان أجبنَ من صَافر، أو أحمقَ من ربيعة البَكَّاء.

فلا غَرو أقدمت على الركض في ميدان العرفان، ولم أقدم رِجْلاً، وأؤخر أخرى، وقلت: لعمري إن امتطاء الهمم في قطع الأوهام، ومنع الإحجام عن التوصل إلى حظائر القدس؛ أحق من النزول والركود في حضيض الخمول والخمود، لمن يريد حصول الأنس وأحرى.

وخاطبتُ سائلتي عن وجه الحكمة حين وقفت على سابلتي بهذه

الكلمة على طريق الإنشاد والإنشاء: [من المتقارب]

وَقَائِلَـــةٍ كَيْـــفَ نِلْـــتَ الَّـــذِيْ
تَقَاصَـــرَ[1] عَنْـــهُ مِـــنَ النَّـــاسِ جَـــمّْ
فَقُلْـــتُ دَعِيْنِـــيْ فَـــإِنِّيْ امْـــرُؤٌ
رَأَيْـــتُ النَّـــوَالَ بِقَـــدْرِ الْهِمَـــمْ

فمن كانت همته سعادة الأبد من الله، فنواله من الله رضاه، ومن كانت همته جناح بعوضة أو نواه، فنواله ما نواه؛ لأنه ليس للإنسان إلا ما سعاه، ولا ينال فضل الله إلا من ابتغاه، أو من اختاره الله واجتباه، وفرق بين من شكر له سعيه، وبين من خاب مسعاه.

وأقول: [من البسيط]

يَا هِمَّـةَ النَّـدْبِ إِنْ جَـدَّتْ جِيـادُكِ فِـيْ
قَطْـعِ الْمُـرَادِ [وَ]فِـيْ تَحْـصِيْلِ إِسْـعَادِ
أَوْ لا فَيَـا ضَـيْعَةَ الأَوْقَـاتِ فِـيْ سَـفَرٍ
مَـا نِلْـتُ مِنْـهُ سِـوَىْ كَـدِّيْ وَإِجْهَـادِ

قال الإمام أبو بكر بن أبي الدنيا رحمه الله تعالى في كتاب «الإخلاص والنية»: حدثني أبو الحسن الشيباني، قال: قلت لبعض الحكماء: فلان

---

(١) في «أ»: «تتقاصر».

بعيد الهمة، قال: إذن لا يرضى بمنزلة دون الجنة[1].

قلت: ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾[الواقعة: ١٠ ـ ١٢].

فعلى قدر الهمَّة يكون السَّبق، وعلى قدر السَّبق يكون التقريب عند الله تعالى.

وقال داود الطَّائي رحمه الله تعالى: كل نفس ترد إلى همتها، فمهموم بخير، ومهموم بِشَرٍّ[2].

وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى: إن الأبرار تغلي قلوبُهم بأعمال البر، وإن الفجار تغلي قلوبهم بأعمال الفجور، والله يرى همومكم، فانظروا ما همومكم رحمكم الله تعالى[3].

وقال يزيد الرقاشي رحمه الله تعالى: للأبرار هِمَمٌ تبلغهم أعمال البر، وكفى بهمة دعتك إلى خير خيراً[4].

---

(١) لم أقف عليه في المطبوع من «الإخلاص والنية» لابن أبي الدنيا، لكن أورده ابن قتيبة في «عيون الأخبار» (ص: ٩٩)، وابن مفلح في «الآداب الشرعية» (١/ ٣٧٣) كلاهما من قول العتابي.

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٣٥٦).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ٧٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٢٨٥).

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٥١).

روى هذه الآثارَ ابنُ أبي الدنيا رحمه الله تعالى.

وروى غيرُه عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى أنـه قال: قيمة كل عامل همتُه[1].

قال أبو عبدالله القرشي رحمه الله تعالى: فمن كانت همته الدنيا فقيمته أقل من جناح بعوضة، ومن كانت همته الله تعالى فإن نبله وشرفه ما له قيمة.

فذلك وأمثاله مما ورد في فضل علو الهمة من كلام أهل المعرفة وأرباب الحكمة هو الباعثُ لي على الكَلَفِ باقتناص أوابد العلوم، وشرائد الفنون منذ كتب عليَّ قلم التكليف، وتوجه إليَّ الخطاب، والحاثُّ لي على التقاط لآلئ الفوائد، وجواهر الفرائد، وقَلْدِها في عقود التأليف على وجه الحق، ونهج الصواب.

وقد قلت: [من المنسرح]

بَعَثَتْنِــــيْ بَواعِــــثُ الْهِمَــــمِ
فِــيْ اقْتِنَــاصِ الْعُلُــوْمِ وَالْحِكَــمِ

فَتَرَانِــــــي مُنْظِمــــــاً دُرَراً
فِــيْ سُــمُوطِ الْخُطُــوطِ مِــنْ كَلِــمِ

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٣٥٤) لكن من قول إبراهيم القصار الرقي.

كُتُبِـــي كَالــسَّمَاءِ حَيْــثُ هَــدَتْ
بِالــدَّرارِيْ الــسُّراةَ فِــيْ الظُّلَــمِ
وَهِــيَ فَــضْلٌ مِــنَ الْعَظِــيْمِ لَقَــدْ
خَــصَّنِيْها بِخَــالِصِ الْكَــرَمِ
لَــيْسَ فِيْهــا تَعَمُّــلٌ وَلَكَــمْ
سَــابَقَ الْفِكْــرَ وَالنُّهَــىْ قلَمِــي
حَبَّــذَا مِنْحَــةً وَنائِلَــةً
مِــنْ كَــرِيْمٍ يَمُــدُّ بِــالنِّعَمِ
لَــمْ يَــزَلْ قــائلاً بِــلا شَــبَهٍ:
وَاعَطَــاءً، وَهَــذِهِ قُــسَمِيْ

ولولا بقايـا عليَّ من النفس ما خلت كشوفي بسببها من اللبس، واستجليت مكنونات المعاني جهراً، واستمليت من أفواه الغيوب حقائق تنطبع في قوالب المباني تِبْراً، واستملت خواطر القلوب بألحان المعارف لا المعازف، في ألحان الماكث فيه مُطرب العرفان والعاكف، والشادي بإنشاء الإرشاد المربى على إنشاد الحـادي، والرداد بآلات المثالـث والمثاني حدراً حدراً.

وإني ـ وإن أحطت ـ ولله الحمد ـ من علوم أهل الحقائق خبراً، وأخذت من كمالات النفوس الزكية الفوائق نصيباً وَفْراً ـ فإني لأقولن:

رَبِّ زِدْنِي عِلْماً، ويسرْ لي من أمري عسراً؛ فإنه لا غنى لي عن فضلك، ولا رِيَّ لقلبي وإن توالت أوراد جودك عليه وبَذْلك.

ولو توهمتُ الرِّي يوماً من الأيام من مناهلك، لاستغفرتك من الرَّيْنِ والغين، حتى أتحقق بالزين والعين من فضائلك وفواضلك.

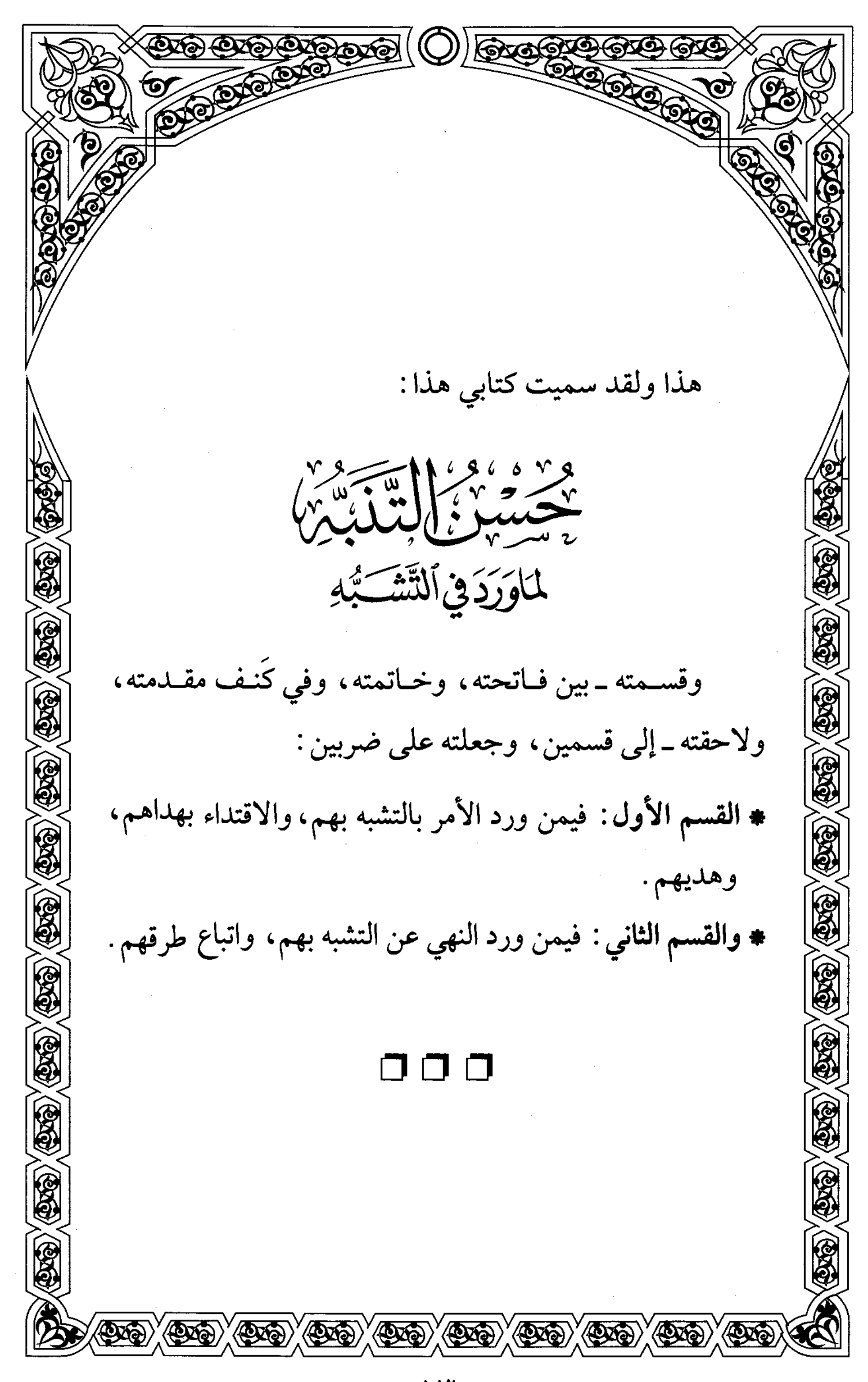
وأقول: [من الرجز]

أَسْـتَمْطِرُ الْجُـوْدَ وَإِنِّـيْ فِـيْ حَـرَقْ
وَإِنْ يَـصِحْ غَيْـرِيَ مِـنْ خَـوْفِ الْغَـرَقْ

يــا رَبِّ سَــرْمِدْ لِــي النَّـدَىْ فَــإِنَّنِيْ
أَشْـفَقْتُ أَنْ أَهْلِـكَ مِـنْ فَـرْطِ الْفَـرَقْ

أَسْــــتَغْفِرُ اللهَ إِذا مـــا أَشْـــرَقَتْ
شَمْسٌ عَلَـىْ قَلْبِـي وَمِـنْ بَعْـدِ الـشَّرَقْ





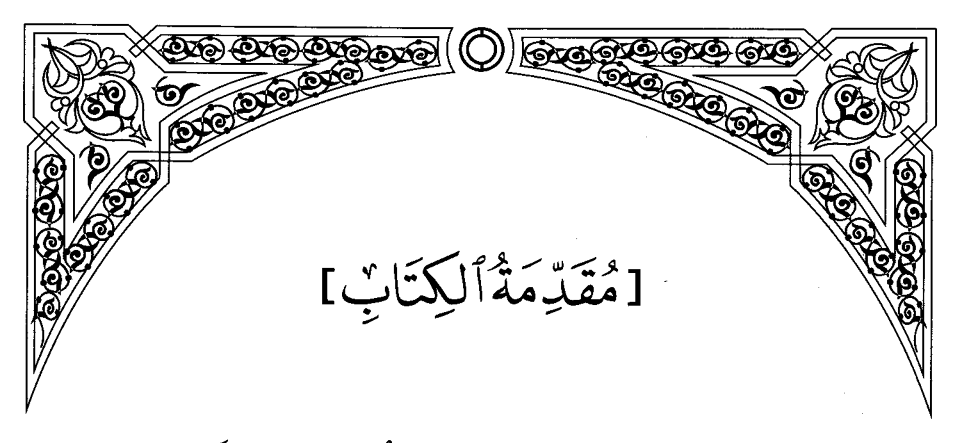
هذا ولقد سميت كتابي هذا:

حُسْنُ التَّنَبُّهِ لِمَا وَرَدَ فِي التَّشَبُّهِ

وقسمته - بين فاتحته، وخاتمته، وفي كَنَف مقدمته، ولاحقته - إلى قسمين، وجعلته على ضربين:

* **القسم الأول:** فيمن ورد الأمر بالتشبه بهم، والاقتداء بهداهم، وهديهم.
* **والقسم الثاني:** فيمن ورد النهي عن التشبه بهم، واتباع طرقهم.

❒ ❒ ❒



[مُقَدِّمَةُ الكِتَابِ]

فأما مقدمة هذا الكتاب وسابقته، وغُرَّة هذا المؤلَّف وفاتحته:

فاعلم ـ وفقني الله تعالى وإياك إلى الْمَحَابِّ، وهدانا إلى الصواب ـ أن التشبه عبارة عن محاولة الإنسان أن يكون شبه المتشبه به، وعلى هيئته، وحِليته، ونَعته، وصفته، أو هو عبارة عن تكلف ذلك، وتقصُّده، وتعمُّله.

والشِّبْه ـ بالكسر والسكون، وبفتحتين ـ: المِثْل؛ كالشبيه.

يقال: أشبهه، وتشبه به؛ ماثله.

ويقال: اشتبها، وتشابها؛ أشبه كلٌّ منهما الآخر.

ومنه قول القائل: [الكامل]

رَقَّ الزُّجاجُ وَرَقَّتِ الْخَمْرُ ... وَتَشابَها فَتَشاكَلَ الأَمْرُ

فَكَأَنَّما خَمْرٌ وَلا قَدَحٌ ... وَكَأَنَّما قَدَحٌ وَلا خَمْرُ(1)

---

(1) البيتان للصاحب بن عباد كما في «نهاية الأرب في فنون الأدب» للنويري (٧/ ٣٩).

وقد يعبر عن التشبه بالتشكل، والتمثل، والتزيي، والتحلي، والتخلق، أو يختص هذا الأخير بتكلف الأخلاق الباطنة، والطبائع، والصفات اللازمة.

ومثله التطبع، والتسلق؛ بمعنى: تكلف مشاكلة الطبيعة، والسليقة.

قال الشاعر: [من البسيط]

إِنَّ التَّخَلُّقَ يَأْتِي دُوْنَهُ الْخُلُقُ[1]

ويختص التشكل والتزيي والتحلي بتكلُّف الهيئة الظاهرة، والحلية البارزة، فيقال في التشبه بالحلم والكرم مثلاً: تَخَلَّقَ، وفي اللباس والزينة: تَشَكَّلَ، وتَزَيَّا، وتحلَّى؛ ومنه الحديث: «لَيْسَ الإِيْمانُ بِالتَّحَلِّيْ»[2].

---

(١) هذا عجز بيت لسالم بن وابصة، وصدره:

عليك بالقصد فيما أنت فاعله

ويروى عن غيره، انظر: «البيان والتبيين» للجاحظ (١/ ١٣٠)، و«لسان العرب» لابن منظور (١٠/ ٨٧).

(٢) رواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٦/ ٢٨٨) عن أبي هريرة وقال ـ بعد أن ذكر عدة أحاديث عن محمد بن عبد الرحمن بن مجبر ـ: روى عن الثقات بالمناكير وعن أبيه عن مالك بالبواطيل... وهذه الأحاديث بأسانيدها بواطيل، ورواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٤/ ٨٣٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٦) من قول الحسن البصري.

وقد يكون التمثُّل بمعنى الدخول في الصورة؛ ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابًا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[مريم: ١٧]؛ أي: تصوَّر.

وقد يكون التشكُّل بهذا المعنى؛ ومنه قول العلماء: للملائكة قوة التشكُّل؛ أي: الظهور بأي صورة أرادوها.

وفي «القاموس»: الحِلية ـ بالكسر ـ: الخلقة والصورة والصفة[1].

فعليه: يجوز أن يكون التحلِّي بمعنى الدخول في الصورة ـ أيضاً ـ، وإنه سبحانه هو الموفق.

وقد روى الإمام أبو داود في «سننه» ـ بإسناد حسن ـ، والإمام أبو عبدالله الحاكم في «مستدركه» ـ وقال: صحيح الإسناد ـ عن عبدالله ابن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما، والإمام أبو القاسم الطبراني في «معجمه الأوسط» عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه؛ كلاهما عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»[2].

وإنما كان المتشبِّه بالقوم منهم؛ لأن تشبهه بهم يدل على حبه إيَّاهم، ورضاه بأحوالهم وأعمالهم.

وقد قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذا رَضِـيَ هَدْيَ الرَّجُـلِ وَعَمَلَهُ

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز أبادي (ص: ١٦٤٧) (مادة: حلي).

(٢) رواه أبـو داود (٤٠٣١)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٣٢٧). وحسنه الحافظ في «فتح الباري» (١٠/ ٢٧١).

فَهُوَ مِثْلُهُ». رواه الطبراني من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه[1].

وروى أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَعْجَبَهُ سَمْتُ رَجُلٍ فَهُوَ مِثْلُهُ»[2].

وَلِمَا ذكرناه من أن التشبه بالقوم يدل على محبتهم، ويفصح عن مودتهم، قال جماعة ـ منهم: الحارث بن أسد المحاسبي، وأبو محمد سهل بن عبدالله التستري، وأبو علي الرُّوذَباري، وأبو القاسم القشيري رحمهم الله تعالى ـ: إن المحبة هي الموافقة، وذلك لأن الإنسان إذا أحب أحداً أحب سائر أوصافه وأفعاله وأخلاقه، وإذا أحبها دعاه حبُّها إلى التخلق والاتصاف بها، ومهما تحلى بها أو اتصف فقد وافق ذلك المتصف بها فيها، وكل إنسان فإنه محب لأوصاف نفسه، كَلِفٌ بها، فإذا ادعيت محبته لا تقوم شواهد صدقك عنده إلا بمحبتك لأوصافه وخلائقه، وكل ما ينسب إليه، ولا تتحقق منك المحبة لأوصافه وخلائقه إلا إذا رآك تحليت بها، واخترت الاتصاف بها[3].

---

(1) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩٢٢). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٩١): وفيه عبدالوهاب بن الضحاك وهو متروك.

(2) ورواه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ١٥٦)، وفيه يزيد بن عياض بن جعدبة، قال الذهبي في «المغني في الضعفاء» (٢/ ٧٢٥): قال النسائي وغيره: متروك.

(3) انظر: «التعرف لمذهب أهل التصوف» للكلاباذي (ص: ١٠٩)، و«الرسالة القشيرية» للقشيري (ص: ٢٨) و(ص: ٣٥٠).

وقد قال أوقليدس الحكيم ـ فيما نقله عنه الشهرستاني ـ: من أراد أن يكون محبوبُه محبوبَك وافقكَ على ما تحب، فإذا اتفقتما على محبوب واحد فقد صرتما إلى الاتفاق[1].

* **فَائِدَةٌ زَائِدَةٌ:**

قد ذكرنا أن كل إنسان محب لأوصاف نفسه، كَلِفٌ بها، وهذا من البديهيات، فلا يحتاج إلى برهان، ولذلك ورد: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَوَلَدِي»[2].

ومن هنا كان الفعل في الإرشاد أبلغ من القول، وذلك لأن الإنسان إذا رأى عاملاً بخير، كان ذلك داعياً له إلى فعل ذلك الخير، أكثر مما لو دعاه إليه ذلك العامل من غير أن يعمل به، ولذلك استحب للعلماء إذا أمروا بشيء أن يعملوا به، أو نهوا عن شيء أن يُظهروا كمال الانزجار عنه؛ ليجمعوا للمأمور والمنهي بين طريقي الإرشاد.

ولهذا كان النبي ﷺ إذا أراد أن يؤكد أمراً أكده بفعل نفسه، واحتج به عليه؛ كما ثبت في «الصحيحين» أنه ﷺ قال للرهط الذين قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر، ولا أفطر، وقال الآخر: أنا أعتزل النساء، فلا أتزوج أبداً: «أَنْتُمُ الَّذِيْنَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذا؟ أَمَا وَاللهِ إِنِّيْ لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَتْقاكُمْ لَهُ، لَكِنِّيْ أَصُوْمُ وَأُفْطِرُ،

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (٢/ ٢١٣).

(٢) رواه الترمذي (٣٤٩٠) عن أبي الدرداء رضي الله عنه، وحسنه.

وَأُصَلِّيْ وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّساءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّيْ»[1].

وفي «الصحيحين» ـ أيضاً ـ من حديث مالك بن الحُويرث رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «صَلُّوْا كَمَا رَأَيْتُمُوْنِيْ أُصَلِّيْ»[2].

عَوْداً عَلَىْ بَدْءٍ:

فإن قيل: قد قررت أن التخلق بأخلاق الشخص يدل على محبته، وأن المحبة لا تتم إلا بالموافقة في الأخلاق والأحوال، وإنَّا نجد كثيراً من الناس يكرهون أن يتخلق غيرهم بأخلاقهم، أو يتحلوا بحُلاهم؟

قلت: إنما تكون كراهيتهم لذلك من حيث إن المتحلي بحليتهم إنما يريد التشبه بهم لمناظرتهم، أو معارضتهم، أو التهكُّم عليهم، أو السخرية والإزراء بهم، وذلك لا يدل على محبته لهم، ولا اتفاقه معهم ـ وإن كان موافقاً في الصورة ـ بل يدل ذلك على شدة المباينة، وتمام العداوة، فلا يكون تشبهه بهم في الصورة الظاهرة منهم.

بخلاف ما إذا كان تشبهه بهم، وتخلقه بأخلاقهم على سبيل الاقتداء بهم، والاتباع لهم، والاستحسان لأحوالهم؛ فإن هذا عين الدليل على محبتهم؛ لأنه لو لم يحبهم، ويحب أفعالهم لم يقتدِ بهم فيها، ولا استحسنها منهم، ولا أَحَبَّ أن تنسب إليه كما نسبت إليهم، فهو في هذه الحالة متشبه بهم في أوصافهم وأخلاقهم على

---

(١) رواه البخاري (٤٧٧٦) واللفظ له، ومسلم (١٤٠١) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٦٠٥) واللفظ له، ومسلم (٦٧٤).

وجه الرضى بها لنفسه، والطمأنينة إلى نسبتها إليه، بخلافه في تلك الحالة؛ فإنه إن تشبه بهم على وجه التهكم والسخرية والإزراء فهو مُبَاين لهم في عين اتصافه بأوصافهم، غير راض نسبتها إليه ـ وإن تشبه بهم على وجه المناظرة والمعارضة ـ؛ فإنه لو لم يطمع بسبب اتصافه بأوصافهم، وتخلقه بأخلاقهم في التوصل بها إلى مباينتهم، ومضادتهم لم يكن طالباً لتلك الأوصاف، ولا مُعَرِّجاً عليها، وهذه أوقعت بين كثير من الأُستاذِيْن وتلامذتهم.

وبهذا يظهر الفرق بين التشبهين؛ أعني: التشبه الذي مبناه على العداوة والمعارضة، والتشبه الذي مبناه على المحبة والموافقة، وهذا التشبه الأخير هو الذي يصير المتشبه بقوم منهم؛ فإن من وافق قوماً، وأحبهم كان منهم ومعهم في الدنيا والآخرة، كما روى الطبراني في «معجمه الكبير»، والحافظ ضياء الدين المقدسي في «الأحاديث المختارة» عن أبي قرفاصة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ قَوْماً حَشَرَهُ اللهُ فِيْ زُمْرَتِهِمْ»[1].

ورواه أبو نعيم في «جزء له»، ولفظه: «مَنْ أَحَبَّ قَوْماً وَوالاهُمْ حَشَرَهُ اللهُ فِيْهِمْ»[2].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٥١٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٨١): فيه من لم أعرفهم.

(٢) قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ٥٩٩): في سنده إسماعيل بن يحيى التيمي ضعيف.

وروى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى بإسناد جيد، من حديث عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال في حديث: «وَلا يُحِبُّ رَجُلٌ قَوْماً إِلاَّ جَعَلَهُ مِنْهُمْ»[1].

وأخرج الإمام أبو محمد البغوي في «شرح السنة» من طريق عبد الرزاق، عن ابن مسعود ﷺ قال: ثلاث أحلف عليهن، والرابعة لو حلفت عليها لبررت: لا يجعل الله من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له، ولا يتولى الله عبداً في الدنيا فولاَّه غيرَه يوم القيامة، ولا يحب رجل قوماً إلا جاء معهم، والرابعة لو حلفت عليها لبررت: لا يستر الله على عبدٍ في الدنيا إلا ستر الله عليه في الآخرة. وقد رواه الطبراني في «معجمه الكبير» عنه مرفوعاً[2].

ورواه في «معجمه الصغير»، و«الأوسط» ـ بإسناد جيد ـ عن علي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلاثٌ هُنَّ حَقٌّ: لا يَجْعَلُ اللهُ مَنْ لَهُ سَهْمٌ فِيْ الإِسْلامِ كَمَنْ لا سَهْمَ لَهُ، وَلا يَتَوَلَّىْ اللهُ عَبْداً فِيْ الدُّنْيَا فَيُوَلِّيَهُ غَيْرَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ، وَلا يُحِبُّ رَجُلٌ قَوْماً

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ١٤٥). قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ١٤٩): إسناده جيد.

(٢) رواه البغوي في (شرح السنة» (١٣/ ٦٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٧٩٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٣٧): وفيه فضال بن جبير وهو ضعيف.

إلاَّ جَعَلَـهُ مَعَهُمْ»[1].

وروى الشيخان ـ أبو عبدالله البخاري، وأبـو الحسين مسلم ـ عن أنس رضي الله عنه: أن رجلاً سأل النبي ﷺ: متى الساعة؟ قال: «مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟» قال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله، فقال: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ».

قال أنس: فما رأيت المسلمين فرحـوا بشيء أشـد مما فرحـوا يومئذ[2].

وفي لفظ آخر: قال: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»[3].

قال أنس: فأنا أحبُّ النبي ﷺ، وأبا بكر، وعمـر رضي الله عنهما، وأرجو أن أكون معهم[4].

ورويـا ـ أيضـاً ـ عـن ابـن مسعـود رضي الله عنه قـال: جـاء رجـل إلى رسول الله ﷺ، قال: يا رسول الله! كيف ترى في رجل أحـب قوماً، ولم يلحق بهم؟ فقال رسول الله ﷺ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»[5].

---

(١) رواه الطبـراني في «المعجم الصغير» (٨٧٤)، وفي «المعجم الأوسط» (٦٤٥٠). قال الهيثمي في «مجمـع الزوائـد» (١٠/ ٢٨٠): رجالـه رجال الصحيح غير محمد بن ميمون الخياط وقد وثق.

(٢) رواه بهذا السياق: البخاري في «الأدب المفرد» (٣٥٢). ورواه البخاري ومسلم باللفظ الآتي.

(٣) رواه البخاري (٣٤٨٥)، ومسلم (٢٦٣٩).

(٤) رواه البخاري (٣٤٨٥)، ومسلم (٢٦٣٩).

(٥) رواه البخاري (٥٨١٧)، ومسلم (٢٦٤٠).

ورويا عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! الرجل يحب القوم، ولم يلحق بهم؟ فقال: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»[1].

وروى أبو داود عن أبي ذر ﷺ: أنـه قال: يا رسول الله! الرجل يحب القوم، ولا يستطيع أن يعمل بعملهم؟ قال: «أَنْتَ يَا أَبَا ذَرٍّ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»، فأعادها أبو ذر، فأعادها رسول الله ﷺ[2].

فهذه الأحاديث قاضية بأن المحبة تُلحق المُقَصِّرَ في الأعمال عن درجات المجتهدين لمحبته إياهم بهم، فما ظنك بمن بلغ من محبته لهم أن يتشبه بهم في الأعمال الصالحات، والاجتهاد في تحصيل الكمالات!!

فإن قلت: كيف يقول الحسن البصري رحمـه الله تعالى مـع هذه الأحاديث: يا ابن آدم! لا يغرنك قول من يقول: المرء مع من أحب؛ فإنك لن تلحـق الأبرار إلا بأعمالهم؛ فإن اليهـود والنصارى يحبـون أنبيائهم، وليسوا معهم.

قال حجة الإسلام الغزالي: وهذه إشارة إلى أن مجرد ذلك من غير موافقة في بعض الأعمال أو كُلِّها لا ينفع.

وقال الفضيل بن عياض رحمـه الله تعالى في بعض كلامـه: هاه! تريد أن تسكن الفردوس، وتجاور الرحمن في داره مع النبيين والصديقين

---

(١) رواه البخاري (٥٨١٨)، ومسلم (٢٦٤١).

(٢) رواه أبو داود (٥١٢٦).

والشهداء والصالحين، بأي عمل عملته، بأي شهوة تركتها، بأي غيظ كتمتـه، بأي رحم قاطعة وصلتها، بأي زلة لأخيك غفرتها، بأي قريب باعدته في الله، بأي بعيد قربته في الله![1].

فالجواب عن ذلك: أن المحب لقوم لا يخلو حاله إما أن يكون موافقاً لهم في كل أعمالهم، وأخلاقهم بحسب إمكانه، أو مخالفاً لهم في كلها، أو مخالفاً في البعض، موافقاً في البعض.

فإن كان موافقاً لهم في كل أعمالهم، وأخلاقهم فهذا منهم ومعهم بلا شك؛ لأن محبته إياهم أدت به إلى اتصافه بكل أوصافهم، وتشبهه بهم في كل أحوالهم، فقد بلغ أعلى طبقات المحبة، فكيف لا يكون منهم!

وهذا ـ أعني: المشابهة بالقـوم في كل أحوال القوم ـ أعظم شيء يلحقه بهم.

ولقد أحسن القائل: [من المتقارب]

إِذا أَعْجَبَتْـــكَ خِـــصالُ امْـــرِئٍ
فَكُنْـــهُ يَكُـــنْ فِيْـــكَ مـــا يُعْجِبُـــكْ

فَلَـــيْسَ عَلَـــىْ الْمَجْـــدِ وَالْمَكْرُمـــا
تِ إِنْ رُمْتَهـــا حاجِـــبٌ يَحْجُبُـــكْ[2]

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٢/ ١٦٠).

(٢) البيتـان للطـاهـر بن الحـسين، انظـر: «أدب الـدنيـا والديـن» للمـاوردي (ص: ٤٥٤).

وفي «رسالة» الأستاذ أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري رحمه الله تعالى بإسناده عن ذي النون المصري رحمه الله تعالى قال: من علامات المحب لله متابعة حبيب الله ﷺ في أفعاله، وأخلاقه، وأمره، وسننه[1].

قلت: وهو مأخود من قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[آل عمران: ٣١].

والمعنى فيه: أن من أحب اللهَ أحبَّه اللهُ، فإذا تابع محبُّ الله حبيبَ الله فقد صدق في الحب، وصار هو ـ أيضاً ـ حبيبَ الله.

وإن كان مخالفاً لهم في كل أفعالهم، مبايناً لهم في كل أحوالهم، فهذا ليس منهم قطعاً، وعلى ذلك حمل الغزالي كلام الحسن، وكذلك يحمل عليه كلام الفضيل؛ لأن الظاهر أن محبة هذا مجرد دعوى، ومحضُ تَمَنٍّ، وهذا لا يقال فيه: (محبٌّ) حقيقة، بل: (مدعي المحبة).

ويدل عليه: ما رواه الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى في كتاب «الزهد» عن الحسن أنه قال: يا ابن آدم! زعمت أنك تحب الصالحين، وتفر من أعمالهم، وتبغض الفجار، وأنت أحدهم!

وإن كان موافقاً في البعض مخالفاً في البعض، فلا يخلو إما أن يخالفهم في أصل الإيمان، أو يوافقهم؛ فإن خالفهم في الإيمان فهذا

---

(١) انظر: «الرسالة القشيرية» للقشيري (ص: ٢٤)، ورواه كذلك البيهقي في «الزهد الكبير» (ص: ٧٨).

ليس منهم قطعاً؛ لأنه ـ وإن توهم من قلبه محبتهم والميل إليهم ـ فقد باينهم في أصل الإيمان الذي هـو عقيدتهم، وذلك عين العداوة، فأين المحبة؟ وأيُّ عداوة أشد من عداوة الدِّين؟ كما قيل: [من البسيط]

كُـلُّ الْعَـداواتِ قَـدْ تُرْجَـىٰ مَوَدَّتُهـا

إلاَّ عَـداوَةَ مَـنْ عـاداكَ فِـيْ الـدِّيْنِ(1)

ومن هذا القبيل: محبة اليهود والنصارى لأنبيائهم.

وإن وافقهم في أصل الإيمـان، وخالفهم في غيـره من الطاعـات ومكارم الأخـلاق، فلا يخلـو إما أن تكون مخالفتـه لهم في الطاعـات والأخلاق والآداب رغبةً عنها، وأَنَفَـةً منها، ومحبة لما سواها، أو لا؛ فإن كان الأول فهذا ـ أيضاً ـ لا ينفعه أصل محبته لهم مع رغبتـه عن أخلاقهم وأوصافهم، ولا يلحقه بهم، ولذلك قال رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح: «مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِيْ فَلَيْسَ مِنِّيْ»(2)؛ لأن رغبة هذا عن أخلاق من يدعي محبتهم، وإعراضـه عن أوصافهم، دليل على أن محبته تلك لا حقيقة لها، وأنها مجرد دعوى.

ولا يبعد أن تكون محبة اليهود والنصارى لأنبيائهم من هذا القبيل ـ أيضاً ـ؛ ألا ترى أنهم كانـوا يدَّعـون محبـة إبراهيم عليـه السلام، ثم كانوا يرغبون عن ملتـه، ثم كانوا يدَّعون أنـه كان على ما هم عليـه من

---

(1) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٢/ ٤٣٥).

(2) تقدم تخريجه.

اليهودية والنصرانية، ثم افترقوا فيه، فقالت اليهود: كان منا، وقالت النصارى: بل كان منا، فشتمهم الله تعالى في كتابه العزيز، وأكذبهم في ذلك كله، فقال تعالى ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾[البقرة: ١٣٠].

وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ﴾[آل عمران: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾[آل عمران: ٦٧].

فنفى عنه اليهودية والنصرانية، وأثبت له الإسلام، وعرفنا أن الإسلام دين قديم من عهد إبراهيم عليه السلام لم يحدث بعده بقوله تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾[الحج: ٦٧].

فلا ينتفع من ادعى محبة قوم، وخالفهم في أخلاقهم، وأعمالهم رغبةً عنها بمحبتهم، ولا يلحقه بهم.

وكذلك ـ أيضاً ـ لو كان مشتغلاً عن متابعتهم، وموافقتهم بما هو فيه من شهوات النفس، وتُرَّهَاتِ الهوى، والعكوف على تحصيل الدنيا بأي وجه تيسرت به، بحيث غلب عليه الظلم والغش والمكر والخديعة وغير ذلك؛ فإنَّ ما يدعيه من محبتهم لا ينفعه، ولا يلحقه بهم؛ لأنه مجرد تَمَنٍّ، ومحضُ ادِّعاء لا يجدي، وكيف تثبت له محبتهم وقد عكف على أوصاف من سواهم، وجاء بأعمال من عداهم ممن ليسوا منهم؟

ولذلك قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنا»[1] الحديث الآتي.

ومن هذا القبيل محبة الظَّلَمةِ والفَسَقةِ للصالحين، وتقربهم من المباركين بعرض أموالهم عليهم، وإرسال الهدايا إليهم، وهم مُكِبُّوْنَ على ظلمهم للناس، وإسرافهم على أنفسهم، فهؤلاء لا تنفعهم محبة الصالحين، ولا تلحقه بهم.

وإن كان الثاني؛ بأن كانت مخالفته لهم لا على طريق الرغبة عن أخلاقهم، ولا على سبيل الأَنَفَةِ من أحوالهم، بل كان ذلك على سبيل العجز والتقصير عن بلوغ درجاتهم، والانحطاط عن عُلُوِّ همتهم، أو على وجه غلبة الهوى عليه، وضعفه عن مصادمته ومخالفته، فوقعت منه الزلة، وأَلَمَّ تلك اللمة، ولو تيسر له اللحاق بهم في وصفٍ لم يتأخر عن الاتصاف به، أو في خُلقٍ لم يتوان عن التخلق به، فهذه المخالفة والتقصير لا يُقعدانه عن اللحاق بمن يحبهم، ولا يؤخره عن الكينونة معهم، وعلى ذلك تحمل الأحاديث والآثار الواردة في ذلك.

ولا شك أن قول النبي ﷺ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» جواباً لقول القائل: يا رسول الله! المرء يحب قوماً ولما يلحق بهم[2]؟

وفي حديث أبي ذر: ولا يستطيع أن يعمل بعملهم[3]؟

---

(1) رواه الترمذي (٢٦٩٥)، عن عمرو بن العاص رضي الله عنه، وقال: إسناده ضعيف.

(2) تقدم تخريجه.

(3) تقدم تخريجه.

دليل على أن المحب لقومٍ معهم، وإن قصر عنهم في الأعمال والأحوال، ولذلك اشتد فرح المسلمين بذلك.

وروي: أن ثوبان مولى رسول الله ﷺ كان شديد الحب للنبي ﷺ، قليل الصبر عنه، فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه، ونحل جسمه، فعرف في وجهه الحزن، فقال: «يا ثَوْبانُ! ما غَيَّـرَ لَوْنَكَ؟» فقال: يا رسول الله! ما بِيَ من ضُرٍّ ولا وجع، غير أني إذا لم أرك اشتقت إليك، واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك، ثم ذكرت الآخرة، وأخاف أني لا أراك هناك؛ لأني عرفت أنك ترفع، وأني إن دخلت الجنة كنت في منزلة هي أدنى من منزلتك، وإن لم أدخل فذاك حين لا أراك أبداً[1].

فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[النساء: ٦٩].

وروى الطبراني، وأبو نعيم، وغيرهما، وحسنه الضياء المقدسي في «المختارة»، عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أن رجلاً قال: يا رسول الله![2]، وذكر نحو حديث ثوبان ﷺ.

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «المحتضرين» عن عبد الرحمن بن

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١١/ ١٧٤).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الصغير» (٥٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٢٤٠).

صالح العجلي قال: قال ابن السَّمَّاك عند وفاته: اللهم إنك تعلم أني إذا عصيتك، فإني كنت أحب من يطيعك، فاجعل ذلك قربة لي إليك[1].

ولَمَّا أملى الحافظ أبو الفضل شهاب الدين بن حجر العسقلاني حديث: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» أنشد في إثره ـ وأخبرنا به شيخ الإسلام الوالد عن مشايخه عنه ـ: [من السريع]

وَقَائِلٍ هَلْ عَمَلٌ صَالِحٌ
أَعْدَدْتَهُ يَدْفَعُ عَنْكَ الْكُرَبْ

فَقُلْتُ حَسْبِيْ خِدْمَةُ الْمُصْطَفَىْ
وَحُبُّهُ فَالْمَرْءُ مَعْ مَنْ أَحَبْ[2]

وأنشدنا الوالد رحمه الله تعالى لنفسه، وهو أحسن من قول ابن حجر: [من السريع]

مَنْ رامَ أَنْ يَبْلُغَ أَقْصَىْ الْمُنَىْ
فِيْ الْحَشْرِ مَعْ تَقْصِيْرِهِ فِيْ الْقُرَبْ

فَلْيُخْلِصِ الْحُبَّ لِمَوْلَىْ الْوَرَىْ
وَالْمُصْطَفَىْ فَالْمَرْءُ مَعْ مَنْ أَحَبْ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (ص: ٢٣٢).

(٢) انظر: «الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر» للسخاوي (ص: ٨٤٩).

قال والدي رحمه الله تعالى: وقد ظفرت بعد ذلك ببيتين لشيخ الإسلام الوالد ـ يعني: الشيخ رضي الدين ـ، وهما أحسن من قول ابن حجر، ومن قولي، وهما: [من الخفيف]

إِنْ تَكُنْ عَنْ حَالِ الَّذِيْنَ اجْتَبَاهُمْ
رَبُّهُمْ عَاجِزاً وَتَطْلُبْ قُرْبَا

حِبَّ مَوْلاكَ وَالَّذِيْنَ اصْطَفَاهُمْ
تَبْقَ مَعْهُمْ فَالْمَرْءُ مَعْ مَنْ أَحَبَّا

وقوله: «حِبَّ مولاك» ـ بكسر الحاء ـ؛ بمعنى: أَحِبَّ؛ لغة قليلة، يقال: حَبَّ، يَحِبُّ ـ بكسر ثاني المضارع ـ، كما في «القاموس»[1].

* تَنْبِيْهٌ:

من شرط إلحاق المحبة من يحب بمن يحبه من الصالحين وأولياء الله تعالى: الإخلاص وحسن النية.

وهذا مما أبعد المنافقين عن النبي ﷺ، وأصحابه رضي الله تعالى عنهم؛ لأنهم أظهروا محبتهم لهم، ونيتهم غير ذلك.

وقال ابن مسعود: هاجر رجل ليتزوج امرأة يقال لها أم قيس، فكان يسمى مهاجر أم قيس. رواه الطبراني في «الكبير» بسند صحيح[2].

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٩٠) (مادة: حبب).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٥٤٠). قال الحافظ في «فتح الباري» =

فتأمَّل كيف لما هاجر إلى النبي ﷺ في الظاهر ـ والهجرة إليه دليل حبه ـ فلما أشرك في هجرته غيره، وأضمر طلب أم قيس، سمي بها دونه!

قال بعض العلماء: وهذا كان السبب[1] في قوله ﷺ: «إِنَّمَا الأَعْمالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَىْ، فَمَنْ كانَتْ هِجْرَتُـهُ إِلَىْ اللهِ وَرَسُوْلِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَىْ اللهِ وَرَسُوْلِهِ، وَمَنْ كانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىْ دُنْيَا يُصِيبُها، أَوْ إِلَىْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُها، فَهِجْرَتُهُ إِلَىْ ما هاجَرَ إِلَيْهِ». أخرجه الشيخان، وغيرهما من حديث عمر رضي الله عنه[2].

وفي قوله: «أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُها» تلميحٌ بمهاجر أم قيس.

وقد روى الطبراني ـ بسند جيد ـ عن الحسين بن علي رضي الله عنهما قال: من أحبنا للدنيا، فإن صاحب الدنيا يحبه البَرُّ والفاجر، ومن أحبنا لله تعالى، كنا نحن وهو يوم القيامة كهاتين، وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى[3].

= (١/ ١٠): وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين.

(١) قال الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (ص: ١٤): وقد اشتهر أن قصة مهاجر أم قيس هي كانت سبب قول النبي ﷺ: «من كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها» وذكر ذلك كثير من المتأخرين في كتبهم، ولم نر لذلك أصلاً يصح، والله أعلم.

(٢) رواه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٨٨٠).

وفي قوله: فإن صاحب الدنيا يحبه البَرُّ والفاجر: إشارة إلى أنَّ محبة أهل الدنيا ومؤاخاتهم ليس فيها فضيلة أصلاً، والأمر كذلك.

وقد عوتب النبي ﷺ بإعراضه مرة عن الفقراء اشتغالاً بمحادثة من كان يرجو إسلامه من أرباب الدنيا[1]، بقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[الكهف: ٢٨].

بل محبة أهل الدنيا للدنيا مكروهة أو حرام؛ لأنها ترجع إلى محبة الدنيا.

وفي الحديث: «حُبُّ الدُّنْيا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ». رواه البيهقي في «شُعَب الإيمان» عن الحسن مرسلاً[2].

وروى الإمام أحمد، والبزار، والطبراني، وابن حبَّان، والحاكم ـ وصححاه ـ عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ دُنْياهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْياهُ، فَآثِرُوْا ما يَبْقَى عَلَى ما يَفْنَى»[3].

---

(١) انظر: «سنن ابن ماجه» (٤١٢٧).

(٢) رواه البيهقي في «شُعَب الإيمان» (١٠٥٠١).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٤١٢)، وابن حبَّان في «صحيحه» (٧٠٩)، والحاكم في «المستدرك» (٧٨٥٣). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٤٩): رواه الإمام أحمد والبزار والطبراني ورجالهم ثقات، =

وفي «الحلية» لأبي نعيم: عن سفيان الثوري رحمه الله تعالى قال: إذا رأيت القارئ يلوذ بباب السلطان فاعلم أنه لصٌّ، وإذا رأيته يلوذ بالأغنياء فهو مرائي[1].

وقوله: يلوذ بالأغنياء؛ أي: يلزمهم، ويحرص على صحبتهم.

* **فَائِدَةٌ زَائِدَةٌ:**

كما أن محبة أولياء الله تعالى من شرطها الإيمان به، كذلك ـ أيضاً ـ من شرط محبة الله تعالى الإيمان به، فلا يصح دعواها لغير مؤمن.

ولذلك أكذب الله تعالى اليهود في قولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾[المائدة: ١٨] بقوله: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾[المائدة: ١٨]، وذلك لأنهم لو أحبُّوه لأحبَّهم، ولو أحبَّهم لم يعذبهم.

ودليل أنهم لم يحبوه، أنهم لم يؤمنوا به كما ينبغي، ولو آمنوا به لم يؤثروا عليه شيئاً، ولَمَّا لم يحبهم عذَّبهم بذنوبهم.

وفي الحديث: «وَإِذا أَحَبَّ اللهُ عَبْداً لَمْ يَضُرَّهُ ذَنْبٌ». رواه القشيري في «الرسالة»، وغيره عن أنس[2].

= وقال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٨٧٣): منقطع.

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٨٧).

(٢) رواه القشيري في «رسالته» (ص: ١٢٦) والديلمي في «مسند الفردوس» (٢٤٣٢). =

ومعنى أنه «لم يضره ذنب»: أنه لم يعذبه به بأن يوفقه للتوبة، أو يعفو عنه.

ثمَّ لا بد مع الإيمان أن لا يقع من المحب المعصية على قصد المخالفة، والمعاندة لمباينتها للإيمان حينئذٍ، وهذا ما كان يقصده عبدالله ابن المبارك، ورابعة العدوية رحمهما الله تعالى بما كانا يتمثلان به من قول أبي العتاهية: [من الكامل]

تَعْصِيْ الإِلَهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ
هَذَا لَعَمْرِيْ فِيْ الأَنَامِ بَدِيْع
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صادِقاً لأَطَعْتَهُ
إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيْعُ

بخلاف المعصية التي تكون عن خطأ وزلة؛ فإن ذلك مقتضى جِبِلَّة البشر، كما قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ بَنِيْ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِيْنَ التَّوَّابُوْنُ». رواه الإمام أحمد، وابن ماجه، والترمذي، والحاكم ـ وصححاه ـ من حديث أنس رضي الله تعالى عنه[1].

= قال ابن القيم في «بدائع الفوائد» (٣/ ٥٢٢): وهذا كذب قطعاً مناف للإسلام، فالذنوب تضر بالذات لكل أحد، كضرر السم للبدن، ولو قدر أن هذا الكلام صح عن بعض الشيوخ، وأما عن رسول الله ﷺ، فمعاذ الله.

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٩٨)، وابن ماجه (٤٢٥١)، والترمذي (٢٤٩٩)، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٧٦١٧).

فهذه المعصية لا تناقض محبة العبد لله تعالى، ولا تقعد بمحب الله ورسولـه وأنبيائـه وصالحي خلقـه عن اللحـاق بهم في جوار الله تعالى وداره.

وعلى ذلك ما روي في الحديث الصحيـح: أن نعيمـان رضي الله تعالى عنـه كـان يؤتى بـه إلى النبـي ﷺ شـارباً، فأتي بـه مـرة، فحـدَّه النبي ﷺ، وضربه بالنِّعال، فلعنه رجل، وقال: ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي ﷺ: «لا تَلْعَنْـهُ»، وفي روايـة: «لا تَسُبُّـوْا نُعَيْمانَ؛ فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُوْلَهُ»[1].

فأثبت لـه النبي ﷺ محبـة الله ورسـولـه مـع هـذه المعصيـة؛ لأنها كانت عن خطأ وزلة، لا عن قصد المباينة والمخالفـة؛ فإنها لـو كانت كذلـك لكانـت مناقضـة للمحبـة؛ فإن هذه المعصيـة لا تجامـع المحبـة

---

(١) رواه عبـد الرزاق في «المصنـف» (١٧٨٠٢)، وابن سعد في «الطبقـات الكبرى» (٣/ ٤٩٣) عن زيد بن أسلم.

وأصل الحديث عنـد البخاري (٢١٩١) عن عقبـة بن الحارث، وفي البخاري أيضاً (٦٣٩٨) نحو هذا اللفظ لكن عن عمر ﷺ وفيه: أن عبدالله الملقب بحمار جلد لشربه الخمر.

وقد ظن بعضهم أن الحادثة متحدة، قال الحافظ في «الفتح» (١٢/ ٧٧): قصـة عبـدالله كانـت في خيبـر، فهي سـابقة على قصة النعيمان.

وقال في «الإصابة في تمييز الصحابة» (٦/ ٤٦٤) ـ بعد أن بين أن اللاعن هو عمر ـ: قاله لعبدالله الذي كان يلقب حماراً، فهـو يقوي قول من زعم أنـه ابن النعيمان، فيكون ذلك وقع للنعيمان وابنه، ومن يشابه أباه فما ظلم.

أصلاً بخلاف تلـك.

وأنـت فتـأمـل في قـولـه تعـالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[آل عمران: ٣١]؛ فإنه أثبت للمحبين ذنوباً تغفر، وهي ذنوب الخطأ والزلات، لا ذنوب القصد والمخالفات.

وفي الآية لطيفـةٌ، وهي أنـه سبحانـه وتعالى جعل وجود المحبة مشروطاً بوجود الاتباع، لا بعدم المعصية.

قال وهـب بن منبـه: قال إبليس: يا رب! إن عبـادك يحبـونك ويعصونك، ويبغضوني ويطيعوني، فقال الله تعالى: إني قد غفرت لهم ما يعصوني بما أحبوني، وعفوت عما يطيعونك بما أبغضوك.

وروى الطبـراني، والبيهقي في «شعب الإيمـان» عـن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ ذَنْباً يَعْتَادُهُ الْفَيْنَةَ[1] بَعْدَ الْفَيْنَةِ، أَوْ ذَنْباً لا يَتْرُكُهُ حَتَّىٰ يَمُوْتَ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ خُلِقَ خَطَّاءَ نَسَّاءَ، فَإِذَا ذَكَرَ ذُكِرَ»[2].

وروى البزار، والطبرانيُ ـ وحسنه ابن حجر في «أماليه» ـ عن جابر رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «الْمُؤْمِنُ وَاهٍ رَاقِـعٌ[3]، وَسَعِيْدٌ

---

(١) أي: الحين بعد الحين.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٦٦٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧١٢٤)، وحسنه العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ١٠٠٢).

(٣) قوله: (واهٍ راقع)؛ أي: يَهِيْ دينـه بمعصيته، ويرقعه بتوبته، من رقعت الثوب: إذا رممته. انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٢/ ٢٥١).

مَنْ ماتَ عَلَىْ رُقْعَةٍ»[1].

وفي ذلك إشارة إلى أن المؤمن قد يقع منه المعصية على وجه الخطأ والنسيان، ولا يضره ذلك إذا مات على توبة وإحسان، كيف وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ﴾[طه: ١١٥].

ويؤخذ من ذلك أن نسيان العبد وعصيانه مظهر لكرم الله وإحسانه؛ إذ لولا معصية العبد لما ظهر وصف العفو والحلم والعدل ونحوها.

ومن ثَمَّ قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِيْ نَفْسِيَ بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوْا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُوْنَ، وَيَسْتَغْفِرُوْنَ اللهَ، فَيَغْفِرَ لَهُمْ». رواه الإمام أحمد، ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه[2].

ولنا في هذا المقام: [من السريع]

إذا عَصَيْنا اللهَ عَنْ زَلَّةٍ	عُدْنا إِلَى خالِصِ غُفْرانِهِ
وَإِنْ نَسِيْنا عَهْدَهُ إِنَّما	نِسْيانُنا مُظْهِرُ إِحْسانِهِ
وَلَمْ نُعانِدْهُ بِعِصْيانِنا	مُذْ مُلِئَ الْقَلْبُ بِإِيْمانِهِ

*** تَتِمَّةٌ:**

مقتضى قوله ﷺ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»[3]: أن المتحابين في الله

---

(١) ورواه الطبراني في «المعجم الصغير» (١٧٩)، وضعف إسناده ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (ص: ١٦٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٠٩)، ومسلم (٢٧٩٤).

(٣) تقدم تخريجه.

متى كان أحدهما أرفع من الآخر مقاماً لحق به.

ثم له فائدة أخرى في التحاب، بل لهما إذا تحابا في الله ـ وهما مقصران في الطاعة ـ في التحاب هذه الفائـدة العظيمـة، وهي ما رواه أبو نعيم عن سلمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنا شَفِيْعٌ لِكُلِّ أَخَوَيْنِ تَحابَّا فِي اللهِ مِنْ مَبْعَثِي إِلَى يَومِ الْقِيامَةِ»[1].

ولا شك أن الشفاعة إنما تكون لمن قصرت به أعماله.

* * *

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٦٨) عن سلمان، ورواه ابن قدامة المقدسي في «المتحابين في الله» (ص: ٥٤) عن علي بن أبي طالب.



فَصْلٌ

أسند الأستاذ الكبير العارف بالله تعالى شهاب الدين أبو حفص السُّهروَردي رحمه الله تعالى في باب (المتصوف والمتشبه) من كتاب «عوارف المعارف» حديث: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»[1]، ثم قال: فالمتشبه بالصوفية ما اختار التشبه بهم دون غيرهم من الطوائف إلا لمحبته إياهم.

قال: وهو مع تقصيره عن القيام بما هم فيه يكون منهم لموضع إرادته ومحبته.

ثم قال: ومحبة المتشبه إياهم لا تكون إلا لتنبه روحه لما تنبهت له أرواح الصوفية؛ لأن محبة أمر الله تعالى، وما يقرب منه، تكون بجاذبة الروح[2]. انتهى.

وفيه إشارة إلى ما قررناه سابقاً من أن المتشبه بقوم إنما يتشبه بهم في الغالب لمحبته إياهم، وأن محبته إياهم وتشبهه بهم إنما

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: «عوارف المعارف» للسهروردي (ص: ٦٦).

يكون لتوافق روحه وأرواحهم فيما تنبهت له أرواحهم من خير وشر، وهو كذلك.

ولا شك أن الأرواح إذا تنبهت لشيء واحد واطمأنت إليـه، فقد توافقت، وتجانست، وتشاكلت، وتشابهت، وتقاربـت ـ وإن تباعدت أجسادها ـ.

نعم، لو اجتمعت أجسادها يوماً لظهرت هذه المعاني بينها بالتحلي والتشبه والمجاورة والموافقة.

ألا ترى إلى قول الله ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[البقرة: ١١٨].

فبيَّن أن قلوب السابقين واللاحقين تشابهت في الجهـل والكفـر حتى قالوا مثل ما قالوا، فاتفاقهم في القول سببه اتفاق القلوب والأرواح ـ وإن طالت المدد بينهم ـ فهم مجموعون في العذاب لاجتماع قلوبهم على الكفر والجهل، كما يجتمـع أهل الإيمان في النعيم لاجتماع قلوبهم على الإيمان والمعرفة.

فالعبـرة باجتمـاع القـلوب، واتفـاق الأرواح ـ وإن تبـاعـدت الأجساد ـ.

وكذلك قال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ

ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾[الأنفال: ٦٢ ـ ٦٣].

فيه إشارة إلى أن من كانوا مجتمعين مع النبي ﷺ في المعابد والمشاهد، ما قرت عينه منهم إلا ممن تألفت قلوبهم على المودة والإيمان بتأليف الله تعالى.

ومن خالف قلبه قلوبهم، وعَقْدُهُ عقدَهم، لم يكن له فيه قرة عين؛ كعبدالله بن أبي ابن سلول[1]، وأضرابه من المنافقين على أنهم كانوا يصلون معه ومع أصحابه، ويشهدون معهم المشاهد، ثم كانوا يفترقون، فالمؤمن مع المؤمن، والمنافق مع المنافق، فيتسارُّ المنافقون بما اجتمعت عليه قلوبهم من الكفر وذم المؤمنين وأذاهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾[البقرة: ١٣ ـ ١٤].

وأكثر المنافقين كانوا من أهل المدينة، فلما ظهرت منهم مَخايل النفاق هَجَرَهم الأنصار كما هجرهم المهاجرون ـ على أنهم كانوا هم والأنصار أهل مدينة واحدة، بل كانوا أقارب وعشائر ـ

---

(١) في «أ»: «عبدالله بن سلول».

لافتراق قلوبهم.

وتَوافَقَ الأنصار والمهاجرون لاتفاق قلوبهم على الإيمان، وتآلفها مع أن هؤلاء من بلاد، وهؤلاء من بلاد، ولم يكن بينهم قبل ذلك قرابة ولا عشرة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾[الأنفال: ٧٢].

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: لو أن مؤمناً دخل إلى مجلس فيه مئة منافق، ومؤمن واحد، لجاء حتى يجلس إليه، ولو أن منافقاً دخل إلى مجلس فيه مئة مؤمن، ومنافق واحد، لجاء حتى يجلس إليه. رواه البيهقي موقوفاً[1]، وذكره صاحب «الفردوس» من حديث معاذ رضي الله عنه مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ[2].

قال حجة الإسلام رحمه الله تعالى: وهذا يدل على أن شبيه الشيء منجذب إليه بالطبع، وإن كان هو لا يشعر به[3].

وأنشدوا في المعنى: [من الطويل]

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٠٣٨).

(٢) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٥١١٢).

(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٢/ ١٦٢).

فَــلا تَحْقِــرَنْ شَخْــصاً وَأَنْــتَ خَلِيْلُــهُ
فَكُلُّ امْرِئٍ يَصْبُوْ إِلَــىْ مَــنْ يُجـانِسُ[1]

وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول: لا يتفق اثنان في عِشرة إلا وفي أحدهما وصف من الآخر؛ فإن أشكال الناس كأجناس الطير، ولا يتفق نوعان من الطير في الطيران إلا وبينهما مناسبة.

قال: فرأى يوماً غراباً مع حمامة فتعجب من ذلك، وقال: اتفقا وليسا من شكل واحد، ثم طارا، [فإذا هما أعرجان][2]، فقال: من ههنا اتفقا.

قال حجة الإسلام: ولذلك قال: كل إنسان يأنس إلى شكله، كما أن كل طير مع جنسه[3].

وقد روى الإمامان؛ البخاري من حديث عائشة، ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قالا: قال رسول الله ﷺ: «الأَرْواحُ جُنُوْدٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْها ائْتَلَفَ، وَما تَنَاكَرَ مِنْها اخْتَلَفَ»[4].

---

(١) قلت: ومن ذلك قولهم:

وميلُ الغصنِ نحوَ أخيه طَبعٌ   شبيهُ الشيءِ منجذبٌ إليهِ

(٢) زيادة من «إحياء علوم الدين» للغزالي (٢/ ١٦٢).

(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٢/ ١٦٢).

(٤) رواه البخاري (٣١٨٥)، ومسلم (٢٦٨٣).

قال عبدالله بن مسعود ﷺ: الأرواح جنود مجندة؛ تلاقى فتَشَامُّ كما تَشَامُّ الخيل، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف. نقله البغوي في «شرح السنة»[1].

ثم قال: وفي الحديث ـ يعني: المتقدم ـ: بيان أن الأرواح خلقت قبل الأجساد، وأنها مخلوقة على الائتلاف والاختلاف، كالجنود المجندة إذا تقابلت تواجهت.

قال: وذلك على ما جعلها عليه من السعادة والشقاوة.

ثم الأجساد التي فيها الأرواح تلتقي في الدنيا فتأتلف وتختلف على حسب ما جعلت عليه من التشاكل والتناكر في بدء الخلق، فترى البَرَّ الْخَيِّرَ يحب مثله، والفاجر يألف شكله، وينفر كلٌّ عن ضده[2]. انتهى.

وقال بعضهم في عقد الحديث: [من البسيط]

إِنَّ الْقُلُـــوْبَ لأَجْنـــادٌ مُجَنَّـــدَةٌ
لِلَّــهِ فِــيْ الأَرْضِ بِــالأَهْواءِ تَخْتَلِــفُ

(١) رواه البغوي في «شرح السنة» (١٣/ ٥٧)، ورواه أيضاً البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٠٣٨).

(٢) انظر: «شرح السنة» للبغوي (١٣/ ٥٧).

فَمـــا تَنـــاكَرَ مِنْهـــا فَهْـــوَ مُخْتَلِـــفٌ

وَمـــا تَعـــارَفَ مِنْهـــا فَهْـــوُ مُؤْتَلِـــفُ[1]

وقد روى الإمام أحمد، والحسن بن سفيان في «مسندهما» عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أن امرأة بمكة كانت تُضحِك النِّساء، وكانت بالمدينـة أخرى، فنزلت المكيَّة على المدنيَّة، فدخلت على عائشـة، فأضحكتها، فقالت: أين نزلتِ؟ فذكرت لها، فقالت: صدق الله ورسوله؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الأَرْوَاحُ جُنُوْدٌ مُجَنَّدَةٌ»، الحديث[2].

وروى البخاري في «أدبه»، والطبراني في «معجمه الكبير» عن عبدالله ابن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ رُوْحَي الْمُؤْمِنَيْنِ يَلْتَقِيانِ عَلَى مَسِيرَةِ يَومٍ وَلَيْلَةٍ، وَما رَأَى واحِدٌ مِنْهُما وَجْهَ صاحِبِـهِ»[3].

---

(١) البيتان لأبي نواس، كما في «أخبار أبي نواس» للأصبهاني (ص: ٢٥٦).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٩٥) عن أبي هريرة مختصراً، ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٠٣٩). قال العراقي في «تخريج أحاديـث الإحياء» (١/ ٤٦٩): أخرجه الحسن بن سفيان في مسنده بسند حسن، وحديث عائشة عند البخاري تعليقاً مختصراً بدونها.

(٣) رواه البخـاري في «الأدب المفرد» (٢٦١)، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٢٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائـد» (١٠/ ٢٧٤): رواه أحمد ورجاله وثقوا على ضعف في بعضهم، ورواه الطبراني.

قال بعض العلماء: إن الله تعالى خلق الأرواح، ففلق بعضها من بعض، وأطافها حول العرش، فأي روحين من فلقتين تعارفتا هناك والتقتا، تواصلا في الدنيا[1]. انتهى.

وقلت في هذا المعنى: [من الوافر]

ذَرِيْنِيْ يَا أُمَيْمَةُ إِنَّ وَجْدِيْ
بِأُلاَّفِيْ مِنَ الْعَهْدِ الْقَدِيْمِ

تَلاقَيْنَا حَوالَي عَرْشِ رَبِّيْ
وَقَدْ طَوَّفْتُ بِالْعَرْشِ الْعَظِيْمِ

تَشَمُّ الرُّوْحُ مِنِّيْ رُوْحَ إِلْفِيْ
عَلَىْ بُعْدِ الْهَياكِلِ وَالْجُسُوْمِ

فَمَنْ يَكُ شَكْلُهُ شَكْلِي فَإِنِّيْ
سَآلَفُهُ وَأَجْعَلُهُ حَمِيْمِيْ

وَأُشْبِهُهُ وَيُشْبِهُنِيْ وَنَغْدُوْ
وِفاقاً فِيْ الطِّباعِ وَفِيْ الْهُمُوْمِ

وَمَنْ لَمْ آلَفَ مِنْ أُلاَّفِ رُوْحِيْ
سَأَرْجِعُ عَنْ مُوافَقَةِ اللَّئِيْمِ

---

(١) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (٢/ ٣٩٢).

وقلت ـ مع الإشارة إلى معاني أخرى لطيفة، ومعارف رحمانيَّة شريفة ـ: [من البسيط]

قُلُوْبُنا بِلَهِيْبِ الشَّوْقِ مُحْتَرِقَةْ
مَعْ أَنَّهَا لِطِباقِ الْقُرْبِ مُخْتَرِقَهْ

فَاعْجَبْ لِضِدَّيْنِ كَيْفَ الْجَمْعُ بَيْنَهُما
حالُ اللِّقاءِ وَحالُ الشَّوْقِ مُتَّفِقَهْ

عُلْوِيَّةٌ لَقِيَتْ مَطْلُوْبَها وَغَدَتْ
تَبْغِيْ الرُّقِيَّ إِلَى الْعَلْياءِ مُعْتَلِقَهْ

لَكِنَّها أَلِفَتْ سُفْلِيَّ جُثَّتِها
مَزْجاً بِهِ كِمِياهِ الْعُوْدِ مُلْتَصِقَهْ

وَتَبْتَغِيْ لَوْ وَفَتْ حَقَّ الْجِوارِ لِما
كانَتْ بِهِ بِدِيارِ الْحِسِّ مُعْتَنِقَهْ

ما بَيْنَ هذَيْنِ تَلْقاهَا مُحَيَّرَةً
بَيْنَ الْمَعانِيْ وَبَيْنَ الْحِسِّ مُنْخَنِقَهْ

حَتَّىْ إِذا غَلَبَ الْعَقْلُ الْحَكِيْمُ بِما
يُعْطَىْ مِنَ الرُّشْدِ وَالتَّوْفِيْقِ وَالشَّفَقَهْ

طابَــتْ بِنَــشْوَتِها حَتَّــىٰ عَلَــتْ وَعَــلا

جُثْمانُهــا بِجَنــابِ الْقُــدْسِ مُلْتَحِقَــهْ

فَاشْــتَمَّ ناسُــوْتُها اللاَّهُــوْتَ مُرْتَقِيــاً

فِــيْ ســاحَةِ الْمَلَكُــوْتِ الْقَــدْرَ وَالطَّبَقَــهْ

تَوافَقَــتْ هِــيَ وَالْجُثْمــانُ فِــيْ صُــعُدٍ

كَالــشَّنِّ وافَــقَ فِــيْ تَمْثِــيْلِهِمْ طَبَقَــهْ

طابَتْ صَبُوْحاً بِكاساتِ الرِّضاْ وَحَسَتْ

كَــأْسَ الْهَنــا بِرَحِيْــقِ الأُنْــسِ مُغْتَبِــقَهْ

طُهْرِيَّــةُ الــذَّاتِ مِعْطــارٌ عَناصِــرُها

يَغْــدُوْ بِهــا الأُفْــقُ وَالأَرْجــاءُ مُعْتَبِــقَهْ

مَــا لَــمْ تُــشَبْ بِهَواهــا وَهْــوُ فاتِنُهــا

مَهْمــا غَــدَتْ بِــسِهامِ البَــيْنِ مُرْتَــشِقَهْ

مَخْذُوْلَــةٌ رُتِقَــتْ مِــنْ بَعْــدِما فُتِقَــتْ

ثُــمَّ انبَــرَتْ بِنِــصالِ الْمَقْــتِ مُنْفَتِقَــهْ

أَوْدَىٰ بِهــا الْجِــسْمُ أَوْ أَوْدَتْ بِــهِ كَلَفــاً

بِالتُّرَّهَــاتِ وَلَــمْ تُــوْعَظْ بِمَــنْ خَلَقَــهْ

فَاسْـتَلْحَقَتْ دَرَكـاتِ التُّـرْبِ هابِـطَةً

أَدْنَـىْ الْحَـضـيْضِ كَيُرْبُـوْعٍ أَتَـىْ نَفَقَـهْ

شَـتَّانَ بَـيْنَ مُقامَيْهـا مُنَعَّمَـةً

عُلْـواً وَفِـيْ ثِقَـلِ النَّاسُـوْتِ مُحْتَرِقَـهْ

مِـنْ أَجْـلِ ذَلِـكَ لَـوْ نالَـتْ مَقامَـةَ مَـنْ

أَضْـحَتْ عَلَيْـهِ مَعـانِيْ الْكَـوْنِ مُتَّـسِقَهْ

دامَتْ عَلَـىْ الـشَّوْقِ لا تُـشْفَىْ غلائِلُهـا

حَتَّـىْ تَـرَىْ اللهَ بَعْـدَ الْمَـوْتِ بِالْحَدَقَـهْ

أَرْخَـىْ عَلَيْهـا مِـنَ الرِّضْـوانِ أَرْدِيَـةً

فِـيْ جَنَّـةِ الْخُلْـدِ وَالأَلْطـافُ مُتَّفِقَـهْ

مِنْ بَعْدِ فَيْنَاتِها الأُخْـرَىْ وَقَـدْ شَـرَخَتْ

لَهَـا غُـصُوْنُ شَـبابِ الأُنْـسِ مُنْبَـسِقَهْ

مَـعَ الأَخِـلاَّءِ كانَـتْ قَبْـلُ أَنْفُـسُهُمْ

رُوْحٌ بِـرُوْحٍ لِوَجْـهِ اللهِ مُعْتَلِقَـهْ

إِذْ يَنْـزِعُ اللهُ غِـلاًّ مِـنْ صُـدُوْرِهِمُ

فَـوْقَ الأَسِـرَّةِ وَالأَكْـوابُ مُنْدَهِقَـهْ

ذاكَ الْعَطــــاءُ لِـــذاتٍ راقَ مَـــشْرَبُها

مِـنْ مَنْهَـلِ الـشَّرْعِ لِلْخَيْـراتِ مُـسْتَبِـقَهْ

مَأْخُوْذَةُ الْقَلْبِ عَنْ غَيْرِ الْحَبِيْبِ غَـدَتْ

بِحُرْمَـةِ الْجَمْـعِ فِـيْ التَّحْقِيْـقِ مُنْتَطِقَـهْ

مَمْحُـــوَّةٌ فِـــي وُجُـــوْدِ اللهِ فانِيَـــةٌ

مَمْحُوْقَـــةٌ فِـــيْ شُـــهُوْدِ اللهِ مُنْـسَحِقَهْ

* * *



فصل

ولما كان الطبع يسرق من الطبع، ويسري إليـه ـ خصوصاً مع طول الصحبة، والمعاشرة ـ حتى يدعو ذلك الشخص إلى تخلقه بخلق مجاوره ومعاشره، كما ترى ذلك كثيراً في كثير من الحيوانـات المتوحشة إذا كثـر مقـامها بين الناس أَلِفَتْهُمْ، وفهمـت إشـاراتهم، ومنها ما يقبـل التعليم كالببغاء، والقُمْرِيِّ من الطير، والفهـد والقـرد من السباع والبهائم، بل تبلغ من تآلفها بهم أن لو خرجـت عنهم لاستوحشت إلى الأنـس بهم، ونفرت عن الوحشة منهم، ولذلك قيل: للمجاورة تأثير، وقيل: من عاشر قوماً أربعين يوماً صار منهم.

لَمَّا كان ذلك كذلك، جاء النهي عن الإقامة في بلاد الكفار وعن مسـاكنتهم ومجـاورتهم، والأمـر بالهجـرة عنـهم، فـروى أبـو داود، والترمذي، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختـارة» عن جريـر بن عبدالله رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «أَنَا بَرِيْءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيْمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِيْنَ؛ لا تَراءَىْ ناراهُما»[1].

---

(١) رواه أبو داود (٢٦٤٥)، والترمذي (١٦٠٤). قال العراقي في «تخريج =

وفي هذا الحديث معنى آخر، وهو أن إقامة المسلم ببلادهم توجب ذِلَّـة المسلم فيهم، وإهانتـه بينهم؛ وقـد قال رسول الله ﷺ: «لا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ»، قيل: وكيف يذل نفسه؟ قال: «يَتَعَرَّضُ مِنَ الْبَلاءِ لِمَا لا يُطِيْـقُ». رواه الإمام أحمـد، وابن ماجـه عن حذيفة رضي الله عنه، والطبراني ـ بسند جيد ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما[1].

وروى الطبـراني ـ أيضـاً ـ في «معجمـه الكبيـر» عـن سَـمُرة بـن جندب رضي الله تعالى عنـه: أن النبي ﷺ قال: «لا تُساكِنُوْهُمْ ـ يَعْنِيْ: الْمُشْرِكِيْنَ ـ، وَلا تُجامِعُوْهُمْ؛ فَمَنْ ساكَنَهُمْ، أَوْ جامَعَهُمْ، فَهُوَ مِثْلُهُمْ»[2].

ورواه أبـو داود بلفـظ: «مَنْ جامَعَ الْمُشْرِكَ، وَسَكَنَ مَعَـهُ، فَهُوَ مِثْلُهُ»[3].

وقال جـريـر بن عبـدالله البجلي رضي الله تعالى عنـه: بايعـت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكـاة، والنصح لكـل مسلم،

= أحاديث الإحياء» (١/ ١٧٤): ورواه النسائي مرسلاً وقال البخاري: الصحيح أنه مرسل.

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٤٠٥)، وابن ماجه (٤٠١٦) عن حذيفة، ورواه الطبـراني في «المعـجم الكبيـر» (١٣٥٠٧)، و«المعـجم الأوسـط» (٥٣٥٧) عن ابن عمر، ورواه أيضاً الترمذي (٢٢٥٤) عن حذيفة وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٦٩٠٥)، ورواه أيضاً الترمذي (١٦٠٥).

(٣) رواه أبو داود (٢٧٨٧).

وعلى فراق المشرك. رواه النسائي[1].

وله ـ أيضاً ـ نحوه عن أبي نجيلة البجلي، [عنه][2].

وقوله: «وعلى فراق المشرك» شامل لمفارقته في الدار، فتجب الهجرة على من لم يقدر على إظهار الدِّيْن من بلاد الشرك إلى ديار الإسلام.

ولقد قطع الله الموالاة بين المؤمن المهاجر، والمؤمن الذي لم يهاجر؛ إذ كانوا يتوارثون بالهجرة والنصرة؛ تأكيداً لوجوب الهجرة على المؤمنين من بلاد المشركين، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾[الأنفال: ٧٢].

وروى الإمام أحمد، وغيره ـ وصححه الحاكم ـ عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: المهاجرون بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة[3].

والمراد بالولاية في هذا الحديث: المناصرة والتوادُّ والتحالل.

وذلك أن المهاجر لما هاجر من أرض قومه وهم على كفرهم

---

(١) رواه النسائي (٤١٧٥)، والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣٥٨).

(٢) رواه النسائي (٤١٧٧).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣٦٣)، والحاكم في «المستدرك» (٦٩٧٨) بلفظ: «المهاجرون والأنصار بعضهم أولياء بعض...» وصححه، ووافقه الذهبي.

وفارقهم، انقطعت الوصلة بينه وبينهم، واتصل بمن هاجر إليهم، وهذا بعينه هو السبب في اتحاد المهاجرين، والأنصار حتى جمعهم الله تعالى في كتابه، وقال في الأنصار: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾[الحشر: ٩]؛ وكيف لا يحبون من هاجر إليهم وقد رغب عن قومه إليهم!

والهجرة من شأن الأنبياء عليهم السلام، ولذلك قال ﷺ: «لَوْلا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرأً مِنَ الأَنْصارِ، وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ أَخَذُوْا وادِياً وَشِعْباً، وَسَلَكَتِ الأَنْصارُ وادِياً وَشِعْباً، لَسَلَكْتُ وادِيَ الأَنْصارِ وَشِعْبَهُمْ». رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه[1].

ولقد هاجر محمد ﷺ، وأمر أصحابه بالهجرة، وهاجر قبله أبوه إبراهيم عليه السلام وقال: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾[العنكبوت: ٢٦]، وقال: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ۝٤٨ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾[مريم: ٤٨ ـ ٤٩] الآية.

وهاجر معه ابن أخيه لوط عليهما السلام، وهاجر موسى عليه السلام من مصر إلى مَدْين، وهذه سنة الأنبياء والصالحين، ولو شاؤوا لدعَوا على أهل الشرك فهلَكوا، أو سلِموا هم من أذاهم، ولم يهاجروا من أوطانهم، ولكنهم فعلوا ذلك تشريعاً لأتباعهم؛ إذ لا يمكن كلاً من الأتباع ذلك، ولو أقاموا بين المشركين وآذوهم، لم يطيقوا، فربما

---

(١) رواه البخاري (٦٨١٧) عن أبي هريرة، ومسلم (١٠٥٩) عن أنس.

فتنوهم، أو أهلكوهم، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَقَامَ مَعَ الْمُشْرِكِيْنَ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ». رواه الطبراني في «معجمه الكبير»، والبيهقي في «سننه» عن جرير رضي الله عنه[1].

وهو ـ أعني: حديث جرير المار ـ شامل ـ أيضاً ـ لمفارقة المشركين في الخلق والوصف والفعل، فهو متضمن النهي عن التشبه بالمشرك ـ أيضاً ـ، بل الحذر من التشبه بالمشركين هو السبب في نهي المسلم عن مساكنتهم، وأمره بمفارقتهم؛ فإن كثرة الاختلاط بالمشركين توجب ائتلاف من يخالطهم لأحوالهم، وتفضي بـه إلى التشبه بهم ولو في شيء ما من أحوالهم وأفعالهم، فتعينت مفارقتهم حذراً من سريان الطبع إلى الطبع ـ كما ذكرناه ـ.

وكذلك ورد: «مَنْ أَكْثَرَ سَوادَ قَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»[2].

وروى الخطيب البغدادي في «تاريخه» عن أنس رضي الله تعالى

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢٦١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ١٢)، وفي «شعب الإيمان» (٩٣٧٣)، قال ابن أبي حاتم في «علل الحديث» (١/ ٣١٥): قال أَبي: الكوفيون سوى حجاج لا يسندونه، ومرسل أشبه.

(٢) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٥٦٢١) عن ابن مسعود، قال الحافظ في «فتح الباري» (١٣/ ٣٨): أخرجه أبو يعلى وفيه قصة لابن مسعود، وله شاهد عن أبي ذر في «الزهد» لابن المبارك غير مرفوع. **قلت**: الشاهد رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢/ ١٢)، وسيأتي.

عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَوَّدَ مَعَ قَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ، وَمَنْ رَوَّعَ مُسْلِماً لِرِضَىْ سُلْطانٍ جِيْءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ مَعَهُ»[1].

وفي النهي عن تكثير سواد الكفار والفسّاق مبالغة في التنفير عنهم وعن مخالطتهم؛ لأن ذلك صادق على الوقوف في سوادهم مرة واحدة.

وفي «صحيح البخاري» عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على رسول الله ﷺ، فيأتي السهم يرمى به فيصيب أحدهم فيقتله، أو يضرب فيقتل، فأنزل الله ـ تعالى ذكره ـ فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾[النساء: ٩٧][2].

فانظر كيف استوجب هؤلاء هذا الوعيد الشديد بمجرد تكثير سواد المشركين، ووقوفهم معهم مع اعتذارهم باستضعافهم واستهانتهم لمّا كانت الهجرة ممكنة لهم، والمفارقة سائغة منهم، على أنه لم يثبت أنهم ساعدوا المشركين في قتالهم إلا بمجرد الوقوف معهم، وتكثير سوادهم، فما ظنك بمن يتشبه بالمشركين والفاسقين!

وممّا يدل على أن مجرد تكثير سواد الفاسقين موجب للحاق بهم:

---

(١) رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/ ٤٠)، ورواه أيضاً ابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٦٢٧).

(٢) رواه البخاري (٤٥٦٩).

ما رواه الطبراني ـ ورجاله رجال الصحيح إلا ابن لَهيعة، وحديثه لا بأس به ـ عن خَرَشَة بن الحُرِّ ـ وكان من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ـ: أن النبي ﷺ قال: «لا يَشْهَدْ أَحَـدُكُمْ قَتِيْلاً، فَعَسَىٰ أَنْ يُقْتَـلَ مَظْلُوْماً، فَتَنْزِلَ السَّخْطَةُ عَلَيْهِمْ، فَتُصِيْبَهُ مَعَهُمْ»[1].

فليس في هذا الحديث أن السخطة أصابته معهم إلا من حيـث إنـه شهد معهم قتل القتيل، وكثر سوادهم، ولم يباشر القتل؛ فما ظنك بمن يباشر القتل أو غيره من الفسوق، ويشارك أهله فيه، ويتشبه بهم!

ومن ثَمَّ جاء النهي عن مصاحبة الفسَّاق ومجالستهم.

وقد روى الإمام أحمد، وأبـو داود، والحاكم وصححـه، عن عمر رضي الله تعالى عنـه قال: قال رسـول الله ﷺ: «لا تُجَالِسُوْا أَهْلَ القَدَرِ ولا تُفَاتِحُوهُمْ»[2].

وقال عمر ﷺ في كلام لـه رواه عنه ابن أبي شيبة في «المصنف»، وأبـو نعيم في «الحليـة»، والأصفهـاني في «الترغيـب»، وغيـرهـم:

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤١٨١)، ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٦٧).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٠)، وأبو داود (٤٧١٠)، والحاكم في «المستدرك» (٢٨٧). قال ابن مفلح في «الآداب الشرعيـة» (١/ ٢٥٠): رواه أحمد وإسناده جيد، وفيـه حكيم بن شريك الهذلي تفرد عنه عطاء بن دينار ووثقه ابن حبان.

ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره[1].

وقال علي رضي الله تعالى عنه، فيما رواه عنه الخطابي في «العزلة»، وأبو عبد الرحمن السلمي في «آداب الصحبة»: [من الهزج]

وَلا تَـصْحَبْ أَخَـا الْجَهْـلِ ... وَإِيَّـاكَ وَإِيَّـاهُ

فَكَـمْ مِـنْ جاهِـلٍ أَرْدَىْ ... حَلِيْمـاً حِـيْنَ واسـاهُ

يُقَـاسُ الْمَـرْءُ بِـالْمَرْءِ ... إِذا مـا هُـوَ ماشـاهُ

وَلِلْقَلْـبِ عَلَـىْ الْقَلْـبِ ... دَلِيْـلٌ حِـيْنَ يَلْقـاهُ

وَلِلْمَـرْءِ عَلَـىْ الْمَـرْءِ ... مَقَـايِيْسٌ وَأَشْـباهُ[2]

وروى الإمام عبدالله بن المبارك في «الزهد»، والإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن حبَّان في «صحيحه»، والحاكم في «مستدركه» عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لا تُصاحِبْ إِلاَّ مُؤْمِناً، وَلا يَأْكُلْ طعامَكَ إِلاَّ تَقِيٌّ»[3].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٤٧٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٥٥).

(٢) انظر: «العزلة» للخطابي (ص: ٤٩)، و«آداب الصحبة» لأبي عبد الرحمن السلمي (ص: ٤٣).

(٣) رواه عبدالله بن المبارك في «الزهد» (١/ ١٢٤)، والإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٨)، وأبو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٥) وحسنه، وابن حبان في «صحيحه» (٥٥٤)، والحاكم في «المستدرك» (٧١٦٩).

وروى أبو داود، والترمذي وحسنه، وابن ماجه، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمَرْءُ عَلَىٰ دِيْنِ خَلِيْلِهِ»[1].

إنَّ مآلهما إلى التوافق في الدِّين بسبب سريان طبع أحدهما إلى الآخر، ثم من كان منهما متمكناً في حاله غلب على الآخر؛ فإن كان حال الفاسق أمكن في فسقه من حال الصالح العدل في صلاحه وعدله غلب الفسق عليهما، وإن كان حال الصالح أمكن في صلاحه من حال الفاسق في فسقه وفجوره غلب الصلاح عليهما، ولكن يتعين على ذلك العدل الصالح أن لا يصحب ذلك الفاسق إلا إذا تحقق بغلبة حاله.

ثم هو في ذلك على خطر عظيم لاحتمال غلبة حال الفاجر من حيث خفي ذلك عليه ـ خصوصاً في هذه الأعصار المتأخرة ـ، فإن الفجور غالب على الناس، والشر منتشر فيهم، وبضاعة الصلاح مُزْجاة بينهم، وقد قلَّ راغبوها، وعزَّ طالبوها، فلا تكاد تجد للتقوى طالباً، ولا للحق ناصراً، مع كثرة أنواع الباطل والفجور، وفرط الرغبة في أنواع اللهو والغرور.

فإن فرض أن أحداً تحقق بقُوَّتِه في الدين، وأيقن بالتمكين، فلا بأس إذا صحب أهل الفجرة والشر رجاءَ نقلهم إلى الخير والبر، كما كان رسول الله ﷺ يجالس المنافقين، ويصاحبهم مع علمه بأحوالهم، وكذلك

---

(1) رواه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨) وقال: حديث حسن غريب، وصحح إسناده النووي في «رياض الصالحين» (ص: ٥٨).

لم تزل الأنبياء عليهم السلام يصابرون كفار أممهم ومنافقيها حتى يتحققوا عدم إيمانهم.

وقد روي: أن يحيى وعيسى عليهما السلام كانا يسوحان في البرية جميعاً، فإذا دخلا المدن نزل عيسى على شرار الناس رغبة في هدايتهم، ونزل يحيى على خيار الناس رغبة في صحبتهم.

وقد رواه الإمام أحمد في «الزهد» على وجه آخر عن سفيان بن عيينة قال: كان عيسى ويحيى عليهما السلام يأتيان القرية، فيسأل عيسى عن شرار أهلها، ويسأل يحيى عن خيار أهلها، فقال: لِمَ تنزل على شرار الناس؟ فقال: إنما أنا طبيب أداوي المرضى[1].

وأما من تحركت روحه، وتنبهت خليقته من أهل التخليط إلى الرغبة في التوبة، والإقلاع عن الحَوبة، فدعاه ذلك إلى التفتيش عن الصالحين، والاجتهاد في طلب المتقين، فهذا يتعين عليه إن ظفر بأحد منهم أن يحرص على موافقته ومرافقته، ولا يفرط في صحبته ومجالسته، فعسى أن تسري إليه أخلاقه وأفعاله، وتتفق له أوصافه وأعماله، وعلى الآخر أن يُقبل عليه، ويستوصي به خيراً؛ لأنه من أحباب الله تعالى؛ إذ يقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[البقرة: ٢٢٢].

وقال عمر رضي الله تعالى عنه: جالسوا التوابين؛ فإنهم أرق شيء

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٦٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٧٤).

أفئدة. رواه ابن أبي شيبة، وغيره[1].

وروى ابن المبارك في «الزهد» عن الحسن رحمه الله تعالى قال: المؤمن شُعْبَةٌ من المؤمن؛ إن به حاجته، إن به علته، إنه يكلمه، يفرح لفرحه، ويحزن لحزنه، وهو مرآة أخيه؛ إن رأى منه ما لا يعجبه سدَّده وقوَّمه ووجَّهه، وخاطبه في السر والعلانية، إن لك من خليلك نصيباً، إن لك نصيباً من ذِكْرِ من أحببت، فَتَنَقَّ الأصحابَ والإخوان والمجالس[2].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن معاوية بن قرة قال: قال لقمان عليه السلام لابنه: يا بُنَيَّ! جالسِ الصالحين من عباد الله؛ فإنك تصيب من مجالستهم خيراً، ولعله أن يكون آخر ذلك أن تنزل عليهم الرحمة فتصيبك معهم.

يا بُنَيَّ! لا تجالس الأشرار؛ فإنك لا تصيب من مجالستهم خيراً، ولعله في آخر ذلك أن تنزل عليهم عقوبةٌ فتصيبك معهم[3].

وقد أشار لقمان ـ الذي امتنَّ الله عليه بالحكمة، ونوَّه باسمه في كتابه العزيز ـ إلى أن تكثير السواد لا بد له من أثر ـ خير أو شر ـ، وأقل

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٤٦٥)، والإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٢٠).

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٢٣٢).

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٠٦).

ما في ذلك أن تكثير سواد أهل الخير يوجب المساواة معهم في الرحمة، وتكثير سواد أهل الشر يوجب المساواة معهم في العقوبة، ولو لم يكن فيه إلا ذلك لكفى.

وروى ابن المبارك في «الزهد» عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم: أن أبا ذر رضي الله تعالى عنه دعي إلى وليمة، فلما حضر إذا هو بصوت، فرجع، فقيل له: ألا تدخل؟ فقال: أسمع صوتاً، ومن كَثَّرَ سواداً كان من أهله، ومن رضي عملاً كان شريك مَن عمله[1].

وروى البيهقي في «الشُّعَب» عن مكحول قال: إياك ورفيقَ السوء؛ فإن الشر للشر خُلِقَ[2].

وروى أبو نعيم في «الحلية» عن يحيى بن آدم قال: كان الثوري ـ يعني: سفيان ـ يتمثل: [من الكامل]

أُبْلُ الرِّجالَ إذا أَرَدْتَ إِخاهُمُ
وَتَوَسَّمَنَّ أُمُورَهُمْ وَتَفَقَّدِ
فَإِذا وَجَدْتَ أَخا الأَمانَةِ وَالتُّقَى
فَبِهِ الْيَدَيْنِ قَرِيرَ عَيْنٍ فَاشْدُدِ

---

(1) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢/ ١٢).

(2) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٤٥٣)، والإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٤٩).

وَدَعِ التَّخَـــشُّعَ وَالتَّــــذَلُّلَ تَبْتَغِـــيْ

قُـرْبَ امْـرِئٍ إِنْ تَـدْنُ مِنْـهُ يَبْعُـدِ[1][2]

وفي «الصحيحين» عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه:

أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّمَا مَثَـلُ الْجَلِيْسِ الصَّالِحِ وَجَلِيْسِ السُّوْءِ؛ كَحامِلِ الْمِسْكِ وَنافِخِ الْكِيْـرِ؛ فَحامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يَحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيْحاً طَيِّبَـةً، وَنافِخُ الْكِيْرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثَوْبَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيْحاً مُنْتِنَةً»[3].

قولـه ﷺ: «فَحامِلُ الْمِسْـكِ إِمَّا أَنْ يَحْذِيَكَ» ـ بالحـاء المهملـة، والذال المعجمة، وأوله مفتوح ـ: أن يعطيك.

هذا مثل الجليس الصالح؛ فإنه إما أن يعطيك من فوائده، ويهديك إلى مقاصده، وإمَّا أن تأخذ أنت من أخلاقه، ويَسري إليك من طباعه.

ولذلك قال أبـو محمد الجُريري رحمه الله تعالى: كمال الرجل في ثلاثة؛ في الغربـة والصحبة والفطنة، أما الغربـة فلتذليل النفـس، وأما

---

(١) رواه أبو نعيم في «حليـة الأولياء» (٦/ ٣٧٦)، وابن أبي الدنيـا في «الإخوان» (ص: ٨٢).

(٢) الأبيات للمقنع الكندي، انظر: «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» لابن حبان البستي (ص: ١٠٤)، و«لباب الآداب» لأسامة بن منقذ (١/ ١٠٩).

(٣) رواه البخاري (٥٢١٤)، ومسلم (٢٦٢٨).

الصحبة فليتخلق بأخلاق الرجال، وأما الفطنة فللتمييز[1].

«وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ عِنْدَهُ رِيْحاً طَيِّبَةً» من حكمة تجدها عنده، أو رحمة تنزل عليه وأنت معه.

وقد قلت في المعنى: [من الوافر]

أَلا خَيْـــرُ الأُمُـــوْرِ لِكُـــلِّ عَبْـــدٍ
يُحَـــاوِلُ أَنْ يَنـــالَ نَـــدَىً عَظِيْمـــاً

جَلِـــيْسٌ صـــالِحٌ يُحْذِيْـــهِ عِلْمـــاً
وَيَهْدِيْـــهِ الـــصِّراطَ الْمُـــسْتَقِيْما

وَيُكْـــسِبُهُ الْمَكـــارِمَ وَالْمَعـــالِيْ
فَيَغْـــدُوْ فِـــيْ خَلائِقِـــهِ كَرِيْمـــا

وَيُظْفِـــرُهُ وَإِنْ لَـــمْ يَحْـــوِ فَـــضْلاً
بِرَحْمَـــةِ رَبِّـــهِ الْبَـــرِّ الرَّحِيْمـــا

وقوله ﷺ: «وَنافِخُ الْكِيْرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيابَكَ... إلى آخره» هذا مثل جليس السوء؛ فإما يتلف عليك دينك، ويدنِّس منك عرضك، وإما أن تجد منه رائحة منتنة من غيبة أو نميمة أو نحو ذلك، أو من سخط ينزل عليه وأنت عنده، أو عذاب يأخذه وأنت معه، فمن يجالس العبد السوء فقد تعرض لذلك كله.

---

(١) انظر: «آداب الصحبة» للسلمي (ص: ٧٢).

وروى مسلم عن زينب بنت جحش رضي الله عنها: أنها قالت في حديث: يا رسول الله ﷺ! أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نَعَمْ، إِذا كَثُرَ الْخَبَثُ»[1].

وروى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذا أَنْزَلَ اللهُ بِقَوْمٍ عَذاباً أَصابَ الْعَذابُ مَنْ كانَ فِيهِمْ، ثُمَّ بُعِثُوْا عَلَىْ أَعْمالِهِمْ»[2].

ومصداق ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾[الأنفال: ٢٥].

وبالجملة فلا يميل أحد إلى أحد، ولا يؤثر مجالسته ومخاللته ومرافقته ومشاكلته، إلا لتنبه روح كل منهما إلى ما تنبهت له روح الآخر، إلا أن تلك المناسبة الكامنة في أنفسهما ربما حال بينها وبين ظهورها إلى الحس والمشاهدة مباعدة في الدار، أو مخالفة طباع كل منهما لطباع الآخر من جهة أخرى، أو نحو ذلك، فلا يؤثر في ظهور تلك المناسبة الكامنة شيء مثل المجالسة وكثرة الاجتماع والصحبة، فإذا كانت المجالسة والصحبة ناشئة عن تلك المناسبة طالت الصحبة، وتأكدت المحبة، وإن[3] لم تكن مناسبة باطنة، أو كانت لكن عارضتها مناسبة

---

(١) رواه البخاري (٣١٦٨)، ومسلم (٢٨٨٠).

(٢) رواه البخاري (٦٦٩١)، ومسلم (٢٨٧٩).

(٣) في «أ»: (وإلا).

أخرى لثالث، وغلبت عليها، لم تدم هذه الصحبة، ولا تثبت هذه المحبة.

ولذلك قال بعض الحكماء: عماد المحبة المشاكلة، وكل وِدٍّ مع غير تشاكل فهو سريع التصرم[1].

وقال آخر: الأشكال لا تفترق، والأضداد لا تتفق[2].

وروى الخطابي في «العزلة» عن ابن الأعرابي قال: العرب تقـول: أنت تَئِق، وأنا مَئِق، فكيف نتفق؟[3] انتهى.

والتئق ـ بالتاء المثناة فوق والقاف ـ: الممتلئ شباباً، ونشاطاً.

والمئق: الشيخ.

وكلاهما على وزن كتف.

أو التئق: السريع إلى الشر.

والمئق: الشديد الغضب.

وقال الإمام أبو طالب المكي: إذا اصطحب اثنان برهة من الزمان، ولم يتشاكلا في الحال، فلا بد وأن يفترقا[4].

قال حجة الإسلام: وهذا معنى خفي تَفَطَّن لـه بعض الشعراء حتى قال: [من السريع]

---

(١) انظر: «العزلة» للخطابي (ص: ٥٢).

(٢) انظر: «أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص: ٢٠٢).

(٣) انظر: «العزلة» للخطابي (ص: ٥٢).

(٤) انظر «قوت القلوب» للمكي (٢/ ٣٩٢).

وَقائِلٍ كَيْفَ تَفارَقْتُما فَقُلْتُ قَوْلاً فِيْهِ إِنْصافُ
لَمْ يَكُ مِنْ شَكْلِيْ فَفارَقْتُهُ وَالنَّاسُ أَشْكالٌ وَأُلَّافُ[1]

قلت: وقد ألممت بهذا المعنى في أبياتنا المتقدمة قبل هذا الفصل.

والبيتان أنشدهما الخطابي في «العزلة»[2] عن بعض أهل الأدب بعد أن أسند عن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما قال: لا يقول رجل في رجل خيراً لا يعلمه إلا يوشك أن يقول فيه شراً لا يعلمه، ولا يصطحب اثنان على غير طاعة الله تعالى إلا يوشك أن يفترقا على غير طاعة الله تعالى[3].

وروى الدينوري في «مجالسته» عن الشعبي قال: يقال: إن لله ملكاً موكلاً بجمع الأشكال بعضها إلى بعض[4].

وأنشد الخطابي في كتاب «العزلة» لعبيدالله بن عبدالله بن عتبة رحمه الله تعالى: [من الطويل]

---

(١) انظر «إحياء علوم الدين» للغزالي (٢/ ١٦٢)، و«قوت القلوب» للمكي (٢/ ٣٩٢).

(٢) انظر: «العزلة» للخطابي (ص: ٥٢).

(٣) رواه الخطابي في «العزلة» (ص: ٥١).

(٤) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢١٦).

تَبَــيَّنْ وَكُــنْ مِثْلِــي أَوِ ابْتَــغِ صــاحِباً
كَمِثْلِــكَ إِنِّــيْ مُبْتَــغٍ صــاحِباً مِثْلِــيْ

وَلَــنْ يَلْبَــثَ الأَقْــرانُ أَنْ يَتَفرَّقُــوْا
إِذا لَمْ يُؤَلَّفْ رُوحُ شَـكْلٍ إِلَـىْ شَـكْلِ[1]

ونقل الماوردي في كتاب «أدب الدين والدنيا» عن علي ﷺ: أنه قال: الصاحب مُنَاسِب.

قال: وقال بعض الحكماء: اعرف أخاك بأخيه قبلك.

وقال بعض الأدباء: يظن بالمرء ما ظن بقرينه.

وقال ابن مسعود: ما شيء أدل على شيء ـ ولا الدخان على النار ـ من الصاحب على الصاحب[2].

وقال أيضاً: اعتبروا الأرض بأسمائها، والصاحب بالصاحب[3].

قال ابن حجر العسقلاني في «أماليه» ـ بعد أن أسند هذا الأثر عن ابن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه: رواه مُسدَّد في «مسنده»، قال: وقد وجدته في شعر قديم مات قائله قبل الهجرة[4].

---

(١) انظر: «العزلة» للخطابي (ص: ٥٢).

(٢) انظر: «أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص: ٢٠٦).

(٣) رواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٢/ ١٦٣)، قال الحافظ ابن حجر في «الأمالي المطلقة» (ص: ١٥٢): هذا موقوف صحيح.

(٤) انظر: «الأمالي المطلقة» لابن حجر (ص: ١٥٢).

ثم أسند عن أبي العباس المُبرِّد، قال: بلغني أنه لما خرج خلف ابن خليفة الكوفي لقيه أعرابي فقال: ما تصنع ههنا؟ قال: أو ما سمعت قول قيس بن الخطيم: [من السريع]

يَـا أَيُّهَـا السَّائِلُ عَمَّـا مَضَى
مِـنْ حـالِ هَـذَا الـزَّمَنِ الـذَّاهِبِ

إِنْ كُنْـتَ تَبْغِـيْ الأَمْـرَ عَـنْ صِـحَّةٍ
وَشـاهِداً يُخْبِـرُ عَـنْ غَائِـبِ

فَاختَبِـرِ الأَرْضَ بِأَسْـمائِها
وَاعْتَبِـرِ الـصَّاحِبَ بِالـصَّاحِبِ[1]

وقال عدي بن زيد: [من الطويل]

عَـنِ الْمَـرْءِ لا تَـسْأَلْ وَسَـلْ عَـنْ قَرِيْنِـهِ
فَكُـلُّ قَـرِيْنٍ بِالْمُقـارَنِ يَقْتَـدِيْ

إِذا كُنْـتَ فِـيْ قَـوْمٍ فَـصاحِبْ خِيـارَهُمْ
وَلا تَصْحَبِ الأَرْدَىْ فَتَرْدَىْ مَعَ الـرَّدِيْ[2]

---

(١) انظر: «مكارم الأخلاق» للخرائطي (ص: ١٥٨)، و«الأمالي المطلقة» لابن حجر (ص: ١٥٢).

(٢) انظر: «جمهرة أشعار العرب» لأبي زيد القرشي (ص: ١٥٣)، و«العقد الفريد» لابن عبد ربه (٢/ ٢١٦).

قلت: وفي هذا المعنى حديث أبي هريـرة عن النبي ﷺ قال: «إِنَّمَا الْمَرْءُ بِخَلِيْلِهِ؛ فَلْيَنْظُرِ امْرُؤٌ مَنْ يُخالِلُ». وبهذا اللفظ أخرجه أبـو نعيم في «الحلية»(١).

* تَنْبِيْهٌ لَطِيْفٌ:

روى ابن المبارك في كتاب «الزهد»، وفي كتاب «البر والصلة» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول ﷺ: «مَا تَوَادَّ مِنْ اثْنَيْنِ فِيْ الإِسْلامِ فَيُفَرَّقَ بَيْنَهُما إِلاَّ مِنْ ذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُما»(٢).

ورواه البخـاري في «الأدب المفـرد» من حديـث أنـس رضي الله تعالى عنـه ولفظـه: «مَا تَوَادَّ اثْنانِ فِيْ اللهِ فَيُفَرَّقَ بَيْنَهُما إِلاَّ بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُما»(٣).

قلت: الحكمة في المفارقـة بينهما: أن أحدهما إذا أذنـب ذهبت المشاكلة بينهما؛ إذ كان يجمعهما الطاعة.

وفي الحديـث: إشـارة إلى أن العقـوبـة على مقارفـة العصيـان قـد

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٦٥)، ورواه أيضاً أبو داود (٤٨٣٣)، ولفظـه: «الرَّجُلُ على دِينِ خَلِيلِـهِ، فَلْيَنْظُرْ أحـدكم من يُخَالِلُ»، والترمذي (٢٣٧٨) وحسنه، وقد تقدم.

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهـد» (١/ ٢٥١)، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٦٨) عن ابن عمر. قال المنـذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ١٢٨): رواه الإمام أحمد بإسناد حسن.

(٣) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٤٠١).

تكون بمفارقة الإخوان.

وروى الإمام أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقاته»: أن بشر بن الحارث الحافي رحمه الله تعالى كان له ثلاث أخوات مذكورات بالعبادة والورع ـ مضغة ومخة وزبدة ـ وكُبراهنَّ مضغة، وكانت أَسَنَّ من بشر، وماتت قبله، فتوجع عليها توجعاً شديداً، وبكى بكاء كثيراً، فقيل له في ذلك، فقال: قرأت في بعض الكتب: أن العبد إذا قصر في خدمة ربه سلبه أنيسه، وهذه كانت أنيستي في الدنيا[1].

وحكى الخطيب البغدادي عن إبراهيم الحربي: أن بشراً رحمه الله تعالى قال هذا يومَ ماتت أخته مخة رضي الله تعالى عنهم[2].

* تَنْبِيْهٌ آخَرُ:

قد يكون سبب الصحبة بين العبد الصالح وآخر ما يبدو له منه من الطاعة في الظاهر، ويكون في الباطن من الأمر بخلاف ذلك، فهذا لا يضر الصالح.

نعم، متى اطلع منه على حقيقة ذلك تعينت عليه مفارقته.

وقد روى ابن المبارك في «البر والصلة» عن الإمام محمد ابن الحنفية رحمه الله تعالى قال: من أحب رجلاً على عدلٍ ظهر منه ـ وهو في علم الله من أهل النار ـ آجره الله كما لو كان من أهل الجنة، ومن

---

(١) رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٤/ ٤٣٦).

(٢) انظر: «تاريخ بغداد» للخطيب (١٤/ ٤٣٦).

أبغض رجلاً على جَـور ظهر منـه ـ وهـو في علم الله من أهـل الجنـة ـ آجره الله كما لو كان من أهل النار[1].

ومن هنا كان السلف إذا كان للواحد منهم خليل أو صاحب، ورأى منه ما يخالف السنة، هجره وتخلى عنه، وهذا متعين.

وقد روى الحافظ عبد الرزاق، وابن المنذر في «تفسيره» عن سعيد ابن المسيِّب قال: كان أبو بَكْرة رضي الله تعالى عنه أخا زيادٍ لأمه، فلما كان من أمر زياد ما كان ـ أي: من انتسابـه إلى أبي سفيان، وانتفائه من أبيه ـ حلف أبـو بكـرة رضي الله تعالى عنـه أن لا يكلم زياداً أبداً، فلم يكلمه حتى مات[2].

وروى الحافظ أبو بكر بن أبي شيبة في «مصنفه» عن الزهري: أن رجلاً سلَّم على النبي ﷺ ثلاث مرات، ولم يرد عليه، فقيل لـه: لِمَ؟ قال: «لأَنَّهُ ذُوْ وَجْهَيْنِ»[3].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن ابن مسعود ﷺ: أنه رأى رجلاً يضحك في جنـازة، فقـال: تضحـك وأنت في جنـازة! والله لا أكلمـك أبداً[4].

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٥٢١).

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٥٤٤٩).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٥٤٦٤).

(٤) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٦١).

وروى الترمذي وصححه، عن نافع: أن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما جاءه رجل، فقال: إن فلاناً يقرأ عليك السلام، فقال: إنه بلغني أنه قد أحدث، فإن كان قد أحدث فلا تقرئه مني السلام، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يَكُوْنُ فِيْ هَذِهِ الأُمَّةِ - أَوْ: فِيْ أُمَّتِيْ - خَسْفٌ وَمَسْخٌ أَوْ قَذْفٌ فِيْ أَهْلِ الْقَدَرِ»(١).

وروى أبو نعيم في «الحلية» عن جعفر بن سليمان قال: سمعت مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول للمغيرة بن حبيب ما لا أحصي - وكان خَتَنَه -: يا مغيرة! كل أخ وجليس وصاحب لا تستفيد منه في دينك فانبذ عنه صحبتك(٢).

وقال الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ۚ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾[البقرة: ١٤٥].

قوله: ﴿مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾[البقرة: ١٤٥]؛ أي: بأن أهل الكتاب ليسوا على شيء لا قبل بعثته ﷺ لإحداثهم وتغييرهم، ولا بعد بعثته لعدم إيمانهم به.

وفيه إشارة إلى عذر من لم يعلم حتى يعلم، فالإنسان مع معارفه

---

(١) رواه الترمذي (٢١٥٢) وقال: حديث حسن صحيح غريب، وابن ماجه (٤٠٦١).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٢٤٨)، والإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٣٢١).

ـ من بَلَدِي أو عَصري أو جار أو صديق أو قريب ـ معذور إذا أحسن الظن بهم وعاشرهم حتى يعلم بأحوالهم، فإذا علم من حال أحد منهم ما يخالف الدين والسنة تعين عليه مفارقته، وإلا كان ظالماً.

وإنما رتَّب الله تعالى الظلم في الآية على اتباع أهوائهم؛ لأنهم قد ثبت ظلمهم، ومتابعة الهوى دليل المحبة، والمرء مع من أحب، ومحبة أهل المعصية معصية، كما أن بغضهم طاعة، وكما أن الحب في الله خلق كريم من أخلاق الصالحين، فكذلك البغض في الله.

وقد روى الإمام أحمد عن البراء، والحافظ أبو بكر الخرائطي في «مكارم الأخلاق» عن ابن مسعود قالا رضي الله تعالى عنهما: قال رسول الله ﷺ: «أَوْثَقُ عُرَىٰ الإِسْلامِ الْحُبُّ فِيْ اللهِ، وَالْبُغْضُ فِيْ اللهِ»[1].

وروى أبو حفص بن شاهين، وأبو منصور الديلمي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَقَرَّبُوْا إِلَىْ اللهِ بِبُغْضِ أَهْلِ الْمَعَاصِيْ، وَالْقَوْهُمْ بِوُجُوْهٍ مُكْفَهِرَّةٍ، وَالْتَمِسُوْا رِضَىْ اللهِ بِسَخَطِهِمْ، وَتَقَرَّبُوْا إِلَىْ اللهِ بِالتَّبَاعُدِ مِنْهُمْ»[2].

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٨٦)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ص: ١٦٨). قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ١٥٩): رواه الإمام أحمد من حديث البراء بن عازب وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه، والخرائطي من حديث ابن مسعود بسند ضعيف.

(٢) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٢٣٢٠).

والوجوه الْمُكْفَهِرَّة: العابسة، المقطبة، الغليظة.

واعلم أن الذي يُبْغَضُ في الله تعالى هو المخالف لأمره، فإن كان كافراً محارباً قُوتِل حتى يسلم، أو يُقْتَل، أو يُسْتَرَقّ، وهذا غاية النَّكال والإهانة والإذلال.

أو ذمياً فيستحق الإعراض عنه، وترك المفاتحة بالسلام والمصافحة، ثم لا يؤذى، ولكن الأَوْلى الكف عن مخالطته ومعاملته ومؤاكلته، فأما الانبساط معه، والاسترسال إليه فشديد الكراهية، وقد ينتهي إلى التحريم، ومودته حرام.

وإن كان عاصياً؛ فإن كان مبتدعاً يُكفَّر ببدعته، فأمره أشد من الذمي، فإن لم يكفر بها تعين هجره، ووجب بغضه، والتحذر منه، والإنكار عليه أشد من الكافر؛ لأن الكافر يُحْذَر، ويُتَحَامى عنه، فلا يتعدى شره، بخلاف هذا؛ لأنه يَدَّعي الإسلام.

وإن كان غير مبتدع؛ فإن كانت معصيته مما يستضر به الناس؛ كالظلم والغيبة والنميمة وشهادة الزور والزنا واللواط والعقوق والقطيعة والسحر والدياثة والسعاية والمكر والخديعة، فالإنكار عليه واجب أيضاً، والإعراض عنه مستحب.

وإن كان معصية ظلم نفسه؛ كالشرب وترك الصلاة ولبس الحرير وسماع الآلات وضربها، فيجب الإنكار عليه عند مشاهدته على المعصية، ونصحه، ويستحب توبيخه وهجره زجراً له عن معصيته، فإن أصر على المعصية ـ وإن كانت صغيرة ـ وجب عليه بغضه، ولا يدعو

عليه، بل [يدعو] له بالهداية والتوبة، لا بطول البقاء ونحوه.

ولا يجوز لعنه، بل لا يجوز لعن المعيَّن ـ وإن كان كافراً ـ لاحتمال حصول حسن الخاتمة له.

ولا فائدة في محبة الْمُصِرِّ، وقد قال تعالى: ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴾[النجم: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾[الكهف: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[الأنعام: ٦٨].

*** تَتِمَّةٌ لِمَا سَبَقَ، وَتَوْضِيحٌ لَهُ:**

تقدم لنا ثلاثة أحاديث:

- «مَنْ سَوَّدَ مَعَ قَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»(١).
- و«مَنْ أَحَبَّ قَوْماً كانَ مَعَهُمْ»(٢).
- و«مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»(٣).

فأما قوله ﷺ: «مَنْ سَوَّدَ مَعَ قَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»:

فهذا مشروط بأن يكون تسويده معهم باختياره لسوادهم، ومحبته

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه لكن بلفظ: «وَلا يُحِبُّ رَجُلٌ قَوْماً إِلاَّ جَعَلَهُ مِنْهُمْ».

(٣) تقدم تخريجه.

لهم، وإيثاره لطريقتهم كالصحابة رضي الله تعالى عنهم مع النبي ﷺ.

فأما لو كان تسويده معهم عجزاً، أو تَقِيَّة، أو توصلاً إلى الدنيا وطلباً للغنائم، أو تهكماً واستهزاء، أو تجسساً عليهم وكشفاً لأحوالهم، أو مُكرهاً = فهذا لا يكون منهم؛ كالمنافقين مع النبي ﷺ، كانوا يسودون معه لمعنى من المعاني، فإذا رأوا غنيمة ثبتوا معه، وإذا رأوا هزيمة فرُّوا عنه، وتركوه، فهؤلاء ليسوا من النبي ﷺ، وليس هو منهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾[التوبة: ٥٦]؛ أي: يخافون، فيُظهرون الإسلام والاتباع تَقِيَّةً منكم.

وكذلك ـ أيضاً ـ تسويد المستضعفين من المسلمين مع الكفار لا يضرهم، ولا يصيِّرهم منهم، إلا إذا أمكنتهم الهجرة عنهم، فإن تمكنوا من الهجرة، ولم يهاجروا كانوا معهم، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[النساء: ٩٧ ـ ٩٩].

وإنما استثناهم الله تعالى مع إقامتهم في أرض المشركين وكينونتهم معهم؛ لأنهم كانوا مع ذلك يكرهون ما هم عليه من الكفر

والضلال، ويعجزون عن الهجـرة عنهم، ولذلـك كـان رسـول الله ﷺ يدعو لهم.

روى الشيخان عن أبي هريرة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا قال: «سمع الله لمن حمده»، في الركعة الأخيرة من صلاة العشاء قَنَتَ: اللَّهُمَّ أَنْجِ عيَّاشَ بْنَ أَبِيْ رَبِيْعَةَ، اللَّهُمَ أَنْجِ الْوَلِيْدَ بْنَ الْمُغِيْرَةِ، اللَّهُمَّ أَنْجِ سَلَمَةَ ابْنَ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الْمُسْتَضْعَفِيْنَ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَىْ مُضَرَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْها عَلَيْهِمْ سِنِيْنَ كَسِنِيِّ يُوْسُفَ[1].

فانظر كيف كان رسول الله ﷺ يدعو لهم بالنجاة بسبب إيمانهم المستلزم لكراهيتهم لأفعال المشركين وأخلاقهم وأحوالهم، مع إقامتهم فيهم، وتسويدهم معهم، فتبين بذلك أن مجرد التسويد مع القوم لا يلحق بهم في كل ما هم فيـه، وأن العمدة على محبـة القلب وكراهيتـه، فإذا انضم مـع المحبـة التسويد مـع القـوم والتشبه بهم كـان ذلـك آكـدَ في الإلحاق، وكذلك لو انضم إلى الكراهية النفرة عن التسويد معهم، ومحبة الهجرة عنهم، والمخالفة لهم في الأفعال والأحوال، كان ذلك آكد في عدم الإلحاق.

وقد روى أبو داود في «سننه» عن العُرس بن عَمير - بضم العين المهملـة في الأول، وفتحـها في الـثـاني - الكنـدي ﷺ قـال: قـال رسول الله ﷺ: «إذا عُمِلَتِ الْخَطِيْئَةُ فِيْ الأَرْضِ كانَ مَنْ شَهِدَهَا فَكَرِهَهَا،

---

(١) رواه البخاري (٤٢٨٤)، ومسلم (٦٧٥).

كَمَنْ غابَ عَنْهَا، وَمَنْ غابَ عَنْها فَرَضِيَها، كانَ كَمَنْ شَهِدَها»[1].

وروى البيهقي في «سننه» عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَضَرَ مَعْصِيَةً فَكَرِهَهَا، فَكَأَنَّما غابَ عَنْها، وَمَنْ غابَ عَنْها فَرَضِيَها، فَكَأَنَّهُ حَضَرَها»[2].

نعم، إذا تجرد التسويد معهم عن المحبة والكراهية جميعاً، فقد يشاركهم فيما ينوبهم من رحمة أو نقمة ـ كما سبق في كلام لقمان ـ كمن يسود معهم عبثاً، أو للتفرج والتلهي بهم، كمن يقف على من يضرب بالآلة، أو بشعبات، أو يرقص القرود، أو على حلقة يعزر فيها من لا يستحق التعزير، أو على حلقة المتصارعين، أو المتداقفين، أو مع من يشهد من يمشي على الحبل، بل التسويد مع هؤلاء لهذه المعاني يلحق بهم بلا شك.

وأما قوله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ قَوْماً جَعَلَهُ اللهُ مَعَهُمْ»[3]:

فيه إلحاق من لم يشهد القوم، ولم يسود معهم بهم لمجرد محبته إياهم ـ كما تقدم ـ؛ أي: ما لم يخالفهم، أو يتشبه بغيرهم، كما روى ابن أبي شيبة عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أنه كان يقول: إني

---

(١) رواه أبو داود (٤٣٤٥).

(٢) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٢٦٦)، وقال: تفرد به يحيى بن أبي سليمان وليس بالقوي، ورواه ابن أبي الدنيا في «الأمر بالمعروف» (ص: ١٢٠).

(٣) تقدم تخريجه.

ألفيت أصحابي على أمر، وإني إن خالفتهم خشيت أن لا ألحق بهم[1].

وفي الحديث بشارة عظيمة لسائر الأمة، وتقريع شديد لكل من أحب أحداً من طوائف الشرك والنفاق والابتداع ـ وإن لم يسود معهم، ويلْقَهم ـ.

وشَتَّانَ بين من يحب عبدالله بن أبي ابن سلول ـ رأس المنافقين ـ وأصحابه، أو يحب بشر المريسي[2] وأصحابه، أو واصل بن عطاء وأصحابه، أو نحو هؤلاء الضُّلاَّل، وبين من يحب النبي ﷺ، وأصحابه الكرام رضي الله تعالى عنهم ويحب الأئمة الأربعة وأصحابهم، وأبا الحسن الأشعري وأصحابه، وسائر أهل السنة من أهل الحديث وغيرهم رحمهم الله تعالى.

ومن فاته مشاهدة النبي ﷺ ولقيه، والتسويد معه من المؤمنين لم يحرمه الله تعالى حظه منه، فإنه ألحقه به وبأصحابه الذين سودوا معه بالمحبة المشروطة بها الإيمان به وبما جاء به، ومحبة أهل بيته وأصحابه

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٦٣٨).

(٢) بشر المريسي: أبو عبد الرحمن، بشر بن غياث، اشتغل بالكلام وجرد القول بخلق القرآن، وحكي عنه أقوال شنيعة ومذاهب مستنكرة، أساء أهل العلم قولهم فيه بسببها وكفَّره أكثرهم لأجلها، وإليه تنسب الطائفة المريسية من المرجئة توفي سنة٢١٩هـ. انظر: «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (٢/ ٦٣)، و«تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (٧/ ٥٦)، و«وفيات الأعيان» لابن خلكان (١/ ٢٧٨).

رضي الله تعالى عنهم.

ثم لما كانت المحبة التي تترتب على السماع والإخبار، كما قيل:

والأذن تعـشق قبـل العـين أحيانـاً[1]

أبلغَ وأعجبَ من المحبة التي تترتب على الصحبة واللقي ومشاهدة الذات، وملاحظة الصفات لخفاء سبب الأولى، وظهور سبب الثانية، فكانـت الأولى أعظم ثواباً، وأبلغ أجـراً، ولذلـك قال رسول الله ﷺ: «طُوْبَىْ لِمَنْ رآنِيْ وَآمَـنَ بِيْ مَـرَّةً، وَطُوْبَىْ لِمَنْ لَمْ يَرَنِيْ وَآمَـنَ بِيْ سَـبْعَ مَـرَّاتٍ». رواه الإمـام أحمـد في «مسنـده» من حديـث أنـس رضي الله تعالى عنه.

وهو والبخاري في «تاريخه»، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم في «مستدركه» من حديث أبي أمامة رضي الله تعالى عنهما[2].

وروى الإمام إسحاق بن راهويـه، والحافـظ سعيد بن منصور

---

(١) عجز بيت لبشار بن برد، وصدره:

يـا قـوم أذنـي لـبعض الحـي عاشـقة

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٥٥)، عن أنس، ورواه هو أيضاً عن أبي أمامة (٥/ ٢٤٨).

ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٥٧)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ٢٧)، وابن حبان في «صحيحـه» (٧٢٣٣)، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

ورواه الحاكم في المستدرك (٦٩٩٤) من حديث عبدالله بن بسر رضي الله عنه.

ـ بإسناد صحيح كما قال الحافظ أبـو الفضل بن حجر العسقلاني[1] ـ عن ابن مسعود ﷺ قال: كان أمر محمد ﷺ بيّناً لمن رآه، والذي لا إله إلا هو، ما آمن مؤمن أفضل من إيمانٍ بغيب[2].

قلت: ولا يلزم من ذلك تفضيل غيـر الصحابـة عليهم، بل إنما أراد ﷺ بأن تضعيف أجور الذين آمنوا به غيباً ليلحقهم بالمشاهدين له، ولآياته، ومعجزاته.

ثم بيَّن فضـل الصحـابـة رضي الله تعـالـى عنهم في أحاديث أخر فقال ﷺ: «خَيْـرُ الْقُرُوْنِ قَرْنِيْ ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُوْنَهُمْ». الحديـث رواه الإمام أحمـد، والشيخان، والترمذي من حديـث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه[3].

ومن لطائف الفهم في قولـه ﷺ: «طُوْبَىْ لِمَنْ رآنِيْ وَآمَنَ بِيْ مَرَّةً، وَطُوْبَىْ لِمَنْ لَمْ يَرَنِيْ وَآمَنَ بِيْ سَبْعَ مَرَّاتٍ»: أنه لا شك في سبق الصحابة لأنهم السابقون الأولون، لكنهم تعجلوا من ثوابهم ونعيمهم لُقِيَّه ﷺ والتملي من جمال طلعته الشريفة، والارتضاع من

---

(١) انظر: «الأمالي المطلقة» لابن حجر (ص: ٣٩).

(٢) رواه سعيد بن منصور في «السنن» (٢/ ٥٤٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٠٣٣).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٧٨)، والبخاري (٢٥٠٩)، ومسلم (٢٥٣٣)، والترمذي (٣٨٥٩)، كلهم بلفظ: «خير الناس قرني».

ثدي تربيتـه ﷺ، فكـرر النبي ﷺ طوبـى لمن آمن به ولم يَرَه سـبعاً؛ ليكون ذلك جبـراً لمـا فـاتهم من الثـواب المعجل المشـار إليـه، وترويحاً لقلوبهم عما تضرَّم فيها من نيران الشوق إلى جماله ﷺ، كما أشـار ﷺ إلى ذلك بقولـه: «إِنَّ نَاساً مِنْ أُمَّتِيْ يَأْتُوْنَ بَعْـدِيَ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوِ اشْتَرَىْ رُؤْيَتِيْ بِأَهْلِهِ وَمالِهِ». رواه الحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه[1].

وأما قوله ﷺ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»[2]:

فاعلم أن من أحبَّ قوماً، وتحقق بمحبتهم كان معهم على كل حال ـ كما علمت مما تقدم ـ، إلا أنـه كلما كان أكثر لهم حباً كان أكثر إليهم قرباً، ولا تظهر آثار المحبة إلا بالتشبه بهم والتسويد معهم على الوجه الذي قررناه سابقاً ولاحقاً، فكلما كان العبـد أكثر رغبـة في التشبه بهم والكينونة معهم، كان أقربَ إليهم لأنه أَحَبُّ لهم.

وكل من أحب قوماً فهو معهم إلا أنـه يكون في القرب منهم على قدر تشبهه بهم، والكينونة معهم، فأما لـو تشبه بغيرهم، أو سود مـع غيرهم رغبة في أحوال من تشبه بهم، أو سود معهم، فإنه لا يكون معهم بمجرد دعواه أنه يحبهم؛ فإن دعواه محبتهم كَذَّبَهُ فيها كونُه مع غيرهـم، وتشبهه بمن سواهم، كما تقدم.

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٦٩٩١).

(٢) تقدم تخريجه.

لا جرم لأجل ذلك قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنا»[1].

وسيأتي هذا الحديث في محله.

وقال عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما: إني ألفيت أصحابي على أمر، وإني إن خالفتهم خشيت أن لا ألحق بهم. رواه ابن أبي شيبة[2].

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: لو أن رجلاً قام بين الركن والمقام يعبد الله سبعين سنة، لبعثه الله تعالى يوم القيامة مع من يحب[3].

ثم إن من أراد أن يتشبه بقوم لمحبته إياهم؛ فإما أن يراهم ويخالطهم، أو لا؛ فإن رآهم وخالطهم كان أقرب إلى سريان طباعهم إليه ممن لم يرهم ولم يخالطهم، فله لذلك مزية ظاهرة على غيره، وقد اتفقت هذه الفضائل للصحابة رضي الله تعالى عنهم؛ رؤية النبي ﷺ ولقيه ومخالطته والتسويد معه وصحبته والاقتداء به، فبذلك كانوا أفضل من غيرهم من أهل دائرة المحبة، وسكان دوحة الإيمان مع ما حصل لهم من فضيلة السبق.

وقد قيل: [من الطويل]

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٩٥) عن عمرو بن العاص، وضعفه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه الفاكهي في «أخبار مكة» (١/ ٤٧٠)، عن علي.

وَلَــوْ قَبْــلَ مَبْكاهــا بَكَيْــتُ صَــبابَةً

شَــفَيْتُ غَلِيْــلَ الــنَّفْسِ قَبْـلَ التَّنَــدُّمِ

وَلَكِــنْ بَكَــتْ قَبْلِــيْ فَهَــيَّجَ لِـي الْبُكــا

بُكاهــا فَقُلْــتُ الْفَــضْلُ لِلْمُتَقَــدِّمِ[1]

وأما من جاء بعد الصحابة من أهل الإيمان ففاتهم فضيلة اللُّقِيِّ والتسويد، ولم يفتهم فضيلة المحبة والاقتداء، ولذلك سماهم رسول الله ﷺ: «إخوانه»[2]؛ لأن الأخ هو المشاكل في الصفة أو في الخلق أو نحو ذلك، بخلاف الصاحب؛ فإنه المخالط في العشرة.

ثم قد يكون الصاحب أخاً كما قال رسول الله ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيْلاً غَيْرَ رَبِّيْ لاتَّخَذْتُ أَبا بَكْرٍ خَلِيْلاً، وَلَكِنَّ أَبا بَكْرٍ أَخِيْ وَصاحِبِيْ، وَلَقَدِ اتَّخَذَ اللهُ صاحِبَكُمْ خَلِيْلاً». رواه الشيخان عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه[3].

---

(١) البيتان لنصيب بن رباح، انظر: «الحيوان» للجاحظ (٣/ ٢٠٦).

(٢) يقصد الحديث الذي رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٥٥) عن أنس: «وَدِدْتُ أني لَقِيتُ إخواني». قال: فقال أَصْحَابُ النبي ﷺ: أَوَلَيْسَ نَحْنُ إِخْوَانَكَ؟ قال: «أَنْتُمْ أصحابي وَلَكِنْ إخواني الَّذِينَ آمَنُوا بي ولم يروني».

(٣) رواه البخاري عن ابن عباس (٣٤٥٦)، وعن أبي سعيد (٤٥٤)، ولم يروه عن ابن مسعود، إنما رواه مسلم (٢٣٨٣) عن ابن مسعود.

وقال ﷺ لعليٍّ رضي الله تعالى عنه: «أَلَا تَرْضَىٰ أَنْ تَكُوْنَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هارُوْنَ مِنْ مُوْسَىٰ إِلاَّ أَنَّـهُ لا نَبِـيَّ بَعْدِيْ». رواه الشيخان ـ أيضاً ـ عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه[1].

وإنما لم يحدث جميع أصحابه بالأخوة التي بينه وبينهم بمقتضى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[الحجرات: ١٠]؛ لإظهار مزيـة من حدث بأخوتهم منهم، ولئلا يفتضح أهل النفاق، وأهل القصور عن درجة الأخوة، ولئلا يتكلموا على ما يحدثهم بـه من ثبوت الأخـوة لهم، أو يحصل لهم زهو بذلك وإعجاب، وهذا مأمون فيمن يأتي من بعدهم من إخوانه ﷺ لأنه لم يذكرهم بأعيانهم، وإنما ذكر قوماً يأتون من بعده يؤمنون به إيماناً كاملاً يصيِّرهم إخوانه ﷺ، فكل مؤمن يرجو هذه المزية، ويسعى على تحصيلها له.

ولما فات هؤلاء فضيلة التسويد معه، والمجالسة له، جَبَر ما فاتهم بتشوقـه إليهم مـع تسميتهم إخوانـه، والثنـاء على إيمـانهم، وتفضيـل إيمانهم، وإعجابه به، كما روى الإمام أحمد، والطبراني، وأبو يعلى ـ ورجال إسنادهما ثقات إلا أبـا عائـذ فضعفـه ابن عدي[2]، ووثقه ابن حبان[3] ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وَدِدْتُ

---

(١) رواه البخاري (٣٥٠٣)، ومسلم (٢٤٠٤).

(٢) انظر: «الكامل في الضعفاء» لابن عدي (٦/ ٤٦٦)، واسم أبي عائـذ: محتسب بن عبد الرحمن.

(٣) انظر: «الثقات» لابن حبان (٧/ ٥٢٨).

أَنِّيْ لَقِيْتُ إِخْوانِي، الَّذِيْنَ آمَنُوْا بِيْ وَلَمْ يَرَوْنِيْ»[1].

ولفظ أبي يعلى: «مَتَىْ أَلْقَىْ إِخْوانِيَ؟» قالوا: يا رسول الله! ألسنا إخوانك؟ قال: «بَلَىْ، أَنْتُمْ أَصْحابِيْ، وَإِخْوانِيَ الَّذِيْنَ آمَنُوْا بِيْ وَلَمْ يَرَوْنِيْ»[2].

وروى أبو يعلى، والبزار، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: كنت جالساً مع النبي ﷺ، فقال: «أَنْبِئُوْنِي بِأَفْضَلِ أَهْلِ الإِيْمانِ إِيْماناً»، قالوا: يا رسول الله! الملائكة عليهم السلام، قال: «هُمْ كَذَلِكَ، وَيَحِقُّ لَهُمْ ذَلِكَ، وَما يَمْنَعُهُمْ وَقَدْ أَنْزَلَهُمُ اللهُ تَعالَىْ بِالْمَنْزِلَةِ الَّتِيْ أَنْزَلَهُمْ بِهَا!» قالوا: يا رسول الله! فالشهداء الذين استشهدوا مع الأنبياء؟ قال: «هُمْ كَذَلِكَ، وَيَحِقُّ لَهُمْ ذَلِكَ، وَما يَمْنَعُهُمْ وَقَدْ أَكْرَمَهُمُ اللهُ تَعالَىْ بِالشَّهادَةِ مَعَ الأَنْبِياءِ! بَلْ غَيْرُهُمْ»، قالوا: يا رسول الله! ومن هم؟ قال: «أَقْوامٌ فِيْ أَصْلابِ الرِّجالِ يَأْتُوْنَ بَعْدِيْ يُؤْمِنُوْنَ بِيْ، وَلَمْ يَرَوْنِيْ، وَيُصَدِّقُوْنِيْ، وَلَمْ يَرَوْنِيْ، يَجِدُوْنَ الْوَرَقَ الْمُعَلَّقَ فَيَعْمَلُوْنَ بِما فِيْهِ، فَهَؤُلاءِ أَفْضَلُ أَهْلِ الإِيْمانِ إِيْماناً»[3].

---

(1) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٥٥)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٤٩٤).

(2) رواه أبو يعلى في «المسند» (٣٣٩٠).

(3) رواه أبو يعلى في «المسند» (١٦٠)، والبزار في «المسند» (٢٨٩) وقال: وإنما رواه الثقات عن هشام عن يحيى عن زيد بن أسلم مرسلاً، والحاكم في «المستدرك» (٦٩٩٣).

ومعنى كونهم أفضل أهل الإيمان إيماناً: أبلغ، وأعجب ـ كما تقدم ـ.

وكما في حديث آخر ممن رواه الحسن بن عرفة، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، وأقرَّه ابن حجر العسقلاني في «أماليه»[1]، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّ الْخَلْقِ أَعْجَبُ إِلَيْكُمْ إِيْماناً؟» قالوا: الملائكة عليهم السلام، قال: «وَما لَهُمْ لا يُؤْمِنُوْنَ وَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ!» قالوا: فالأنبياء عليهم السلام؟ قال: «وَما لَهُمْ لا يُؤْمِنُوْنَ وَالْوَحْيُ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ!» قالوا: فنحن؟ قال: «وَما لَكُمْ لا تُؤْمِنُوْنَ وَأَنا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ! أَلا إِنَّ أَعْجَبَ الْخَلْقِ إِيْماناً قَوْمٌ يَأْتُوْنَ مِنْ بَعْدِكُمْ يَجِدُوْنَ صُحُفاً فِيْها كِتابٌ يُؤْمِنُوْنَ بِما فِيْهِ»[2].

وروى البزار نحوه من حديث أنس رضي الله عنه[3]، ورجاله ثقات إلا سعيد

---

(١) انظر: «الأمالي المطلقة» لابن حجر (ص: ٣٩).

(٢) لم يروه الحاكم، وإنما الذي عند الحاكم الحديث المتقدم عن عمر، قال ابن كثير في «التفسير» (١/ ٤٣) ـ بعد أن ذكر الحديث بسنده ـ: قال أبو حاتم الرازي: المغيرة بن قيس البصري منكر الحديث، قال ابن كثير: ولكن قد روى أبو يعلى في «مسنده» وابن مردويه في «تفسيره» والحاكم في «مستدركه» من حديث محمد بن حميد ـ وفيه ضعف ـ، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر، عن النبي ﷺ بمثله أو نحوه، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقد روي نحوه عن أنس بن مالك مرفوعاً. قلت: رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٥٣٨).

(٣) روى البزار في «المسند» (٧٢٩٤) وقال: غريب، قال الهيثمي في «مجمع =

ابن بشير[1]؛ فوثق، وضعف، لكن لـه شواهـد عواضد، والله سبحانـه وتعالى أعلم.

* تَنْبِيْهٌ:

من لم ير النبي ﷺ فقد عزاه الله تعالى برؤيـة من سلك طريقه من الصحابة، أو ممن تبعهم، أو تبع من تبعهم إلى يوم القيامة، وفي ذلك تسلية له عن ما فاتـه من رؤية النبي ﷺ، وإنما تكون هذه التسلية لمن طلب الأخيار، وهم أهل العلم والدين؛ فإنهم أبدال عن الأنبياء عليهم السلام، وورثة عنهم.

وقـد روى الطبراني في «الكبيـر»، والحاكم في «المستدرك» عن عبدالله بن بُسر رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «طُوْبَىْ لِمَنْ رَآنِيْ وَآمَنَ بِيْ، وَطُوْبَىْ لِمَنْ رَأَىْ مَنْ رَآنِيْ، وَلِمَنْ رَأَىْ مَنْ رَأَىْ مَنْ رَآنِيْ وَآمَنَ بِيْ، طُوْبَىْ، وَحُسْنُ مَآبٍ»[2].

وهذا الحديث فيه فضل الصحابة والتابعين وتابعيهم.

= الزوائد» (١٠/ ٦٥): فيه سعيد بن بشير وقد اختلف فيه، فوثقه قوم وضعفه آخرون، وبقية رجاله ثقات.

(١) في «أ»: «سعيد بن أبي بشير».

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٦٩٩٤)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٠): رواه الطبراني وفيه بَقيّة وقد صرح بالسماع فزالت الدلسة، وبقية رجاله ثقات.

وعندي: إن من جاء بعد هؤلاء، وكان على طريقتهم، ومحبتهم أُلحق بهم، وهكذا إلى آخر الدهر؛ لدخولهم في قولـه ﷺ في حديث أنـس السـابق: «وَطُوْبَىٰ لِمَنْ لَمْ يَرَنِيْ وَآمَنَ بِيْ سَبْـعَ مَـرَّاتٍ»[1]؛ فقـد وعدهم ﷺ بطوبى كما وعد أولئك.

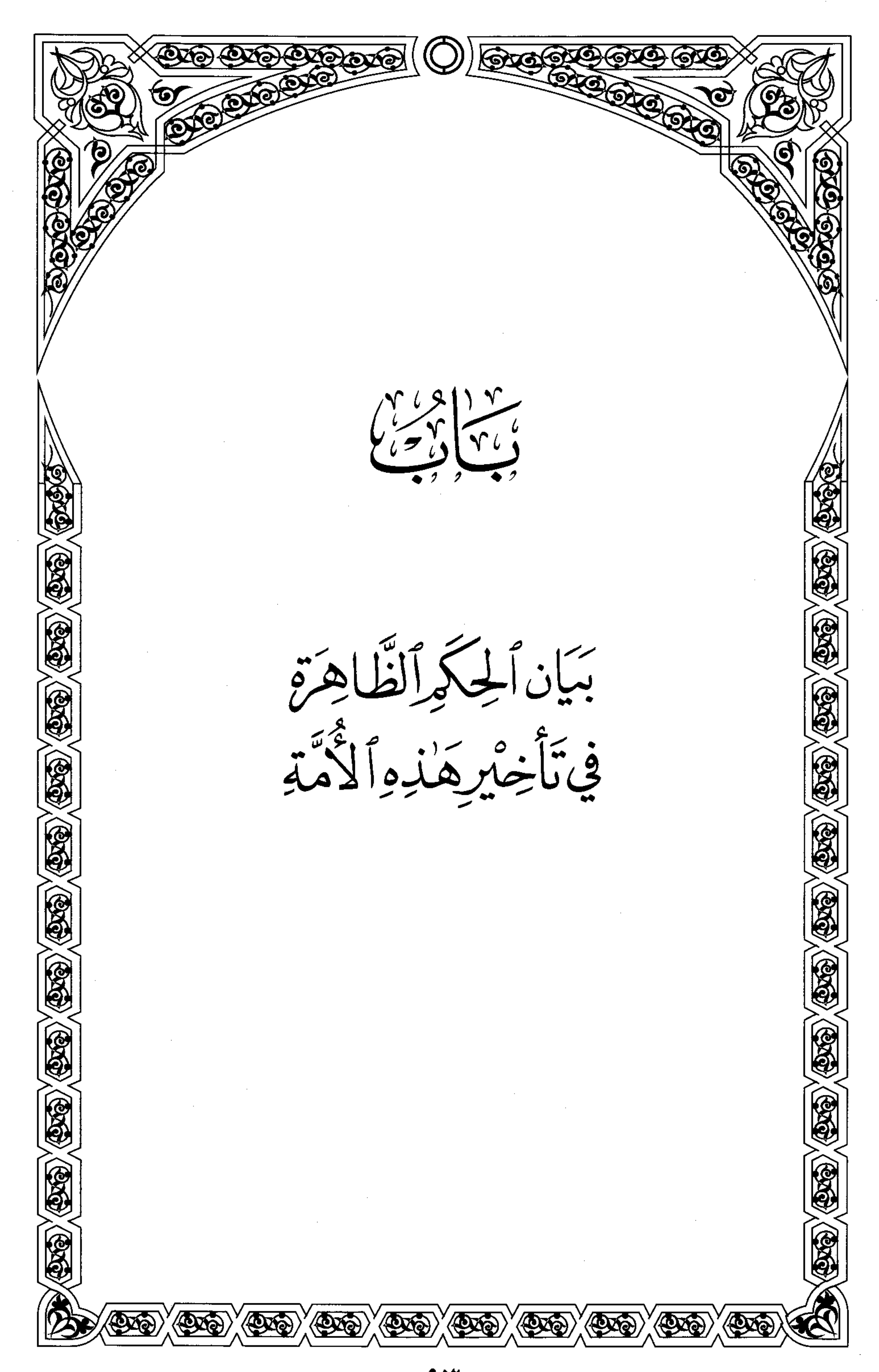
وقوله ﷺ: «طُوْبَىٰ لِمَنْ رَآنِيْ وَآمَنَ بِيْ وَلِمَنْ رَأَىٰ مَنْ رَآنِيْ»[2] إلى آخره، عموم شامل لمن رآه، أو رأى من رآه في المنـام، ولكن محل هذا من كان على طريقهم من المؤمنين، فأما من رأى النبي ﷺ، أو أحداً من أصحابه رضي الله تعالى عنهم في المنام من الفسقة والظلمة، فلا تنفعه رؤياه، بل قد تدل على انتقام منه، واستدراج، والعياذ بالله.

❐ ❐ ❐

---

(١) تقدم تخريجه.

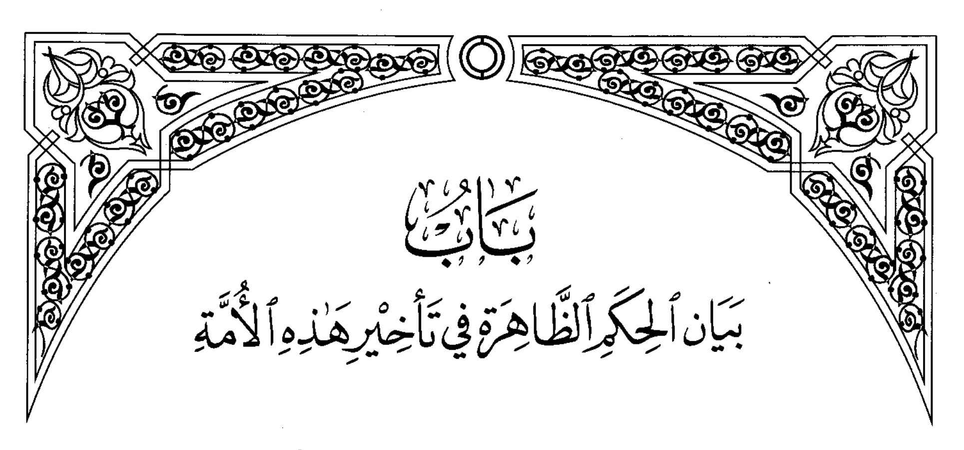
(٢) تقدم تخريجه.



بَابُ

بَيَانُ الْحِكَمِ الظَّاهِرَةِ فِي تَأْخِيرِ هَذِهِ الأُمَّةِ





١ ـ **التي منها**: إرادة التشبه بالصالحين من الأمم السابقة، والتجنب عن قبائح الطالحين منهم.

روى الشيخان في «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «نَحْنُ الآخِرُوْنَ السَّابِقُوْنَ يَوْمَ الْقِيامَةِ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوْتُوْا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِنا، وَأُوْتِيْناهُ مِنْ بَعْدِهِمْ»، الحديث[1].

اعلم أن تأخير هذه الأمة عن سائر الأمم إنما هو لحكم كثيرة يظهر بها أن تأخيرهم عين تقديمهم، وتفضيلهم، وأن الله تعالى لم يُرد بتأخيرهم في الزمان إلا تزكيتهم، وتكريمهم.

قال بعض العلماء: أخَّر الله تعالى هذه الأمة إلى آخر الزمان؛ لئلا يطول مكثهم تحت الأرض، فكرَّمهم الله تعالى بأنهم أقل الأمم مكثاً تحت الأرض.

قلت: هذا من الحِكَم التي أشرنا إليها.

وقريب من هذا المعنى: أن الله تعالى جعل هذه الأمة أقصر الناس

---

(١) رواه البخاري (٨٥٦)، ومسلم (٨٥٥).

أعماراً، كما قال رسول الله ﷺ: «أَعْمَارُ أُمَّتِي مِنَ السِّتِّيْنَ إِلَى السَّبْعِيْنَ، وَأَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوْزُ ذَلِكَ». رواه الترمذي وحسنه، عن أبي هريـرة، وأبو يعلى عن أنس رضي الله تعالى عنهم[1].

وروى الطبراني في «معجمه الكبير» عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أن النبي ﷺ قال: «أَقَلُّ أُمَّتِي الَّذِيْنَ يَبْلُغُوْنَ السَّبْعِيْنَ»[2].

والحكمـة في قصر أعمـارهم: أن الله تـعـالى أراد بذلك تقصيـر مدة التكليف عليهم ليخف عليهم حمل المشاق، ومعاناة كروب الدنيا، وخطوبها، وقـد اقتضى أمـرُ الله تعالى أن تكون الدنيـا سجن المؤمن، كما روى الإمام أحمد، وغيره، وصححه الحاكم، عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما: أن النبي ﷺ قال: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَسَنَـتُهُ، فَإِذا فارَقَ الدُّنْيا فارَقَ السِّجْنَ وَالسَّنَةَ»[3]؛ أي: ولقي الراحـة، والدَّعَة، والخصب، والسعة، وظفر بالتحفة، والبهجـة، والمسرة،

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٥٠) وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وابن ماجه (٤٢٣٦)، عن أبي هريرة.

ورواه أبو يعلى في «مسنده» (٥٩٩٠) عن أبي هريرة، وعن أنس (٢٩٠٢).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٥٩٤)، وأبو يعلى في «المسند» (٦٥٤٤) عن أبي هريرة، وضعَّفَ إسنادَ أبي يعلى ابنُ كثير في «التفسير» (٣/ ٥٦١).

(٣) رواه الإمام أحمـد في «المسند» (٢/ ١٩٧)، والحاكم في «المستدرك» (٧٨٨٢).

والمبرة، كما قال ﷺ: «تُحْفَةُ الْمُؤْمِنِ الْمَوْتُ»[1]، لما يرى من كرامة الله تعالى وثوابه.

وقال سفيان: كان يقال: الموت راحة العابدين.

رواهما ابن أبي الدنيا في كتاب «ذكر الموت».

فأراد الله تعالى أن يجعل الراحة لهذه الأمة من الدنيا وأكدارِها، بقصر آجالها وأعمارها.

ثم إنه الله تعالى ضاعف لهم الأعمال والأجور، واختصهم بخصائص تلحقهم في الزمن اليسير بمن سلف من أهل الجَدِّ والتشمير مع أعمارهم الطويلة، وآجالهم البعيدة، بل ورَقَّاهم الله تعالى عليهم، وجعلهم سابقين لهم، ولو حسبت ما يكتب لواحد من هذه الأمة في صلاة واحدة في المسجد الحرام من الحسنات لبلغت أرجح من عمر نوح عليه الصلاة السلام.

وليلة واحدة من ليالي هذه الأمة في كل سنة ـ وهي ليلة القدر ـ خير من ألف شهر من شهور الأمم الخالية من ليلة القدر.

وصيام يوم واحد من أيام هذه الأمة من نوافل صيامها ـ وهو صيام

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٢١٢)، والحاكم في «المستدرك» (٧٩٠٠)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٣٢٠): رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات، وحسنه العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ١٢٠٠).

يوم عرفة لغير الحاج ـ يكفر ذنوب سنة قبله، وسنة بعده، بل ورد أنه يكفر ذنوب ألف يوم، وورد أن العمل الصالح فيه بألفٍ في غيره كسائر أيام رمضان.

وصيام اليوم الذي قبل هذا اليوم ـ وهو يوم التروية ـ يكفر ذنوب عام.

وكذلك صيام يوم آخر من أيام هذه الأمة، وهو يوم عاشوراء.

وهذا كله في نوافل الصوم، فما ظنك برمضان، وما فيه من كثرة العتقاء من النار! ففي كل يوم منه مئة ألف عتيق، ويعتق في كل يوم جمعة منه وليلتها قدر ما أعتق في الأسبوع، وفي آخر يوم من رمضان قدر ما أعتق من أول الشهر إلى آخره.

والصلاة إلى الصلاة، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر.

والتسبيحة الواحدة كبدنة تُهدى إلى البيت العتيق، والتحميدة كفرس مسرجة في سبيل الله، والتكبيرة كالبعير في سبيل الله؛ مع مضاعفة ثواب التسبيح، وسائر الأعمال في يوم الجمعة، وفي الأشهر الحرم.

وكل حسنات هذه الأمة في أي وقت مضاعفة إلى عشر أمثالها، أو إلى سبعين ضعفاً، أو سبع مئة، أو ألوف كثيرة، ومعاصيها لا تكتب إلا بعد ست ساعات، أو سبع؛ فإن استغفر ذلك العاصي، أو تاب، أو أحسن بعدها، لم تكتب تلك السيئة، وإلا كتبت سيئة واحدة، ثم هي ممحوة

بالتوبة، أو الاستغفار، أو بعمل صالح آخر، أو بمرض، أو بلاء ـ ولو قليلاً ـ أو سكرات الموت، وشدة النَّزع، أو بضمة القبر، أو بهول القيامة، أو يعفو الله، ويتجاوز.

فانظر فيما أمد الله به هذه الأمة من الخير، وما ضاعف لها من الأجور، وما كفَّر عنها من الأوزار مع قصر أعمارها، وقرب آجالها!

وفي «الصحيحين» عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّمَا بَقاؤُكُمْ فِيمَنْ سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ كَمَا بَيْنَ صلاةِ الْعَصْرِ إِلَىْ غُرُوْبِ الشَّمْسِ؛ أَتَىْ أَهْلُ التَّوْراةِ فَعَمِلُوْا بِها حَتَّىْ إِذا انْتُصَفَ النَّهارُ عَجَزُوْا، فَأُعْطُوْا قِيْراطاً قِيْراطاً، ثُمَّ أَتَىْ أَهْلُ الإِنْجِيْلِ فَعَمِلُوْا إِلَىْ صلاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ عَجَزُوْا، فَأُعْطُوْا قِيْراطاً قِيْراطاً، ثُمَّ أُوْتِيْنا الْقُرْآنَ فَعَمِلْنا إِلَىْ غُرُوْبِ الشَّمْسِ، فَأُعْطِيْنا قِيْراطَيْنِ قِيْراطَيْنِ، فَقَالَ أَهْلُ الْكِتابِ: أَيْ رَبَّنَا! أَعْطَيْتَ هَؤُلاءِ قِيْراطَيْنِ قِيْراطَيْنِ، وَأَعْطَيْتَنَا قِيْراطاً قِيْراطاً، وَنَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلاً! قالَ اللهُ تَعالَىْ: هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ مِنْ شَيْءٍ؟ قالُوْا لا، قالَ: هُوَ فَضْلِيْ أُوْتِيْهِ مَنْ أَشاءُ»(١).

٢ ـ ومن الحكم الحاصلة بتأخير هذه الأمة ـ أيضاً ـ: أن الأنبياء، والعارفين من الأمم السالفة أخبروا أممهم وأتباعهم ببعثة النبي ﷺ،

(١) رواه البخاري (٧٠٢٩)، ولم يخرجه مسلم، قال أبو مسعود: أغفل مسلمٌ هذا الأصل فلم يخرجه. انظر: «الجمع بين الصحيحين» للحميدي (٢/ ٢٧٠).

وبفضله، وفضل أمته قبل وجودهم، حتى تمنى طائفة من الأنبياء والفضلاء أن لو بقوا حتى يكونوا من أمته، ففي ذلك بمقامه ﷺ ومقام أمته ما لا يخفى، وفيه شهادتنا بصدق الأنبياء المخبرين بوجودنا ووجود نبينا ﷺ؛ فإنهم لما أخبروا بوجوده ووجود أمته، ثم وجدوا، كان وجودهم مصداقاً لإخبار المخبرين لهم، وشاهداً على صدقهم، ولذلك كانت هذه الأمة شهداء الأنبياء عليهم السلام على أممهم، كما سيأتي.

٣ ـ ومن الحكم، واللطائف في تأخير هذه الأمة ـ أيضاً ـ: أن الله تعالى سترهم، ولم يفضحهم كما فضح عليهم من تقدمهم من الأمم، وكشف عليهم أحوالهم كقوم نوح، وسخريتهم بنبيهم، وقوم إبراهيم، وأذيتهم له، وقوم موسى، وتشهيهم عليه، وقوم عيسى، ورميهم له ولأُمِّه ـ هذا حال غاليهم، ومفرطيهم ـ، وكقولهم فيه: (إنه الله)، أو: (شريك)، أو: (ابن) ـ هذا حال غاليهم، ومفرطيهم ـ وكقوم هود وطغيانهم وتمردهم، وقوم صالح وعقرهم للناقة، وقوم لوط وإتيانهم الفاحشة التي لم يسبقوا إليها، وعزمهم على رجم لوط، وتبييت[1] قتله، وقوم شعيب وأخذهم للمُكُوس، وقرض الدراهم، وغير هؤلاء مع ما بلغنا من نَكالهم، ووبالهم، وما عذبوا به من خسف، أو مسخ، أو قذف، أو غرق، أو حرق، أو غير ذلك ممَّا صان الله تعالى عنه هذه الأمة ببركة نبيها ﷺ.

---

(١) في «أ»: «تبيت».

وقد روى الدارمي وغيره في حديث عن عمرو بن قيس رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَجارَ أُمَّتَهُ مِنْ ثلاثٍ: لا يَعُمُّهُمْ بِسَنَةٍ، وَلا يَسْتَأْصِلُهُمْ عَدُوٌّ، وَلا يَجْمَعُهُمْ عَلَىٰ ضَلالَةٍ»[1].

وروى الخطيب البغدادي عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا أُسْرِيَ بِيْ، قَرَّبَنِي رَبِّيْ حَتَّىٰ كانَ بَيْنِي وَبيْنَهُ كَقابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ، بَلْ أَدْنَىٰ، وَعَلَّمَنِيْ السِّماتِ؛ قالَ: يَا مُحَمَّدُ! قُلْتُ: لَبَّيْكَ يا رَبِّ، قالَ: هَلْ غمَّكَ[2] أَنِّيْ جَعَلْتُكَ آخِرَ النَّبِيِّيْنَ؟ قُلْتُ: يَا رَبِّ! لا، قَالَ: فَهَلْ غمَّ[3] أُمَّتَكَ أَنِّيْ جَعَلْتُهُمْ آخِرَ الأُمَمِ؟ قُلْتُ: لا يا ربِّ، قال: [أَبْلِغْ أُمَّتَكَ عنِّي السَّلامَ][4]، وأخبرهم أني جعلتُهم آخِرَ الأُممِ؛ لأَفْضَحَ الأُمَمَ عِنْدَهُمْ، وَلا أَفْضَحَهُمْ عِنْدَ الأُمَمْ»[5].

٤ ـ ومن الحكم المذكورة: أن الله تعالى لما سبق في علمه أنه يورث هذه الأمة الأرض بعد سائر الأمم، كان في تأخيرهم تنفيذ هذا القضاء المبرم السابق لهم بالوراثة؛ فإن الوارث لا بد أن يتأخر عن

---

(١) رواه الدارمي في «السنن» (٥٤).

(٢) في «أ»: «علمت».

(٣) في «أ»: «علم».

(٤) زيادة من «تاريخ بغداد» (٥/ ١٣٠).

(٥) رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/ ١٣٠)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٥٣٢١). قال ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ١٨٢): هذا حديث لا يصح.

الموروث زماناً، وإلا لم يتحقق إرثه منه، ولذلك لم يُوَرِّثِ الغرقى، والمهدوم عليهم، والمقتولين في المعركة إذا انكشف الأمر عنهم أمواتاً، ولم نعلم السابق منهم بعضهم من بعض.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾[الأنبياء: ١٠٥].

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أخبرنا الله تعالى في التوراة والزبور، وسابق علمه قبل أن تكون السماوات والأرض، أن يورث أمة محمد ﷺ الأرض[1].

وقرأ أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه الآية، فقال: نحن الصالحون[2].

رواهما ابن أبي حاتم في «تفسيره».

بل نقول: إن الله تعالى أورث هذه الأمة ما هو أعظم من وراثة الأرض، وهو علم الكتاب الأول.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾[فاطر: ٣٢].

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: هم أمة محمد ﷺ؛ ورثهم

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (١٧/ ١٠٤).

(٢) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٧/ ٣٧٥).

الله تعالى كل كتاب أنزله، فظالمهم مغفور له، ومقتصدهم يحاسب حساباً يسيراً، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب[1].

وفي الحديث المرفوع ما يؤيده.

وروى الإمام أبو نعيم الأصبهاني عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مُوْسَىٰ عَلَيْهِ السَّلامُ لَمَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِ التَّوْراةُ، وَقَرَأَهَا، فَوَجَدَ فِيْها ذِكْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ، قالَ: يا رَبِّ! إِنِّيْ أَجِدُ فِيْ الأَلْواحِ أُمَّةً هُمُ الآخِرُوْنَ السَّابِقُوْنَ، فَاجْعَلْها أُمَّتِيْ، قالَ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ»، الحديث.

إلى أن قال فيه «قال: رَبِّ! إِنِّيْ أَجِدُ فِيْ الأَلْواحِ أُمَّةً يُؤْتَوْنَ الْعِلْمَ الأَوَّلَ، وَالْعِلْمَ الآخِرَ، فَيَقْتُلُوْنَ قُرُوْنَ الضَّلالَةِ، وَالْمَسِيْحَ الدَّجَّالَ، فَاجْعَلْها أُمَّتِيْ، قالَ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ»[2]، الحديث.

ولا شك أن في توريث الأمة الكتاب، والعلم الأول تكريماً لهم وتزكية، وأي زكاة أعظم من زكاة العلم، والاطلاع على أسرار المعرفة، وحقائق التوحيد.

ولا شك أن من كثر علمه كثر عمله، ونمت أحواله، وإلا لم يكن علمه معتداً به، ولا ملتفتاً إليه.

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٢٠/ ٤٦٥)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣١٨١).

(٢) رواه أبو نعيم في «حديث أبي نعيم عن أبي علي الصواف» (ص: ٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ٣٧٩) من قول وهب بن منبه.

* وحيث كشف الله تعالى لهذه الأمة علم الأمم السابقة، وأخبارهم يترتب على ذلك فوائد وحكم، وهي في الحقيقة مترتبة على تأخير هذه الأمة أيضاً:

٥ ـ فمنها: شهادة هذه الأمة على الأمم السابقة.

قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[البقرة: ١٤٣].

وفي «صحيح البخاري»، وغيره عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «يُدْعَىٰ نُوْحٌ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلَيْهِ السَّلامُ فَيُقالُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُوْلُ: نَعَمْ، فَتُدْعَىٰ أُمَّتُهُ، فَيُقالُ لَهُمْ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُوْلُوْنَ: ما أَتانا مِنْ نَذِيْرٍ، وَما أَتانا مِنْ أَحَدٍ، فَيُقالُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُوْلُ: مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[البقرة: ١٤٣]، ـ قال: وَالْوَسَطُ الْعَدْلُ ـ فَتُدْعَوْنَ، فَتَشْهَدُوْنَ لَهُ بِالْبَلاغِ، وَأَشْهَدُ عَلَيْكُمْ»(١).

فلولا تأخر هذه الأمة عن الأمم لم يكونوا شهداء على الناس؛ لأن الشاهد لا بد أن يشاهد ثم يشهد، ومحال أن يشاهد المرء شيئاً مات قبل وجوده، وإنما كانت شهادتهم على من تقدمهم مقبولة؛ لأن ذلك قد وصل إليهم بطريق يفيد اليقين، وهو خبر النبي ﷺ، ولا شك أن إخباره ﷺ إياهم أتم في إفادتهم اليقين من مشاهدتهم له بالإبصار؛ لأن خبره مطابق

---

(١) رواه البخاري (٦٩١٧).

للواقع كما هو عند الله تعالى بلا محالـة، فخبـره ﷺ قائم مقام العيان، وأتم منه؛ إذ يمكن في المعاينة أن يحول بين المعاين وبين إدراكه الشيء على ما هو عليه حائل ما؛ كالغفلة الْمُكَدِّرة لإدراكه بنحو إفراط فرح أو تَرح، أو جوع أو عطش أو نعاس أو فتور أو مرض أو غلبة خلط أو غير ذلك، وهـذا محـال ـ أي: تكـديـر الإدراك بشـيء من ذلك ـ فـي حقه ﷺ؛ فإنـه معصوم، ولذلك قال تعـالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[النساء: ٨٠]، ولأن قلبه لم يكن لينام ـ وإن نامـت عيناه ـ، كمـا قـال ﷺ: «يَا عَائِشَـةُ إِنَّ عَيْنَيَّ تَنامـانِ وَلا يَنـامُ قَلْبِـيْ». رواه الشيخان[1].

وروى أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: حضرت عصابـة من اليهود يوماً النبي ﷺ، فقال لهم: «أَنْشُدُكُمْ بِاللهِ الَّذِيْ أَنْزَلَ التَّوْراةَ عَلَىْ مُوْسَىْ عَلَيْهِ السَّلامُ: هَلْ تَعْلَمُوْنَ أَنَّ هَذَا النَّبِـيَّ تَنامُ عَيْناهُ، وَلا يَنامُ قَلْبُهُ؟ قالُوْا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ»[2].

وقال ﷺ: «إِنِّيْ لأَنْظُـرُ إِلَىْ ما وَرائِيْ كَما أَنْظُرُ إِلَىْ ما بَيْنَ يَدَيَّ». رواه الحاكم، وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه[3]، وأصله في «الصحيحين»[4].

---

(١) رواه البخاري (١٩٠٩)، ومسلم (٧٣٨) عن عائشة.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢٧٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٣٠٥)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٢٦٧).

(٣) رواه الحـاكم في «المستـدرك» (٨٦١)، والإمـام أحمـد في «المسنـد» (٢/ ٥٠٥).

(٤) رواه البخاري (٤٠٩) بلفظ: «إني لأَرَاكُمْ من وَرَائِي كما أَرَاكُمْ»، ومسلم=

وقال الله تعالى: ﴿مَازَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾[النجم: ١٧].

وقال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[النجم: ٤].

فإن فرض أنه حصل من النبي ﷺ ما قد يحول بينه وبين الإدراك من أحوال البشر ـ كالنسيان ـ، فإن ذلك يكون في غير وقت التبليغ، بل هو ﷺ في نفس تلك الأحوال مقيم على وظيفة التشريع، والتبليغ، ولذلك كان رسول الله ﷺ يقول: «أَنا لا أَنْسَىْ، وَلَكِنْ أُنَسَّى لأُشَرِّعَ[1]»، وفي رواية: «لأَسُنَّ». رواه الإمام مالك، وغيره[2].

وروى أبو داود عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا: تكتب كل شيء ورسول الله ﷺ بشر، فيتكلم في الغضب والرضى، فأمسكت عن الكتاب، وذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فأومى بأصبعه إلى فيه، وقال لي: «اكْتُبْ، فَوَالَّذِيْ نَفْسِيْ بِيَدِهِ ما يَخْرُجُ مِنْهُ إِلاَّ حَقٌّ»[3]؛ يعني: سواء

= (٤٢٣) بلفظ: «والله لأُبْصِرُ من وَرَائِي كما أُبْصِرُ من بَيْنِ يَدَيَّ».

(١) في «أ»: «أشرع».

(٢) رواه الإمام مالك «في الموطأ» (١/ ١٠٠).

قال ابن عبد البر في «التمهيد» (٢٤/ ٣٧٥): هذا الحديث بهذا اللفظ لا أعلمه يروى عن النبي ﷺ بوجه من الوجوه مسنداً ولا مقطوعاً من غير هذا الوجه والله أعلم، وهو أحد الأحاديث الأربعة في الموطأ التي لا توجد في غيره مسندة ولا مرسلة والله أعلم، ومعناه صحيح في الأصول.

(٣) رواه أبو داود (٣٦٤٦)، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٦٢).

في ذلك حالة الرضى وحالة الغضب.

ولهذا الذي ذكرناه بعينه كان ﷺ شاهداً لأمته إذا شهدوا للأنبياء عليهم السلام على أممهم، ومزكياً لهم، وكفى به مزكياً.

كيف والله تعالى زكّاهم في الدنيا بقوله تعالى: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾[البقرة: ١٤٣].

والوسط العدل، كما تقدم تفسيره في الحديث.

ويزكيهم في الآخرة ـ أيضاً ـ، كما يدل عليه ما رواه الإمام أحمد، والنسائي، والبيهقي عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَجِيْءُ النَّبِيُّ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَمَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلانِ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَيُقالُ لَهُمْ: هَلْ بَلَّغْتُمْ؟ فَيَقُوْلُوْنَ: نَعَمْ، فَيُدْعَى قَوْمُهُمْ، فَيُقالُ لَهُمْ: هَلْ بَلَّغُوكُمْ؟ فَيَقُوْلُوْنَ: لا، فَيُقالُ لِلنَّبِيِّيْنَ: مَنْ يَشْهَدُ لَكُمْ أَنَّكُمْ بَلَّغْتُمْ؟ فَيَقُوْلُوْنَ: أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَتُدْعَى أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَشْهَدُوْنَ أَنَّهُمْ قَدْ بَلَّغُوْا، فَيُقالُ لَهُمْ: وَما عِلْمُكُمْ أَنَّهُمْ قَدْ بَلَّغُوْا؟ فَيَقُوْلُوْنَ: جاءَنا نَبِيُّنا بِكِتابٍ أَخْبَرَنا أَنَّهُمْ قَدْ بَلَّغُوْا، فَصَدَّقْناهُ، فَيُقالُ: صَدَقْتُمْ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعالَىْ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[البقرة: ١٤٣] ـ قالَ: عَدْلاً ـ، ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[البقرة: ١٤٣] الآية»[1].

٦ ـ **ومن الفوائد المشار إليها**: أن هذه الأمة لمَّا ورثوا علوم الأولين

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٥٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٠٠٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٦٤).

اطلعوا على أخبارهم، وأحوالهم، وصبر أنبيائهم وصالحيهم، وما أوتي الصالحون منهم في مقابلة الصبر، والاحتمال كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[السجدة: ٢٤].

فيكون ذلك تثبيتاً لأفئدتهم، وتسلية لقلوبهم، كما قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾[هود: ١٢٠].

قال أبو عبد الرحمن السلمي في «حقائقه»: سمعت محمد بن عبدالله، سمعت علي بن الأزهر الحلبي، سمعت أبا بكر الكسائي يقول: سألت الجنيد رحمه الله تعالى عن مجاراة الحكايات، فقال: هي جند من جنود الله في أرضه يقوي بها أحوال المريدين، فقلت: ألذلك أصل في الكتاب؟ قال: نعم؛ قوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾[هود: ١٢٠].

٧ ـ ومنها: أن الله تعالى حيث أورث هذه الأمة علوم المتقدمين، وأطلعهم على أخبار الأمم السالفين، وما كانوا عليه من الاسترسال في المعاصي، وإيثار الحياة الدنيا على الآخرة، والمكابرة في الكفر مع ورود الآيات البينات، والحجج القاطعات، وكيف أمهلهم الله تعالى المدد الكثيرة، والأعمار الطويلة، ثم كيف استأصلهم بالعذاب وأخذهم الأخذة الوبيلة، فيكون سبباً لانزجار هذه الأمة، واتعاظها، واعتبارها، واستبصارها، واستقامتها على أعمال الخير، وتجنبها عن أعمال السوء، كما قال الله تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[آل عمران: ١٣٧].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[غافر: ٢١ ـ ٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[يونس: ١٣ ـ ١٤].

يعني ـ والله أعلم ـ: أتعملون بأعمالهم، أم تؤمنون بالله، وتطيعونه؟

وروى أبو الشيخ: أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قرأ هذه الآية فقال: صدق ربنا، ما جعلنا خلائف في الأرض إلا لينظر إلى أعمالنا، فأَرُوا الله خير أعمالكم بالليل والنهار، والسر والعلانية[١].

وفي كلامه إشارة إلى أن الله تعالى ينظر إلى سر العبد كما ينظر إلى علانيته.

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ: أنه قال: «إِنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إِلَىْ صُوَرِكُمْ وَأَمْوالِكُمْ، وَلَكِنْ إِنَّما يَنْظُرُ إِلَىْ قُلُوْبِكُمْ وَأَعْمالِكُمْ»[٢].

وقوله ﷺ: «لا يَنْظُرُ إِلَىْ صُوَرِكُمْ وَأَمْوالِكُمْ»؛ أي: لا يعبأ بها،

---

(١) ورواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/ ١٩٣٤).

(٢) رواه مسلم (٢٥٦٤).

وإلا فإنه سبحانه بصير بكل شيء.

ومن لطائف الاعتبارات بأحوال الأمم الماضية: ما رواه أبو نعيم في «الحلية»، وغيره عن علقمة بن مرثد: أنه قيل للربيع بن خُثيم رحمه الله تعالى حين أصابه الفالج: لو تداويت! قال: لقد علمت أن الدواء حق، ولكن ذكرت عاداً وثموداً وأصحاب الرس، وقروناً بين ذلك كثيراً؛ كانت فيهم الأوجاع، وكانت لهم الأطباء، فما بقي المداوِي، ولا المداوَى[1].

وجه الاعتبار: أن المقيم في هذه الدنيا على أي حالة من نعمى أو بؤس، أو صحة أو مرض، فإن ثواه فيها قليل، ولا بد من الموت والانتقال إلى دار أخرى، واستعمال الدواء لا يفيد دفاع الموت ـ وإن أفاد البرء من المرض ـ فلا ينبغي الاهتمام به، بل بما ينفع في الدار الآخرة، فإن عاداً وثموداً، وسائر الأمم الماضية انقضت أيامهم، وبقيت آثامهم، فينبغي أن لا يكون على ما كانوا عليه من الاهتمام بنعيم الدنيا، ودفع مكروهها، بل بما نحن إليه صائرون، وعليه عابرون.

وقال أبو العتاهية في معنى كلام الربيع: [من الكامل]

إِنَّ الطَّبِيْبَ بِطِبِّهِ وَدَوائِهِ

لا يَسْتَطِيْعُ دِفاعَ مَكْرُوْهٍ أَتَىْ

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٠٦).

مَــا لِلطَّبــيْبِ يَمُــوْتُ بِالــدَّاءِ الَّــذِيْ
قَــدْ كــانَ يُبْــرِيْ مِنْــهُ فِيْمــا قَــدْ مَـضَىْ

ذَهَــبَ الْمُــداوِيْ وَالْمُــداوَىْ والَّــذِيْ
جَلَــبَ الــدَّواءَ وَباعَــهُ وَمَــنِ اشْــتَرَىْ

وفي «الحلية» عن الربيع بن خُثيم ـ أيضاً ـ قال: عجبت لملك الموت، وإتيانه ثلاثة:

١ ـ مَلِك ممتنع في حصونه، فيأتيه فينزع نفسه، ويدع مُلْكَه خلفه.

٢ ـ ومسكين منبوذ بالطريق يقذره الناس أن يدنوا منه، لا يقذره ملك الموت، فينزع نفسه.

٣ ـ وطبيب نحرير يداوي الناس، فيأتيه فينزع نفسه، ويدع طبه خلفه[1].

ووجه تعجبه من إتيان ملك الموت هؤلاء الثلاثة: أن الموت رصد لهم، والملك غافل عنه لشغله بملكه، والفقير ناس له لاشتغاله بالفقر، وخوفه مما يترتب عليه من جوع، أو عري، أو غيرهما، والطبيب مشغول بتشخيص علل غيره، وعلاجه، وسعيه في نفع من سواه، فجاءه الموت فأبطل حركته، وعطَّل علاجه، ولم يمكنه دفعه عن نفسه، وجاء المسكين فأخذه قبل نزول ما كان يتوقعه من المكروه، وجاء الملك فأخلى منه

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١١٥).

دساكره[1]، وشتَّت عنه عساكره، وعطل منه مجالسه ومناصبه، ونقل إلى غبـرة خدامه ومراكبه، فسبحان من شغل ما شاء من القلوب عن قصد الفوز في دار الآخرة ونيل المطلوب.

٨ ـ **ومن الفوائـد المذكـورة**: أن الله تعالى أطلع هذه الأمـة على تعجيل هـلاك الأمم، وتنكيلـه بهم، وتنـويع إهلاكهم، وتـدميـرهم، وتضييقه عليهم في الشـرائع كالأغلال، والآصار التي كانت على بني إسرائيل، وتكليفهم في التوبـة أن يقتلوا أنفسهم، وتحريم ما حرموا على أنفسهم، وتكليف من أصاب ثوبه أو بدنه نجاسة أن يقطع موضعها منه، وأن من عمل منهم ذنباً أصبح وذنبه مكتوب على بابه، إلى غير ذلك[2].

ثم خفـف الله تعـالى ذلـك كلـه على هـذه الأمـة، وجعـل دينها سهلاً، وشرعها سمحاً يسيراً، لا حرج عليهم فيه، ولا تكليف عليهم فوق طاقتهم، ثم فضَّلهم بتضاعيـف الأعمال والأفعال، وأثابهم على الخطرات والهمم، ولم يكلفهم بها، ولم يؤاخـذهم بسببها، ولا بالخطأ ولا بالنسيان ولا بما استكرهـوا عليـه ـ ولو كان كفراً ـ إذا كان القلب مطمئناً بالإيمان، وزادهم فضائل وشمائل، وخصائص وخصائل، وجعل شريعة نبيهم ﷺ ناسخة لجميع الشرائع، حتى لو أن موسى عليه السلام كان حياً، أو غيـره من الأنبياء عليهم السلام لما وسعهم إلا اتباعه ﷺ،

---

(١) الدسكرة: بناء شبه قصر حوله بيوت وجمعه: دساكر.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢/ ٣٠٨).

والانقياد له، والاقتداء به[1]، ولو أدركته الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام لوجب عليهم نصره، والإيمان به لما أخذ الله عليهم من الميثاق بذلك.

فإذا علمَتْ هذه الأمة ذلك إجمالاً، ونظرت في مفرداته تفصيلاً، عظم فضل الله عليهم، وكبرت نعمه عندهم، فانبعثوا للشكر، فاستوجبوا المزيد، ولا يزالون في الترقي لأن علومهم لا تنتهي، وإذا زادت علومهم، ومعارفهم ازدادت أعمالهم وطاعاتهم، ونما شكرهم، وتوالى ذكرهم، وكانوا حَمَّادين شَكَّارين ذَكَّارين جَأَّارين، فتمت بذلك نعمة الله عليهم، فتأمل ذلك؛ فإنه نفيس جداً والله سبحانه وتعالى أعلم!

٩ ـ ومنها ـ وهو مقصودنا من ذكر هذا الباب في هذا الكتاب ـ: أن هذه الأمة حيث تأخرت أيامهم، وانكشفت لهم علوم الأمم المتقدمة وأخبارهم، وسنن الأنبياء السالفة وأحوالهم، واستبان لهم الفرق بين أحوال المؤمنين والمقربين، وأحوال الكافرين والمبعدين، وما أعد الله تعالى للطائفة الأولى من الجزاء الحسن، والثواب الجميل، وما أعد الله تعالى للطائفة الأخرى من الجزاء السوء، والعقاب الوبيل، لا جرم انبعثت قلوبهم، وتحركت أرواحهم، وانشرحت صدورهم، واطمأنت نفوسهم للتشبه بأولئك، وانقبضت وقعدت وضاقت وأَنِفَتْ من

---

(١) يشير إلى الحديث الذي رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٣٨٧) عن جابر مرفوعاً: «لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني».

التشبـه بهؤلاء، وقـد وقعت الإشارة إلى هذا المعنى في قـولـه تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[الأنعام: ٥٥]؛ أي: وسبيل المـؤمنين؛ على حـد قولـه: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾[النحـل: ٨١]؛ أي: والبرد.

وقوله: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾[الأنعام: ٥٥] متعلق بفعل محذوف تقديره: وفعلنا ذلك لتستبين.

وقيل: هو معطوف على محذوف تقديره: ليظهر الحق، ولتستبين سبيل المجرمين؛ أي: وسبيل المؤمنين، كما عرفت.

أو يقـال: إذا استبان سبيل المجرمين فقـد استبان سبيل المؤمنين بطريق اللزوم.

وفي الاقتصار على ذكر استبانة سبيل المجرمين مع أن استبانـة سبيل المؤمنين أمر مقصود ـ أيضاً ـ، إشارة إلى الاهتمام باستبانة سبيل المجرمين أكثر من استبانة سبيل المؤمنين؛ لأن تجنب المحظور أعظم، وأشد من فعل المأمور بـه؛ إذ للنفس وَلَع بما منعت منه، فاجتنابه أشد عليها من فعل ما أمرت به، ومن ثَمَّ جاء في الحديث: «اتَّقِ الْمَحارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ»[1].

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٠٥) عن أبي هريرة، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث جعفر بن سليمان، والحسن لم يسمع عن أبي هريرة شيئاً، هكذا رُوي عن أيوب ويونس بن عبيد وعلي بن زيـد، قالوا: لم يسمـع =

وقوله: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[الأنعام: ٥٥] هـو في قراءة أبي جعفر، ونافع بالتاء المثناة فوق، وفتح اللام من (سبيل) ـ على خطاب النبي ﷺ ـ.

وقـرأ أبـو عمـرو، وابن عامـر، وابن كثيـر، وعاصم، ويعقـوب كذلك، إلا أنهم ضموا اللام على إسناد الفعل إلى (سبيل) مع تأنيثه.

وقرأ الباقون بالياء المثناة تحت، وضم اللام على تذكير السبيل، وهما وجهان جاريان في كلام العرب.

ومعنى الآية ـ والله سبحانه وتعالى أعلم ـ: أننا نفصل الآيات في كتابنا العزيز لتستظهر، أو ليظهر لك يا محمـد سبيل المؤمنين، فتتبعها أنت وأمتك، وسبيل المجرمين، فتتجنبها أنت وأمتك.

ويوضح هذا المعنى قوله تعالى بعد ذلك: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾[الأنعام: ٥٦].

أي: لا أتبع أهواءكم، ولا أسلك سبيلكم؛ لأني إن فعلت ذلـك، وقد تبينت لي الآيات، واستبنت بها سبيل المجرمين الذين أنتم منهم = فأنا ضال حينئذ، وما أنا من المهتدين الذين استبَنْتُ أحوالَهم وسبلَهم

= الحسن من أبي هريرة، وروى أبـو عبيدة الناجي عن الحسن هذا الحديـث قولـه، ولم يذكر فيـه عن أبي هريـرة عن النبي ﷺ، ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣١٠).

بما تبين لي من سبيل المجرمين وأحوالهم؛ لأنها على الضد من أحوالهم.

وقال الله تعالى بعد ذلك: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾[الأنعام: ٥٧] الآية.

أي: إني على يقين تبين لي من ربي، وحجة واضحة، ودليل قوي ينتهي بي إلى الحق، ويسلك بي الصراط المستقيم، لا على هوى وابتداع، فكيف أتبع سبيلكم، وقد علمت أنها كلها أهواء بما تبين لي من الآيات التي استبنت بها طريق كل فريق، وعرفت بها أحوال أهل الخذلان، وأحوال أهل التوفيق؟

قال القرطبي: وفي معنى هذه الآية ما أنشده مصعب بن عبدالله ابن الزبير لنفسه ـ وكان شاعراً محسناً ـ:

أَأَقْعُدُ بَعْدَما رَجَفَتْ عِظَامِيْ

إلى آخر الأبيات الآتية.

قلت: بل هذه الأبيات أنشدها مصعب متمثلاً، ولم ينشدها لنفسه فيما أخرجه اللالكائي في كتاب «السنة» عن مصعب ـ يعني: الزبيري رحمه الله تعالى ـ قال: ناظرني إسحاق بن أبي إسرائيل، فقال: لا أقول كذا؛ يعني: في القرآن، فناظرته، فقال: لم أقل على الشك، ولكن أسكت كما سكت القوم قبلي، قال: فأنشدته هذا الشعر، فأعجبه، وكتبه، قال: وهو شعر قيل من أكثر من عشرين سنة: [من الوافر]

أَأَقْعُدُ بَعْـدَما رَجَفَـتْ عِظَـامِيْ ... وَكانَ الْمَوْتُ أَقْرَبَ مَـا يَلِيْنِـيْ

أُجـادِلُ كُـلَّ مُعْتَـرِضٍ خَـصِيْمٍ ... فَأَجْعَـلُ دِيْنَـهُ غَرَضـاً لِـدِيْنِيْ

وَأَتْرُكُ ما عَلِمْتُ لِـرَأْيِ غَيْـرِيْ ... وَلَـيْسَ الـرَّأْيُ كَـالْعِلْمِ الْيَقِـيْنِ

وَمَا أَنَا وَالْخُصُوْمَةُ وَهْيَ لَـبْسٌ ... تُصَرِّفُ فِيْ الشِّمالِ وَفِيْ الْيَمِـيْنِ

وَقَـدْ سُـنَّتْ لَنَـا سُـنَنٌ قِـوامٌ ... يَلِجْـنَ بِكُـلِّ فَـجٍّ أَوْ وَجِـيْنِ

وَكـانَ الْحَـقُّ لَـيْسَ بِـهِ خَفـاءٌ ... أَغَـرَّ كَغُـرَّةِ الْفَلَـقِ الْمُبِـيْنِ

وَما عِـوَضٌ لَنـا مِنْهـاجُ جَهْـمٍ ... بِمِنْهـاجِ ابْـنِ آمِنَـةَ الأَمِـيْنِ

فَأَمَّـا مـا عَلِمْـتُ فَقَـدْ كَفـانِيْ ... وَأَمَّـا مـا جَهِلْـتُ فَجَنِّبُـوْنِيْ

فَلَـسْتُ بِمُكْفِـرٍ أَحَـداً يُـصَلِّيْ ... وَلَـمْ أَجْـرِمْكُمُ أَنْ تُكْفِرُوْنِـيْ

وَكُنَّـا إِخْـوَةً نَرْمِـيْ جَمِيْعَـاً ... وَنَرْمِـيْ كُـلَّ مُرْتـابٍ ظَنِـيْنِ

فَما بَـرِحَ التَّكَلُّـفُ أَنْ تَـشاءَتْ ... بِـشَأْنٍ واحِـدٍ فِـرَقُ الـشُّؤُوْنِ

فَأَوْشَـكَ أَنْ يَخِـرَّ عِمَـادُ بَيْـتٍ ... وَيَنْقَطِعَ الْقَرِيْنُ مِـنَ الْقَـرِيْنِ[1]

وهذه الأبيات أتم مما ذكره القرطبي في «تفسيره»[2]، وهي فائدة

---

(١) انظر: «اعتقاد أهل السنة» للالكائي (١/ ١٤٨)، و«تفسير الطبري» (٦/ ٤٨٣)، وقال: أنشده مصعب بن عبدالله بن الزبير لنفسه وكان شاعراً محسناً.

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٦/ ٤٣٨).

زائدة أحببت أن لا يخلو كتابي منها لأنها لا تكاد تعدو مطالبه ومقاصده.

ومما يلائم ما نحن بصدده في هذا المقام قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[النساء: ٢٦].

فقد أراد الله تعالى بإنزال القرآن أن يبين لنا سبيل المتقدمين، ويهدينا سنن الماضين، وما ذاك إلا لنأخذ في مسالك المؤمنين، ونتنزه عن مهالك المشركين، فنتشبه بالمحسنين، ولا نتشبه بالمسيئين، فإنا إذا تشبهنا بالمحسنين من الأمم السالفين فقد استفدنا بتشبهنا بهم فوائد؛ منها حصول ثواب حسن الاقتداء بهم والاتباع، وظفرنا بمحبة الصالحين منهم، وتحرك أرواحنا لما تحركت له أرواحهم.

وإذا عملنا ـ مَعْشَرَ الأمة المحمدية ـ بأعمال الأولين، فقد تضاعفت أجور الأولين بسبب عملنا بأعمالهم؛ لأن «مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً كانَ لَهُ أَجْرُها وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِها إِلَىْ يَوْمِ الْقِيامَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُوْرِهِمْ شَيْئاً»[1]، كما في الحديث الصحيح، فهذه الأمة مفضَّلون على الأمم السالفة؛ لكونهم سبباً في إيصال مثل أجورهم إليهم إذا اقتدوا بأعمالهم، فهم ممدون للأمم السالفة، وإن مضوا من هذه الحيثية.

وعلى هذا يتخرج ما يحكى عن بعض العارفين: أنه زار قبر معروف الكرخي رحمه الله تعالى فقال: رقيتَ ـ أخي معروفاً ـ بزيارتي هذه

(١) رواه مسلم (١٠١٧) عن جرير بن عبدالله ﷺ.

كذا وكذا درجة.

وكأنه استحضر من أعماله وخصاله شيئاً، فتشبه به فيه، أو نوى ذلك، فكتب له أجر عمله أو نيته، وكتب لمعروف مثل أجره.

ومن جملة أعمال الأولياء رضي الله تعالى عنهم زيارة الصالحين ـ أحياءً وأمواتاً ـ فمن زار ولياً زيارة خالصة مقبولة فقد كتب لسائر الأولياء المتقدمين مثل أجره، ومنهم ذلك المزور، فيحصل له الترقية بسبب هذه الزيارة، وهذا غَور من المعرفة لا يهتدي إليه إلا قلوب المحققين.

وإن كانت الترقية حاصلة بين أولياء هذه الأمة من تشبه بعضهم ببعض، فحصولها لصالحي الأمم الماضية بسبب تشبه هذه الأمة لهم أولى، وأقرب، ومن هنا يلوح لك سر قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[الأنعام: ٩٠]، وقوله: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[الأحقاف: ٣٥].

وذلك أن الله تعالى إنما أراد إيصال الخير إليهم، وتكميل أحوالهم بسبب سلوك النبي ﷺ سبيلهم، واقتدائه بهداهم، وفي ذلك إظهار مزية النبي ﷺ، وفضله على سائر من أمر بالاقتداء بهم، وامتيازه عليهم؛ لأنه به حصلت لهم الترقية، وبسببه وصلت إليهم التزكية.

وأيضاً يحصل من النبي ﷺ، ومن أمته لصالحي الأمم السالفة ترقية في المقام بسبب الدعاء الحاصل منهم في صلاتهم وغيرها للصالحين من المتقدمين، والسلام الوارد منهم إليهم في قولهم: «السَّلامُ عَلَيْنا

وَعَلَىْ عِبادِ اللهِ الصَّالِحِيْنَ»[1]، وذلك ـ أيضاً ـ من جملة أفضال هذه الأمة على مَنْ تقدمهم، ومن هداياهم الواصلة إليهم على ممر الأيام والليالي.

ولا شك أن هذا ـ أيضاً ـ من جملة الحِكَم والفوائد التي استودعها الله تعالى في تأخير هذه الأمة عن سائر الأمم.

وفي حديث التشهد الصحيح عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه من رواية ابن أبي شيبة، وغيره: أنه ﷺ قال: «فَإِنَّكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ ـ يَعْنِيْ: قَوْلَهُمْ فِيْ التَّشَهُّدِ: السَّلامُ عَلَيْنا وَعَلَىْ عِبادِ اللهِ الصَّالِحِيْنَ ـ فَقَدْ سَلَّمْتُمْ عَلَىْ كُلِّ عَبْدٍ صالِحٍ فِيْ السَّمَاواتِ وَالأَرْضِ»[2]؛ يعني: من الملائكة والإنس والجن الموجودين والماضين.

ولا شك أن هذا أمر خاص بهذه الأمة مما فضِّلوا به على سائر الأمم، وللمصلي منهم بعدد كل صالح من الملائكة، وكل صالح وصالحة ممن تقدمه من الإنس والجن، وممن هو موجود حين صلاته منهم حسنات؛ لأن السلام على كل واحد منهم حسنة مستقلة.

وفي رواية مسلم: «فَإِذَا قَالَها أَصابَتْ كُلَّ عَبْدٍ صالِحٍ فِيْ السَّماءِ وَالأَرْضِ»[3].

---

(1) رواه البخاري (٧٩٧)، ومسلم (٤٠٢) عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(2) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٨٥)، والبخاري (١١٤٤)، والإمام أحمد في «المسند» (١/ ٤١٣).

(3) رواه مسلم (٤٠٢) عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

وأما إذا امتنعنا عن التشبه بالكفار والفسقة من الأمم المتقدمة فإنا نستفيد من ذلك فوائد أيضاً:

منها: ثواب امتناعنا عن تلك الأفعال والأحوال القبيحة، واستبشاعنا لها، وتنكبنا عنها، وتجنبنا منها، وظفرنا بفضيلة بغض هؤلاء المبغضين الممقوتين في الله تعالى؛ إذ لا يتحقق بغضنا لهم إلا بتجنب أحوالهم، واتقاء أعمالهم، كما لا يتحقق حب الصالحين إلا بالتخلق بأخلاقهم.

ولا شك أن البغض في الله لمن يستحق من أفضل الأعمال، وأحبها إلى الله تعالى.

قال أبو ذر ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّ الأَعْمالِ إِلَىْ اللهِ الْحُبُّ فِيْ اللهِ وَالْبُغْضُ فِيْ اللهِ».

وفي لفظ آخر: «أَفْضَلُ الأَعْمالِ الْحُبُّ فِيْ اللهِ وَالْبُغْضُ فِيْ اللهِ».

رواه باللفظ الأول الإمام أحمد[1]، وباللفظ الثاني أبو داود رحمة الله تعالى عليهما[2].

وروى الإمام أحمد، وغيره عن عمرو بن الجموح رضي الله تعالى عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا يَجِدُ الْعَبْدُ صَرِيْحَ الإِيْمانِ حَتَّىْ يُحِبَّ لِلَّهِ، وَيُبْغِضَ لِلَّهِ، فَإِذا أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ فَقَدِ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٤٦).

(٢) رواه أبو داود (٤٥٩٩). قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ١٤): وفي إسنادهما راو لم يسم.

اسْتَحَقَّ الْوِلايَةَ لِلَّهِ»[1].

وروى في كتاب «الزهـد» عن أبي غالـب رحمـه الله تعـالى قال: بلغنا أن هذا الكلام في وصية عيسى بن مريم عليهما السلام: يا معشر الحواريين! تقربوا إلى الله ببغض أهل المعاصي، وتقربوا إلى الله بالمقت لهم، والتمسوا رضاه بسخطهم، قالوا: يا نبيَّ الله! فمن نجالس؟ قال: جالسوا من يزيد في أعمالكم منطقُهُ، ومن يذكركم بالله رؤيته، ويزهدكم في الدنيا عمله[2].

وهذا ـ أيضاً ـ من جملة فوائـد تأخيـر هذه الأمـة عن الأمم؛ لأن الأمم لما سبرت واستوفيـت قبـل هـذه الأمـة، كـان ذلك سبباً لكثـرة الصالحين وغير الصالحين من المتقدمين، وكلما كثرت أحباب المؤمن من الصالحين ومباغيضه من غيرهم، كان حبه في الله وبغضه في الله أكثر وأعظم، فيزداد أجره، ويعظم ثوابه.

وأيضاً في اجتناب هذه الأمة لأحوال من تقدمهم ممن لا ترضى أفعالهم، ولا أحوالهم حجة بالغة لله تعالى على أولئك المتقدمين، فلله تعالى حق أكيد على هذه الأمة، بل على كل متأخـر أن يجتنب ما ليس

---

(١) رواه الإمام أحمـد في «المسند» (٣/ ٤٣٠)، وابن أبي الدنيا في «الأولياء» (ص: ١٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائـد» (١/ ٨٩): رواه الإمام أحمـد وفيه رشدين بن سعد وهو منقطع ضعيف.

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٥٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٤٤٥) وقال: روي هذا الكلام عن نبينا ﷺ بإسناد ضعيف.

مرضياً لله تعالى من أحوال كل متقدم عليه؛ ليكون ذلك إظهاراً لحجة الله تعالى على ذلك المتقدم، ونصرة لله سبحانه؛ عَمَلاً بقوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾[محمد: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾[الحج: ٤٠].

وتصديقاً له سبحانه في قوله: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَـٰفِرِينَ﴾[الأنعام: ٨٩].

ولقد استنصر الله تعالى على كل متول من هذه الأمة عن أمره، ومعرض عنه منهم بمن يأتي بعده ممن يقوم بأحكامه، ويراعي حق أمره، ونهيه بقوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم﴾[محمد: ٣٨].

وفي هذه الآية إشارة إلى أمرين:

الأول: أنه قد يكون في المتأخرين من هذه الأمة من تقوم الحجة به على بعض المتقدمين لكونه أطوعَ لله منه.

والثاني: أن هذه الأمة لا ينقطع الخير منها إلى يوم القيامة.

وفي حديث عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تَزالُ طائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِيْ ظاهِرِيْنَ عَلَىْ الْحَقِّ حَتَّىْ تَقُوْمَ السَّاعَةُ». رواه الحاكم[1]، وأصله في «الصحيحين» من حديث المغيرة[2] وغيره.

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٨٣٨٩).

(٢) رواه البخاري (٦٨٨١)، ومسلم (١٩٢١)، عن المغيرة رضي الله عنه.

وروى الإمامان مالك، وأحمد، والترمذي وحسنه، عن أنس، والإمام أحمد، والطبراني في «الكبير» عن عمار، والطبراني عن ابن عمر، وابن عمرو، وأبو يعلى عن علي، والرامهرمزي في «الأمثال» عن عثمان رضي الله تعالى عنهم قالوا: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ؛ لا يُدْرَىٰ أَوَّلُهُ خَيْرٌ، أَوْ آخِرُهُ»[1].

ومن قام بهذا المنصب ـ وهو منصب التقوى، واجتناب ما لا يرضى، وهو المعبر عنه في الحديث بالظهور على الحق ـ فقد حُقَّ له إنجاز ما وعده الله تعالى به من رحمته التي وسعت كل شيء في قوله تعالى: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: ١٥٦ ـ ١٥٧] الآية.

فانظر كيف استنصر الله تعالى لهذه الأمة على أمة موسى عليه السلام وباهاهم بهم، وبيَّن أنهم هم المفلحون بقوله آخرَ الآية: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٣٠)، والترمذي (٢٨٦٩) عن أنس رضي الله عنه.

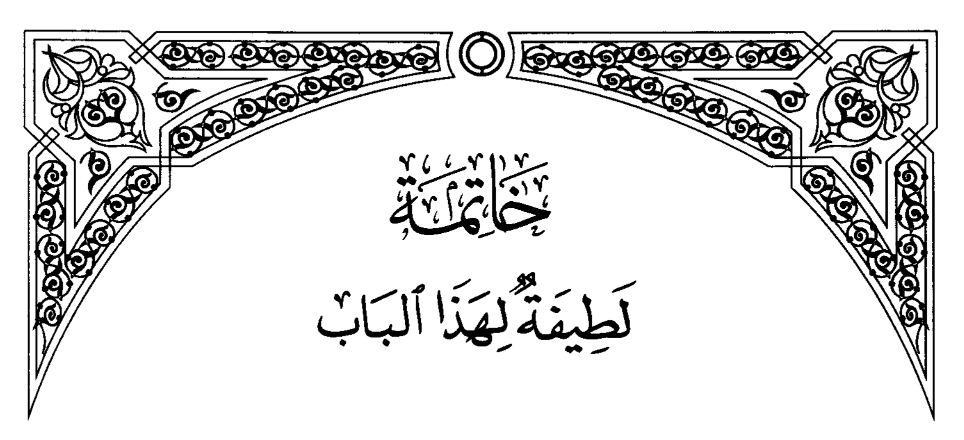
ورواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٦٦٠) عن ابن عمرو. ورواه أبو يعلى في «مسنده» (٣٧١٧) عن أنس رضي الله عنه.

ورواه الرامهرمزي في «الأمثال» (ص: ١٠٦) عن عثمان.

﴿... هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[الأعراف: ١٥٧].

فمن تابع بني إسرائيل، أو غيرهم من الأمم فيما كانوا عليه من المعاصي، ولم يتق الله تعالى، فقد قصر في إظهار الحجة الإلهية عليهم، ولا يؤثر قعوده عن إظهارها في إظهارها شيئاً، غير أنه خذل نفسه بقعوده عن ذلك حتى فاته هذا المقام، وإلا فإن الله تعالى غني عن العالمين؛ ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾[الإسراء: ١١١].

* * *



خاتمة

لطيفة لهذا الباب

معنى قوله تعالى في وصف هذه الأمة في التوراة ـ كما تقدم ـ هم السابقون الآخرون في الزمان، السابقون في الأعمال الصالحة والأحوال الشريفة، وإنما قيد النبي ﷺ السبق في الحديث المتقدم أول الباب بيوم القيامة؛ لأنه ثَمَّ يظهر السَّبق والتقدم، ولقد قلت: [من المتقارب]

إِذَا اشْتَبَهَتْ فِيْ ظَلامِ الدُّجَىْ	أُمُوْرٌ وَلَمْ يَظْهَرِ الْحَقُّ مِنْها
فَعِنْدَ طُلُوْعِ النَّهارِ تَجَلَّتْ	عِياناً وَقَدْ كُشِفَ الرَّيْبُ عَنْها

ويجوز أن يكون معنى سبقهم: أنهم أول من يقضى بينهم من الأمم، ويؤيده ما رواه ابن ماجه رحمه الله تعالى عن أبي هريرة وحذيفة رضي الله تعالى عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «نَحْنُ الآخِرُوْنَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، الأَوَّلُوْنَ يَوْمَ الْقِيامَةِ، الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلائِقِ»[1].

---

(١) رواه ابن ماجه (١٠٨٣)، ورواه أيضاً مسلم (٨٥٦) عن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما.

ثم هم أول الخلائق في القضاء، لا في الحشر؛ بدليل ما صححه الحاكم عن عبدالله بن سَلاَم ﷺ قال: إِذَا كـانَ يَوْمُ الْقِيامَـةِ، يَبْعَثُ اللهُ الْخَلِيْقَةَ أُمَّةً أُمَّةً، وَنَبِيّاً نَبِيّاً، حَتَّىٰ تَكُوْنَ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ آخِرَ الأُمَمِ مَرْكَزاً، ثُمَّ يُوْضَعُ جِسْرٌ عَلَىٰ جَهَنَّمَ، ثُمَّ يُنادِيْ مُنادٍ: أَيْنَ مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُـهُ؟ فَيَقُوْمُ، فَتَتْبَعُهُ أُمَّتُـهُ ـ بَرُّهَـا، وَفاجِرُها ـ، فَيَأْخُذُوْنَ الْجِسْرَ، فَيَطْمِـسُ اللهُ تَعالَىٰ عَلَىٰ أَبْصارِ أَعْدائِهِ، فَيَتَهافَتُوْنَ فِيْها مِنْ شِمالٍ وَيَمِيْنٍ، وَيَنْجُوْ النَّبِـيُّ ﷺ وَالصَّالِحُوْنَ مَعَهُ، مَعَهُمُ الْمَلائِكَةُ تُبَوِّئُهُمْ مَنازِلَهُمْ فِيْ الْجَنَّةِ: عَلَىٰ يَمِيْنِكَ، عَلَىٰ يَسارِكَ، حَتَّىٰ يَنْتَهِيَ إِلَىٰ رَبِّهِ. الحديث[1].

فدل ذلك على أن النبي ﷺ هو وأمته آخر الأمم في البعث والحشر؛ لئلا يطول موقفهم ومشاهدتهم للأهوال، ثم هم أول الأمم في القضاء، فيقضى لهم أول الناس، لتثبت عدالتهم على رؤوس الأشهاد، فتقبل شهادتهم على سائر العباد ـ وهذه نكتة لطيفة جداً ـ وليقضى عليهم يوم القيامة، ويخف هولـه عليهم بقضاء ما بينهم، وليعجـل لهم ثوابهم من الله تعالى؛ لأنهم أشد الأمم شوقـاً إليه، وأتمهم محبة له، وأقواهم إرادة لوجهه تعالى.

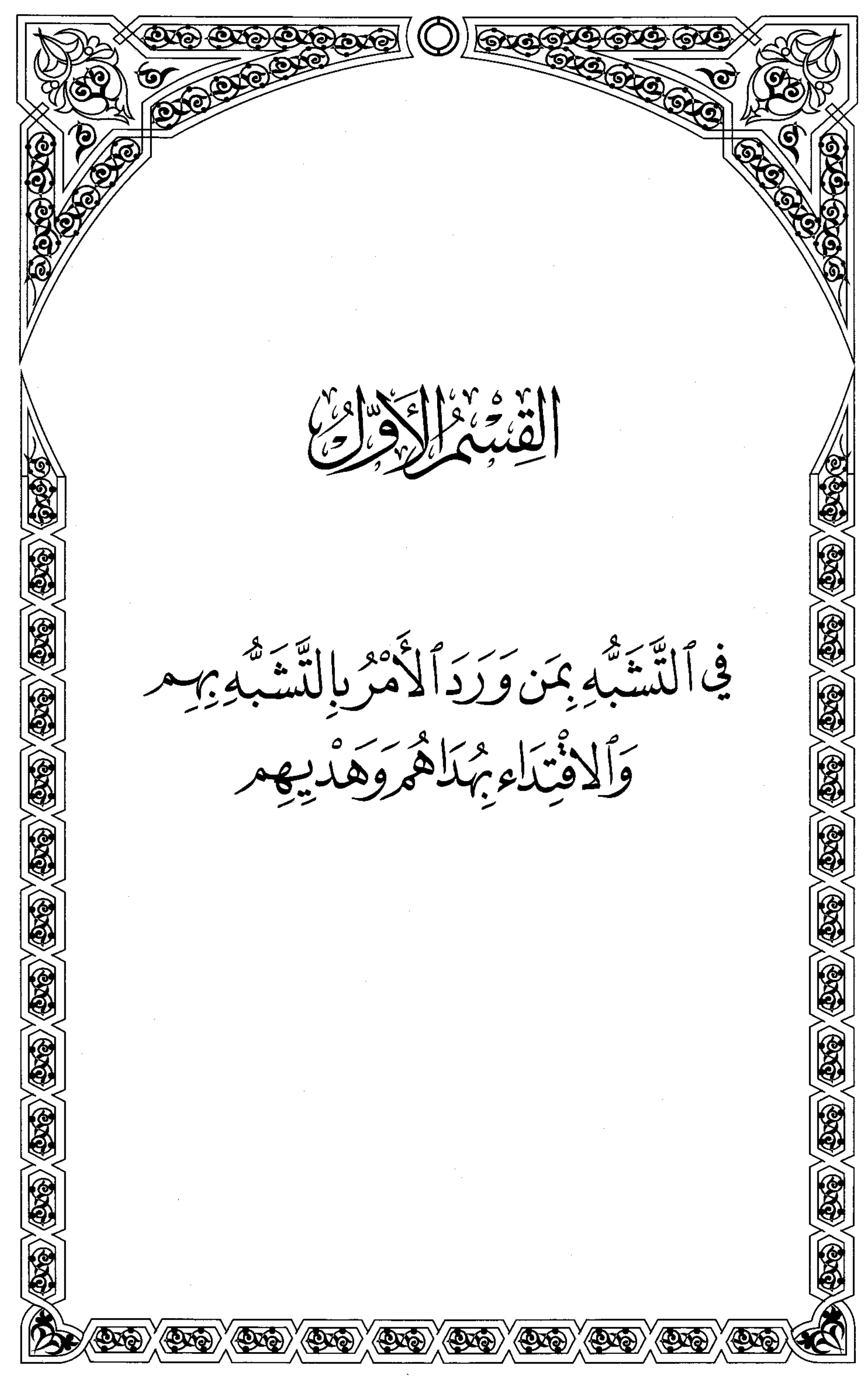
ومن هنا ينبغي أن نشرع في مقصود الكتاب، والله الملهم للصواب.

❑ ❑ ❑

---

(١) رواه الحـاكم في «المسـتدرك» (٨٦٨٩)، والبيهقي في «دلائـل النبـوة» (٥/ ٤٨٥). قال ابن كثير في «النهايـة في الفتن والملاحـم» (٢/ ٢٧٧): هذا موقوف على ابن سلام.





القسم الأول

في التشبه بمن ورد الأمر بالتشبه بهم والاقتداء بهداهم وهديهم





القسم الأول
في التشبه بمن ورد الأمر بالتشبه بهم والاقتداء بهداهم وهديهم

اعلم أن كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ناطقان بالأمر بالتشبه بالأنبياء والملائكة والمقربين والصالحين، وبمدح المتشبهين بهم، والمتبعين لآثارهم وسننهم، وبأن المتشبهين بهم محشورون معهم وفي زمرتهم.

قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ﴾[لقمان: ١٥].

قال قتادة: أي: من أقبل عَلَيَّ. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم[١].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾[النحل: ١٢٣].

قال تعالى ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾[آل عمران: ٩٥].

وقال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾[الحجر: ٩٨]؛ أي: طوعاً، فإن كل شيء يسجد لله طوعاً أو كرهاً، وإنما أمره بالطاعة والاجتناب، لينال جزيل الثواب.

وروى سعيد بن منصور في «سننه»، وابن المنذر في «تفسيره»،

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٧١).

والحاكم في «تاريخه»، وابن مَردويه في «تفسيره»، وأبـو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» عن أبي مسلم الخَـولاني ـ مرسـلاً ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنْ أَجْمَعَ الْمالَ وَأَكُوْنَ مِنَ التَّاجِرِيْنَ، وَلَكِنْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنْ سَبِّحْ بِحَمْـدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِيْنَ، وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىْ يَأْتِيَكَ الْيَقِيْنُ»(1).

وأخرج ابن مردويـه عن ابن مسعود مثله، وعن أبي الدرداء نحوه؛ كلاهما مرفوعاً.

وقـال الله تـعـالـى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[التوبة: ١١٩].

وقـال تعـالـى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ﴾[الصف: ١٤].

أمرهم بالتشبه بالحواريين.

وقال تعالى مُثنياً على عباده الصالحين: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٖ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[الفرقان: ٧٤].

قـال البخـاري رحمـه الله تعـالى: أي: أئمـة نقتـدي بمن قبلنـا،

---

(1) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٣٩١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٣١) عـن أبي مسـلم الخـولاني، والديـلمي في «مسنـد الفـردوس» (٦٢٩٧) عن أبي ذر. قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٤٢٠): رواه ابن «مردويه» في التفسير من حديث ابن مسعود بسند فيه لين.

ويقتدي بنا من بعدنا[1].

وقال الله سبحانه وتعالى ذامًّا من يتبع غير سبيل المؤمنين، متوعداً لهم: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[النساء: ١١٥].

وقد استدل الإمام الشافعي بهذه الآية على كون الإجماع حجة، وإذا أجمع المسلمون على اعتقادٍ أو قول أو فعل من أفعال الطاعة وأقوالها، فقد وجب على كل مسلم أن يتشبه بهم في ذلك الاعتقاد أو الفعل أو القول، وإن خالفهم كان خارقاً للإجماع، فإن كان ذلك مما عُلم من الدين ضرورة كان خرق الإجماع كفراً[2].

وقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[الأحقاف: ٣٥].

وفي أولي العزم أقوال أشهرها[3]:

١ ـ إنهم إبراهيم، وموسى، ونوح، وعيسى عليهم السلام.

٢ ـ ومنها: إنهم إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ونوح، وداود، وسليمان، وأيوب، ويوسف، وموسى، وهارون، وزكريا، ويحيى، وعيسى، وإلياس، وإسماعيل، واليسع، ويونس، ولوط عليهم السلام.

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» (٦/ ٢٦٥٤).

(٢) انظر: «الرسالة» للإمام الشافعي (ص: ٤٧١) وما بعدها.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢/ ٢٥).

لأن الله تعالى ذكرهم في سورة الأنعام، وأثنى عليهم، ثم قال تعالى ﴿ذَٰلِكَ﴾[الأنعام: ٨٨]. أي: ما دان به هؤلاء الأنبياء عليهم السلام: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾[الأنعام: ٨٨ ـ ٩٠].

فأمر الله تعالى نبيه ﷺ بالاقتداء بهداهم.

وأما قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾[القلم: ٤٨]، فهو نهي عن التشبه به في أمر خاص، وهو لا ينافي التشبه به في سائر أنواع الهدى.

قال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾[القلم: ٤٨]: لا تعجل كما عجل، ولا تغاضب كما غاضب. رواه الإمام أحمد في «الزهد»، وغيره[١].

ثم المشار إليهم بقوله تعالى: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾[الأنعام: ٨٩].

قال ابن عباس: هم أهل مكة[٢].

وقيل: هم قريش.

---

(١) ورواه الطبري في «التفسير» (٢٩/ ٤٥).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٤/ ١٣٣٨).

وقيل: كفار عصره ﷺ[1].

وقوله: ﴿بِهَا﴾، بالثلاثة المذكورة؛ وهي: الكتاب والحكم والنبوة.

أو المراد بها: الشرائع التي دان بها هؤلاء الأنبياء عليهم السلام؛ أي: ما اجتمعوا عليه من الملة، وهي أصول التوحيد.

وقوله: ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا﴾[الأنعام: ٨٩] أي: بحفظها، ودعايتها، والعمل بها، والإيمان بها.

والمراد بالتوكيل التوفيق لهذه الأمور قوماً ليسوا بها بكافرين.

قال ابن عباس: هم الأنصار. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم[2].

وروى نحوه عبد بن حميد عن سعيد بن المسيِّب.

وقيل: هم والمهاجرون.

وقال قتادة: هم النبيون الثمانية عشر الذين قص الله تعالى على نبيه ﷺ. رواه عبد الرزاق، وابن أبي حاتم، وغيرهما[3].

وقيل: غيرهم من الأنبياء ليقتدوا بهم، ويدل عليه قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ

---

(١) انظر هذه الأقوال وغيرها في: «تفسير ابن أبي حاتم» (٤/ ١٣٣٨)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (٣/ ٨١).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (٧/ ٢٦٤)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٤/ ١٣٣٩).

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (٧/ ٢٦٤) ورجح هذا القول، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٤/ ١٣٣٩).

﴿ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[الأنعام: ٩٠].

وقال أبو رجاء: هم الملائكة. رواه ابن أبي شيبة، وابن أبي حاتم، وغيرهما[١].

وعلى هذين القولين فالأنبياء، والملائكة عليهم السلام مأمورون بالتشبه بالصالحين، موكلون بالاستنان بسنتهم.

وقال بعضهم: هو عام في كل مؤمن من الإنس والجن والملائكة[٢].

فكلهم على هذا موكلون بإقامة سنة هؤلاء الأنبياء عليهم السلام من أصول التوحيد، ومكارم الأخلاق.

وهذا هو المختار عندي.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾[الأنعام: ٩٠].

وصفهم بالهدى بعد أن وصف دينهم بأنه هدى الله، تأكيداً ومبالغة في تصديقهم، وتحريضاً على الاقتداء بهم؛ حيث ذيَّل وصفهم بالهدى، وبأن الله هداهم؛ أي: تولى هدايتهم بنفسه بالأمر بالاقتداء بهم، حيث يقول: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[الأنعام: ٩٠].

والاقتداء: موافقة المقتدى بـه في أفعاله، وأقواله، وهو معنى التشبه بـه.

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٧/ ٢٦٤)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٤/ ١٣٣٩).

(٢) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٧/ ٣٥).

وقد استدل بعض العلماء بهذه على وجوب اتباع شرائع الأنبياء عليهم السلام فيما عدم فيه النص، كما في «صحيح مسلم»، وغيره أن ابنة الرَّبِيع أم حارثة جرحت إنساناً، فاختصموا إلى النبي ﷺ، فقال: «الْقِصاصُ الْقِصاصُ»، فقالت أم الربيع: أَيقتصُّ من فلانة! والله لا يقتصُّ منها، فقال النبي ﷺ: «سُبْحَانَ اللهِ يَا أُمَّ الرَّبِيْعِ الْقِصَاصُ كِتابُ اللهِ»، قالت: والله لا يقتصُّ منها أبداً، فما زالوا حتى قَبِلَ الدِّية، فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ عِبادِ اللهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَىْ اللهِ لأَبَرَّهُ»[1].

فأحال ﷺ على قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾[المائدة: ٤٥] إلى قوله: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾[المائدة: ٤٥].

وليس في كتاب الله تعالى نص على القصاص في السِّن إلا في هذه الآية، وهي خبر عن شرع التوراة، ومع ذلك فحكم بها، وأحال عليها؛ ذكره القرطبي، ثم قال: وإلى هذا ذهب معظم أصحاب مالك، وأصحاب الشافعي.

قال: وخالف في ذلك كثير من أصحاب مالك، وأصحاب الشافعي، والمعتزلة؛ لقوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[المائدة: ٤٨].

---

(١) رواه البخاري (٢٥٥٦)، ومسلم (١٦٧٥) واللفظ له، قال ابن الأثير في «جامع الأصول» (١٠/ ٢٧١): هذا الحديث أخرجه الحميدي في المتفق، وكأن كل واحد من روايتي البخاري ومسلم منفردة، ـ وذكر الاختلاف ثم قال: ـ وهذا اختلاف كثير وحيث جعلهما حديثاً واحداً اتبعناه.

وقال: وهذا لا حجة فيه؛ لأنه يحتمل التقييد إلا فيما نص عليكم من الأخبار عنهم مما لم يأت في كتابكم[1].

قال في «صحيح البخاري»: عن العوام قال: سألت مجاهد عن سجدة (صٓ)، فقال: سألت ابن عباس رضي الله عنهما قال بعد أن قرأ: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ﴾[الأنعام: ٨٤] إلى قوله: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[الأنعام: ٩٠]: فكان داود عليه السّلام ممن أمر بالاقتداء به[2]. انتهى.

وقال القاضي ناصر الدين البيضاوي رحمه الله تعالى: والمراد بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد، وأصول الدين دون الفروع المختلف فيها؛ فإنها ليست هدى مضافاً إلى الكل، ولا يمكن التأسي بهم جميعاً فيها، فليس فيه دليل على أنه عليه السلام متعبّد بشرع من قبله[3].

وقال شيخ الإسلام الوالد رحمه الله تعالى موضحاً لكلام القاضي، وزائداً عليه: [من الرجز]

فَبُهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ يُرِيْدُ مَا ... تَوَافَقُوْا عَلَيْهِ مِمَّا جَزَمَا
بِهِ مِنَ التَّوْحِيْدِ وَالأُصُوْلِ ... لِلدِّيْنِ لا التَّحْرِيْمِ وَالتَّحْلِيْلِ
فِيْ أَكْثَرِ الأَشْيَا أَوِ الْفُرُوْعِ ... فَلا تَوَافُقٌ مِنَ الْجَمِيْعِ

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٧/ ٣٦ - ٣٧).

(٢) رواه البخاري (٤٥٩٢).

(٣) انظر: «تفسير البيضاوي» (٢/ ٤٢٨).

فَلَيْسَ ذلكُم[1] هُدَىً يُضافُ ... لِلْكُلِّ إِذْ حَصَلَ الاخْتِلافُ
وَلَمْ تَصِرْ مِنْ بَعْدِ نَسْخِها هُدَىْ ... وَلَيْسَ نَسْخٌ فِيْ الأُصُوْلِ أَبَدَا
وَلَيْسَ فِيْ ذَلِكَ أَنَّ أَحْمَدَا ... بِشَرْعِ مَنْ سَبَقَهُ تُعُبِّدَا
نَعَمْ يَدُلُّ أَنَّهُ تَفَضَّلا ... عَلَىْ الْجَمِيْعِ فَإِلَهُنا عَلا
فَرَّقَ أَوْصافَ الْكَمالِ وَالشَّرَفْ ... فِيْهِمْ وَكُلُّها بِهِ قَدِ ائْتَلَفْ
دَاوُدُ كَابْنِهِ سُلَيْمانَ شَكُوْرْ ... أَيُّوْبُ فِيْ الْمِحْنَةِ وَالْبَلا صَبُوْرْ
يُوْسُفُ جامِعٌ لِذَيْنِ مُوْسَىْ ... مَعْ مُعْجِزَاتٍ جَمَعَ النَّامُوْسا
وَشِرْعَةً وَزَكَرِيَّا وَالَّذِينْ ... مِنْ بَعْدِهِ ذَوُوْ زَهَادَةٍ وَدِيْنْ
وَكانَ إِسْماعِيْلُ صادِقَ الْمَقالْ ... يُوْسُفُ ذَا ضَراعَةٍ عِنْدَ السُّؤَالْ
وَأُمِرَ الْهادِيْ بِأَنْ يَقْتَدِيا ... بِهِمْ وَقَطْعاً إِنَّهُ لَنْ يَنِيَا
فِيْما بِهِ أَمَرَهُ اللهُ عَلا ... فَجَمَعَ الأَوْصافَ فِيْهِمْ كُمَّلا
وَكانَ جامِعاً لِما تَفَرَّقا ... مِنْ مُوْجِبِ الْكَمالِ فِيْهِمْ مُطْلَقا
وَحَيْثُ كانَ الأَمْرُ هَكَذا فَلا ... شَكَّ بِأَنَّهُ عَلَيْهِمْ فُضِّلا

وقد تبين بذلك أن الأنبياء عليهم السلام متوافقون في أصل التوحيد والاعتقادات، وكذلك في محاسن الأخلاق، ولطائف الآداب، ولذلك قال ﷺ: «الأَنْبِياءُ أَوْلادُ عَلاَّتٍ؛ أُمَّهاتُهُمْ شَتَّى، وَدِيْنُهُمْ واحِدٌ»،

---

(١) في «أ»: «ذلك».

كما في «الصحيح»[1].

والمراد: أن دينهم واحد من حيث أصل التوحيد، والتخلق بمكارم الأخلاق، والتأدب بمحاسن الآداب، وإلا فإنهم مختلفون في الشرائع، وكل نبي فشريعته ناسخة لما خالفها من شريعة من قبله، ومهما كانت الشريعة منسوخة لم يكن اتباعها في محل النسخ هدى ـ كما أشار إليه الشيخ الوالد رضي الله تعالى عنه في كلامه المذكور آنفاً ـ، وما أشار إليه في كلامه المتقدم ـ أيضاً ـ من أن أوصاف الكمال، ومحاسن الخصال لما كانت مُفَرَّقَة في الأنبياء عليهم السلام أراد الله تعالى أن يستتمها النبي ﷺ ليكون أكملهم، وأفضلهم، فأمر بالاقتداء بهم في جميعها.

هذا من أحسن ما يقال في هذا المقام.

وممَّا يدل عليه قوله ﷺ: «بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ». رواه الإمام أحمد، وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، وصححه الحاكم[2].

ورواه البخاري في «الأدب المفرد»، والحاكم ـ وصححه أيضاً ـ،

---

(١) رواه البخاري (٣٢٥٩) واللفظ له، ومسلم (٢٣٦٥).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٣٨١) بلفظ: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»، والذي رواه باللفظ الذي ذكره المؤلف: البزار في «المسند» (٨٩٤٩)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ١٥): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ورواه البزار إلا أنه قال: «لأتمم مكارم الأخلاق» ورجاله كذلك غير محمد بن رزق الله الكلوذاني وهو ثقة.

والبيهقي بلفظ: «إِنَّما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صالِحَ الأَخْلاقِ»[1]؛ أي: لأستتمها.

أو نقول: في الحديث إشارة إلى أن مكارم الأخلاق ـ وإن كانت قد تخلق بها الأنبياء قبل النبي ﷺ كاحتمال نوح ويوسف، وصبر أيوب ويعقوب وزكريا، وسخاء إبراهيم، وشجاعة موسى، وحلم هارون عليهم السلام إلا أن الأخلاق الكريمة لم تتم إلا بمحمد ﷺ، ومعلوم أنها لم تتم بـه حتى تمت لـه، وما تممها لغيره حتى استتمها لنفسه؛ إذ محال أن يأمر نبيٌّ ببر لا يعمل به.

وكذلك قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم: ٤].

ويوضح ما حررناه في ذلك: ما رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» من طريق جابر رضي الله تعالى عنـه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ بَعَثَنِيْ بِتَمامِ مَكارِمِ الأَخْلاقِ، وَكَمالِ مَحاسِنِ الأَعْمالِ»[2]، فقد علمت أن النبي ﷺ حيث استتم محاسن الأخلاق، وأتمها لأمته بما أمره الله تعالى بـه من الاقتداء بهـدى الأنبياء عليهم السلام وبما زاده عليهم من الأخلاق والآداب والشرائع، فقـد صار بذلك أكمل الأنبياء وأفضلهم، وصارت أمته أفضل الأمم وأتمهم شريعة، كما قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للناس﴾[آل عمران: ١١٠].

---

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٣)، والحاكم في «المستدرك» (٤٢٢١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ١٩٢).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٨٩٥)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٨٨): فيه عمر بن إبراهيم القرشي وهو ضعيف.

فمن اقتدى به ﷺ وتشبه به فقد اكتفى عن التشبه بغيره؛ لأنه هو الإنسان الكامل، الجامع لجميع متفرقات الكمالات والفضائل، ومن تشبه بأحد ممن أمر بالتشبه بهم من الأنبياء والصالحين في خصلة من خصال الخير، ومكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب، فهو متشبه بالنبي ﷺ لما علمت من أن الأخلاق الكريمة قد اجتمعت كلها فيه، وتممت له وبه ﷺ، فهو بهذا الاعتبار مرآة الوجود التي يتمثل فيها جميع ما في الوجود من الأخلاق السَّنِية، والأوصاف الزكية، وكما قال البوصيري في «الهمزية» رحمه الله تعالى: [من الخفيف]

كَيْفَ تَرْقَى رُقِيَّكَ الأَنْبِيَاءُ
يَا سَمَاءً مَا طَاوَلَتْهَا سَمَاءُ

لَمْ يُسَاوُوْكَ فِيْ عُلاكَ وَقَدْ حَا
لَ سَنا مِنْكَ دُوْنَهُمْ وَسَنَاءُ

إِنَّمَا مَثَّلُوْا صِفَاتِكَ لِلنَّا
سِ كَمَا مَثَّلَ النُّجُوْمَ الْمَاءُ

أَنْتَ مِصْباحُ كُلِّ فَضْلٍ فَما تَصْدُ
رُ إِلاَّ عَنْ ضَوْئِكَ الأَضْوَاءُ

وحيث كان الأمر كذلك، فقد كان ينبغي أن لا يهتم بالأمر بالتشبيه بغيره ﷺ، ولكن جاء الكتاب والسنة بالإرشاد إلى التشبه بمن نحن

ذاكروهم في هذا الكتاب، على طريقة التنويع في التشريع والإرشاد، والتوسيع في الطرق الموصلة إلى الخير والسداد، وأشارت إلى غَور بعيد من المعرفة، وهو أن الطرق ـ وإن تعددت ـ فإنها راجعة إلى طريقة واحدة، وهي طريقته ﷺ، وكأن سائر الطرق والشرائع، وجميع السبل والمشارع سواقٍ وجعافر[1]، وأنهار وغدائر، آخذة من البحر المحيط، راجعة إليه، صادرة عنه، واردة عليه، كما قال في البردة: [من البسيط]

وَكُلُّهُـمْ مِـنْ رَسُـوْلِ اللهِ مُلْـتَمِسٌ
غَرْفاً مِـنَ الْبَحْـرِ أَوْ رَشْـفاً مِـنَ الـدِّيَمِ

ولا شك أن المتشبه بالأخيار والصالحين مقتبس من أنوارهم، مغترف من فيض بحارهم، ورُبَّ ضعيف يمنعه هول البحار، واختلاف أمواجها من الاستقاء منها، والارتواء من مائها، فإذا ورد ماء السواقي ظفر منها بالريِّ من نبعها، والبَلال من جرعها، ورُبَّ ضعيف عن احتمال أشعة الأنوار المحمديَّة، وشهب الأضواء المصطفويَّة يأتي إليه نصيبه منها على يدي بعض الورثة من العلماء والصلحاء، فلو حجر عليه أن لا يتلقى إلا من قِبَلِهِ ﷺ لضاق به الفضاء، وعاد من البحر المحيط بلا ارتواء.

ونظير ذلك أن الخفاش لضعف بصره لا يبصر في ضوء الشمس والقمر، ويبصر في الأضواء الضعيفة المستمدة من بعض الكواكب، أو

---

(١) الجعفر: النهر الكبير الواسع.

ما بقي في أطراف الليل من أنوار الشمس.

فكان التشبه بالصالحين والأخيار وسيلة موصلة للضعفاء إلى التشبه بالنبي ﷺ.

وأيضاً لا شك أن الداعي للعبد إلى التشبه بالصالحين إنما هو محبتهم، وانجذاب روحه إلى أرواحهم، وتحرك قلبه لما تحركت له قلوبهم، ورُبَّ روح تنجذب إلى بعض الصالحين دون بعض لمجانسة ظاهرة أو باطنة، ومشاكلة بادية أو كامنة، وتضعف عن الانجذاب إلى الروح المحمديَّة بلا واسطة لكمال نورها وقوة سلطانها في ظهورها[1]، فورد الشرع بالإرشاد إلى التشبه بالصالحين ليكون وسيلة للضعفاء إلى التشبه به ﷺ، وإلى انجذاب أرواحهم إلى روحه، فلا يعودون منه بغير حظ، ولا يَرِدون الآخرة بلا نصيب.

وفي التشبه بهم ـ أيضاً ـ إيصال الخير إلى الوسائط مع حصول الغرض الأعظم بالتشبه بهم، وهو التخلق بالأخلاق المحمدية، والاتصاف بالأوصاف الأحمدية؛ لما علمت من أن التشبه بهم راجع إلى المُتَشَبَّه به ﷺ.

* * *

---

(١) النبي ﷺ هو الإنسان الذي اختاره الله تعالى ليكون قدوة لكل المؤمنين دون استثناء، ولا بأس بالاقتداء بغيره من الأنبياء والصالحين، فالجميع مؤتم به ﷺ، وهو عليه الصلاة والسلام الإمام.



فَصْلٌ

قد ذكرنا من الآيات الواردة في الإرشاد إلى التشبه بالصالحين ما تيسر إيراده، وأما الأحاديث الواردة في ذلك فكثيرة جداً، وأكثرها مما صح، أو حَسُنَ إسناده.

فمن ذلك ما روى أبو داود، والترمذي ـ وقال: حسن صحيح ـ، وابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه»، والشيخ نصر المقدسي في كتاب «الحجة»، واللالكائي في «السنة»، وغيرهم عن العِرْباض بن سَارية رضي الله تعالى عنه قال: وَعَظَنا رسولُ الله ﷺ موعظة وَجِلت منها القلوب، وذَرَفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله! كأنها موعظة مُودِّع، فأوصنا، قال: «أُوْصِيْكُمْ بِتَقْوَىْ اللهِ، وَالسَّمْعِ، وَالطَّاعَةِ ـ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ ـ، وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَىْ اخْتِلافاً كَثِيْراً، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِيْ، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِيْنَ الْمَهْدِيِّيْنَ؛ عَضُّوْا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُوْرِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»[1].

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٤٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٥)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١/ ٢٢).

وروى مسلم عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقـول: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيْـثِ كِتَـابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُوْرِ مُحْدَثَاتُها، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ ضَلالَةٌ»[1].

والهدي هو: المذهب، والطريقة.

وروى الشيخان عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما: أن النبي ﷺ قال له: «بَلَغَنِيْ أَنَّكَ تَصُوْمُ النَّهارَ، وَتَقُوْمُ اللَّيْلَ، فَلا تَفْعَلْ؛ فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَلِعَيْنَكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، صُمْ وَأَفْطِرْ، صُمْ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ فَذَلِكَ صَوْمُ الدَّهْرِ»، فقلت: يا رسول الله! إن لي قوة، فقال: «فَصُمْ صَوْمَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلامُ صُمْ يَوْماً، وَأَفْطِرْ يَوْماً»، وكان يقول: يا ليتني أخذت بالرخصة[2].

ورويا عنـه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَىْ اللهِ صِيامُ دَاوُدَ، وَأَحَبُّ الصَّلاةِ إِلَىْ اللهِ صَلاةُ دَاوُدَ؛ كانَ يَنامُ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَيَقُوْمُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَكانَ يُفْطِرُ يَوْماً، وَيَصُوْمُ يَوْماً»[3].

وروى البخاري، وغيره عن المقـدام بن مَعْـدِي كَـرب رضي الله تعـالى عنـه، عن النبي ﷺ قـال: «مَـا أَكَـلَ أَحَـدٌ طَعَـامـاً قَـطُّ خَيْـراً مِـنْ أَنْ يَـأْكُـلَ مِـنْ عَـمَـلِ يَـدِهِ، وَإِنَّ نَبِـيَّ اللهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّـلامُ كانَ يَأْكُـلُ

---

(١) رواه مسلم (٨٦٧).

(٢) رواه البخاري (١٨٧٨)، ومسلم (١١٥٩) واللفظ له.

(٣) رواه البخاري (١٠٧٩)، ومسلم (١١٥٩).

مِنْ عَمَـلِ يَـدِهِ»[1].

وروى ابن ماجه، والحاكم ـ وقال: صحيح الإسناد، واعْتُرِضَ في تصحيحه ـ عن زيـد بن أرقم ﷺ قال: قال أصحاب رسول الله ﷺ: يا رسول الله! ما هذه الأضاحي؟ قال: «سُنَّةُ أَبِـيْكُمْ إِبْراهِيْمَ عَلَيْهِ السَّلامُ»، قالوا: فما لنا فيها يا رسـول الله؟ قال: «بِكُلِّ شَعْرَةٍ حَسَنَـةٌ»، قالوا: فالصوف؟ قال: «بِكُلِّ شَعْرَةٍ مِنَ الصُّوْفِ حَسَنَةٌ»[2].

وروى الإمام أحمد، والبخاري عن سَلَمة بن الأَكْـوع رضي الله تعالى عنه، والحاكم عن أبي هريرة ﷺ قالا: قال رسول الله ﷺ: «ارْمُوْا بَنِيْ إِسْماعِيْلَ؛ فَإِنَّ أَباكُمْ كانَ رامِياً»[3].

وروى الإمام أحمـد، والترمـذي وحسنـه، وغيـرهمـا عن أبي أيوب ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «أَرْبَـعٌ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِيْنَ؛ الْحَيـاءُ، وَالتَّعَطُّرُ، وَالنِّكاحُ، وَالسِّواكُ»[4].

وروى أبـو عوانـة، وغيـره ـ بإسناد صحيح ـ في كتـاب عمـر بن الخطاب ﷺ إلى عتبة بن فَرقـد ـ وهـو أميـر الجيش بأذربيجان ـ قال:

---

(١) رواه البخاري (١٩٦٦).

(٢) رواه ابن ماجه (٣١٢٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٦٧)، ونقل البيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٢٦١): أن البخاري قال: عائذ الله المجاشعي عن أبي داود، روى عنه سلام بن مسكين، لا يصح حديثه.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٥٠)، والبخاري (٢٧٤٣).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٤٢١)، والترمذي (١٠٨٠) وحسنه.

أَمَّا بَعْـدُ فَاتَّزِرُوْا، وَارْتَدُوْا، وَأَلْقُـوْا الْخِفافَ، وَالسَّـراوِيْلاتِ، وَعَلَيْكُمْ بِلِباسِ أَبِـيْكُمْ إِسْماعِيْلَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَعُّمَ، وَزِيَّ الأَعَاجِمِ[1].

وروى الإمـام ابن أبي حاتم الـرازي، ومحيي السنـة البغـوي في «تفسيريهما» عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ظَلَّ رسول الله ﷺ صائمـاً، ثم طوى، ثم ظل صائمـاً، ثم طـوى، ثم ظل صائمـاً، قالَ: «يا عائِشَةُ! إِنَّ الدُّنْيا لا تَنْبَغِيْ لِمُحَمَّـدٍ، وَلا لآلِ مُحَمَّـدٍ، إِنَّ اللهَ لَمْ يَرْضَ مِنْ أُوْلِيْ الْعَـزْمِ مِنَ الرُّسُـلِ إِلاَّ بِالصَّبْرِ عَلَىْ مَكْـرُوْهِهـا، وَالصَّبْـرِ عَنْ مَحْمُـوْدِها، وَلَمْ يَرْضَ مِنِّيَ إِلاَّ أَنْ يُكَلِّفَنِيْ ما كَلَّفَهُمْ؛ قالَ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[الأحقاف: ٣٥]، وَإِنِّيْ لا بُدَّ لِيْ مِنْ طاعَتِـهِ، وَإِنِّيْ ـ وَاللهِ ـ لأَصْبِـرَنَّ كَمَا صَبَرُوْا جُهْدِيَ، وَلا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ»[2].

وروى مسـلم، والترمـذي عن أبي هـريـرة رضي الله تعـالى عنـه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَـلُ إِلاَّ طَيِّبـاً، وَإِنَّ اللهَ أَمَـرَ الْمُؤْمِنِيْنَ بِما أَمَـرَ بِـهِ الْمُرْسَلِيْنَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[المؤمنون: ٥١]، وَقالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

---

(١) رواه أبو عوانة في «المسند» (٨٥١٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٤٥٤)، وصححه النووي في «شرح مسلم» (١٤/ ٤٧).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣٢٩٧)، والبغوي في «التفسير» (٤/ ١٧٦). قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١١/ ١١٠٣): مجالد ـ يعني: ابن سعيد ـ مختلف في الاحتجاج به.

ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾[البقرة: ١٧٢]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَىْ السَّماءِ: يا رَبِّ، يا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرامِ، فَأَنَّىْ يُسْتَجابُ لِذَلِكَ!»[١].

وهذا الحديث نص أن الله تعالى أوجب على المؤمنين أن يقتدوا بالمرسلين في أكل الطيب ـ وهو الحلال ـ وأن يتشبهوا بهم في ذلك، وفي العمل الصالح أيضاً.

وروى أبو داود، والنسائي عن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما: أن رجلاً قال: يا رسول الله! إن المؤذنين يفضلوننا، فقال رسول الله ﷺ: «قُلْ كَما يَقُوْلُوْنَ، فَإِذا انْتَهَيْتَ فَسَلْ تُعْطَهْ»[٢].

وروى أبو داود، والحافظ ضياء الدين في «الأحاديث المختارة» عن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَيَعْجَزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُوْنَ كَأَبِيْ ضَمْضَمَ! كانَ إِذا خَرَجَ مِنْ مَنْزِلِهِ قالَ: اللَّهُمَّ إِنِّيْ قَدْ تَصَدَّقْتُ بِعِرْضِيَ عَلَىْ عِبادِكَ»[٣].

---

(١) رواه مسلم (١٠١٥)، والترمذي (٢٩٨٩).

(٢) رواه أبو داود (٥٢٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٩٨٧٢)، وصححه ابن القيم في «جلاء الأفهام في الصلاة على خير الأنام» (ص: ٣٧٣).

(٣) رواه أبو داود (٤٨٨٧)، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٥/ ١٥٠) وقال: رجاله ثقات وإرساله أصح.

ورواه البزار، وابن السُّنيِّ، ولفظه: «أَيَعْجَزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُوْنَ كَأَبِيْ ضَمْضَمَ؟» قالوا: ومن أبو ضمضم يا رسول الله؟ قال: «كانَ إِذَا أَصْبَحَ قالَ: اللَّهُمَّ إِنِّيْ قَدْ وَهَبْتُ نَفْسِيَ وَعِرْضِيَ لَكَ، فَلا يَشْتُمُ مَنْ شَتَمَهُ، وَلا يَظْلِمُ مَنْ ظَلَمَهُ، وَلا يَضْرِبُ مَنْ ضَرَبَهُ»[1].

وفي رواية قيل: ماذا كان يصنع أبو ضمضم؟ قال: «كانَ رَجُلاً مِمَّنْ كانَ قَبْلَنا إِذا أَصْبَحَ قالَ: اللَّهُمَّ إِنِّيْ قَدْ تَصَدَّقْتُ الْيَوْمَ بِعِرْضِيَ عَلَىْ مَنْ ظَلَمَنِيْ؛ فَمَنْ ضَرَبَنِيْ لا أَضْرِبُهُ، وَمَنْ شَتَمَنِيْ لا أَشْتُمُهُ، وَمَنْ ظَلَمَنِيْ لا أَظْلِمُهُ»[2].

وروى الإمام أحمد، والترمذي وحسنه، وابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه» عن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ، فقال: «إِنِّيْ لا أَدْرِيْ ما قَدْرُ مُقامِيَ فِيْكُمْ، فَاقْتَدُوْا بِالَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِيَ - وأشار إلى أبي بكر، وعمر رضي الله تعالى عنهما - وَاهْتَدُوْا بِهَدْيِ عَمَّارَ، وَما حَدَّثَكُمُ ابْنُ مَسْعُوْدٍ فَصَدِّقُوْهُ»[3].

وروى البخاري، وغيره عن عبد الرحمن بن زيد قال: سألنا

---

(١) رواه البزار في «المسند» (٧٢٦٩)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٦٠) واللفظ له. وضعفه العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٨٢٥).

(٢) رواه الطبراني في «مكارم الأخلاق» (ص: ٦٤).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٣٢٤)، والترمذي (٣٧٩٩) وحسنه، وابن ماجه (٩٧) مختصراً، وابن حبان في «صحيحه» (٦٩٠٢).

حذيفة رضي الله عنه عن رجل قريبِ السَّمْتِ والهَدْي من النبي ﷺ حتى نأخذ عنه، فقال: ما أعلم أحداً أقـربَ سمتاً، وهديـاً، ودَلاًّ بالنبي ﷺ من ابـن أُمِّ عبَد[1].

يعني: عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

والسَّمت: حسن الهيئة.

والهدي: المذهب، والطريقة.

والدَّل: الشكل والشمائل ـ كما أفاد شيخ الإسلام الوالد رحمه الله تعالى في معاني الألفاظ الثلاثة، وقرأته بخطه ـ.

وروى أبو الفرج بن الجوزي في «صفة الصفوة» عن مالك بن أنس رحمه الله تعالى قال: لم يكن في زمان سالم بن عبدالله ـ رضي الله تعالى عنه وعن أبيه وجده ـ أشبه بمن مضى من الصالحين في الزهد والقصد والعيش منه؛ كان يلبس الثوب بدرهمين، ورآه سليمان بن عبد الملك، ورآه حسن السَّحَنة[2]، فقال له: أي شيء تأكل؟ قال: الخبز والزيت، وإذا وجدت اللحم أكلته، قال له: أوتشتهيه؟ قال: إذا لم أشتهه تركته حتى أشتهيَه[3].

---

(1) رواه البخاري (٣٥٥١) واللفظ له، والترمذي (٣٨٠٧).

(2) السحنة: لين البشرة والنعمة، وقيل الهيئة واللون. انظر: «المحكم» لابن سيده (٣/ ١٩٩) (مادة: سحن).

(3) رواه ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٩٠).

وروى أبو نعيم في «الحلية» في مناقب علقمة بن قيس النخعي رحمه الله تعالى: أن أبا معمر قال: دخلت على عمرو بن شرحبيل، فقال: انطلقوا بنا إلى أشبه الناس هدياً وسمتاً بعبدالله بن مسعود ﷺ، قال: فدخلنا على علقمة[1].

وروى ـ أيضاً ـ عن أبي عبيدة بن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: كان الربيع بن خُثَيم إذا دخل على عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنهما لم يكن عليه إذن لأحد حتى يفرغ كل واحد من صاحبه، قال: فقال عبدالله: يا أبا يزيد! لو رآك رسول الله ﷺ لأحبَّك، وما رأيتُك إلا ذكرتُ المُخْبتينَ[2].

أي: لِمَا أَراه منك من تحلِّيك بحُلاهم من الوَجَل، والصبر، وملازمة الصلوات، والإنفاق مما رزقت، كما قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[الحج: ٣٤ ـ ٣٥].

وقال ابن عباس[3]، وقتادة[4]: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾[الحج: ٣٤]: المتواضعين.

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٩٨)، ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٨٩٦).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٠٦).

(٣) انظر «تفسير الثعلبي» (٧/ ٢٢).

(٤) رواه الطبري في «التفسير» (١٧/ ١٦١).

وقال مجاهد: المطمئنين إلى الله[1].

وقال عمرو بن أويس: الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا[2].

فانظر كيف أثنى ابن مسعود ﷺ على الربيع بن خُثَيم رحمه الله تعالى، ومدحه بما يلوح عليه من آثار مَنْ هَذِهِ صِفاتُهم، ولولا تخلقه بأخلاقهم، وتشبهه بهم لم تلح عليه آثارهم، ولم يشهد له بها ابن مسعود رضي الله تعالى عنه.

وروى ابن الجوزي في «صفة الصفوة»: أن أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى سئل عن مالك رحمه الله تعالى فقال: مالك سيد من سادات أهل العلم، وهو إمام في العلم والفقه، ثم قال: ومن مثل مالك؟ متبعٌ لآثار من تقدم مع عقل وأدب[3].

وروى البخاري في «الصحيح» عن ابن أبي مُلَيكة: أنه سمع ابن عباس ﷺ يقول: وُضع عمر ﷺ على سريره، وقد كنفه الناس يدعون، ويصلون قبل أن يرفع، وأنا فيهم، فلم يَرُعْني إلا رجل أخذ بمنكبي، فإذا علي رضي الله تعالى عنه فترحَّم على عمر، وقال: ما خلَّفتَ أحداً أحبَّ إليَّ أن ألقى الله بمثل عمله منك، وايم الله إن كنت أظن أن يجعلك الله

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (١٧/ ١٦١).

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٣٨١)، والطبري في «التفسير» (١٧/ ١٦١).

(٣) رواه ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ١٧٩).

مع صاحبيك، إني كنت كثيراً أسمع النبي ﷺ يقول: «ذَهَبْتُ أَنَا وَأَبُوْ بَكْرٍ وَعُمَرُ»[1].

وروى ابن الجوزي عن جعفر بن محمد رحمهما الله تعالى، عن أبيه قال: لما غسل عمر، وكفن، وحمل على سريره، وقف عليٌّ رضي الله عنه فقال: والله ما على الأرض رجل أحبُّ أن ألقى الله بصحيفته من هذا المُسَجَّى بالثوب[2].

فانظر في تمني علي رضي الله تعالى عنه أن يلقى الله بعمل مثل عمل عمر رضي الله تعالى عنه وصحيفة مثل صحيفته؛ فإنه من أعظم الأدلة على استحباب موافقة الصالحين في أعمالهم وخلائقهم.

وروى أبو نعيم عن سعيد بن المسيِّب قال: مات ابن عمر رضي الله تعالى عنهما يوم مات، وما في الأرض أحد أحب إليَّ أن ألقى الله بمثل عمله منه[3].

وروى ابن الجوزي عن تميم بن خُرَيم قال: جالست أصحاب النبي ﷺ أبا بكر، وعمر رضي الله تعالى عنهما، ما رأيت أزهد في الدنيا، ولا أرغب في الآخرة، ولا أحب إلي أن أكون في مسلاخه[4] من

---

(١) رواه البخاري (٣٤٢٨)، ومسلم (٢٣٨٩).

(٢) رواه ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (١/ ٢٩٢)، وكذا رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٣٧٠).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٠٥).

(٤) أي في ثيابه التي يجددها استعارة كأنه تمنى أن يكون في مثل هديه =

عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه[1].

وروى أبو نعيم عن سليمانَ التَّيمي قال: ما أجد أحب إلي أن ألقى الله ﷻ بمثل صحيفته إلا محمد بن واسع رحمه الله تعالى[2].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن أبي عبيدة بن مسعود أنه قال: ما من الناس من ـ أحمر ولا أسود، ولا عبد عجمي أو فصيح ـ أعلم أنه أفضل مني بتقوى إلا أحببت أن أكون في مسلاخه[3].

وروى عبدالله ـ ابنه ـ في «زوائد الزهد» عن أبي إسحاق ـ يعني: السَّبيعي ـ قال: كان الحسن البصري يُشبه أصحابَ النبي ﷺ[4].

وروي فيه عن ابن الشَّعبي: أن أباه والحسن اجتمعا لما أتيا ابن هُبيرة، فنزلا منزلاً، فجعل الشعبي يخف للحسن ويعاطيه، فقال له ابنه: يا أبتاه! إني أراك تصنع مع هذا الشيخ شيئاً لم أرك تصنعه بأحد؟ قال: يا بني! أدركت سبعين من أصحاب النبي ﷺ، فلم أر أحداً أشبه بهم

= وطريقته ما استحسنه منه. انظر: «تفسير غريب ما في الصحيحين» للحميدي (ص: ٥٢٩).

(١) رواه ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (١/ ٤٠٣).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٤٦)، وابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٣/ ٢٦٩).

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٨٤).

(٤) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٢٦٤).

من هذا الشيخ[1].

وقال أبو طالب المكي: روينا عن أبي إسحاق الفزاري قال: زارنا الثوري، فحدثنا، ثم قمت إلى المرأة، فقلت: أخلصي لنا عصيدة[2]، قال: فقدمتها إليه في قصعة، وقلت: كل يا أبا عبدالله، فقال: لولا أني صائم لأحببت أن آكل معك، فقلت: اسمع حتى أحدثك عن أخيك إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى: زارني يوماً، فقعد في موضعك هذا، فقمت إلى المرأة، فأمرتها أن تصنع لنا مثل هذا، ثم قدمته إليه، وقلت: كل يا أبا إسحاق، فأكل، فلما أراد أن يخرج قال: أما إني كنت صائماً، ولكني أفطرت لأجلك، قال: فوضع سفيان يده في القصعة تأسِّياً بإبراهيم[3].

وروى الإمام أبو بكر بن أبي شيبة عن كُلْثوم بن جبر قال: كان المتمني بالبصرة يقول: فقهُ الحسنِ، وورعُ محمد بن سيرين، وعبادةُ طَلْق بن جبيب، وحِلْمُ ابن يَسَار[4].

وروى أبو نعيم عن سعيد بن جُبير قال: لو خيرت عبداً لله أكون في

---

(١) ورواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٧/ ١٦٢).

(٢) العصيدة: دقيق يلت بالسمن ويطبخ. انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣/ ٢٤٦).

(٣) رواه أبو طالب المكي في «قوت القلوب» (٢/ ٢٩٧).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٣٢٥).

مسلاخه لاخترت زبيداً اليَامي[١].

وروى هو من طريق عبدالله ابن الإمام أحمد، عن سَلَمة بن كُهَيل قال: ما بالكوفة أحد أكون في مسلاخه أحب إلي من ابن أَبجر[٢].

يعني: الإمام التابعي عبد الملك بن سعيد الكوفي، وكان من الورعين البكَّائين من خشية الله تعالى.

وروى ابن الجوزي عن محمد بن فضيل قال: سمعت ابن شُبْرُمَة يقول: [من البسيط]

لَوْ شِئْتَ كُنْتَ كَكُرْزٍ فِيْ تَعَبُّدِهِ
أَوْ كَابْنِ طَارِقَ حَوْلَ الْبَيْتِ وَالْحَرَمِ

قَدْ حَالَ دُوْنَ لَذِيْذِ الْعَيْشِ خَوْفُهُما
وَسارَعا فِيْ طِلابِ الْفَوْزِ وَالْكَرَمِ[٣]

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد»، ومن طريقه أبو نعيم عن محمد بن فضيل، قال: رأيت ابن طارق في الطواف قد انفرج له أهل الطواف، وعليه نعلان مطرقتان، فحزر طوافه في ذلك الزمان،

---

(١) ورواه ابن سعد «الطبقات الكبرى» (٦/ ٣٠٩)، وابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٣/ ١٠٠).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٨٤).

(٣) رواه ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٢١٧)، والفاكهي في «أخبار مكة» (٢/ ٣٢٤).

فإذا هو يطوف في اليوم والليلة عشرة فراسخ[١].

ورويا عنه عن أبيه فُضيل بن غزوان قال: دخلت على كُرز بن وَبْرة بيته، فإذا عند مصلاه حفيرة قد ملأها تِبناً، وبسط عليها كساءً من طول القيام، وكان يقرأ في اليوم والليلة القرآن ثلاث مرات[٢].

ورويا عنه عن أبيه قال: كان لكرز عِذْقٌ عند المحراب يعتمد عليه إذا نَعِس[٣].

وروى أبو نعيم عنه، عن أبيه: أن كرز بن وبرة الحارثي دخل على ابن شبرمة يعوده وهو مبرسم، فتفل في أذنه، فبرئ[٤].

وروى أبو نعيم ـ أيضاً ـ عن ابن شبرمة قال: سأل كرز بن وبـرة ربه أن يعطيَه اسمه الأعظم على أن لا يسأل بـه شيئاً من الدنيا، فأعطاه الله ذلك، فسأل أن يقوى حتى يختم القرآن في اليوم والليلة ثلاث ختمات[٥].

ومن هنا أرشد ابن شبرمة ـ في كلامه المتقدم ـ إلى التشبه بكرز بن وبرة، وابن طارق رحمهم الله تعالى أجمعين.

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٨٢).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٧٩).

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٦٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٨٠).

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٨٠).

(٥) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٧٩).

وأمثال ذلك ما ورد من الآثار في الإرشاد إلى التشبه بالصالحين كثير لا يحصى، ولا يكاد لكثرته يستقصى.

وقد فتح الله تعالى علينا بأبيات ملائمة لهذا المقام، حَرِيَّةٍ بالإثبات في سلك هذا النظام، وهي: [من المتقارب]

عَلَيْـكَ بِـسُنَّةِ خَيْـرِ الـسَّلَفْ	فَكُنْ لَهُـمُ مِـنْ خِيارِ الْخَلَـفْ
بِحُـسْنِ اتِّبـاعٍ لآثـارِهِمْ	فَشابِهْ وَلا تَـكُ مِمَّـنْ وَصَـفْ
وَما يَنْفَعُ الْوَصْفُ مِنْ واصِـفٍ	إِذا كانَ عَنْ فِعْـلِ خَيْـرٍ وَقَـفْ
فَحـاوِلْ مُـشابَهَةَ الـصَّالِحِيْـ	ـنَ إِنْ كُنْتَ يا صاحِ مِمَّنْ عَرَفْ
فَمَـنْ يَتَحَلَّـىْ حِلاهُـمْ ينـا	لُ مِنْ نَيْلِهِمْ فِيْ عَوالِيْ الْغُـرَفْ
وَإِنِّـيْ أُحِـبُّ لَـوَ انِّـيْ فَتَـىً	تَحَلَّـىْ بِأَوْصـافِهِمْ وَاتَّـصَفْ
فَمِـنْ دُوْنِ هَـذا الْمَقـامِ الـسَّنا	ءُ وَمَنْ لِلْمُلُـوْكِ بِهَـذا الـشَّرَفْ
مَقـامٌ إِذا مَـا ارْتَقـاهُ الْفَتَـىْ	يُلاقِيْ الْمُنَىْ فِيْ مَراقِيْ الزُّلَـفْ
وَيَظْفَـرُ بِالـدُّرِّ مَهْمـا يَحُـمْ	سِواهُ مِنَ النَّاسِ حَوْلَ الصَّدَفْ
فَـشَابِهْ خِيـارَ الْبَرايـا تَكُـنْ	مَعَ الْقَوْمِ فِيْ ظِلِّ عَـرْشٍ وَرَفْ
وَيَهْتِـفُ بِاسْـمِكَ فِـيْهِمْ إِذا	دَعاهُمْ مُنادِيْ النَّدَىْ أَوْ هَتَـفْ
فَيـا لِـسَبِيْلِ الْهُـدَىْ وَالرِّضَـا	وَطُـوْبَىْ لِعَبْـدٍ إِلَيْهَـا عَطَـفْ
يُحـاوِلُ راحـاً بِحاناتِهـا	مِـنَ الْغُـرِّ كُـلُّ نَـدِيْمٍ عَكَـفْ

عَلَىْ دَنِّ خَمْرِ الْهَـوَىْ خَاطِبـاً   عَـرائِسَ أَبْكـارَ غِيْـدَ التُّحَـفْ
يُواصِـلُ فِـيْ الـشُّرْبِ أَوْقاتَـهُ   وَعَمَّا سِوَىْ حُبِّ سُعْداهُ كَـفْ

فوقفت بعد نظم هذه الأبيات بمدة طويلة على كلام لطيف في المعنى رواه الخطيب أبو بكر البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» عن الأوزاعي: أنه قال: عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك ورأي الرجال وإن زخرفوه بالقول؛ فإن الأمر ينجلي وأنت على طريق مستقيم(١).

والآثار في عرف أصحاب الحديث عبارة عن الأخبار المروية عن الصحابة فمن بعدهم موقوفةً عليهم.

ومنهم من جعلها أعم من ذلك، فأطلقها على الحديث المرفوع ـ أيضاً ـ، ولكنا في هذا المقام نحملها على أعم مما ذكر.

فالمراد بآثار السلف كلامهم وأعمالهم وأخلاقهم وآدابهم.

وفي كتاب الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْ ﴾[يس: ١٢].

والأثر في أصل اللغة: بقيـة الشيء، ولكنه يطلق على ما يدل على الشيء من خُلُقٍ، أو عمل أو غير ذلك؛ لأنه بدلالته عليه كان بعضه.

وقد قلت: [من الكامل]

---

(١) رواه الخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (ص: ٧).

أَثَــرِيْ يَــدُلُّ عَلَــيَّ إِنْ لَــمْ تَــدْرِنِيْ
فَــانْظُرْ إِلَــىْ أَثَــرِيْ لِتَعْــرِفَ مَــنْ أَنــا

* * *



فصل

اعلم أن المقصود بالتشبه بالصالحين والأخيار إنما هو الفلاح والفوز بدار القرار، وذلك حاصل للمؤمنين بدليل قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[المؤمنون: ١].

لكن فلاح المؤمن إنما يكون بقدر ترقيه في الإيمان، فالتشبه بالمؤمنين مطلوب على كل حال ولو في أصل الإيمان، فإنه إن لم يحصل له الفلاح والفوز من دخول النار، فإنه يحصل له الفوز من الخلود فيها.

وبالجملة فـ «لن يجعل الله من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له فيه»[1] ـ كما ورد في الحديث ـ، ولكن كما يقال: الكمال في الكمال.

ولما قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[المؤمنون: ١] وصفهم بصفات كاشفات لما أراد بالمؤمنين الموصوفين بالفلاح بقوله تعالى:

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ١٤٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٤٥): رجاله ثقات.

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾[المؤمنون: ١ ـ ١١].

روى ابن أبي الدنيا عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خَلَقَ اللهُ جَنَّةَ عَدْنٍ بيَدِهِ لَبِنَةً مِنْ دُرَّةٍ بَيْضاءَ، وَلَبِنَةً مِنْ ياقُوْتَةٍ حَمْراءَ، ولَبِنَةً مِنْ زَبَرْجَدَةٍ خَضْراءَ، بَلاطُهَا مِسْكٌ، حَشِيْشُها الزَّعْفرانُ، حَصْباؤُها اللُّؤْلُؤُ، تُرابُها الْعَنْبَرُ، ثُمَّ قالَ لَهَا: انْطِقِيْ، فَقَالَتْ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[المؤمنون: ١]، فَقالَ اللهُ ﷻ: وَعِزَّتِيْ وَجَلالِي لا يُجَاوِرُنِّيْ فِيْكِ بَخِيْلٌ».

ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[الحشر: ٩][1].

ففي هذا الحديث إشارة إلى أن المفلحين من المؤمنين إنما هم

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (ص: ٢١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٧٢٣)، و«المعجم الأوسط» (٥٥١٨) مختصراً عن ابن عباس، قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ٢٨٣): رواه الطبراني في الكبير والأوسط بإسنادين أحدهما جيد.

كُمَّلُهُمْ، وهم الذين وقوا شُحَّ أنفسهم.

والمقصود أن أهل الفلاح الكامل هم أهل الإيمان الكامل، وقال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[البقرة: ١ ـ ٥]؛ أي: الفلاح الكامل، لا غيرهم.

وروى البخاري في «تاريخه»، والطبراني في «معجمه الكبير» عن قُرَّة بن هُبيرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «أَفْلَحَ مَنْ رُزِقَ لُبًّا»[1].

وأخرجه البيهقي في «الشعب» بلفظ: «قَدْ أَفْلَحَ...»[2].

وقد: للتحقيق.

واللب: هو العقل.

والعقل الممدوح إنما هو العقل النافع الذي لا يدخل صاحبه النار، ولا يوقع صاحبه في الندم، والأسف كما يقع لأهل النار فيها كما قص الله تعالى عنهم بقوله: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[الملك: ١٠ ـ ١١].

---

(١) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٧/ ١٨١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٣٣)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٤٠١): وفيه راو لم يسم وبقية رجاله ثقات.

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٦٥٦).

والمراد بالذنب الذي اعترفوا بـه: أنهم لم يستعملوا عقولهم فيما خلقت له من الطاعة التي هي سبب النجاة من النار، فالعاقل اللبيب هو الطائع المجيب، وكلما بالغ في الطاعة والتخلق بالأخلاق المرضية كان أتم عقلاً، وأكمل لباً، فيكون أكثر فلاحاً، وأكمل فـوزاً ونجاحاً من حيث إنه تجنب أعمال أهل النار بعقله، وأقبل على أعمال أهل الجنة، ولم تغرَّه الحياة الدنيا، ومن ثَمَّ خص أهل العقول بالخطاب في قولـه تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَـٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[المائدة: ١٠٠].

والتقوى إنما تتم بالطاعـة، واجتناب المعصية، وقال الله تعالى: ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾[آل عمران: ١٨٥].

وفي هذه الآية إشارة إلى أن الفوز الحقيقي والفلاح المعتد بـه إنما هو في الدار الآخرة دون الدنيا ـ وإن زعم أهل الدنيا أن ما فيها من رخاءٍ وعافيةٍ ويسرٍ فوزٌ ونعيمٌ ـ فإنـه لا حقيقة لـه لزواله، بخلاف نعيم الجنة لبقائه.

ومن ثَمَّ قـال الله تـعـالـى: ﴿لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾[الحشر: ٢٠]؛ أي: وأصحـاب النار هم الهالكون، وإن نالوا من الدنيا ما نالوا.

ولذلك نودي في الأذان، والإقامـة: (حي على الفلاح)، فأطلق الفلاح على الصلاة لأنها عماد الدين، وأم الأعمال الصالحة، ومن حافظ عليها كان على غيرها أشد محافظة، ومن ضيعها كان لغيرها أكثر إضاعة.

أو المراد بالفلاح كل عمل صالح، وفعل خير لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الحج: ٧٧].

وإنما أتى بالفلاح في الأذان والإقامة معرَّفاً باللام التي هي للعهد أو للاستغراق؛ إشارة إلى أن العمل الصالح هو الفلاح الحقيقي، أو أن كل فلاح وفوز فهو في العمل الصالح، ودفعاً لما يتوهمه أهل الدنيا من أن الفلاح إنما هو في تحصيل الدنيا ومتاجرها والإمساك عليها.

ومن ثَمَّ قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[الحشر: ٩].

وقال الله تعالى مشوقاً إلى سعادة الآخرة، معبراً عنها بالتجارة التي هي سبيل أهل الدنيا إليها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الصف: ١٠].

وصف هذه التجارة بصفة فارقة بينها، وبين متاجر الدنيا بقوله: ﴿تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الصف: ١٠]؛ فإن تجارة الدنيا ليست كذلك، بل قد تكون سبباً للعذاب الأليم، وغاية ما فيها أن صاحبها إذا كان سعيداً خرج منها رأساً برأس، بخلاف هذه التجارة التي لا تَبِعَةَ فيها.

وروى ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير في الآية: أنها لما نزلت قال المسلمون: لو علمنا هذه التجارة لأعطينا فيها الأموال والأهلين[1].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣٣٥٤).

فبين لهم التجارة فقال: ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾[الصف: ١١]، ولا تتحقق التجارة إلا ببائع ومشترٍ، فالبائع المؤمنون، والمشتري هو الله تعالى؛ بدليل قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[التوبة: ١١١].

وإنما سماه الفوز العظيم؛ لأنه أوجب لهم أعظم المطالب وهو الجنة وما فيها وقد فصل ما أجمله في هذه الآية في الآية السابقة فقال: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾؛ أي: الإيمان بالله تعالى ورسوله والجهاد في سبيله المعبر عنه بالتجارة المنجية من العذاب الأليم ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾؛ أي: من تجارة الدنيا ومكاسبها التي هي مظنة التَّبِعات، المأخوذ بها صاحبها في دار الآخرة ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: إن كنتم من أهل العلم المكتسب من اللب الذي هو أصل كل فلاح، كما قال ﷺ: «أَفْلَحَ مَنْ رُزِقَ لُبّاً»[1].

ثم بين سبحانه ما في تجارة الآخرة من الخيرات فقال: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[الصف: ١٢]؛ أي: بسبب الإيمان والجهاد.

﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[هود: ١١٤] والتوبة إحدى الحسنات، وهي من أسباب الفلاح كما قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ

---

(١) تقدم تخريجه قريباً.

﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[النور: ٣١]، والتوبة من الإيمان، ومن جهاد النفس ـ وهو من أعظم الجهاد ـ قال: ﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[الصف: ١٢].

وإنَّما طابت تلك المساكن بسبب خلوِّها من كدورات الدُّنيا من تعب ونَصَب ومرض وحزن ومَلال وقَذَر وغيرِ ذلك.

وأعظم شيءٍ طيِّبها جوار الله تعالى ورضوانه، وتَجلِّي وجهه لهم مع الخلود لأن العدن هو الإقامة.

ثمَّ قال: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾؛ أي: دون ما تعدونه في الدنيا فوزاً من مكاسب ومغانم وغيرها؛ لانصرامه وفنائه، والفوز العظيم إنَّما هو ما كان من إقامة وخلود، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[النساء: ١٣]؛ يعني: الجنة مع الخلود فيها.

وهو الفلاح؛ فإنَّ الفلاح هو البقاء في الخير، كما في «القاموس»[(١)].

ونقله أبو بكر بن الأنباري في كتاب «الزاهر» عن جماعة من أهل اللغة، وقال: معنى ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[الحشر: ٩]: هم الباقون في الجنَّة.

ومنه قول الراجز: [من المنسرح]

لِكُلِّ هَمٍّ مِنَ الْهُمُوْمِ سَعَهْ ... وَالْمَسْيِ وَالصُّبْحُ لا فَلاحَ مَعَهْ

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٣٠٠) (مادة: فلح).

قال ابن الأنباري: أراد: لا بقاء ولا خلود[1].

ومن ثَمَّ جاء في دعاء النَّبيِّ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّيْ أَسْأَلُكَ صِحَّةً فِيْ إِيْمانٍ، وَإِيْماناً فِيْ حُسْنِ خُلُقٍ، وَنَجاحاً يَتْبَعُهُ فَلاحٌ»، كما رواه الطبراني في «الأوسط»[2].

النجاح: الظَّفَرُ بالخير.

والفلاح: البقاء فيه.

وكأن في هذه الآيات رداً على قول المتخلف المبطئ: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[النساء: ٧٢]، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ۝٧٢ وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا﴾[النساء: ٧٢ ـ ٧٣]، فبيَّن الله تعالى بقوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[الصف: ١٢] وقوله: ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[التوبة: ١١١].

أنَّ الفوز إنَّما هو فوز الآخرة دون مغانم الدُّنيا ومكاسبها.

على أنَّ أهل الآخرة لا يحرمون من عاجل فضل الله تعالى، ولذلك

---

(١) انظر: «الزاهر في معاني كلمات الناس» لابن الأنباري (١/ ٣٨).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٩٣٣٣)، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٢١)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٤٠٤) عن أبي هريرة، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٧٤): رواه أحمد ورجاله ثقات.

قال تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾[الصف: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[الفتح: ١٩ ـ ٢٠]؛ أي: علامة يعلمون بها أنَّهم من الله تعالى بمكان، كأنَّه يشير إلى أنَّه كما أنجز لهم ما وعدهم في الدُّنيا كذلك ينجز لهم موعود الآخرة.

وقال الله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[التوبة: ٨٨]؛ أي: لهم منافع الدارين؛ النصرة والغنيمة في الدُّنيا، والجنَّة والكرامة في الآخرة.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[التوبة: ٨٩]؛ أي: ـ وإن نالوا من خيرات الدُّنيا ـ فإنَّ ما لهم في الآخرة هو الفوز العظيم.

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾[التوبة: ٢٠ ـ ٢١].

وإذا كان المتخلِّف عن القوم في الدُّنيا يندم على ما فاته في الدُّنيا من الغنائم التي تفضَّل الله تعالى عليهم بها، ويقول: ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[النساء: ٧٣]، فكيف ندمه وأسفه على ما يفوته

من نعيم الآخرة مع ما يلحقه من الإهانة والعذاب والخلود فيه، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[النساء: ١٤]، والمعصية المشار إليها في هذه الآية شاملة للكفر والشرك، كما أنَّ الطاعة في قوله تعالى في الآية السَّابقة: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ﴾[النساء: ١٣] شاملة للإيمان والتوحيد.

فحقيقة الفلاح والفوز إنَّما هو في الطاعة والإيمان، والفوات والخيبة في المعصية والكفر، وإنَّما يظهر ذلك في الدَّار الآخرة، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾[الأعراف: ٨ ـ ٩].

وإنَّما قال: ﴿خَسِرُوٓا۟﴾؛ لأنَّه شبَّه أعمال العبد بالمتاجر؛ فمن ثقلت موازينه بالإيمان والعمل الصالح ربح في تجارته وأفلح، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝٢٩ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[فاطر: ٢٩ ـ ٣٠]، ومن خفَّت موازينه ـ إذ لا إيمان له بالكليَّة، أو لا عمل صالح، أو له معاص لا كفارة لها ـ فقد خسرت تجارته، وخاب مسعاه، كما قال الله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾[يونس: ٤٥]، وقال تعالى:

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾[الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٥]، وقال تعالى بعد ذكر المنافقين: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾[البقرة: ١٦]، وقال تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾[الحج: ١١].

وهذا معيار لا شبهة فيه: أنَّ الإيمان والعمل الصالح سبب الفلاح، والكفر والعمل السيء سبب الخسران والخذلان.

وروى الإمام أحمد بسند حسن عن أبي ذرٍّ رضي الله تعالى عنه: أنَّ النبي ﷺ قال: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَخْلَصَ قَلْبَهُ لِلإيمانِ، وَجَعَلَ قَلْبَهُ سَلِيْماً، وَلِسانَهُ صادِقاً، وَنَفْسَهُ مُطْمَئِنَّةً، وَخَلِيقَتَهُ مُسْتَقِيْمَةً، وَأُذُنَهُ مُسْتَمِعَةً، وَعَيْنَهُ ناظِرَةً»[1].

وروى هو، ومسلم، والترمذي، وابن ماجه عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفافاً، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِما آتاهُ»[2].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٤٧)، وحسن إسناده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٣٢).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٦٨)، ومسلم (١٠٥٤)، والترمذ=

وأخرجه أبو نعيم في «الحلية»، والبيهقي في «شعب الإيمان» من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وقال: «وَصَبَرَ عَلَىْ ذَلِكَ»[1] موضعَ قوله: «وَقَنَّعَهُ اللهُ بِما آتاهُ».

وروي نحوه من حديث فَضَالة بن عُبيد رضي الله تعالى عنه[2].

وقال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤ ـ ١٥].

قال عطاء: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾؛ أي: آمن.

وقال قتادة: بعمل صالح.

رواهما ابن أبي حاتم[3].

وروى البزَّار، عن جابر، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾؛ قال: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ، وَخَلَعَ الأَنْدادَ، وَشَهِدَ أَنِّي رَسُوْلُ اللهِ»، ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾؛ قال: «هِيَ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْمُحَافَظَةُ عَلَيْهِنَّ»[4].

= (٢٣٤٨)، وابن ماجه (٤١٣٨).

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٢٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٧٢٣).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٤٩)، والإمام أحمد في «المسند» (٦/ ١٩).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣٤١٧).

(٤) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٣٧): رواه البزار عن شيخه عباد بن أحمد العرزمي وهو متروك.

وقال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾[الشمس: ٩]؛ أي: بالطاعة، ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[الشمس: ١٠]؛ أي: دنَّسها بالمعصية.

وقال تعالى ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾[القصص: ٦٧]، والعمل الصالح شامل لسائر الطَّاعات.

وقال تعالى حكاية عن هود عليه السلام: ﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الأعراف: ٦٩] إنَّما رجا لهم الفلاحَ بذكر الآلاء؛ لأنَّ ذكر آلاء الله تعالى يدعوه إلى طاعته، وترك معاصيه، وذلك عين النجاح والفلاح.

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الجمعة: ١٠]؛ أي: في الدُّنيا بما يُجعل لكم من فضل الله تعالى، وفي الآخرة بما يحصل لكم من ثواب الذكر والعمل الصَّالح.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الأنفال: ٤٥].

وفيه لطيفة: وهي أنَّ الثبات مع الله تعالى في دار الدُّنيا بالجهاد، ومصابرة العدو، وكثرة الذكر على سائر الحالات يكون سبباً للثبات مع الله تعالى والبقاء معه في المعاد، وهو معنى الفلاح ليكون الجزاء من جنس العمل.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ

بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[النور: ٥١].

فالسمع والطَّاعة هما سبب الفلاح، وهو وصف المؤمنين الذين هم المفلحون، كما قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[البقرة: ٢٨٥].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ﴾؛ أي: بترك معاصيه، ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾؛ وهي لزوم الطَّاعة، ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ﴾؛ وهو شامل لمجاهدة النَّفس ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[المائدة: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[المجادلة: ٢٢].

وفي هذه الآية إشارةٌ أنَّ الفلاح لا يتمُّ إلا بموالاة المفلحين ومعاداة المبطلين.

روى ابن أبي شيبة، والإمام أحمد عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَوْثَقُ عُرَىٰ الإِيْمانِ الْحُبُّ فِيْ اللهِ، وَالْبُغْضُ فِيْ اللهِ»(١).

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٧٧٠)، والإمام أحمد =

وقال ابن عبَّاس رضي الله تعالى عنهما: أَحِبَّ في الله، وأَبْغِضْ في الله، وعادِ في الله، ووالِ في الله؛ فإنَّما تنالوا ولاية الله لذلك، ثمَّ قرأ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ﴾[المجادلة: ٢٢] الآية. رواه ابن أبي شيبة، وابن أبي حاتم[1].

وروى ابن مردويه في «تفسيره» عن كثير بن عطيَّة، عن رجل: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ لِفاجِرٍ وَلا لِفاسِقٍ عِنْدِيَ يَداً وَلا نِعْمَةً؛ فَإِنِّي وَجَدْتُ فِيْمَا أَوْحَيْتَ إِلَيَّ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾»[2].

قال سفيان: يرون أنَّها نزلت فيمن يخالط السُّلطان.

وقال تعالى: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[المائدة: ١٠٠].

قيل: الخبيث والطيِّب: الحلال والحرام.

وقيل: الرديء والجيِّد.

وقيل: الكافر والمؤمن.

= في «المسند» (٤/ ٢٨٦).

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٤٢٠)، وكذا رواه ابن أبي الدنيا في «الإخوان» (ص: ٦٩).

(٢) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٢٠١١) عن معاذ. وقال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٨٧٣): أسانيده كلها ضعيفة.

وقيل: العاصي والمطيع.

قال القرطبي رحمه الله تعالى: والصحيح أنَّ اللفظ عام في جميع الأمور، متصوَّر في المكاسب والأعمال والنَّاس والمعارف من العلوم وغيرها؛ فالخبيث من هذا كلِّه لا يفلح، ولا ينجب، ولا يُحسن له عاقبة - وإن كَثُرَ - والطيِّب - وإن قلَّ - نافع جميل العاقبة[1]. انتهى.

روى أبو نعيم عن أيُّوب قال: رآني أبو قلابة وأنا أشتري تمراً رديئاً، فقال: قد كنت أظنُّ أنَّ الله نفعك بمجالستنا، أما علمت أنَّ الله تعالى قد نزع من كلِّ رديء بركته؟[2].

وقال النبي ﷺ عن الأعرابي الذي ذكر له الصَّلاة والزَّكاة والصوم والحج، فقال: لا أزيد على ذلك ولا أنقص، فقال ﷺ: «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ». وأصله في «الصَّحيحين»[3].

قال بعض العلماء: معناه: أفلح إن صدق في عدم النَّقص، لا في عدم الزيادة.

وقال آخرون: هذا كان في صدر الإسلام حين كان ﷺ يتألف القلوب للإيمان، ولم تفرض جميع الأحكام.

قلت: والأولى عندي أنَّ المراد: أفلح فلاحاً يليق به حيث جاء

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (٢/ ٢٤٤).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٨٦).

(٣) رواه البخاري (١٧٩٢)، ومسلم (١١)، عن طلحة بن عبيدالله.

بأصل الإيمان ودعائمه، لا أنَّه أفلح كلَّ الفلاح حتَّى يأتي بكلِّ دواعيه، أو يمنَّ الله عليه ويواليه؛ فالفلاح يكون في الدار الآخرة على قدر ما يأخذ العبد في دار الدُّنيا من الأعمال الصالحة، ويجتنب من المعاصي.

وقد قلت: [من الرجز]

أَفْلَحَ مَنْ صَلَّىْ مَعَاً وَصامَا   وَأَنْفَقَ الزَّكَاةَ وَاسْتَقاما

وَأَمَّ بَيْتَ رَبِّهِ الْحَراما   وَاجْتَنَبَ الشُّبْهَةَ وَالْحَراما

وَصَدَّقَ الْمُهَيْمِنَ السَّلاما   وَأَخْلَصَ الإِيْمانَ وَالإِسْلاما

وروى الدَّيلمي في «مسند الفردوس» عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ كانَ سُكُوْتُهُ تَفَكُّراً، وَنَظَرُهُ اعْتِباراً، أَفْلَحَ مَنْ وَجَدَ فِيْ صَحِيْفَتِهِ اسْتِغْفاراً كَثِيْراً»[1].

وروى أبو نعيم عن سفيان الثَّوري: أنَّ رجلاً شكى إليه مظلمة فقال: شكى رجل إلى رسول الله ﷺ مظلمة، فقال ﷺ: «الْمَظْلُوْمُوْنَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ يَوْمَ الْقِيامَةِ»[2].

---

(١) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (١٧١٠)، وفيه حبان بن علي، ضعفه النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (ص: ٣٥)، وللشطر الثاني من الحديث شاهد من حديث عبدالله بن بسر عند ابن ماجه (٣٨١٩) بلفظ «طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً»، حسنه الحافظ ابن حجر في «الأمالي المطلقة» (ص: ٢٤٩).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٦٩).

وفيه تعريض بأنَّ الظَّالم لا يفلح.

وفي كتاب الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾[الشورى: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[الأنعام: ٢١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[المؤمنون: ١١٧].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [يونس: ٦٩].

وقال تعالى حكاية عن موسى عليه السَّلام: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾[يونس: ٧٧]، ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾[طه: ٦٩].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[المائدة: ٩٠].

وفيه تلويح بأنَّ الفلاح في اجتناب أعمال الشَّيطان وخطواته، وهو كذلك.

وروى أبو داود عن المقدام بن معدي كرب رضي الله تعالى عنه: أنَّ رسول الله ﷺ ضرب على منكبه، ثمَّ قال له: «أَفْلَحْتَ يا قُدَيْمُ إنْ مِتَّ وَلَمْ تَكُنْ أَمِيْراً وَلا كاتِباً وَلا عَرِيْفاً»[1].

---

(١) رواه أبو داود (٢٩٣٣).

والمراد أن لا يكون كاتباً للأمراء والعرفاء ونحوهم، لا مطلق الكتابة.

وفيه إشارة إلى أنَّ الولايـة والإمارة، ونحوها يتعرض بها الرَّجل إلى فوات الفلاح.

روى أبو نعيم عن أحمد بن أبي الحواري عن أخيه محمَّد قال: مرَّ شيخ من الكوفيين كان كاتباً لسفيان الثَّوري، فقال له سفيان: يا شيخ! وَلِيَ فلان فكتبتَ له، ثمَّ عزل، وولي فلان، فكتبتَ له، ثمَّ عزل، وولي فلان، فكتبتَ له، وأنت يوم القيامة أسوؤهم حالاً، يدعى بالأوَّل فيسأل، ويدعى بك معـه، فتسأل معه، ثمَّ يذهب، فتوقف أنت حتَّى يدعى بالآخر، فأنت يوم القيامة أسوؤهم حالاً.

قال: فقال الشيخ: فكيف أصنع يا أبا عبدالله بعيالي؟

فقال سفيان: اسمعوا هذا يقول: إذا عصى الله رزق عيالـه، وإذا أطاع الله ضيَّع عياله.

قال: ثمَّ قال سفيان: لا تعتـدُّوا بصاحب عيال؛ فما كان عذر من عوتب إلا أن قال: عيالي[1].

قلت: ومن هنا جاء: «ما أفلح صاحب عيال قط». رواه الدَّيلمي من حديث أبي هريرة، وابن عدي من حديث عائشة رضي الله عنهما[2].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٨٠).

(٢) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٦١٩٤)، وابن عـدي في «الكامل =

قال ابن عدي: وهو عن النبي ﷺ منكر، وإنَّما هو من كلام سفيان ابن عيينة[1].

والمراد أنَّـه يفوتـه الفلاح إمَّا في الدُّنيا وإمَّا في الآخرة؛ إذ لا يصحُّ على إطلاقه.

فأمَّا فوت الفلاح عنه في الدُّنيا فيما يقاسيه من الجهد والكدِّ في طلب معيشتهم، وأمَّـا في الآخـرة فإذا ورد الموارد المهلكـة بسبب معيشتهم[2].

= في الضعفاء» (١/ ١٨٩).

(١) انظر: «الكامل في الضعفاء» لابن عدي (١/ ١٨٩).

(٢) ذكر ابن الجوزي كلاماً نفيساً في الرد على من كره طلب الأولاد، قال رحمه الله: وهذا غلط عظيم وبيانه: أنه لما كان مراد الله تعالى من إيجاد الدنيا اتصال دوامها إلى أن ينقضي أجلها وكان الآدمي غير ممتد البقاء فيها إلا إلى أمد يسير، أخلف الله تعالى منه مثله، فحثه على سببه في ذلك تارة من حيث الطبع بإيقاد نار الشهوة، وتارة من باب الشرع بقوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ﴾[النور: ٣٢]، وقول الرسول ﷺ: «تناكحوا تناسلوا، فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة» ولو بالسقط، وقد طلب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الأولاد فقال تعالى حكايـة عنهم: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾[آل عمران: ٣٨]، ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾[إبراهيم: ٤٠] إلى غير ذلك من الآيات، وتسبب الصالحون إلى وجودهم، وربَّ جماع حدث منه ولد مثل الشافعي وأحمد بن حنبل فكان خيراً من عبادة ألف سنة، وقد جاءت الأخبار بإثابة المباضعة، والإنفاق =

قال سفيان الثَّوري: يؤمر بالرجل إلى النَّار يوم القيامة، فيقال: هذا عياله أكلوا حسناته. رواه أبو نعيم[1].

وروى الإمام أحمـد، والبخاري، والتِّرمذي، والنَّسائي عن أبي بكرة ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: «لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً»[2].

والمراد أن يولُّوها جميع أمورهم بحيث لو دعتهم إلى الإيمان بها لأطاعوا ـ كما اتفق لقوم سجاح المتنبئة ـ.

أو يولوهَا الخلافة، أو يطيعوها في معصية الله تعالى.

أو المراد بالفلاح الظفر بالدُّنيا.

فأمَّا تولية المرأة ما يطلب منها من إصلاح بيتها وأولادها، فليس من هذا القبيل.

وفي الحديث الصحيح: «وَالْمَرْأَةُ راعِيَةٌ فِيْ بَيْتِ زَوْجِها، وَمَسْؤُوْلَةٌ عَنْ رَعِيَّتِها»[3].

= على الأولاد والعيال، ومن يموت له ولد، ومن يخلف ولـداً بعده، فمن أعرض عن طلب الأولاد والتزوج فقـد خالف المسنـون والأفضل، وحـرم أجراً جسيماً، ومن فعـل ذلك فإنما يطلب الراحة. انظر: «تلبيس إبليس» لابن الجوزي (ص: ٣٦٢).

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٨١).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٥٠)، والبخاري (٦٦٨٦)، والتِّرمذي (٢٢٦٢)، والنَّسائي (٥٣٨٨).

(٣) رواه البخاري (٨٥٣) واللفظ له، ومسلم (١٨٢٩) عن عبدالله بن عمر ﷺ.

وروى أبو داود، والبيهقي في «سننيهما» عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ النبي ﷺ قال: «آمِرُوْا النِّساءَ فِيْ بَناتِهِنَّ»[1].

وآمروا ـ بالمد ـ أي: اجعلوهن أمراء.

وذكر الإمام أبو طالب المكِّي، وحجة الإسلام الغزالي، وأبو حفص السُّهروردي: أنَّ إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى قال: من تعوَّد أفخاذ النِّساء لا يفلح[2].

والمراد: أن يتعود أفخاذهن عَادة تشغله عن طاعة الله، أو توقعه في معصية الله، لا مجرد العود إلى الاستمتاع بهن؛ لأنَّ هذا يفعله الأنبياء والصدِّيقون.

وروى أبو نعيم عن خلف بن تميم قال: سمعت سفيان الثَّوري يقول: من أحبَّ أفخاذ النِّساء لم يفلح[3]. أي: حبَّاً يدعو إلى مخالفة أمر الله تعالى.

كما حكي: أنَّ أعرابيَّاً راود امرأة عن نفسها، فلمَّا قعد منها مقعد النَّاكح أدركته العناية، فقام عنها، فقالت: ما لَكَ؟، قال: إنَّ رجلاً باع جنَّة عرضها السماوات، والأرض بمقدار ما بين فخذيك لمغبون[4].

---

(١) رواه أبو داود (٢٠٩٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ١١٥).

(٢) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (٢/ ٣٩٨)، و«الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي (١/ ١٠٣).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ١٢).

(٤) رواه الخرائطي في «اعتلال القلوب» (ص: ٩٠).

فأمَّا محبتهن للعطف عليهن والشفقة بهن لأنهنَّ خلقن من ضِلَع عوجاء، أو لتأدية السنَّة، وتنفيذ الحكمة، وطلب الولد، فهذا من جملة مسالك النجاح، ومدارك الفلاح، ومنه قوله ﷺ: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمُ النِّسَاءُ، وَالطِّيْبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِيْ الصَّلاةِ». رواه الإمام أحمد، والنَّسائي، والحاكم، والبيهقي من حديث أنس رضي الله عنه[1].

وتأمل في قوله: «مِنْ دُنْيَاكُمْ»؛ إذ فيه إبعاد عن إضافة الدُّنيا إليه؛ فإنَّ محبة الدُّنيا بحيث يؤثرها على شيء مما أمر به؛ فإنَّها قد تحول بين العبد وبين الفلاح، كما قال رسول الله ﷺ: «كَيْفَ تُفْلِحُ وَالدُّنْيا أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ أَحْنَىْ النَّاسِ عَلَيْكَ؟» رواه الخطيب من حديث جابر رضي الله تعالى عنه[2].

وروى قاضي القضاة التَّاج ابن السُّبكي في «طبقاته» عن الشيخ أبي عبد الرَّحمن السُّلَمي قال: قلت للأستاذ أبي سهل الصُّعْلُوكي رحمه الله تعالى في كلام يجري بيننا: لِمَ؟ فقال لي: أما علمت أنَّ من قال لأستاذه: (لِمَ) لا يفلح؟[3].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٢٨)، والنَّسائي (٣٩٣٩)، والحاكم في «المستدرك» (٢٦٧٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٧٨). وصححه ابن القيم في «إغاثة اللهفان» (٢/ ١٤٠).

(٢) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٨/ ٣٨٠)، وحكم عليه ابن حجر بالوضع في «لسان الميزان» (٢/ ٤١٧).

(٣) رواه السُّبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» (٣/ ١٧١).

أي: لا يظفر بالانتفاع منه؛ أي: ما لم يتب، ويراجع الأدب[1].

كما قال الشيخ رضي الدين جدي رحمه الله تعالى في «ألفيّته»:

[من الرجز]

مَنْ لَمْ يُعَظِّمْ حُرْمَةَ الْمُؤَدِّبِ حَرَمَهُ اللهُ بُلُوغَ الأَدَبِ

وَإِنَّ مَنْ قَالَ لِشَيْخِهِ لِمَهْ لَمْ يَنْتَفِعْ مِنْهُ بِمَا تَعَلَّمَهْ

وقد يؤدِّي الاستخفاف بالأستاذ، وترك الأدب معه إلى فوات الفلاح الأخروي ـ والعياذ بالله ـ، ولقد رأيت أنَّ ممَّا كان سبباً لهلاك الأمم الاستخفاف بالمرسلين، وعدم سلوك الأدب معهم، كما بيَّنت ذلك في شرحي على ألفيَّة جدِّي المسمَّى بـ: «منبر التَّوحيد».

ومن أشدِّ المعاصي حيلولةً بين العبد، وترك الفلاح الابتداع في الدين، واتِّباع المبتدعين.

ولقد أحسن الإمام ابن الإمام أبو بكر بن أبي داود السجستاني فيما أنشده لنفسه، ورويناه عنه في «الأربعين» لأبي الفُتوح الطائي: [من الطويل]

---

(١) قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٢٥١): ينبغي للمريد أن لا يقول لأستاذه لم، إذا علمه معصوماً لا يجوز عليه الخطأ، أما إذا كان الشيخ غير معصوم، وكره قول لم، فإنه [أي الشيخ] لا يفلح أبداً، قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[المائدة: ٢].

تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللهِ وَاتَّبِعِ الْهُدَىٰ

وَلا تَكُ بِدْعِيّاً لَعَلَّكَ تُفْلِحُ

وَلُذْ بِكِتابِ اللهِ وَالسُّنَنِ الَّتِيْ

أَتَتْ عَنْ رَسُوْلِ اللهِ تَنْجُ وَتَرْبَحُ

وَدَعْ عَنْكَ آراءَ الرِّجالِ وَقَوْلَهُمْ

فَقَوْلُ رَسُوْلِ اللهِ أَزْكَىٰ وَأَشْرَحُ

وَلا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَهَّوْا بِدِيْنِهِمْ

فَتَطْعَنَ فِيْ أَهْلِ الْحَدِيْثِ وَتَقْدَحُ

إِذا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يا صَاحِ هَذِهِ

فَأَنْتَ عَلَىٰ خَيْرٍ تَبِيْتُ وَتُصْبِحُ(١)

واعلم أنَّه لا يتمُّ الفلاح إلا بترك المعاصي، وفعل الطَّاعات مع سلامتها من الآفات المفسدات، كالرياء، والإعجاب، وغير ذلك.

ولقد روى التِّرمذي وحسَّنه، عن أنس رضي الله تعالى عنه: أنَّ رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ﷺ! أيُّ الدُّعاء أفضل؟ قال: «سَلْ رَبَّكَ الْعَافِيَةَ، وَالْمُعافاةَ فِيْ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ»، ثمَّ أتاه في اليوم الثَّاني، فقال: يا رسول الله! أيُّ الدُّعاء أفضل؟ فقال له مثل ذلك، ثمَّ

---

(١) انظر: «قصيدة ابن أبي داود» (ص: ١٧)، و«طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (٢/ ٥٣).

أتاه في اليوم الثَّالث، فقال له مثل ذلك، قال: «فَإِذا أُعْطِيْتَ الْعافِيَةَ فِيْ الدُّنْيا، وَأُعْطِيْتَها فِيْ الآخِرَةِ فَقَدْ أَفْلَحْتَ»[1].

ثمَّ إنَّ أوصاف المفلحين المندرجة في صفة الإيمان كثيرة جدًّا، وباعتبار تعدد أوصافهم تعددت أصنافهم، وكل صنف فالتشبُّه بهم في الوصف المحمود مندوب إليه، محثوث عليه، وكلُّ هؤلاء الأصناف تجمعهم الطَّاعة، ورأس الطَّاعة التَّوحيد، وقول: (لا إله إلا الله)، بل هي شرط في كلِّ طاعة؛ إذ لا طاعة لمن لم يأتِ بها، وهي تدعو إلى كلِّ طاعة، وتنهى عن كلِّ معصية، ولذلك أوَّل ما بدأت الأنبياء عليهم السَّلام بالدعوة إليها، حتَّى إنَّ رسول الله ﷺ كان يرضى من كلِّ أحد في أوَّل دعوته بأن يقولها.

قال ربيعة بن عبَّاد الدَّيلي[2] رضي الله تعالى عنه: رأيت النبي ﷺ - يعني: قبل ما أسلم - بسوق ذي المجاز يقول: «يَا أَيُّها النَّاسُ! قُوْلُوْا: لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ تُفْلِحُوْا»، فدخل فجاجها والنَّاس منقضُّون عليه، فما رأيت أحداً يقول شيئاً، وهو لا يسكت؛ يقول: «يَا أَيُّها النَّاسُ! قُوْلُوْا: لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ تُفْلِحُوْا»، إلا أنَّ وراءه رجلاً أحول، وَضِيء الوجه، ذا غديرتين يقول: إنَّه صابئ كاذب، فقلت: من هذا الذي يكذِّبه؟ قالوا: هذا عمُّه أبو لهب.

---

(١) رواه الترمذي (٣٥١٢).

(٢) في «أ»: «الديلمي»، والمثبت من «المسند» للإمام أحمد (٣/ ٤٩٢).

قال أبو الزناد: قلت له: كنت يومئذ صغيراً؟ قال: لا ـ والله ـ إنِّي لأعقل، وأحمل القربة. أخرجه أبو الحسين عبد الباقي بن قانع في «معجم الصحابة»[1].

ثمَّ إنَّ الطَّائعين ينقسمون إلى أربعة أصناف:

- أنبياء.
- وصدِّيقين.
- وشهداء.
- وصالحين ليسوا بأنبياء، ولا صدِّيقين، ولا شهداء، وهم مندرجون في الصالحين أيضاً.

وقد أشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾[النساء: ٦٩].

وهذه الآية من أصرح الأدلة على أنَّ من تشبَّه بقوم كان معهم؛ لأنَّ طاعـة الله جامعة لكلِّ أخلاق الأنبياء والصدِّيقين والشهداء والصالحين وأعمالهم التي من جاء بها كان متشبِّهاً بهم.

ومهما كان العبد مطيعاً فقد تشبَّه بهم في الطَّاعة، ومن أطاع الله فهو

---

(١) رواه ابن قانع في «معجم الصحابة» (٢/ ١٠٩١)، والإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٩٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٤٥٨٢)، وقوَّى إسناده الذهبيُّ في «تاريخ الإسلام» (١/ ١٥١).

من عباد الله الطَّائعين، وفي سلكهم في الدُّنيا والآخرة.

وما الطَّائعون من الثقلين إلا هؤلاء الطَّوائف الأربعة، ومن أطاع الله تعالى فقد أخذ بحظ من التَّشبه بهم، والتخلُّق بأخلاقهم، فليحمد الله على هذه المِنَّة، وليشكره على هذه النعمة.

وقد روى أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب «العظمة» عن أحمد بن أبي الحواري رحمه الله تعالى قال: التقى حكيمان من الحكماء، فقال أحدهما لصاحبه: بم عرفت ربَّك؟ قال: بفسخ العزم، ومنع الهم؛ لما عزمت فحال بيني وبين عزمي القدر، وهممت فحال بيني وبين همي، علمت أنَّ المستولي على قلبي غيري.

قال: فبم عرفت الشُّكر؟ قال: بكشف البلاء، لما رأيت البلاء مصروفاً عنِّي، موجوداً في غيري شكرت على ذلك.

قال: فبم أحببت لقاءه؟ قال: بأصل التَّخيير، وانتفاء التُّهمة.

قال: فما أصل التَّخيير، وانتفاء التُّهمة؟ قال: لما اختار لي دين الملائكة والأنبياء أحسنت به الظَّن، ونفيت عنه التُّهمة، وعلمت أنَّ الذي اختار لي هذا لا يسيء إلي، فأحببت لقاءه[1].

ومما يصرِّح وينصُّ على أنَّ الله تعالى اختار لأوليائه من عباده دين الأنبياء والملائكة عليهم السَّلام: أنه سبحانه أمرنا أن نسأله الهداية إلى صراطهم في كلِّ يوم وليلة سبع عشرة مرَّة في قراءة الفاتحة في الصَّلوات

---

(١) رواه أبو الشيخ الأصبهاني في «العظمة» (١/ ٣٣٢).

الخمس أمراً افترضه علينا، سوى ما ندبنا إليه من النَّوافل، وذلك في قولنا: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة: ٦ ـ ٧].

روى الإمام محمَّد بن جرير الطَّبري في «تفسيره» عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أنَّ المراد بالذين أنعمت عليهم: الأنبياء والملائكة والصدِّيقون والشُّهداء ومن أطاع الله وعَبَده[1].

أي: وهم سائر الصَّالحين.

وهذا أرجح الأقوال في تفسير المُنْعَم عليهم، وأعمُّها، وأتمُّها.

فإن قلت: لم يذكر الله تعالى الملائكة في قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ الآية [النساء: ٦٩]، مع أنَّ الملائكة من أهل الطَّاعة المنعم عليهم، كما في حديث ابن عبَّاس؟

قلت: لأنَّ هؤلاء الأربعة الأصناف ـ وإن شاركتهم الملائكة عليهم السَّلام في إحلال الرِّضوان عليهم في دار الآخرة مع الخلود ـ فإنَّهم يتميزون عنهم في تلك الدَّار بأنواع التَّمتعات الشَّهوانية الناشئة عن النُّفوس المطمئنَّة، كما قال الله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠] إلى قوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ

(١) رواه الطبري في «التفسير» (١/ ٧٦).

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾[فصلت: ٣١].

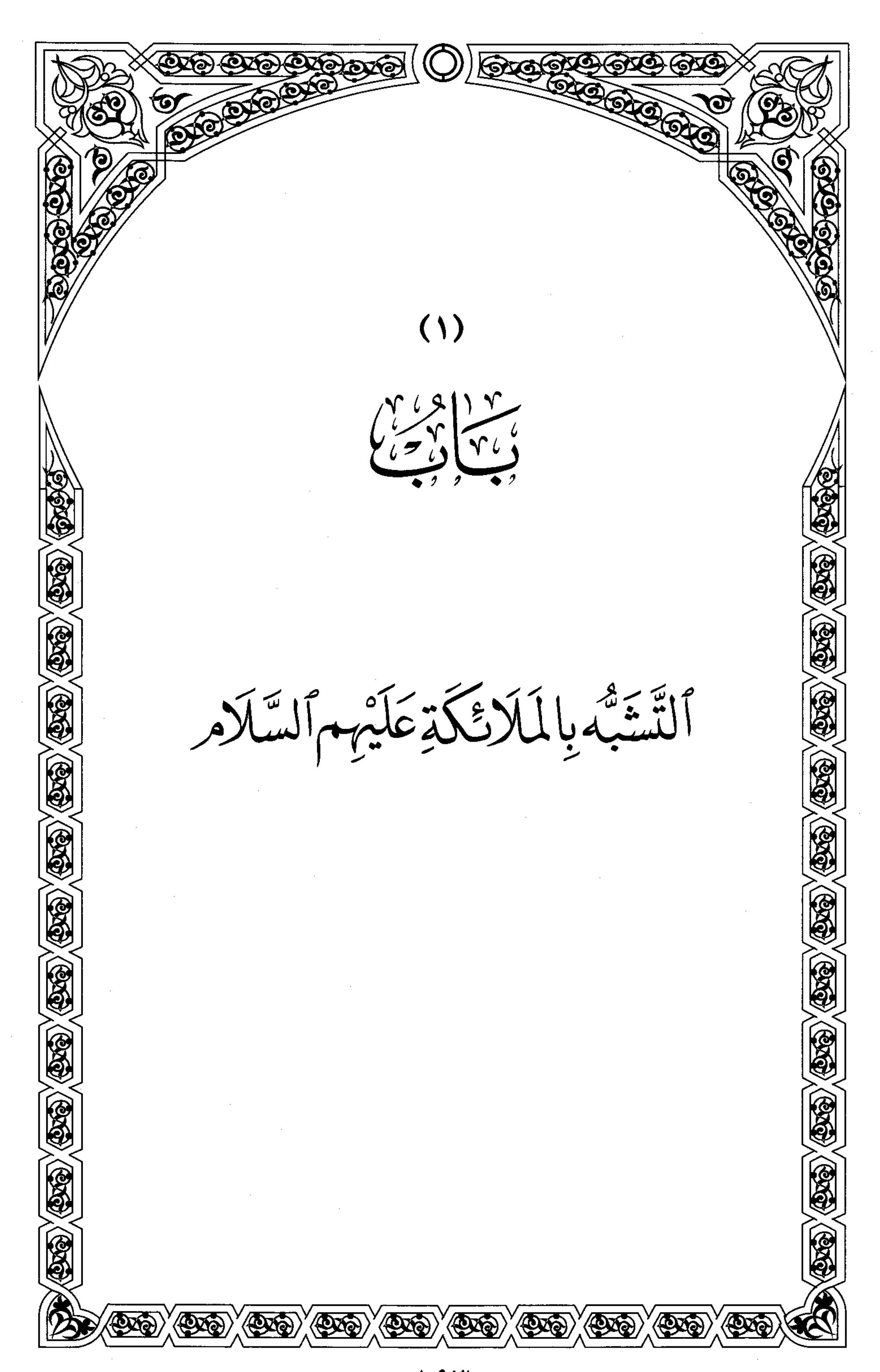
فمن أنواع التَّمتعات الْجِنانية ما يختصُّ به المقربون من البشر دون الملائكة عليهم السَّلام.

وفي الآية إشارة إلى أنَّ من أطاع الله تعالى ورسوله لا يفوته شيء من نعيم الجنَّة، سواء ألحق بكلِّ الطَّوائف الأربعة، أو بطائفة منهم؛ لأنَّ كل طائفة منهم فلها حظُّها من سائر إمتاعات الجنَّة بخلاف الملائكة عليهم السَّلام، والإشارة إلى ذلك دقيقة، فينبغي تفهمها!

وقد تحرر لك أنَّ الذين يحسن التَّشبه بهم من خلق الله تعالى هم هؤلاء الطوائف الأربعة المذكورون في الآية الكريمة، وطائفة أخرى خامسة، وهم الملائكة المكرمون.

واستقصاء أعمال هؤلاء الطَّوائف وأخلاقهم وأحوالهم لا يمكن، إلا أنَّني أحببت أن أذكر منها نبذة في أبواب متفرقة، والله سبحانه هو الموفق والمعين.



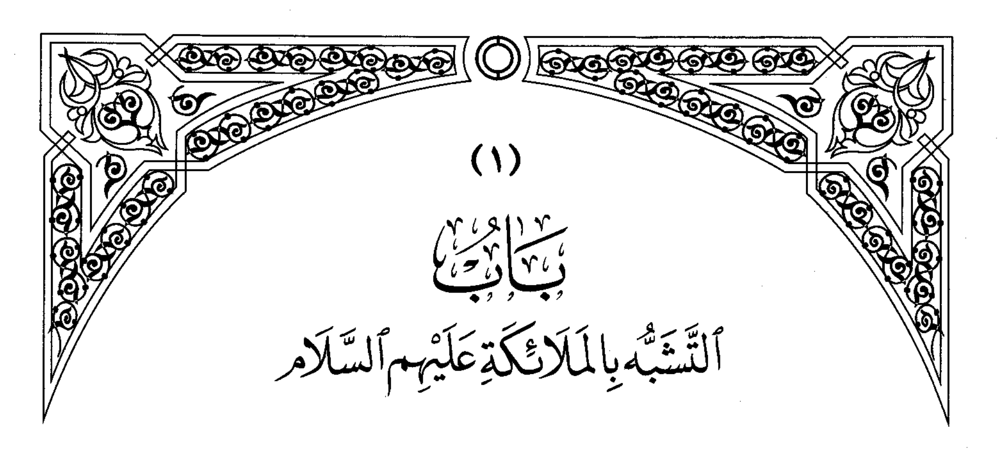


(١)

بَابُ

التَّشَبُّهِ بِالمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ





(١)
بَابُ
التَّشَبُّه بِالمَلائِكَةِ عَلَيْهِم السَّلام

اعلم أنَّ التَّشبه بالملائكة مشروع لأنَّهم من جملة من أمرنا بطلب الهداية إلى صراطهم في قراءة الفاتحة في قوله تعالى معلِّماً لنا: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[الفاتحة: ٦ ـ ٧]، كما تقدم عن ابن عبَّاس رضي الله تعالى عنهما.

ولعموم قوله ﷺ: «مَنْ تَشَبَّه بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»[١].

ولأنَّه قد ورد: «تَخَلَّقُوْا بِأَخْلاقِ اللهِ تَعَالَىْ»[٢] مع شدَّة المباينة بينه وبين خلقه، فجواز التخلق بأخلاق الملائكة عليهم السَّلام والتَّشبه بهم أولى.

ولقد عاب الله تعالى إبليس الرَّجيم بتأخره عن التَّشبه بالملائكة عليهم السَّلام، وعاتبه على ذلك، ووبخه به، ولعنه بسببه ـ خصوصاً حين اعتذر عنه بما في رأيه القاصر ـ، فقال تعالى: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٣٠ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٣١ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) قال الإمام ابن القيم في «مدارج السالكين» (٣/ ٢٤١): باطل.

مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الحجر: ٣٠ ـ ٣٥].

أخرجه من جنته حين باين أهل حضرته، وفارقهم، ثمَّ رجمه ولعنه.

وحقيقة الرَّجم واللعن الإبعاد عن رحمة الله تعالى؛ لأنَّه بالغ في البعد عن أهل القربة والزُّلفة بتبرئته من عملهم، وتقبيحه حالهم، فبولغ في إبعاده، وأُبِّدت لعنته.

وقد رغب آدم عليه السَّلام في التَّشبه بالملائكة حين حدَّثه إبليس أن أكل الشجرة يلحقه بالملائكة، فكان ذلك هو الدَّاعي له على أكل الشجرة، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠ ـ ٢١].

قال قتادة: حلف لهما بالله إبليس حتَّى خدعهما، وقد يُخدع المؤمن بالله[١].

قال: وكان بعض أهل العلم يقول: من خادعنا بالله خدعنا. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم، وغيرهما[٢].

فلمَّا حَلف ظنَّ آدم أن أحداً لا يحلف بالله إلا صادقاً.

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٨/ ١٤١).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (٨/ ١٤١)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٥/ ١٤٥١).

وقد استدل بالآية من فضل الملائكة على الأنبياء عليهم السَّلام.

ولا دليل فيها؛ لأنَّه استقرَّ في العقول أنَّ الحقائق لا تنقلب، ولكن رغب آدم وحواء أن يكون لهما ما للملائكة من تمام القوَّة، وكمال القدرة على الطَّاعة، وطول العمر فيها، وكمال الفطرة، والغنية عن المأكل والمشرب.

أو كان ذلك قبل اصطفاء آدم عليه السَّلام.

أو ذلك على معتقد إبليس من أنَّ جنس الملك أفضل من جنس البشر، كما نصَّ على ذلك شيخ الإسلام والدي في «تفسيره» وغيرُه[1].

والمقصود: أنَّ طلب العبد لمشاركة الملائكة فيما هم عليه من كمال الطَّاعة، وسائر الخصال الحميدة من شأن الكلِّ.

ومن أعظم الأحاديث الدَّالة على استحباب التَّشبه بالملائكة عليهم السَّلام ما ثبت في «صحيح مسلم»، وغيره عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثِّياب، شديد سواد الشَّعر، لا يرى عليه أثر السَّفر، ولا يعرفه منَّا أحد، حتَّى جلس إلى النَّبيِّ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفَّيه على فخذيه، قال: يا محمَّد! أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُوْلُ اللهِ، وَتُقِيْمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُوْمَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ

---

(١) انظر: «الحبائك في أخبار الملائك» للسيوطي (ص: ٢٢٣).

سَبِـيْلاً»، قال: صدقت، فعجبنا له يسأله، ويصدِّقه، قال: فأخبرني عن الإيمـان، قال: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِـهِ، وَكُتُبِـهِ، وَرُسُـلِهِ، وَالْيَـوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَـدَرِ؛ خَيْرِهِ، وَشَرِّهِ»، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: «أَنْ تَعْبُـدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَراهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَراهُ فَإِنَّهُ يَراكَ»، قال: فأخبرني عن السَّاعـة، قال: «مَا الْمَسْؤُوْلُ عَنْها بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»، قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: «أَنْ تَلِـدَ الأَمَةُ رَبَّتَها، وَأَنْ تَرَى الْحُفاةَ الْعُراةَ رِعـاءَ الشَّاءِ يَتَطاوَلُـوْنَ فِيْ الْبُنْيانِ»، ثمَّ انطلق، فلبث مليّاً، ثمَّ قال: «أَتَدْرِيْ يا عُمَرُ مَنِ السَّائِلُ؟» قلت: الله، ورسوله أعلم، قال: «فَإِنَّهُ جِبْرِيْلُ أَتاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِيْنَكُمْ»[1].

فقوله: «أَتاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِيْنَكُمْ»؛ أي: يعلمكم أحكام دينكم، وكيف تأخذون دينكم، وتسألون عنه.

أي: فعل ذلك معلِّماً لكم لتتشبَّهوا به في أخذكم دينكم من نبييكم، ومن علمائكم.

وقد اشتمل هذا الحديث على جملة من أخلاق الملائكة التي ينبغي التَّخلُّق بهـا كلبس الثِّياب البيض، والتَّجمُّـل للدخـول على المعلِّم، والتَّأدُّب معه في الجلوس بين يديه على نعت الأدب، ووضع اليدين على الرُّكبتين، والسؤال عن أحكام الدين، وعن دقائق العلم ورقائقه، ومكافـأة المعلِّم بالتصديق فيما يقـول، والسـؤال عن العلم ـ وإن كـان

---

(١) رواه مسلم (٨).

السَّائل عالماً به ـ ليستفيد الحاضرون، وليتعلَّموا كيفية السؤال، وحمل المعلِّم ـ وهـو معنى الاستملاء الذي اعتاده المحدِّثـون ـ، والبداءة في تعلُّم العلم بالأهم فالأهم، وطلب رقائق العلم بعد التضلُّع من المحتاج إليه منه، وعدم الاعتراض على الأستاذ، والإقبال عليـه دون غيـره في مجلس التعلُّم، وغير ذلك.

وقد أشار النبي ﷺ إلى النَّدب إلى التَّشبه بجبريل عليه السَّلام في هذه الخصال بقوله: «هَذَا جِبْرِيْلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِيْنَكُمْ».

وقد قلت ملمِّحاً بهذا الحديث الشَّريف: [من الطويل]

لَقَــدْ جـاءَ جِبْرِيْــلُ النَّبِــيَّ مُحَمَّــداً
يُعَلِّمُنــا الــدِّيْنَ الْقَــوِيْمَ الْمُؤَيَّــدَا

لَــهُ أَدَبٌ فِــيْ سَــمْتِهِ وَتَجَمُّــلٌ
لِيُتْبَــعَ فِــيْ حَمْــلِ الْعُلُــوْمِ وَيُقْتَــدَىْ

يُــسائِلُ عَــنْ أَحْكــامِ دِيْــنٍ وَيَبْتَــدِيْ
بِــأَوْلَىْ فَــأَوْلَىْ فِــيْ اسْــتِفَادَتِهِ الْهُــدَىْ

وَمِنْ بَعْدِ حُكْـمِ الـدِّيْنِ يَـسْأَلُ عَـنْ دقـا
ئِــقَ تَعْلِيْمــاً لِعَبْــدٍ بِــهِ اقْتَــدَا

تَــشَبَّهْ بِــهِ فِيْمــا ذَكَــرْتُ مُحــاذِراً
هَوَىْ مَـنْ يُتابِـعُهُ إِلَـىْ الأَرْضِ أَخْلَـدا

فَمَــنْ يَكُــنِ الــرُّوْحُ الأَمِــيْنُ إِمامَــهُ
فَفِــيْ جَنَّــةِ الْفِــرْدَوْسِ يَبْقَــىْ مُؤَبَّــدا

وذكر الإمام أبو طالب المكِّي في كتاب «قوت القلوب»: أنَّ في بعض كتب الله تعالى: يا بني إسرائيل! لا تقولوا: العلمُ في السَّماء من ينزل به؟ ولا في تخوم الأرض من يصعد به؟ ولا: من وراء البحار من يعبر فيجيء به؟

العلم مجعـول في قلوبكم، تأدَّبـوا بين يديَّ بآداب الروحـانيين، وتخلَّقوا لي بأخلاق الصدِّيقين أظهر العلم من قلوبكم حتَّى يغطيكم، ويغمركم[1].

أراد بالرُّوحانيين: الملائكة عليهم السَّلام.

وقوله: مجعول في قلوبكم؛ يعني: إنَّ القلوب لها قابلية العلم، وإنَّما ينمو العلم فيها، ويظهر منها إذا تشبَّه العبـد بالملائكـة في الآداب، والصديقين في الأخلاق؛ لأنَّ الطَّاعـة التي هي عبارة عن العمل بالعلم شكر لنعمة العلم، والشكر يقتضي المزيد.

وفي الحديث: «مَنْ عَمِلَ بِما عَلِمَ وَرَّثَهُ اللهُ عِلْمَ ما لَمْ يَعْلَمْ». رواه أبو نعيم من حديث أنس رضي الله عنه[2].

---

(١) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (٢/ ٣٩٨).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ١٥) وقال: ذكر أحمد بن حنبل هذا الكلام عن بعض التابعين عن عيسى بن مريم عليـه السلام فوهم بعض الرواة=

وفي كتاب الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾[البقرة: ٢٨٢]؛ أي: إن تتقوه، وهو معنى العمل بالعلم.

وروى أبو نعيم عن كثير بن الوليد قال: كنت إذا رأيت ابنَ شَوذَب ذكرت الملائكة[1].

أي: لإقباله على الطَّاعة، وعدم السَّآمة منها، وملازمة الأدب.

ولنذكر من أخلاق الملائكة عليهم السَّلام جملة صالحة سوى ما تقدَّم:

١ ـ فمنها: الشَّهادة لله تعالى بالوحدانية:

قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[آل عمران: ١٨].

ذكر البغوي[2]: أنَّ رسول الله ﷺ سئل عن أعظم شهادة في القرآن، فأنزل الله تعالى عليه هذه الآية[3].

قلت: وإنَّما كانت أعظم شهادة في القرآن لأنَّها جمعت بين شهادة الله تعالى، وشهادة ملائكته، وشهادة خواص الثقلين من خليقته، وهم أولوا العلم من الأولياء والأنبياء، والمشهود به في الشَّهادات الثلاث

= أنه ذكره عن النبي ﷺ فوضع هذا الإسناد عليه لسهولته وقربه.

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٣١).

(٢) في «أ»: «العلبي».

(٣) ذكره البغوي في «التفسير» (١/ ٢٨٥).

وحدانية الله تعالى واستبداده بالألوهية، وذلك أعظم مشهود به.

وقد روى الطَّبراني، والبيهقي بسند معضل، عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُجاءُ بِصاحِبِها ـ يعني: هذه الآية ـ يَوْمَ الْقِيامَةِ، فَيَقُوْلُ اللهُ تَعَالَىْ: عَبْدِيْ عَهِدَ إِلَيَّ، وَأَنا أَحَقُّ مَنْ وَفَا، أَدْخِلُوْا عَبْدِيَ الْجَنَّةَ»[1].

وقال الشيخ الوالد رضي الله تعالى عنه في «تفسيره» عاقداً لهذا الحديث: [من الرجز]

بِصاحِبِ الآيَةِ فِيْ الْحَشْرِ يُجَا
وَإِنَّهُ ما بَيْنَ خَوْفٍ وَرَجَا
إِذْ قالَ ذُوْ الْجَلالِ إِنَّ عَبْدِيْ
هَذَا لَهُ عَهْدٌ عَظِيْمٌ عِنْدِيْ
وَإِنَّنِيْ أَحَقُّ مَنْ وَفَىْ الْعُهُوْدْ
فَأَدْخِلُوْهُ جَنَّتِيْ دارَ الْخُلُوْدْ

٢ ـ ومنها: الشَّهادة للنبي ﷺ بالرسالة والنُّبوَّة:

قال الله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[النساء: ١٦٦].

(١) رواه الطَّبراني في «المعجم الكبير» (١٠٤٥٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٤١٤) وضعفه.

وتقدَّم في حديث عمر رضي الله تعالى عنه قوله ﷺ لجبريل عليه الصَّلاة والسَّلام: «الإِسْلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُوْلُ اللهِ»، الحديث، وقول جبريل له: «صدقت»[1].

*** تَنْبِيْهٌ:**

قد تبين بالآيتين المذكورتين آنفاً أنَّ من أوصاف الله تعالى شهادته لنفسه بالألوهية والوحدانية، ولمحمد ﷺ بالرسالة والنبوة ـ وكفى بالله شهيداً، وبشهادته شهادة ـ فمن شهد بهاتين الشهادتين كان متخلقاً بخلقٍ من أخلاق الله تعالى، وأخلاق ملائكته الكرام عليهم السلام.

٣ ـ ومنها: الإيمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره؛ لحديث عمر المتقدم، ولقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾[غافر: ٧] الآية.

*** لَطِيْفَةٌ:**

قال بعض المحققين: في ثناء الله تعالى على الملائكة بالإيمان إشعار بأن حملة العرش وسكان الفرش في معرفة الله تعالى سواء[2].

وفيه رد على المجسِّمة، وإلا قال عوض: ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾[غافر: ٧]: ويشاهدون، أو: يعاينون.

ونظير هذا قول إمام الحرمين في قوله ﷺ: «لا تُفَضِّلُوْنِي عَلَىْ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: «تفسير البيضاوي» (٥/ ٨٤).

يُونُسَ بْنِ مَتَّىْ»[1]: إن يونس حين كـان في بطن الحوت لم يكن دون محمد ﷺ في القرب حين كان قاب قوسين أو أدنى.

٤ ـ ومنها: الإحسان:

لحديـث عمر[2] أيضاً؛ فإن الملائكـة عليهم السـلام دائماً إما في مشاهدة، وإما في مراقبة، ويشير إلى هذا قولـه تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[النحل: ٥٠].

٥ ـ ومنها: اعتقاد أن الحسنات والسيئات من الله، والخير والشر من الله، ومذاكرة العلم والمناظرة فيه لإظهار الحق، والرجوع إلى الحق في المناظرة دون التعميم على رأي النفس وقولها.

روى البزار، والبيهقي في «شرح الأسماء» عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ، فأقبل أبو بكر، وعمر رضي الله عنهما في قيام من الناس، وقد ارتفعت أصواتهما، فجلس أبو بكر قريباً من رسول الله ﷺ، وجلس عمر قريباً منه، فقال رسول الله ﷺ: «لِمَ ارْتَفَعَتْ أَصْواتُكُما؟» فقال رجل: يا رسول الله! قال أبو بكر: الحسنات من الله، والسيئات من أنفسنا، فقال رسول الله ﷺ: «فَما قُلْتَ يا عُمَرُ؟» قال: قلت: الحسنات، والسيئات من الله تعالى، فقال رسول الله ﷺ: «أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّم فِيْهِ جِبْرِيْلُ، وَمِيْكائِيْلُ عَلَيْهِمَا السَّلامُ فَقَالَ مِيْكائِيْلُ مَقالَتَكَ

---

(١) ذكره ابن قتيبة في «تأويل مختلف الحديث» (ص: ١١٦)، قال الزيلعي في «تخريج الأحاديث والآثار» (ص: ٢٦٤): غريب جداً.

(٢) تقدم تخريجه.

يا أَبَا بَكْرٍ، وَقالَ جِبْرِيْلُ مَقالَتَكَ يا عُمَرُ، فَقالَ: إِنْ نَخْتَلِفْ تَخْتَلِفْ أَهْلُ السَّماءِ، وَإِنْ تَخْتَلِفْ أَهْـلُ السَّماءِ تَخْتَلِفْ أَهْـلُ الأَرْضِ، فَتَحاكَما إِلَىْ إِسْرافِيْلَ عَلَيْهِ السَّلامُ، فَقَضَىْ بَيْنَهُما أَنَّ الْحَسَناتِ وَالسَّيِّئاتِ مِنَ اللهِ»، ثم أقبل النبي ﷺ على أبي بكر، وعمر، فقال: «احْفَظا قَضائِيَ بَيْنَكُما؛ لَوْ أَرادَ اللهُ أَنْ لا يُعْصَىْ لَمْ يَخْلُقْ إِبْلِيْسَ»[1].

٦ ـ ومنها: الوضوء، ونضح الفرج بالماء بعده خشية الوسواس، وتعليم الوضوء، وسائر العبادات للغير:

روى الإمام أحمد عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ: أن جبريل عليه السلام لما نزل على النبي ﷺ فعلمه الوضوء، فلما فرغ من وضوئه أخذ حفنة من ماء، فرشَّ بها نحو الفرج، فكان رسول الله ﷺ يرش بعد وضوئه[2].

٧ ـ ومنها: السواك:

روى الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» عن زيد بن رفيع قال:

---

(١) رواه البزارفي «المسند» (٢٤٩٦). قال ابن كثير في «التفسير» (١/ ٥٢٩): قال شيخ الإسلام: هذا حديث موضوع مختلق باتفاق أهل المعرفة، وقد روى البيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ٣٥١) قوله: «لو أراد الله تعالى أن لا يعصى لم يخلق إبليس» موقوفاً من قول عمر بن عبد العزيز.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٠٣). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٤١): وفيه رشدين بن سعد وثقه هيثم بن خارجة وأحمد بن حنبل في رواية، وضعفه آخرون.

دخل على النبي ﷺ جبريل وميكائيل وهو يستاك، فناول رسول الله ﷺ جبريل السواك، فقال جبريل عليه السلام: كَبِّرْ.

قال الترمذي: أي: ناول ميكائيل؛ فإنه أكبر[1].

قلت: يحتمل أن الملائكة عليهم السلام تستاك حقيقة امتثالاً للأمر، وإرشاداً للخلق، وإن لم يكن في أفواههم ما يحتاج إلى الإزالة كما في أفواه بني آدم.

* تَنْبِيْهٌ:

في هذا الحديث إشارة إلى أن ميكائيل أكبر من جبريل عليهما السلام، والظاهر أن الكبر بمعنى القدم، ففيه دليل على أن ميكائيل خلق قبل جبريل، ولا يجوز حمله على الكبر بمعنى العظم من حيث الفضل؛ فإن جبريل عليه السلام أفضل.

٨ ـ ومنها: إقام الصلاة:

وهي صلاتنا المعهودة إن قلنا: إن الملائكة عليهم السلام متعبدون بشرع نبينا ﷺ؛ أي: فيما يتأتى منهم من الأحكام.

ويدل لذلك حديث عمر المشار إليه ـ أيضاً ـ.

وقال أبو عمر بن عبد البر: قد روي عن عكرمة ما يدل على أن أهل السماء يصلُّون في حين صلاة أهل الأرض، ويُؤَمِّنُوْنَ أيضاً، فمن

(١) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ٧١).

وافق ذلك منهم غفر له[1]. نقله ابن سيد الناس في «شرح الترمذي».

وروى ابن أبي شيبة عن القاسم، عن أبيه قال: دخل عبدالله بن مسعود المسجد لصلاة الفجر، فإذا قوم قد أسندوا ظهورهم إلى القبلة، فقال: تنحوا عن القبلة، لا تَحُولوا بين الملائكة وبين صلاتها؛ فإن ما بين الركعتين صلاة الملائكة عليهم السلام[2].

وروى الإمام محمد بن نصر المروزي في كتاب «الصلاة»، وابن جرير، وغيرهما عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما فِيْ السَّماءِ مَوْضعُ قَدَمٍ إلاَّ وَعَلَيْهِ مَلَكٌ ساجِدٌ أَوْ قائِمٌ، وَذَلِكَ قَوْلُ الْمَلائِكَةِ: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ ۝١٦٤ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ [الصافات: ١٦٤ ـ ١٦٥]»[3].

وروى محمد بن نصر، وابن عساكر عن العلاء بن سعد: أن رسول الله ﷺ قال يوماً لجلسائه: «أَطَّتِ السَّماءُ وَحُقَّ لَها أَنْ تَئِطَّ؛ لَيْسَ مِنْها مَوْضعُ قَدَمٍ إلاَّ عَلَيْهِ مَلَكٌ راكِعٌ أَوْ ساجِدٌ»، ثم قرأ: ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ۝١٦٥ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: ١٦٥ ـ ١٦٦][4].

---

(١) انظر: «التمهيد» لابن عبد البر (٢٢/ ٣٢).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦٤٣٧)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٤٧٩٩).

(٣) رواه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١/ ٢٦٠)، والطبري في «التفسير» (٢٣/ ١١١).

(٤) رواه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١/ ٢٦١)، وابن عساكر في =

وقال أبو طالب المكي: يقال: إن المصلين من الملائكة يُسَمَّون في السماوات خُدَّام الرحمن، ويفخرون بذلك على سائر المرسلين من الأملاك[1].

٩ ـ ومنها: كثرة السجود لله تعالى:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[النحل: ٤٩ ـ ٥٠].

وروى الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه، والحاكم عن أبي ذر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنِّيْ أَرَىْ ما لا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ ما لا تَسْمَعُوْنَ؛ إِنَّ السَّماءَ أَطَّتْ وَحُقَّ لَها أَنْ تَئِطَّ؛ ما فِيْها [موضع] أَرْبَع أَصابعَ إِلاَّ وَمَلَكٌ واضعٌ جَبْهَتَهُ ساجِداً لِلَّهِ تَعَالَىْ»[2].

وفي لفظ: «أَطَّتِ السَّماءُ وَحُقَّ لَها أَنْ تَئِطَّ؛ ما مِنْها مَوْضعُ أَرْبَعِ أَصابعَ إِلاَّ وَعَلَيْهِ مَلَكٌ واضعٌ جَبْهَتَهُ»[3].

وروى ابن أبي حاتم الرازي، وأبو القاسم الطبراني، والضياء

= «تاريخ مدينة دمشق» (٥٢/ ٣٨١).

(١) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (٢/ ١٦٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٧٣)، والترمذي (٢٣١٢) وحسنه، وابن ماجه (٤١٩٠) واللفظ له، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٨٣).

(٣) هذا لفظ الترمذي (٢٣١٢).

المقدسي في «المختارة»، وغيرهم عن حكيم بن حزام رضي الله تعالى عنه قال: بينا رسول الله ﷺ مع أصحابه فقال لهم: «تَسْمَعُوْنَ ما أَسْمَعُ؟» قالوا: ما نسمع من شيء، قال: «إِنِّيْ لأَسْمَعُ أَطِيْطَ السَّماءِ، وَما تُلامُ أَنْ تَئِطَّ؛ ما فِيْها مَوْضِعُ قَدَمٍ إِلاَّ عَلَيْهِ مَلَكٌ ساجِدٌ أَوْ قائِمٌ»[1].

وروى أبو بكر بن مردويه في «تفسيره» عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَطَّتِ السَّماءُ وَيَحِقُّها أَنْ تَئِطَّ؛ وَالَّذِيْ نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ما فِيْها مَوْضِعُ شِبْرٍ إِلاَّ فِيْهِ جَبْهَةُ مَلَكٍ ساجِدٍ يُسَبِّحُ اللهَ بِحَمْدِهِ».

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «المتمنين» عن يحيى بن جعدة قال: قال عمر ﷺ: لولا ثلاث لأحببت أن أكون قد مت؛ لولا أن أضع جبيني لله ساجداً، أو أجالس أقواماً يلتقطون طيب الكلام كما يلتقط طيب التمر والبُسر، أو أكون في سبيل الله، لأحببت أن أكون قد مت[2].

* **تَنْبِيْهٌ**:

يتأتى التشبه بالملائكة عليهم السلام في كثرة السجود بكثرة الصلاة، وبسجود التلاوة، وسجود الشكر عند هجوم نعمة أو اندفاع نقمة أو رؤية مبتلى.

وأما السجود هكذا مجرداً عن هذه المعاني فإنه غير مشروع.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١/ ٢٠٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٣١٢٢).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «المتمنين» (ص: ٨٠)، والإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١١٧).

وأما ما ينقل عن بعض الصوفيـة من كثـرة السجود فمحمول على أنهم مراقبون بسرائرهم وأحوالهم، فكلما فجأهم حال شريف، أو نزلوا في مقام منيف سجدوا شكراً لهجوم تلك النعمة، وكلما تخلصوا من آفة من آفات الطريق سجدوا لاندفاع تلك الآفة، وكلما رأوا مبتلى بمعصية سجدوا لذلك.

وأما سجود بعض المتصوفة لصورة جميلة، أو لشيوخهم فإنه ضلال شبيه بسجود النصارى لأساقفتهم، كما سيأتي.

قال رسول الله ﷺ: «لَوْ كُنْتُ آمِراً أَحَـداً أَنْ يَسْجُدَ لأَحَـدٍ لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِها»[1]. رواه الإمام أحمد عن معـاذ، والترمـذي وصححه، عن أبي هريرة، والحاكم وصححه، عن بريدة رضي الله عنهم.

* **فَائِدَةٌ:**

قال أبو الليث السمرقندي في «تنبيه الغافلين»: يقال: إن الله تعالى خلق سبع سماوات، وحَشَاها بالملائكة، وتعبَّدهم بالصلاة لا يَفْتُرُوْنَ ساعة، فجعل لأهل كل سماء نوعاً من العبادة، فأَهْـل سماء قيـام على أرجلهم إلى نفخـة الصور، وأهـل سماء سجود، وأهـل سماء مرخيـة الأجنحة من هيبته، وأهل عليين، ومن حول العرش يسبحون بحمـد

---

(١) رواه رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٢٧) عن معاذ، ورواه الترمذي (١١٥٩) وحسنه عن أبي هريرة، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٧٣٢٦) عن بريدة.

ربهم، ويستغفرون لمن في الأرض، فجعل الله تعالى ذلك كله في صلاة واحدة كرامة للمؤمن حتى يكون لـه حظ من عبادة كل سماء، وزادهم القرآن يتلونـه فيها، وطلب منهم شكرهـا، وشكرُها إقامتها بشروطها، وحدودها. انتهى.

وروى أبـو نعيم عـن سـعيد بـن جبيـر رحـمـه الله تـعـالـى: أن رسول الله ﷺ قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَىْ فِيْ السَّماواتِ السَّبْعِ مَلائِكَةً يُصَلُّوْنَ لَهُ غِنَىً عَنْ صلاةِ فُلانٍ»؛ عن رجل من المنافقين تخلف عن الصلاة مع النبي ﷺ، وأراد عمر قتله، فقال عمـر رضي الله تعالى عنه: وما صلاتهم يا رسول الله؟ قال: فلم يردَّ عليه شيئاً، فجاءه جبريل عليه السلام فقال: «يا نبي الله! سألك عمر عن صلاة أهل السماء؟ قال: نعَمْ، فقال: اقرأ على عمر السلام، وأخبـره أن أهل سماء الدنيـا سجود إلى يوم القيامـة تقـول: سبحان ذي الملك والملكـوت، وأهل السماء الثانية ركوع إلى يوم القيامة يقولون: سبحان ذي العزة والجبروت، وأهل السماء الثالثـة قيـام إلى يوم القيامـة يقولون: سبحان الحي الذي لا يموت»[1].

وروى الإمام عبدالله بن المبارك في «الزهد والرقائـق» عن شريح ابن عبيد الحضرمي قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكعـب رحمـه الله تعالى: خَوِّفنا يا كعب، قال كعب: والله إن لله لملائكـة قياماً منـذ يوم

(١) رواه أبـو نعيم في «حليـة الأولياء» (٤/ ٢٧٧)، وكذا الطبري في «التفسير» (١/ ٢١٠).

خلقهم، ما انثنوا لأصلابهم، وآخرون ركوع ما رفعوا أصلابهم، وآخرون سجود ما رفعوا رؤوسهم حتى ينفخ في الصور النفخة الآخرة، فيقولون جميعاً: سبحانك، وبحمدك ما عبدناك ككنه ما ينبغي لك أن تعبد، ثم قال: والله لو أن لرجل يومئذ كعمل سبعين نبياً لاستقل عمله، لشدة ما يرى يومئذ، وذكر الحديث(١).

١٠ ـ ومنها: التهليل، والتكبير، والتسبيح، والتقديس، والتحميد، والحوقلة:

قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨].

وقد سبق أن الملائكة عليهم السلام يصلون الصلاة المعهودة، وسيأتي أنهم يؤذنون، وهما مستلزمان التكبير.

وقال الله تعالى: ﴿يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [غافر: ٧].

وقال تعالى حكاية عن الملائكة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠].

قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله تعالى عنهم: تسبيح الملائكة صلاتهم(٢).

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٧٥).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (١/ ٢١١). وانظر: «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» لابن عطية (١/ ١١٨).

ومنـه قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾[الصافات: ١٤٣]؛ أي: من المصلين.

وقال الفضيل: تسبيح الملائكة رفع أصواتهم بالذكر.

وقال قتادة: هو سبحان الله[(١)].

قال القرطبي في «تفسيره»: وهو الصحيح لما رواه أبـو ذر[(٢)]: أن رسول الله ﷺ سئل: أي الكلام أفضل؟ قال: «ما اصْطَفَىْ اللهُ لِمَلائِكَتِـهِ: سُبْحانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ». أخرجه مسلم[(٣)]. انتهى[(٤)].

قلت: هـو من روايـة أبي ذر رضي الله تعالى عنـه، ومقتضـاه أن تسبيحهم مجموع قوله: (سبحان الله وبحمده)، وهو مقتضى الآيات المتقدمة.

وفي الحديث: أن النبي ﷺ حكى عن نوح عليه السلام أنها تسبيح كل شيء[(٥)].

---

(١) رواه الطبـري في «التفسير» (١/ ٢١١)، وابن أبي حـاتم في «التفسـير» (١/ ٧٩).

(٢) في «أ»: «أبو داود»، والمثبت من «صحيح مسلم» (٢٧٣١)، و«الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١/ ٢٧٦).

(٣) رواه مسلم (٢٧٣١).

(٤) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١/ ٢٧٦).

(٥) يقصد الحديث الذي أخرجه أحمد (٢/ ٢٢٥) عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «إن نوحاً لما حضرته الوفاة قال لابنيه: آمركما بسبحان الله=

ومصداقه من القرآن قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾[الإسراء: ٤٤].

وروى ابن أبي شيبة عن مصعب بن سعد قال: إذا قال العبد: (سبحان الله) قالت الملائكة: (وبحمده)، وإذا قال: (سبحان الله وبحمده) صلوا عليه[١]. والله الموفق.

وروى أبو نعيم في «الحلية» عن الأوزاعي، عن حسان بن عطية، والبيهقي في «الشعب» عن الأوزاعي، قال: حدثني هارون بن رِئَاب، قالا: حملة العرش ثمانية يتجاوبون بصوت رخيم، قال: فتقول أربعة منهم: سبحانك وبحمدك على حلمك بعد علمك، وتقول الأربعة الآخرون: سبحانك وبحمدك على عفوك بعد قدرتك[٢].

رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «الذكر»، والأصبهاني في «الترغيب» عن شهر بن حوشب، وزاد فيه: لِمَا يرون من ذنوب بني آدم.

وروى البيهقي عن عبد الرحمن بن قُرط[٣] رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ ليلة أسري به سمع في السماوات: «سبحان العلي

= وبحمده، فإنها صلاة كل شيء، وبها يرزق كل شيء». صححه العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٢٤٩).

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٤٢٤).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٧٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٦٤).

(٣) في «أ»: «بردة».

الأعلى سبحانه وتعالى»[1].

وروى ابن حيان[2] الأصبهاني عن محمد بن مسلم الطائفي، عن لوط بن أبي لوط، قال: بلغني أن تسبيح سماء الدنيا: سبحان ربي الأعلى، والثانية: سبحانه وتعالى، والثالثة: سبحانه، سبحانه وبحمده، والرابعة: سبحانه، لا حول ولا قوة إلا بالله، والخامسة: سبحان محيي الموتى وهو على كل شيء قدير، والسادسة: سبحان الملك القدوس، والسابعة: سبحان الذي ملأ السماوات والأرضين السبع عزة ووقاراً[3].

وقوله: (تسبيح السماء الدنيا)؛ أي: تسبيح أهلها، وهم الملائكة عليهم السلام.

وذكرت في هذا المقام ما قرأته بخط والدي شيخ الإسلام لصاحبه العلامة السيد عبد الرحيم العباسي الإسطنبولي رحمه الله تعالى: [من مجزوء الرجز]

يَا واهِباً غُفْرانَهُ ... لِمَنْ أَعَزَّ شَانَهُ
هَبْ لِفُؤَادِيَ قُوَّةً ... تَزِدْ بِهَا إِيْمانَهُ
حَتَّىْ يَقُوْلَ دائِماً ... لِمَنْ بَرَىْ جُثْمانَهُ
سُبْحَانَهُ سُبْحَانَهُ ... سُبْحَانَهُ سُبْحَانَهُ

---

(١) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ٣٢).

(٢) في «أ»: «ابن أبي حاتم».

(٣) رواه أبو الشيخ الأصبهاني في «العظمة» (٣/ ١٠١٧).

وذكر أبو إسحاق الثعلبي في «تفسيره» عن علي رضي الله تعالى عنه: إن أول من قال: (سبحان ربي الأعلى) ميكائيل عليه السلام، وإن من قالها في سجود فإذا مات زاره ميكائيل كل يوم، ويشفع له يوم القيامة، فيدخل الجنة[1].

وذكر في كتاب «العرائس»، ونقله عنه القرطبي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، قال: إن لله تعالى ملكاً يقال له: حزقيائيل، له ثمانية عشر ألف جناح، ما بين الجناح إلى الجناح مسيرة خمس مئة عام، فخطر له خاطر، هل يقدر أن يبصر العرش جميعه؟ فزاده الله أجنحةً مثلها، فكان له ستة وثلاثون ألف جناح، ثم أوحى الله إليه: أيها الملك طِر، فطار مقدار عشرين ألف سنة، فلم يقطع رأس قائمة من قوائم العرش، ثم ضاعف الله له في الأجنحة والقوة، وأمره أن يطير، فطار مقدار ثلاثين ألف سنة أخرى، فلم يصل أيضاً، فأوحى الله إليه: أيها الملك لو طرت إلى نفخ الصور مع أجنحتك، وقوتك لم تبلغ ساق عرشي، فقال الملك: سبحان ربي الأعلى، فأنزل الله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[الأعلى: ١]، فقال النبي ﷺ: «اجْعَلُوْها فِيْ سُجُوْدِكُمْ»[2].

وفي «مسند الإمام أحمد»، و«سنن أبي داود»، و«ابن ماجه»، وآخرين وصححه ابن حبان، والحاكم، عن عقبة بن عامر الجهني

---

(١) رواه الثعلبي في «التفسير» (١٠/ ١٨٢).

(٢) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٢٠/ ١٣).

رضي الله تعالى عنه قال: لما نزل على رسول الله ﷺ: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾[الحاقة: ٥٢]، قال: «اجْعَلُوْها فِيْ رُكُوْعِكُمْ»، ولما نزلت: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[الأعلى: ١] قال: «اجْعَلُوْها فِيْ سُجُوْدِكُمْ»[١].

وروى الطبراني في «معجمه الأوسط»، والحاكم في «المستدرك» وصححه، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ أَذِنَ لِيْ أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ دِيْكٍ قَدْ مَرَقَتْ رِجْلاهُ الأَرْضَ وَعُنُقُهُ مَثْنِيَّةٌ تَحْتَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَقُوْلُ: سُبْحانَكَ ما أَعْظَمَكَ، فَيَرُدُّ عَلَيْهِ: لا يَعْلَمُ ذاكَ مَنْ حَلَفَ بِيْ كاذِباً»[٢].

وروى أبو الشيخ في كتاب «العظمة» عن ثوبان رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ دِيْكاً بَراثِنُهُ فِيْ الأَرْضِ السُّفْلَى، وَعُنُقُهُ مَثْنِيٌّ تَحْتَ الْعَرْشِ، وَجَناحَاهُ فِيْ الْهَواءِ، يَخْفِقُ بِهِا فِيْ السَّحَرِ كُلَّ لَيْلَةٍ، يَقُوْلُ: سُبْحانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوْسِ، رَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمَلِكُ لا رَبَّ غَيْرُهُ»[٣].

وروى الترمذي عن الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «ما مِنْ صباحٍ يُصْبِحُ الْعِبادُ إِلاَّ وَمُنادٍ يُنادِيْ: سُبْحانَ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٥٥)، وأبو داود (٨٦٩)، وابن ماجه (٨٨٧)، وابن حبان في «صحيحه» (١٨٩٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٨٣).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٣٢٤)، والحاكم في «المستدرك» (٧٨١٣).

(٣) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٧٥٥).

الْمَلِكِ الْقُدُّوْسِ»[1].

وأخرجه ابن السُّنِّي في «عمل اليـوم والليلة»، ولفظه: «إلاَّ صَرَخَ صارِخٌ: أَيُّها الْخَلائِقُ! سَبِّحُوْا الْمَلِكَ الْقُدُّوْسَ»[2].

وروى ابن حبان في كتاب «الثقات» عن علي رضي الله تعالى عنه قال: إن لله ديكاً رجلاه في الأرض السابعة، جناح له بالمشرق، وجناح له بالمغرب، وعنقه مثنية تحت العرش، يسبح الله تعالى ويحمـده، ويقدسه، فإذا مضى من الليل ما شاء الله أن يمضي صفـق بجناحيـه، فقال: قدوس قدوس، رب الملائكة، الحق لا إله إلا هو، فعند ذلك تصيح الديوك، وتصفق بأجنحتها[3].

قلت: ورد أن هذا الديك ملك على صورة الديك[4].

ويقال: إنه إسرافيل عليه السلام، والله الموفق.

وفي «الحلية» عن كعب الأحبار قال: إن لله تعالى ملكاً على صورة ديك، رِجْلاه في التخوم الأسفل من الأرض، ورأسه تحت العرش، فما من ليلة إلاَّ والجبار ينزله، أو ينزل إلى السماء الدنيا، فيقول: ألا من سائل فيعطى، ألا من تائب فيتاب عليه، ألا من مستغفر فيغفر له، فيسبح

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٦٩) وقال: حديث غريب.

(٢) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٥٧).

(٣) رواه ابن حبان في «الثقات» (٩/ ١٧١).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٦/ ٤).

الله تعالى، ويحمده، ثم يصوت حتى يفزع لذلك من حول العرش، فيسبحون الله، ويمجدونه، ثم أهل السماء الثانية، ثم الثالثة، ثم الرابعة، ثم الخامسة، ثم السادسة، ثم هذه السماء الدنيا، فأول من يعلم ذلك من أهل الأرض الدجاج، فأول ما يزقو الديك، فيقول: قوموا أيها العابدون، فإذا زقا الثانية قال: قوموا أيها المسبحون، فإذا زقا الثالثة قال: قوموا أيها القانتون، فإذا زقا الرابعة قال: قوموا أيها المصلون، فإذا زقا الخامسة قال: قوموا أيها الذاكرون، فإذا أصبح ضرب بجناحيه، وقال: قوموا أيها الغافلون، فمن قرأ بعشر آيات قبل أن يصبح لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ بعشرين آية قبل أن يصبح كتب من الذاكرين، ومن قرأ بخمسين آية كتب من المصلين، ومن قرأ بمئة آية كتب من القانتين، ومن قرأ بخمسين ومئة آية أعطي قنطاراً من الأجر، والقنطار مئة رطل، والرطل اثنان وسبعون مثقالاً، والمثقال أربعة وعشرون قيراطاً، والقيراط مثل أُحُدٍ[1].

وروى أبو يعلى، وابن مردويه بسند صحيح، عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «أُذِنَ لِيْ أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ قَدْ مَرَقَتْ رِجْلاهُ الأَرْضَ السَّابِعَةَ، وَالْعَرْشُ عَلَىْ مِنْكَبِهِ، وَهُوَ يَقُوْلُ: سُبْحانَكَ أَيْنَ كُنْتَ، وَأَيْنَ تَكُوْنُ»[2].

وروى الطبراني في «معجمه الكبير» عن ابن عباس ﵄، عن

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٤).

(٢) رواه أبو يعلى في «المسند» (٦٦١٩).

النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَىٰ مَلَكاً لَوْ قِيْلَ لَهُ: الْتَقِمِ السَّماواتِ السَّبْعَ، وَالأَرَضِيْنَ بِلُقْمَةٍ لَفَعَلَ؛ تَسْبِيْحُهُ: سُبْحانَكَ حَيْثُ كُنْتَ»[1].

وروى أبو الوليد الأزرقي في «تاريخ مكة» عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً قال: حج آدم عليه السلام وطاف بالبيت سبعاً، فلقيته الملائكة عليهم السلام في الطواف، فقالوا: بِرَّ حجك يا آدم، أَمَا إِنَّا قد حججنا قبلك هذا البيت بألفي عام، قال: فما كنتم تقولون في الطواف؟ قال: كنا نقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، قال آدم: فزيدوا فيها: ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال: فزادت الملائكة عليهم السلام فيها ذلك، ثم حج إبراهيم عليه السلام بعد بنائه البيت، فلقيته الملائكة في الطواف، فسلَّموا عليه، فقال لهم إبراهيم: ما كنتم تقولون في طوافكم؟ قالوا: كنا نقول قبل آدم: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فأعلمناه ذلك، فقال آدم عليه السلام: زيدوا فيها: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال إبراهيم عليه السلام: زيدوا فيها: العلي العظيم، ففعلت الملائكة ذلك[2].

وروى أبو الشيخ في «العظمة» عن وهب قال: حَمَلَةُ العرش اليوم أربعة فإذا كانوا يوم القيامة أيدوا بأربعة آخرين:

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٤٧٦). قال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٦٦): وهذا حديث غريب جداً وفي رفعه نظر، وقد يكون موقوفاً على ابن عباس ويكون مما تلقاه من الإسرائيليات.

(٢) رواه الأزرقي في «تاريخ مكة» (١/ ٤٥).

ـ ملك منهم في صورة إنسان يشفع لبني آدم في أرزاقهم.

ـ وملك في صورة نسر يشفع للطير في أرزاقها.

ـ وملك في صورة ثور يشفع للبهائم في أرزاقها.

ـ وملك في صورة أسد يشفع للسباع في أرزاقها.

فلما حملوا العرش وقعوا على ركبهم، فلقنوا: لا حول ولا قوة إلا بالله، فاستووا قياماً على أرجلهم[1].

وروى الديلمي في «مسند الفردوس» عن صفوان بن سليم، عن أنس بن مالك، عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ وهذا من لطائف الإسناد ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا نَزَلَ مِنَ السَّماءِ مَلَكٌ، وَلا صَعِدَ مِنَ السَّماءِ مَلَكٌ حَتَّىٰ يَقُوْلَ: لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاَّ بِاللهِ»[2].

وروى الأصبهاني في «الترغيب» عن أبي سعيد الخدري، أو عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: (سُبْحانَ اللهِ) قالَ الْمَلَكُ: (وَالْحَمْدُ لِلَّهِ)، وَإِذا قالَ: (سُبْحانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ) قالَ الْمَلَكُ: (وَلا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ)، وَإِذا قالَ: (سُبْحانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ) قالَ الْمَلَكُ: (وَاللهُ أَكْبَرُ)، وَإِذا قالَ: (سُبْحانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ) قالَ الْمَلَكُ:

---

(١) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ٩٥٨).

(٢) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٦٢٣٧).

(يَرْحَمُكَ اللهُ رَبُّكَ)[1]».

وروى الحافظ أبو القاسم بن عساكر في «تاريخه» عن سعد بن سنان قال: أتيت بيت المقدس أريد الصلاة، فدخلت المسجد، فبينما أنا على ذلك إذ سمعت حفيفاً له جناحان قد أقبل وهو يقول: سبحان الدائم القائم، سبحان الحي القيوم، سبحان الملك القدوس، سبحان رب الملائكة والروح، سبحان الله وبحمده، سبحان العلي الأعلى، سبحانه وتعالى، ثم أقبل حَفيفٌ يتلوه يقول مثل ذلك، ثم أقبل حفيف بعد حفيف يتجاوبون بها حتى امتلأ المسجد، فإذا بعضهم قريب مني، فقال: آدميٌّ؟ قلت: نعم، قال: لا رَوع عليك، هذه الملائكة[2].

وروى البيهقي عن علي رضي الله عنه: أنه قال: الروح ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه، في كل وجه، سبعون ألف لسان، في كل لسان سبعون ألف لغة، يسبح الله تعالى بتلك اللغات[3].

وقال الله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾[الرعد: ١٣].

وروى ابن المنذر في «تفسيره»، وأبو الشيخ في «العظمة» عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: الرعد ملك يسوق السحاب بالتسبيح

(١) ورواه البيهقي في «الدعوات الكبير» (١٢٣).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٣/ ٢١٢).

(٣) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٣٢٠).

كما يسوق الحادي الإبل بحُدائه[1].

ورويا عن الضحاك قال: الرعد ملك يسمى الرعد، وصوته الذي تسمع تسبيحه[2].

وروى أبو الشيخ ـ أيضاً ـ عن ابن عباس قال: الرعد ملك يزجر السحاب بالتسبيح والتكبير[3].

وروى البيهقي وغيره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كنا مع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في سفر، فأصابنا رعد وبرق، فقال لنا كعب: من قال حين يسمع الرعد: (سبحان من يسبح الرعد بحمده، والملائكة من خيفته) ثلاثاً، عوفي مما يكون في ذلك.

قال ابن عباس: فقلنا، فعوفينا.

ثم أدركت عمر في بعض الطريق، فإذا بردة قد أصابت أنفه، فأثرت فيه، فذكرت له قول كعب، فقال عمر: هلا أعلمتمونا حتى كنا نقول[4].

وروى الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه في «الأم» عن طاوس:

---

(١) رواه الطبراني في «الدعاء» (٩٩٣)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٢٨٤).

(٢) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٢٨١).

(٣) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٢٨٥)، والطبري في «التفسير» (١/ ١٥٠).

(٤) رواه الطبراني في «الدعاء» (٩٨٥)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٢٩٢).

أنه كان يقول إذا سمع الرعد: سبحان من سَبَّحْتَ[1].

قال الشافعي: كأنه[2] يذهب إلى قوله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾[الرعد: ١٣].

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «الذكر» عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال أُبي بن كعب ﷺ: لأدخلن المسجد فلأصلين، ولأحمدن الله بمحامد لم يحمده بها أحد، فلما صلى، وجلس ليحمد الله، ويثني عليه، فإذا هو بصوت عال من خلفه يقول: اللهم لك الحمد كله، ولك الملك كله، وبيدك الخير كله، وإليك يرجع الأمر كله ـ علانيته وسره ـ لك الحمد، إنك على كل شيء قدير، اغفر لي ما مضى من ذنوبي، واعصمني فيما بقي من عمري، وارزقني أعمالاً زاكية ترضى بها عني، وتب عليَّ، فأتى رسول الله ﷺ، فقصَّ عليه، قال: «ذَلِكَ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلامُ»[3].

وروى محمد بن نصر المروزي في كتاب «الصلاة»، وابن أبي الدنيا في كتاب «الهواتف» عن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه: أنه أتى إلى النبي ﷺ، فقال له: بينما أنا أصلي إذ سمعت متكلماً يقول: اللهم لك الحمد كله، ولك الملك كله، وبيدك الخير كله، وإليك يرجع الأمر

---

(١) انظر: «الأم» للشافعي (١/ ٢٥٣).

(٢) في «أ»: «كان».

(٣) ذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٨٨)، وقال: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «الذكر» ولم يسم تابعيه.

كله ـ علانيته وسره ـ أهلٌ أن تحمد، إنك على كل شيء قدير[1].

ولفظ ابن أبي الدنيا: أهلُ الحمد، أنت على كل شيء قدير، اللهم اغفر لي جميع ما مضى من ذنوبي، واعصمني فيما بقي من عمري، وارزقني عملاً صالحاً ترضى بـه عني، فقال له النبي ﷺ: «ذَاكَ مَلَكٌ أَتَاكَ يُعَلِّمُكَ تَحْمِيْدَ رَبِّكَ».

وروى محمد بن نصر ـ أيضاً ـ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: بينما أنا أصلي إذ سمعت متكلماً يقول: اللهم لك الحمد كله، فذكر الحديث بنحوه.

* **فَائِدَةٌ:**

روى ابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ أنـه قال: «الْحُوْرُ الْعِيْنُ خُلِقْنَ مِنْ تَسْبِيْحِ الْمَلائِكَةِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ»[2].

وروى الطبراني في «المعجم الكبير» عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «خُلِقَت الْحُوْرُ الْعِيْنُ مِنَ الزَّعْفَرانِ»[3].

---

(1) رواه محمد بن نصر المروزي في «صلاة الوتر» (ص: ١٢٨)، وابن أبي الدنيا في «الهواتف» (ص: ٥١)، والإمام أحمـد في «المسند» (٥/ ٣٩٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٩٦): رواه أحمد وفيه راو لم يسم، وبقية رجاله ثقات.

(2) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٢٩٥٥).

(3) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٨١٣)، و«المعجم الأوسط» (٢٨٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٩٦): رواه الطبراني في الكبير =

وروى ابن مردويـه، والخطيب البغـدادي في «تاريخ بغـداد» عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْحُورُ الْعِينُ خُلِقْنَ مِنَ الزَّعْفَرانِ»[1].

قلت: ولا تنافي بين الحديثين، فقد يكون من الحور العين من خلق من تسبيح الملائكة عليهم السلام، ومنهن من خلق من الزعفران، كما روى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنـه، عن النبي ﷺ قال: «ما مِنْ غَدَاةٍ مِنْ غَدْواتِ الْجَنَّةِ إلاَّ أَنَّـهُ يُزَفُّ إِلَى وَلِيِّ اللهِ فِيْها زَوْجَـةٌ مِنَ الْحُوْرِ الْعِيْنِ؛ أَدْناهُنَّ الَّتِيْ خُلِقَتْ مِنَ الزَّعْفَرانِ»[2].

أو يكون الزعفران خلق من تسبيح الملائكة، ثم خلقت منـه الحور العين.

أو يكون جواهر الحور، وأجسادهن مخلوقة من الزعفران، ثم يَحْيَيْنَ من تسبيح الملائكة ليكون تسبيحهم كاللقح للزعفران.

وروى الإمام عبدالله بن المبارك عن زيد بن أسلم قال: إن الله تعالى لم يخلق الحور العين من تراب، إنما خلقهن من مسك وكافور وزعفران، وأنتم تطمعون أن تعانقوا هؤلاء ولا تطيعون الله فيما أمركم[3].

= والأوسط وفي إسنادهما ضعفاء.

(1) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (7/ 98).

(2) رواه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (2/ 58). قال ابن كثيـر في «التفسير» (3/ 131): قال أبو محمد ـ هو ابن أبي حاتم ـ: هذا حديث غريب منكر.

(3) رواه ابن المبارك في «الزهد» (1/ 538).

وروى ابن أبي حاتم عن مالك بن دينار ـ كأنه عن بعض الكتب ـ قال: جنات النعيم بين جنان الفردوس، وبين جنان عـدن، وفيها جَوارٍ خُلِقن من ورد الجنة، قيل: ومن يسكنها؟ قال: الذين همُّوا بالمعاصي فلمَّا ذكروا عظمتي راقبوني، والذين انثنت أصلابهم من خشيتي[1].

ويجمع بين هذا وبين حديث أبي أمامة وأنس: بأن جمهـور الحـور خلقن من الزعفران، ومنهن من خلقن من مسك، أو كافـور، أو ورد، فاقتصر النبي ﷺ على ذكر الغالب.

ـ ومن أخلاق الملائكة عليهم السلام:

١١ ـ محبة مجالس الذكر، وإقبالهم عليها، وحنينهم إليها، وحفهم بها، ومساعدتهم لأهلها في الذكر، وتكثير سوادهم.

روى مسلم، والترمذي، وابن ماجـه عن أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنهما: أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُوْنَ اللهَ تَعَالَىْ إِلاَّ حَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِيْنَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»[2].

وروى الشيخان، والترمذي، والنسائي، وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً سَيَّاحِيْنَ فِيْ الأَرْضِ فُضُلاً[3]

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٤/ ١١٧٠).

(٢) رواه مسلم (٢٧٠٠)، والترمذي (٢٩٤٥)، وابن ماجه (٣٧٩١).

(٣) فضلاً: بضم الفاء والضاد، ويروى بسكون الضاد؛ أي: زيادة على الملائكة.

عَنْ كُتَّابِ النَّاسِ، يَطُوْفُوْنَ فِيْ الطُّرُقِ يَلْتَمِسُوْنَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذا وَجَدُوْا قَوْماً يَذْكُرُوْنَ اللهَ تَعَالَىْ تنادَوْا: هَلُمُّوْا إِلَىْ حاجَتِكُمْ، فَيَحُفُّوْنَ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَىْ السَّماءِ الدُّنْيا، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ ـ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ ـ: ما يَقُوْلُ عِبادِيْ؟ فَيَقُوْلُوْنَ: يُسَبِّحُوْنَكَ، وَيُكَبِّرُوْنَكَ، وَيَحْمَدُوْنَكَ، وَيُمَجِّدُوْنَكَ، فَيَقُوْلُ: هَلْ رَأَوْنِيْ؟ فَيَقُوْلُوْنَ: لا ـ وَاللهِ ـ ما رَأَوْكَ، فَيَقُوْلُ: كَيْفَ لَوْ رَأَوْنِيْ؟ فَيَقُوْلُوْنَ: لَوْ رَأَوْكَ كانُوْا أَشَدَّ لَكَ عِبادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيْداً، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيْحاً، فَيَقُوْلُ: فَمَا يَسْأَلُوْنِيْ؟ فَيَقُوْلُوْنَ: يَسْأَلُوْنَكَ الْجَنَّةَ، فَيَقُوْلُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ فَيَقُوْلُوْنَ: لا ـ وَاللهِ يا رَبِّ ـ ما رَأَوْها، فَيَقُوْلُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ فَيَقُوْلُوْنَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْها كانُوْا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصاً، وَأَشَدَّ لَها طَلَباً، وَأَعْظَمَ فِيْها رَغْبَةً، قالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُوْنَ؟ فَيَقُوْلُوْنَ: مِنَ النَّارِ، فَيَقُوْلُ اللهُ تَعَالَىْ: وَهَلْ رَأَوْها؟ فَيَقُوْلُوْنَ: لا ـ وَاللهِ يا رَبِّ ـ ما رَأَوْها، فَيَقُوْلُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْها؟ فَيَقُوْلُوْنَ: لَوْ رَأَوْها كانُوْا أَشَدَّ مِنْها فِراراً، وَأَشَدَّ لَهَا مَخافَةً، فَيَقُوْلُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّيْ قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، فَيَقُوْلُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلائِكَةِ: فِيْهِمْ فُلانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جاءَ لِحاجَةٍ، فَيَقُوْلُ: هُمُ الْقَوْمُ لا يَشْقَىْ بِهِمْ جَلِيْسُهُمْ»(١).

وفي رواية مسلم: «إِنَّ لِلَّهِ تَبارَكَ وَتعالَىْ مَلائِكَةً سَيَّارَةً فُضُلاً عَنْ كُتَّابِ النَّاسِ يَبْتَغُوْنَ مَجالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذا وَجَدُوْا مَجْلِساً فِيْهِ ذِكْرٌ قَعَدُوْا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضاً بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّىْ يَمْلَؤُوْا ما بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّماءِ،

---

(١) رواه البخاري (٦٠٤٥) واللفظ له، ومسلم (٢٦٨٩)، والترمذي (٣٦٠٠).

فَإِذا تفَرَّقُوْا عرَجُوْا، وَصَعِدُوْا إِلَىْ السَّماءِ، قالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ ـ عَجَّلَ، وَهُوَ أَعْلَمُ ـ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُوْلُوْنَ: جِئْنا مِنْ عِنْدِ عِبادٍ لَكَ فِيْ الأَرْضِ يُسَبِّحُوْنَكَ، وَيُكَبِّرُوْنَكَ، وَيُهَلِّلُوْنَكَ، وَيَحْمَدُوْنَكَ، وَيَسْأَلُوْنَكَ، قالَ: فَما يَسْأَلُوْنِيْ؟ قالُوْا: يَسْأَلُوْنَكَ جَنَّتَكَ، قالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِيْ؟ قالُوْا: لا يا رَبِّ، قالَ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِيْ؟ قالُوْا: وَيَسْتَجِيْرُوْنَكَ، قالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيْرُوْنَنِيْ؟ قالُوْا: مِنْ نارِكَ يا رَبِّ، قالَ: وَهَلْ رَأَوْا نارِيَ؟ قالُوْا: لا يا رَبِّ، قالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نارِيَ؟ قالَ: وَيَسْتَغْفِرُوْنَكَ، قالَ: فَيَقُوْلُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، وَأَعْطَيْتُهُمْ ما سَأَلُوْا، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجارُوْا، قالَ: فَيَقُوْلُوْنَ: رَبِّ! فِيْهِمْ فُلانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ، إِنَّما مَرَّ، فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قالَ: فَيَقُوْلُ: وَلَهُ قَدْ غَفَرْتُ؛ هُمُ الْقَوْمُ لا يَشْقَىْ بِهِمْ جَلِيْسُهُمْ»(١).

وروى الطبراني في «معجمه الصغير» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر النبي ﷺ بعبدالله بن رواحة رضي الله عنه وهو يُذَكِّرُ أصحابه، فقال رسول الله ﷺ: «أَمَا إِنَّكُمُ الْمَلأُ الَّذِيْنَ أَمَرَنِيْ اللهُ أَنْ أَصْبِرَ نَفْسِيَ مَعَهُمْ»، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

«أَمَا إِنَّهُ ما جَلَسَ عِدَّتُكُمْ إِلاَّ جَلَسَ مَعَهُمْ عِدَّتُهُمْ مِنَ الْمَلائِكَةِ؛ إِنْ سَبَّحُوْا اللهَ سَبَّحُوْهُ، وَإِنْ حَمِدُوْا اللهَ حَمِدُوْهُ، وَإِنْ كَبَّرُوْا اللهَ كَبَّرُوْهُ، ثُمَّ يَصْعَدُوْنَ إِلَىْ الرَّبِّ ـ جَلَّ ثَناؤُهُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ ـ فَيَقُوْلُوْنَ: رَبَّنا!

---

(١) رواه مسلم (٢٦٨٩).

عِبادُكَ سَبَّحُوْكَ فَسَبَّحْنَا، وَكَبَّرُوْكَ فَكَبَّرْنا، وَحَمِـدُوْكَ فَحَمِدْنا، فَيَقُوْلُ رَبُّنا: يا مَلائِكَتِيْ! اشْهَدُوْا عَلَيَّ أَنِّيْ قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، فَيَقُوْلُوْنَ: فِيْهِمْ فُلانٌ الْخَطَّاءُ، فَيَقُوْلُ: هُمُ الَّذِيْنَ لا يَشْقَىْ بِهِمْ جَلِيْسُهُمْ»(١).

وفي هذا الحديث إشارة لطيفة، وهي أن من أخلاق الملائكـة أنهم يتشبهون بالذاكـرين إذا رأوهم، ويلائمونهم، فإذا سبحوا سبحوا، وإذا كبروا كبروا، وإذا حمدوا حمدوا.

وروى ابن أبي الدنيا، وأبو يعلى، والبزار، والطبراني، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، وقال المنذري: حسن، عن جابر ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، فقال: «يا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ لِلَّهِ سَرايا مِنَ الْمَلائِكَةِ تَحُلُّ، وَتَقِفُ عَلَىْ مَجالِسِ الذِّكْرِ فِيْ الأَرْضِ، فَارْتَعُوْا فِيْ رِياضِ الْجَنَّةِ» قالُوْا: وَأَيْنَ رِياضُ الْجَنَّةِ؟ قالَ: «مَجالِسُ الذِّكْرِ، فَاغْدُوْا وَرُوْحُوْا فِيْ ذِكْرِ اللهِ، وَذَكِّرُوْهَ أَنْفُسَكُمْ، مَنْ كانَ يُحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَتَـهُ عِنْـدَ اللهِ فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ مَنْزِلَةُ اللهِ عِنْدَهُ؛ فَإِنَّ اللهَ يُنْزِلُ الْعَبْدَ مِنْهُ حَيْثُ أَنْزَلَهُ مِنْ نَفْسِهِ»(٢).

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الصغير» (١٠٧٤).

(٢) رواه أبو يعلى في «المسند» (١٨٦٥)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٥٠١)، والحاكم في «المستدرك» (١٨٢٠)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٧٧): رواه أبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط وفيه عمر بن عبدالله مولى عفرة وقـد وثقه غير واحد، وضعفه جماعة، وبقية رجالهم رجال الصحيح.

وانظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/ ٢٦١).

١٢ ـ ومنها: شفاعتهم للذاكرين، والترحم لهم، والأخذ بأيديهم، والثناء عليهم، واعتقاد الخير فيهم، والشهادة لهم عند الله، وتبشيرهم بالمغفرة بما هم فيه من الخير، والتأمين على دعائهم.

روى ابن أبي شيبة عن سلمان ﷺ قال: إذا كان العبد يذكر الله في السراء، ويحمده في الرخاء، فأصابه ضر، فدعا الله تعالى، قالت الملائكة: صوت معروف من امرئ ضعيف، فيشفعون له، وإذا كان العبد لا يذكر الله في السراء، ولا يحمده في الرخاء، فأصابه ضر، قالت الملائكة: صوت منكر[١].

وروى الأصبهاني في «الترغيب» عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ سَيَّارَةً مِنَ الْمَلائِكَةِ إِذا مَرُّوْا بِحِلَقِ الذِّكْرِ قالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: اقْعُدُوْا، فَإِذا دَعا الْقَوْمُ أَمَّنُوْا عَلَىْ دُعائِهِمْ، فَإِذا صَلُّوْا عَلَىْ النَّبِيِّ ﷺ صَلُّوْا مَعَهُمْ حَتَّىْ يَفْرُغُوْا، ثُمَّ يَقُوْلُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: طُوْبَىْ لِهَؤُلاءِ يَرْجِعُوْنَ مَغْفُوْراً لَهُمْ»[٢].

وروى ابن أبي شيبة عن سهل بن حنظلة العبشمي[٣] ﷺ قال: ما اجتمع قوم يذكرون الله إلا ناداهم مناد من السماء: قوموا مغفوراً لكم[٤].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٨٤٠).

(٢) ذكره ابن القيم في «جلاء الأفهام» (ص: ٥٣)، وقال: رواه أبو سعيد القاص في «فوائده».

(٣) في «أ»: «العبسي».

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٧١٣)، والإمام أحمد =

ورواه الطبراني مرفوعاً، لكن قال: عن سهل بن الحنظلية ـ وهي أمه كما قال ابن قانع في «معجمه»[1] ـ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِساً يَذْكُرُوْنَ اللهَ ﷻ فِيْهِ فيَقُوْمُوْنَ حَتَّىْ يُقالَ لَهُمْ: قُوْمُوْا قَدْ غَفَرَ اللهُ لَكُمْ، وَبُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَناتٍ»[2].

وروى الإمام أحمد بسند حسن، والبزار، والطبراني عن أنس، والبيهقي عن عبدالله بن مُغَفَّل؛ كلاهما عن النبي ﷺ قال: «ما مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوْا يَذْكُرُوْنَ اللهَ تَعَالَىْ، لا يُرِيْدُوْنَ إِلاَّ وَجْهَهُ، إِلاَّ نادَاهُمْ مُنادٍ مِنَ السَّماءِ أَنْ قُوْمُوْا مَغْفُوْراً لَكُمْ قَدْ بُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَناتٍ»[3].

وروى البزار عن أنس رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَىْ سَيَّارَةً مِنَ الْمَلائِكَةِ يَطْلُبُوْنَ حِلَقَ الذِّكْرِ، فَإِذا أَتَوْا عَلَيْهِمْ حَفُّوْا بِهِمْ، ثُمَّ بَعَثُوْا رائِدَهُمْ إِلَىْ السَّماءِ إِلَىْ رَبِّ الْعِزَّةِ تَبارَكَ وَتَعالَىْ فَيَقُوْلُوْنَ: رَبَّنا! أَتَيْنا عَلَىْ عِبادٍ مِنْ عِبـادِكَ يُعَظِّمُوْنَ آلاءَكَ، وَيَتْلُوْنَ كِتابَكَ، وَيُصَلُّوْنَ

= في «الزهـد» (ص: ٢٠٥).

(١) انظر: «معجم الصحابة» لابن قانع (١/ ٢٦٧).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٦٠٣٩).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٤٢)، والبزار في «المسند» (٦٤٦٧)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (١٥٥٦) عن أنس.
ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٣٤) عن عبدالله بن مغفل. قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٠٦): رواه أحمد ورواته محتج بهم في الصحيح إلا ميمون المرائي.

عَلَىْ نَبِيِّكَ ﷺ، وَيَسْأَلُوْنَكَ لآخِرَتِهِمْ وَدُنْياهُمْ، فَيَقُوْلُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالَىْ: غَشُّوْهُمْ رَحْمَتِيْ؛ فَهُمُ الْجُلَساءُ لا يَشْقَىْ بِهِمْ جَلِيْسُهُمْ»[1].

١٣ ـ ومنها: الأمر بذكر الله تعالى، وتسبيحه، وتحميده، وبكل معروف، وقد أمر جبريل نبينا وسائر الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام أجمعين ـ بكل معروف أمره الله تعالى أن يبلغهم إياه.

وروى أبو يعلى، وابن السُّنِّي عن الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ صَباحٍ يُصْبِحُ الْعِبادُ فِيْهِ إِلاَّ صارِخٌ يَصْرُخُ: أَيُّها الْخَلائِقُ! سَبِّحُوْا الْمَلِكَ الْقُدُّوْسَ»[2].

وروى أبو الشيخ في «العظمة» عن ابن أبي عمرة رحمه الله تعالى[3] قال: حين يقول الملك: سبحوا الملك القدوس، تحرك الطير أجنحتها[4].

وروى الطبراني في «معجمه الأوسط»، و«الصغير» وسنده جيد، عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَكاً يُنادِيْ عِنْدَ كُلِّ

---

(١) رواه البزار في «المسند» (٦٤٩٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٧٧): رواه البزار من طريق زائدة بن أبي الرقاد عن زياد النميري وكلاهما وثق على ضعفه، فعاد هذا إسناده حسن.

(٢) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٥٧).

(٣) في «أ»: «ابن عمر رضي الله تعالى عنهما»، والمثبت من «العظمة» لأبي الشيخ (٣/ ١٠١٢).

(٤) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ١٠١٢).

صلاةٍ: يا بَنِيْ آدَمَ! قُوْمُوْا إِلَىْ نِيْرانِكُمُ الَّتِيْ أَوْقَدْتُمُوْها فَأَطْفِئُوْهَا»[1].

وفي «الكبير» عن ابن مسعود، عن رسول الله ﷺ قال: «يُبْعَثُ مُنادٍ عِنْدَ حَضْرَةِ كُلِّ صلاةٍ فَيَقُوْلُ: يا بَنِيْ آدَمَ! قُوْمُوْا فَأَطْفِئُوْا ما أَوْقَدْتُمْ عَلَىْ أَنْفُسِكُمْ، فَيَقُوْمُوْنَ فَيَتَطَهَّرُوْنَ، وَيُصَلُّوْنَ الظُّهْرَ، فَيُغْفَرُ لَهُمْ ما بَيْنَهُما، فَإِذا حَضَرَتِ الْعَصْرُ قِيْلَ ذَلِكَ، فَإِذا حَضَرَتِ الْمَغْرِبُ قِيْلَ ذَلِكَ، فَإِذا حَضَرَتِ الْعَتَمَةُ قِيْلَ ذَلِكَ، فَيَنامُوْنَ؛ فَمُدْلِجٌ فِيْ خَيْرٍ، وَمُدْلِجٌ فِيْ شَرٍّ»[2].

وروى البزار بسند حسن، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أن رسول الله ﷺ بعث أبا موسى رضي الله تعالى عنه على سرية في البحر، فبينما هم كذلك قد رفعوا الشراع في ليلة مظلمة إذا هاتف فوقهم يهتف: يا أهل السفينة! قفوا أخبرْكم بقضاءٍ قضاه الله على نفسه، فقال أبو موسى: أخبرنا إن كنت مخبراً، قال: إن الله تبارك وتعالى قضى على نفسه أنه من أعطش نفسه له في يومٍ صائف، سقاه الله يومَ العطش[3].

---

(1) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٩٤٥٢)، و«المعجم الصغير» (١١٣٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٩٩): تفرد به يحيى بن زهير القرشي، ولم أجد من ذكره إلا أنه روى عن أزهر بن سعد السمان وروى عنه يعقوب ابن إسحاق المخرمي، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(2) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٢٥٢). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٩٩): فيه أبان بن أبي عياش وثقه أيوب وسلم العلوي، وضعفه شعبة وأحمد وابن معين وأبو حاتم.

(3) رواه البزار في «المسند» (٤٩٧٤). وحسن المنذري إسناده في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٥١).

وأخرجه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» عن أبي بُردة، عن أبي موسى، قال: خرجنا غازين في البحر، فبينما نحن نسير بريحٍ طيِّبة إذ سمعنا منادياً ينادي: يا أهل السفينة! قفوا أخبرْكم حتى والى بين سبعة أصوات، قال: فقام أبو موسى على صدر السفينة فقال: من أنت؟ ومن أين أنت؟ ألا ترى أين نحن؟ وهل نستطيع وقوفاً؟ فأجابه الصوت: ألا أخبركم بقضاء قضاه الله ﷻ على نفسه؟ فقال: بلى، قال: إن الله ﷻ قضى على نفسه أنه من عطَّش نفسه لله ﷻ في يوم حار، كان حقاً على الله ﷻ أن يرويَه يوم القيامة.

قال: وكان أبو موسى رضي الله تعالى عنه يتوخى اليوم الشديد الحر الذي يكاد الإنسان أن ينسلخ حراً فيصومه[1].

وفيه عن عبد الواحد بن الخطَّاب قال: أقبلنا قافلين من بلاد الروم نريد البصرة حتى إذا كنَّا بين الرصافة وحِمْص سمعنا صائحاً يصيح بين تلك الرمال ـ سمعته الآذان، ولم تره الأعين ـ يقول: يا مستور! يا محفوظ! اعقل في ستر مَنْ أنتَ، فإن كنت لا تعقل في ستر من أنت فاتق الدُّنيا؛ فإنها حمى الله ﷻ، فإن كنت لا تتقيها فاجعلها شَرَكاً، ثم انظر أين تضع قدميك منها[2].

وأخبار الهواتف في الأمر بالمعروف كثيرة، وأقرب ما تحمل على

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (ص: ٢٣).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (ص: ٢٩).

أنهم ملائكة عليهم السلام.

١٤ ـ ومنها: قراءة القرآن العظيم، واستماعه، وحضور مجالس تلاوته:

ولا يخفى أن جبريل عليه السلام قرأ القرآن على رسول الله ﷺ، وأقرأه إياه، ومدارسته إياه القرآن في رمضان ثابتة في «الصحيح» من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل عليه السلام، وكان يلقاه جبريل عليه السلام في كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن، فَلَرَسُوْلُ الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المُرْسَلة[1].

وروى الإمام أحمد، والترمذي وصححه، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم وصححه، وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[الإسراء: ٧٨]، قال: «تَشْهَدُهُ مَلائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلائِكَةُ النَّهارِ تَجْتَمِعُ فِيْها»[2].

أي: في صلاة الفجر.

وروى الحكيم الترمذي عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه: أن

---

(١) رواه البخاري (٣٠٤٨) واللفظ له، ومسلم (٢٣٠٨).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٤٧٤)، والترمذي (٣١٣٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٢٩٣)، وابن ماجه (٦٧٠)، والحاكم في «المستدرك» (٦٧٣).

النبي ﷺ قرأ هذه الآية، قال: «يَشْهَدُهُ اللهُ، وَمَلائِكَةُ اللَّيْلِ، وَمَلائِكَةُ النَّهارِ»[1].

وروى مسلم، وأبو داود، وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنَ الْبُيُوْتِ يَتْلُوْنَ كِتابَ اللهِ، وَيَتَدارَسُوْنَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِيْنَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيْمَنْ عِنْدَهُ»[2].

وروى الإمام عبدالله بن المبارك في كتاب «الزهد والرقائق» عنه[3] قال: البيت الذي يتلى فيه كتاب الله كثر خيره، وحضرته الملائكة، وخرجت منه الشياطين، وإن البيت الذي لم يتل فيه كتاب الله ضاق بأهله، وقلَّ خيره، وحضرته الشياطين، وخرجت منه الملائكة[4].

وروى الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه: أن أُسيد بن حُضير بينما هو في ليلة يقرأ في مِرْبده إذ جَالَت فرسُه، فقرأ، ثم جالت أخرى، فقرأ، ثم جالت أيضاً، قال أسيد رضي الله عنه: فخشيت أن تطأ يحيى؛ يعني: ولده، قال: فقمت إليها، فإذا مثل الظلة فوق رأسي فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها، قال: فغدوت على

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ٤٨) بلفظ نحوه، ورواه بلفظ المصنِّف: الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص: ٧٦).

(٢) رواه مسلم (٢٦٩٩)، وأبو داود (١٤٥٥)، والترمذي (٢٩٤٥).

(٣) أي: عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه ابن المبارك في «الزهد والرقائق» (١/ ٢٧٣).

رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله! بينما أنا البارحة في جوف الليل أقرأ في مربدي. . . الحديث.

فذكر له الحديث، فقال له رسول الله ﷺ: «تِلْكَ الْمَلائِكَةُ تَسْتَمِعُ لَكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لأَصْبَحَتْ يراهَا النَّاسُ ما تَسْتَتِرُ مِنْهُمْ»[1].

وروى الحاكم نحوه باختصار، وقال فيه: فالتفت فإذا أمثال المصابيح مدلاة بين السماء والأرض، فقال: يا رسول الله! ما استطعت أن أمضي، فقال: «تِلْكَ الْمَلائِكَةُ نزَلَتْ لِقِراءَةِ الْقُرْآنِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ مَضَيْتَ لَرَأَيْتَ الْعَجائِبَ». قال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم»[2].

* تَنْبِيهٌ:

لا مناقضة بين ما ذكرناه، وبين ما ذكره ابنُ الصَّلاح: أن قراءة القرآن خصيصة أوتيها البشر دون الملائكة، وأنهم حريصون على سماعه من الإنس[3]؛ لأن هذا في عامة الملائكة دون جبريل، ونحوه من خواص الملائكة عليهم السلام، كإسرافيل، كما سيأتي.

وإذا ثبت أن جبريل عليه السلام كان يقرأ القرآن، ويدارسه، فقد ثبت أن ذلك من أخلاق الملائكة، بل من أخلاق خواصهم.

---

(١) رواه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٧٩٦) واللفظ له.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢٠٣٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٥٦٦).

(٣) انظر: «الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي (١/ ٢٧٥).

على أنه روى أبو عبيد القاسم بن سلام أن عمر رضي الله تعالى عنه سقط عليه رجل من المهاجرين وعمر يتهجد من الليل، يقرأ بفاتحة الكتاب لا يزيد عليها، ويكبر، ويسبح، ثم يركع، ويسجد، فلما أصبح الرجل ذكر ذلك لعمر رضي الله تعالى عنه فقال عمر: لأمك الويل! أليست تلك صلاة الملائكة؟[1].

لكن أفاد السيوطي أن الملائكة عليهم السلام إنما أذن لهم في قراءة الفاتحة فقط[2].

وكأنه أخذه من أثر عمر هذا من قوله: أليست تلك ـ أي: الصلاة بقراءة الفاتحة فقط ـ صلاة الملائكة عليهم السلام؟

* **فَائِدَةٌ جَلِيْلَةٌ:**

المستمع لقراءة القرآن العظيم ـ مع كونه في ذلك متشبهاً بالملائكة والنَّبيين والصالحين ـ فإنه متخلق بخلق من أخلاق الله تعالى[3]، خصوصاً إذا كان القارئ حسن الصوت، حسن التأدية؛ لأن سماع القرآن من أخلاقه المقدسة؛ بدليل ما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «ما أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ كَمَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ

---

(١) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (١/ ١٧٥).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (١/ ١٧).

(٣) قوله: «أخلاق الله»، لم يرد في شيء من الأحاديث الصحيحة، ولا بد عند الكلام عن الله ﷻ وصفاته أن لا يذكر إلا ما ورد فيه النص، والله أعلم.

يَتَغَنَّىٰ بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ». لفظ مسلم[1].

قال المنذري: أذن ـ بكسر الذال ـ؛ أي: ما استمع الله؛ أي: لشيء من كلام النَّاس، كما استمع من يتغنى بالقرآن؛ أي: يحسن به صوته.

قال: وذهب سفيان بن عيينة، وغيره إلى أنه من الاستغناء.

وهو مردود؛ أي: لأن التغني بمعنى الاستغناء لا يعرف من كلام العرب.

قال: وروى ابن جرير هذا الحديث بإسناد صحيح، وقال فيه: «مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ ما أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ التَّرَنُّمِ بِالْقُرْآنِ»[2].

قال: وروى الإمام أحمد، وابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم، والبيهقي عن فضالة بن عبيد ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «لَلَّهُ أَشَدُّ أَذَناً لِلرَّجُلِ الْحَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ مِنْ صاحِب الْقَيْنَةِ إِلَىٰ قَيْنَتِهِ»[3]. قال الحاكم: «صحيح على شرطهما»[4].

١٥ ـ ومن أعمال الملائكة عليهم السلام وأخلاقهم: تعليم القرآن، وقد علمه جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ.

---

(١) رواه البخاري (٤٧٣٥)، ومسلم (٧٩٢).

(٢) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/ ٢٣٧).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٢٠)، وابن ماجه (١٣٤٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٥٤)، والحاكم في «المستدرك» (٢٠٩٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢١٤٤).

(٤) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/ ٢٣٧).

وقال الله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾[النجم: ٥].

وفي «الفردوس» للديلمي، وأسنده أبو الحسن بن بشران في «فوائده»، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ ماتَ قَبْلَ أَنْ يَسْتَظْهِرَهُ، أَتاهُ مَلَكُ الْمَوْتِ يُعَلِّمُهُ فِي قَبْرِهِ، وَيَلْقَىْ اللهَ وَقَدِ اسْتَظْهَرَهُ»[1].

وقال الحسن البصري رحمه الله: بلغني أن المؤمن إذا مات ولم يحفظ القرآن، أمر حفظته أن يعلموه القرآن في قبره حتى يبعثه الله يوم القيامة مع أهله.

وقال يزيد الرَّقاشي رحمه الله تعالى: بلغني أن المؤمن إذا مات وقد بقي عليه من القرآن شيء لم يتعلمه، بعث الله ملائكة يحفظونه ما بقي عليه منه حتى يبعث من قبره.

رواهما ابن أبي الدنيا.

١٦ ـ ومنها: قيام الليل، وإيقاظ المتهجدين.

واعلم أن ما وصف الله تعالى به ملائكته من المداومة على العبادة، وعدم الفتور عنها كقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا

---

(١) قال السيوطي في «شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور» (ص: ١٩١): وفي «الفردوس» للديلمي ولم يسنده ولده من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً مثله، ثم وقفت عليه مسنداً في الجزء الأول من فوائد أبي الحسن ابن بشران.

يَفْتُرُونَ﴾[الأنبياء: ٢٠] دليل واضح على أنهم لا ينامون.

وأيضاً فإن النوم فتور مستولٍ على الدماغ حتى يغمره بسبب الأبخرة المتصاعدة إليه من الأغذية، وذلك مفقود في الملائكة عليهم السلام.

وقد تقدم حديث مدارسته جبريل عليه السلام القرآن في كل ليلة من رمضان.

وروى البزار عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّىْ مِنْكُمْ بِاللَّيْلِ فَلْيَجْهَرْ بِقِراءَتِهِ؛ فَإِنَّ الْمَلائِكَةَ تُصَلِّيْ بِصَلاتِهِ، وَتَسْتَمِعُ لِقِراءَتِهِ، وَإِنَّ مُؤْمِنِيْ الْجِنِّ الَّذِيْنَ يَكُوْنُوْنَ فِيْ الْهَواءِ، وَجِيْرانَهُ فِيْ مَسْكَنِهِ يُصَلُّوْنَ بِصلاتِهِ، وَيَسْمَعُوْنَ قِراءَتَهُ، وَإِنَّهُ يَطْرُدُ بِقِراءَتِهِ عَنْ دارِهِ، وَعَنْ الدُّوْرِ الَّتِيْ حَوْلَهُ فُسَّاقَ الْجِنِّ وَمَرَدَةَ الشَّياطِيْنِ»، الحديث[1].

وروى ابن أبي الدنيا في «قيام الليل» عن كُرز رضي الله عنه قال: بلغني أن الملائكة ينظرون من السماء إلى الذين يصلون بالليل كما تنظرون أنتم إلى نجوم السماء[2].

---

(١) رواه البزار في «المسند» (٢٦٥٥) وقال: ولم يسمع خالد بن معدان من معاذ وإنما ذكرناه لأنا لم نحفظه عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه، فلذلك ذكرناه.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «التهجد وقيام الليل» (ص: ٤٠٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٤٣).

وروى فيه عن رجل ـ وسماه في «الهواتف» بأسعد من أهل الإسكندرية ـ قال: كنت أبيت في مسجد بيت المقدس، وقلَّ ما يخلو من المتهجدين، فقمت ليلة فلم أرَ متهجداً، فقلت: ما حال النَّاس لا أرى أحداً يصلي؟ فوالله إني لأذكر ذلك في نفسي إذ سمعت قائلاً من نحو القبة التي على الصخرة يقول: [من الطويل]

فَيا عَجَباً لِلنَّاسِ لَذَّتْ عُيُوْنُهُمْ
مَطاعِمُ غَمْضٍ دُوْنَها الْمَوْتُ مُنْتَصِبْ
وَطُوْلُ قِيامِ اللَّيْلِ أَيْسَرُ مُؤْنَةً
وَأَهْوَنُ مِنْ نارٍ تَفُوْرُ وَتَلْتَهِبْ

قال: فسقطت على وجهي، فلمَّا أفقت فإذا لم يبقَ متهجد إلاَّ قام[1].

وروى ابن أبي الدنيا ـ أيضاً ـ في كتاب «الزهد» عن أُويس القَرني رحمه الله تعالى: أنه قال: لأعبدنَّ الله في الأرض كما تعبده الملائكة في السماء.

وكان إذا استقبل الليل قال: يا نفسُ! الليلةَ للقيام، فيصفُّ قدميه حتى يصبح، ثم يستقبل الليلة الثانية، فيقول: يا نفسُ! الليلةَ للركوع،

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «التهجد وقيام الليل» (ص: ٣٢٦)، وفي «الهواتف» (ص: ٨٩).

فلا يزال راكعاً حتى يصبح، ثم يستقبل الليلة الثالثة قال: يا نفسُ! الليلةَ للسجود، فلا يزال ساجداً حتى يصبح[1].

١٧ ـ ومنها: شهود جماعات المؤمنين في صلواتهم، وخصوصاً في صلاة الفجر، وصلاة العصر.

روى الإمام مالك في «الموطأ»، والستة إلاَّ الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِذا قالَ الإمامُ: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] فَقُوْلُوْا: آمِيْنَ؛ فَإِنَّـهُ مَنْ وافَقَ قَوْلُـهُ قَوْلَ الْمَلائِكَةِ غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِـهِ وَمَا تَأَخَّرَ»[2].

فهذا الحديث يشير إلى أنهم يشهدون الجماعة في كل صلاة.

وروى الشيخان عن أبي هريرة ـ أيضاً ـ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَتعاقَبُوْنَ فِيْكُمْ مَلائِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلائِكَةٌ بِالنَّهارِ، وَيَجْتَمِعُـوْنَ فِيْ صَلاةِ الْفَجْرِ، وَصَلاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِيْنَ باتُـوْا فِيْكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ ـ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ ـ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبادِي؟ فَيَقُوْلُوْنَ: تَرَكْناهُمْ وَهُمْ يُصَلُّوْنَ»[3].

وسبق عنه ما حسنه الترمذي عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، قال: «تَشْهَدُهُ مَلائِكَـةُ

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٩/ ٤٤٣).

(٢) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ٨٧)، والبخاري (٧٤٩)، ومسلم (٤١٠)، وأبو داود (٩٣٥)، والنسائي (٩٢٩)، وابن ماجه (٨٥١).

(٣) رواه البخاري (٥٣٠)، ومسلم (٦٣٢).

اللَّيْلِ، وَمَلائِكَةُ النَّهارِ تَجْتَمِعُ فِيْها»[1].

وفي «الصحيحين» عنه عن النبي ﷺ قال: «تَجْتَمِعُ مَلائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلائِكَةُ النَّهارِ فِيْ صَلاةِ الْفَجْرِ».

يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[الإسراء: ٧٨][2].

*** فَائِدَةٌ:**

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مَلائِكَةَ النَّهارِ أَرْأَفُ مِنْ مَلائِكَةِ اللَّيْلِ». رواه ابن النَّجار في «تاريخه» عن عبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنهما[3].

قلت: وهذا من منَّة الله تعالى على عباده، ولطفه بهم أن جعل ملائكة النهار أرأف من ملائكة الليل؛ لأن حركات بني آدم بالنهار أكثر منها بالليل، وكثيراً ما تهدأ حركاتهم بالليل، ولا تكاد تهدأ بالنهار، فيقارفون بسبب ذلك في النهار ما لا يقارفونه بالليل من المعاصي، والذنوب، فكانت ملائكة النهار أرأف ليُكثروا من الاستغفار للعباد، والترحم عليهم، ولو كان الغضب لله تعالى أغلب عليهم من الرأفة بعباده لهلك الخلق بدعائهم.

ـ وأيضاً فإن منهم الحفظة، فالحفظة بالنهار ـ حيث هم أرأف منهم

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٦٢١)، ومسلم (٦٤٩) عن أبي هريرة.

(٣) قال الشوكاني في «نيل الأوطار» (٤/ ١٣٨): ولم يصح ما يدل على ذلك.

بالليل ـ تأنوا في كتابة السيئات، وبادروا إلى تقييد الحسنات.

وقد استفيد من ذلك: أن من أخلاق الملائكة التي ينبغي للعبد أن يتشبه بهم فيها الرأفة على عباد الله، والرحمة عليهم، والغضب لله تعالى لا لأنفسهم.

١٨ ـ ومنها: التصدق على المصلي منفرداً بالصلاة خلفه:

روى عبد الرزاق عن ابن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: إذا كان الرجل بخلاء من الأرض فأذَّن، وأقام، صلى معه أربعة آلاف ملك، أو أربعة آلاف ألف من الملائكة[1].

وعن طاوس قال: إذا صلى الرجل فأقام، صلى معه مَلَكَاهُ، وإذا أذَّن وأقام، صلى معه من الملائكة كثير[2].

وعن مكحول، وسعيد بن المسيب نحوُه[3].

وعن سلمان رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا كَانَ الرَّجُلُ بِأَرْضِ قِيٍّ[4] فَحانَتِ الصَّلاةُ، فَلْيَتَوَضَّأْ، فَإِنْ أَقامَ صَلَّىْ مَعَهُ مَلَكَاهُ، فَإِنْ أَذَّنَ، وَأَقامَ صَلَّىْ خَلْفَهُ مِنْ جُنُوْدِ اللهِ ما لا يَرَىْ طَرْفاهُ». وأخرجه ابن

---

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٩٥١).

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٩٥٢).

(٣) انظر: «المصنف» لعبد الرزاق (١٩٥٣) و(١٩٥٤).

(٤) القيّ ـ بالكسر والتشديد ـ فعل من القـواء، وهي الأرض القفر الخالية. انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٤/ ١٣٦).

أبي شيبة موقوفاً[1].

١٩ ـ ومنها: الإمامة:

روى أبو الشيخ، عن الليث، عن خالد، عن سعيد قال: بلغنا أن إسرافيل عليه السلام مؤذن أهل السماء، فيؤذن لاثنتي عشرة ساعة من النهار، ولاثنتي عشرة ساعة من الليل، لكل ساعة تأذين، يسمع تأذينه من في السموات السبع، ومن في الأرضين السبع إلا الجن والإنس، ثم يتقدم عظيم الملائكة، فيصلي بهم.

قال: وبلغنا أن ميكائيل يؤم الملائكة في البيت المعمور[2].

وروى أبو الشيخ ـ أيضاً ـ عن موسى بن أبي عائشة قال: بلغني أن جبريل ـ عليه السلام ـ إمام أهل السماء[3].

قلت: ويجمع بين هنا وبين ما قبله: أن جبريل عليه السلام إمام الملائكة في السماء، وميكائيل إمامهم في الأرض.

والمراد بالبيت المعمور: الكعبة.

أو ميكائيل إمام ملائكة مخصوصين بالبيت المعمور، وجبريل

---

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٩٥٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٦١٢٠) مرفوعاً. ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٢٧٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١/ ٤٠٦) موقوفاً على سلمان، وقال: هذا هو الصحيح موقوف، وقد روي مرفوعاً ولا يصح رفعه.

(٢) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ٨٥٧).

(٣) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٧٨٦).

إمام عامة من في السماء.

روى ابن جرير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾[الطور: ٤] قال: هو بيت حِذَاءَ العرش تعمره الملائكة، يصلي فيه كل ليلة سبعون ألفاً، ثم لا يعودون إليه[١].

وروى هو، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الشعب»، وغيرهم عن خالد بن عرعرة: أن رجلاً قال لعلي رضي الله تعالى عنه: ما البيت المعمور؟ قال: بيت في السماء يقال له: الضراح، وهو بحيال الكعبة من فوقها، حرمته في السماء كحرمة البيت في الأرض، يصلي فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة لا يعودون إليه أبداً[٢].

وفي الباب عن أنس، وعن أبي هريرة، وعن عائشة مرفوعاً، وعن عبدالله بن عمرو موقوفاً[٣].

ويجوز أن يكون معنى قول ابن أبي عائشة: إن جبريل إمام أهل السماء أي: خليفة الله عليهم، وواليهم كالخليفة في الأرض، فهو أمير

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٢٧/ ١٧)، والأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٤٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٣): رواه الطبراني وفيه إسحاق بن بشر أبو حذيفة وهو متروك.

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (٢٧/ ١٦)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣٣١٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٩٩١).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٢٧/ ١٦)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١٠/ ٣٣١٤)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٦٢٨).

الملائكة، كما أن الخليفة والسلطان أمير المؤمنين.

٢٠ ـ ومنها: القيام عن يمين الإمام، وهو سنة ـ خصوصاً إذا كان إمام ومأموم فقط ـ فإذا كانوا ثلاثة استحب أن يقوم المأمومان منهم خلف الإمام، فإن كانوا أكثر من ذلك فالميمنة أفضل إلا أن تتعطل الميسرة.

وقد يستدل لذلك بحديث أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَىْ الصَّلاةِ فَلا يَبْزُقْ أَمامَهُ؛ فَإِنَّما يُناجِيْ اللهَ ما دامَ فِيْ مُصَلاَّهُ، وَلا عَنْ يَمِيْنِهِ؛ فَإِنَّ عَنْ يَمِيْنِهِ مَلَكاً، وَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ، فَيَدْفِنَهَا». رواه البخاري[1].

وقوله: «فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسارِهِ» محله في غير المسجد، فإن بَصَقَ في المسجد حرم عليه، وعليه أن يدفنه كما قال النووي في «شرح المهذب»[2].

٢١ ـ ومنها: الدعاء، والسؤال في الصلاة وخارج الصلاة:

قال الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾[الرحمن: ٢٩].

قال أبو صالح: يسأله من في السماوات الرحمة، ومن في الأرض المغفرة والرزق[3].

---

(١) رواه البخاري (٤٠٦) واللفظ له، ومسلم (٥٥٠).

(٢) انظر: «المجموع» للنووي (٤/ ١١١).

(٣) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٦٩) لعبد بن حميد وابن المنذر.

وقال ابن جريج في الآية: الملائكة يسألونه الرزق لأهل الأرض، والأرض يسأله أهلها الرزق لهم[1].

رواهما ابن المنذر.

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «الذكر» عن ابن أبي رواد[2] قال: من دعاء الملائكة عليهم السلام: اللهم ما لم تبلغه قلوبنا من خشيتك يوم نقمتك من أعدائك فاغفره لنا[3].

وروى ابن أبي شيبة عن إبراهيم النخعي قال: كانوا إذا رأى أحدهم في منامه ما يكره قال: أعوذ بما عاذت به ملائكة الله ورسولُهُ من شر ما رأيت في منامي أن يصيبني شيء أكرهه في الدنيا والآخرة[4].

وسبق في حديث أُبي بن كعب ﷺ قول جبريل عليه السلام في دعائه: اغفر لي ما مضى من ذنوبي، واعصمني في ما بقي من عمري، وارزقني أعمالاً زاكية ترضى بها عني، وتب علي[5].

وروى ابن ماجه عن عمر رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال:

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٦٩) لابن المنذر.

(٢) في «أ»: «دؤاد».

(٣) ورواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٧٤).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٣٦٠٣)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٣٦٦).

(٥) تقدم تخريجه.

«إِذا دَخَلْتَ عَلَىٰ مَرِيْضٍ فَمُرْهُ يَدْعُوْ لَكَ؛ فَإِنَّ دُعاءَهُ كَدُعاءِ الْمَلائِكَةِ»(١).

٢٢ ـ ومنها: قول: آمين إذا قال الإمام: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] لحديث أبي هريرة المتقدم، بل لا خصوصية لذلك بالصلاة، بل جائز أن تؤمِّن الملائكة عليهم السلام على كل دعاء يدعو به المؤمِّنون في خير.

وقد روى النسائي، وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذا أَمَّنَ الْقارِئُ فَأَمِّنُوْا؛ فَإِنَّ الْمَلائِكَةَ تُؤَمِّنُ، فَمَنْ وافَقَ تَأْمِيْنَ الْمَلائِكَةِ غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(٢).

القارئ أعم من أن يكون مصلياً، أو غير مصل.

وروى مسلم، وأبو داود عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ دَعا لأَخِيْهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ قالَ الْمَلَكُ: آمِيْنَ، وَلَكَ بِمِثْلٍ»(٣).

وروى مسلم عن صفوان بن عبدالله بن صفوان ـ وكانت تحته الدرداء؛ يعني: بنت أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه ـ قال: قدمت الشام، فأتيت أبا الدرداء رضي الله تعالى عنه في منزله، فلم أجده، ووجدت أم

---

(١) رواه ابن ماجه (١٤٤١)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٥٠٧). قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ١٦٦): رواه ابن ماجه ورواته ثقات مشهورون إلا أن ميمون بن مهران لم يسمع من عمر.

(٢) رواه النسائي (٩٢٥)، وابن ماجه (٨٥١)، ورواه أيضاً البخاري (٦٠٣٩).

(٣) رواه مسلم (٢٧٣٢)، وأبو داود (١٥٣٤).

الدرداء رضي الله تعالى عنها فقالت: أتريـد الحج العام؟ فقلت: نعم، قالت: فادعو لنا بخير؛ فإن النبي ﷺ كان يقول: «دَعْـوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لأَخِيْهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّما دَعا لأَخِيْهِ بِخَيْرٍ قالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِيْنَ، وَلَكَ بِمِثْلٍ»، قال: فخرجت إلى السوق، فلقيـت أبا الدرداء رضي الله تعالى عنـه فقال لي مثل ذلك، يرويـه عن النبي ﷺ[1].

وروى البيهقي في «الشعب» عن ابن عبَّاس موقوفاً عليه، والخطيب البغدادي عنه مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ قال: «عَلَىْ الرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ بِهِ مُنْذُ خَلَقَ اللهُ السَّماواتِ وَالأَرْضَ، فَإِذا مَرَرْتُمْ بِهِ فَقُوْلُوْا: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾[البقرة: ٢٠١]؛ فَإِنَّهُ يَقُوْلُ: آمِيْنَ، آمِيْنَ»[2].

وروى الأزرقي في «تاريخه» عن مجاهد: أنه كان يقول: ملك موكل بالركن اليماني منذ خلق الله السماوات والأرض يقول: آمين، فقولوا: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾[البقرة: ٢٠١] الآية[3].

---

(١) رواه مسلم (٢٧٣٣).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٠٤٦)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٢/ ٢٢٦) مرفوعاً.

(٣) رواه الأزرقي في «تاريخ مكة» (١/ ٣٤١).

وفيه عن سالم بن عبدالله، عن أبيه أنه قال: على الركن اليماني ملكـان موكـلان يُؤَمِّنَـانِ على دعـاء من يـمـر بهما، وإن على الأسـود ما لا يحصى[1].

يعني: من الملائكة الْمُؤَمِّنِيْنَ.

وروى ابن ماجه عن عطاء بن أبي رباح: أنه سئل عن الركن اليماني وهـو في الطـواف قال: حدثني أبـو هريـرة رضي الله تعالى عـنـه: أن رسول الله ﷺ قال: «وُكِّلَ بِـهِ سَبْعُوْنَ مَلَكاً، فَمَنْ قـالَ: اللَّهُمَّ إِنِّيْ أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَـةَ فِيْ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ، رَبَّنا آتِنا فِيْ الدُّنْيا حَسَنَةً وَفِيْ الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنا عَذابَ النَّارِ، قالُوْا: آمِيْنَ»[2].

وروى الدارمي عن حُميد الأعرج قال: من قرأ القرآن ثم دعا أَمَّنَ على دعائه أربعة آلاف ملك[3].

* تَنْبِيْهٌ:

كما تؤمن الملائكة على دعـاء الإنسان بالخير فتؤمن على دعائـه بالشر، ولعل هذا فيما لو دعا على نفسه أو ماله أو أهله ونحو ذلك.

ومن ثَمَّ قال رسول الله ﷺ: «لا تَدْعُوْا عَلَىْ أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ بِخَيْرٍ؛ فَإِنَّ الْمَلائِكَةَ يُؤَمِّنُوْنَ عَلَىْ ما تَقُوْلُوْا». رواه الإمام أحمد، ومسلم، وأبـو داود

---

(١) رواه الأزرقي في «تاريخ مكة» (١/ ٣٤١).

(٢) رواه ابن ماجه (٢٩٥٧)، وإسناده ضعيف.

(٣) رواه الدارمي في «السنن» (٣٤٨١).

عن أم سلمة ـ رضي الله عنها[1].

* **فَائِدَةٌ لَطِيْفَةٌ:**

التشبه بالملائكة في قول: آمين خاص بهذه الأمة لم يتفق لأحد قبلهم إلا لهارون عليه السلام.

روى ابن[2] عدي في «الكامل»، والبيهقي في «الشعب» عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَىْ أَعْطَانِيْ ثلاثَ خِصَالٍ لَمْ يُعْطَهَا أَحَدٌ قَبْلِيْ»[3].

ورواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»، ولفظه: «إِنَّ اللهَ أَعْطَىْ أُمَّتِيْ ثَلاثاً؛ الصَّلاةَ فِيْ صُفُوْفٍ، وَالتَّحِيَّةِ مِنْ تَحِيَّةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَآمِيْنَ؛ إِلاَّ أَنَّهُ أَعْطَىْ مُوْسَىْ أَنْ يَدْعُوَ، وَيُؤَمِّنَ هارُوْنُ عَلَيْهِمَا السَّلامُ»[4].

وروى الإمام أحمد، والبخاري في «تاريخه»، وابن ماجه ـ في سنة ست وخمسين ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أن النبيَّ ﷺ قال:

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٢٩٧)، ومسلم (٩٢٠)، وأبو داود (٣١١٨).

(٢) في «أ»: «أبو» بدل «ابن».

(٣) رواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٣/ ٢٣٩) وقال: أحاديثه ـ أي أحاديث زربي بن عبدالله ـ وبعض متون أحاديثه منكرة، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٩٦٩)، ورواه أيضاً ابن خزيمة في «صحيحه» (١٥٨٦) وتردد في قبوله.

(٤) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (١/ ٣٥٥).

«ما حَسَدَتْكُمُ الْيَهُوْدُ عَلَىْ شَيْءٍ ما حَسَدَتْكُمْ عَلَىْ السَّلامِ وَالتَّأْمِيْنِ»[1].

وروى ابن ماجـه عن ابن عبَّاس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما حَسَدَتْكُمُ الْيَهُوْدُ عَلَىْ شَيْءٍ ما حَسَدَتْكُمْ عَلَىْ آمِيْنَ، فَأَكْثِرُوْا مِنْ قَوْلِ: آمِيْنَ»[2].

٢٣ ـ ومن أعمال الملائكة عليهم السلام قول: (ربنـا ولك الحمد) إذا قال الإمام: (سمع الله لمن حمده).

روى الإمام مالك، والستة إلا ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قالَ الإمامُ: سَمِـعَ اللهُ لِمَـنْ حَمِـدَهُ، فَقُوْلُـوْا: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ ـ وفي رواية للشيخين: اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، بزيادة الواو ـ؛ فَإِنَّ مَنْ وافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ الْمَلائِكَةِ غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِـهِ»[3].

قلت: مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه: أن المصلي يقول إذا رفع رأسه من الركوع: سمع الله لمن حمده، فإذا استوى قائماً قال: ربنـا ولك الحمـد، ويستحب الإتيان بهذين الذكـرين في محليهما للإمام والمأموم والمنفرد.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ١٣٤)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٢٢)، وابن ماجه (٨٥٦). وصحح المنذري إسناده في «الترغيب والترهيب» (١/ ١٩٤).

(٢) رواه ابن ماجه (٨٥٧)، وضعف ابنُ كثير إسناده في «التفسير» (١/ ٣٢).

(٣) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ٨٨)، والبخاري (٧٦٣)، ومسلم (٤٠٩)، وأبو داود (٨٤٨)، والترمذي (٢٦٧)، والنسائي (١٠٦٣).

وبذلك قال عطاء، وأبو بردة، وابن سيرين، وإسحاق، وداود[1].

وقال أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه: يقول الإمام، والمنفرد: سمع الله لمن حمده فقط، ويقول المأموم: ربنا لك الحمد فقط.

وحكاه ابن المنذر عن ابن مسعود، وأبي هريرة، والشعبي، ومالك، وأحمد.

قال: وبه أقول.

وقال الثوري، والأوزاعي، وأبو يوسف، ومحمد: يجمع الإمام بين الذكرين، ويقتصر المأموم على: ربنا ولك الحمد[2].

واحتجَّ القائلون بأن المأموم يقتصر على ذلك بأحاديث منها حديث أبي هريرة المتقدم.

واحتجَّ الشافعي، والأولون بما ثبت من قوله ﷺ في صلاته: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ»[3]، مع ما ثبت من قوله ﷺ: «صَلُّوْا كَمَا رَأَيْتُمُوْنِيْ أُصَلِّيْ»[4].

فإن قلتَ: فإن عَمِل المأموم بقول الشافعي رضي الله تعالى عنه، وقال: سمع الله لمن حمده، فاتته موافقة الملائكة، والتشبه بهم في

---

(١) انظر: «المجموع» للنووي (٣/ ٣٧٧).

(٢) انظر: «دفع التشنيع في مسألة التسميع» للسيوطي (ص: ٢٣).

(٣) تقدم تخريجه قريباً.

(٤) تقدم تخريجه.

ذلك، كما في حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه المتقدم؟

قلتُ: لئن فاتته موافقة الملائكة، والتشبه بهم في ذلك فقد حصل على فضل الاقتداء بالنبي ﷺ، والتشبه به حيث يقول: «صَلُّوْا كَمَا رَأَيْتُمُوْنِيْ أُصَلِّيْ»[1].

على أننا لا نسلم أن موافقة الملائكة تفوته بذلك؛ إذ من الجائز أن يكون الملائكة يجمعون بين الذكرين، فيوافقهم.

٢٤ ـ ومنها: إتمام الصف الأول في الصلاة، والتراصُّ في الصف، وإقامة الصفوف؛ أي: تسويتها، وجمع المناكب.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلصَّـٰٓفَّـٰتِ صَفًّا﴾ [الصافات: ١].

روى ابن جرير عن ابن مسعود، وعن مسروق، وعن السُّدِّي[2]، وابن المنذر عن ابن عباس[3]، وابن أبي حاتم عن السدي، وعن الربيع ابن أنس، وعن قتادة[4]: أنهن الملائكة عليهم السلام.

وقال الله تعالى حكاية عن الملائكة، كما يدل عليه ما تقدم: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ [الصافات: ١٦٥].

وروى عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، ومسلم، والأربعة إلا الترمذي

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٣/ ٣٣).

(٣) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٧٨).

(٤) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (١٠/ ٣٢٠٤).

عن جابـر بن سَمُرة رضي الله تعالى عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «أَلا تَصُفُّوْنَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلائِكَةُ عِنْدَ رَبِّها؟» فقلنا: يا رسول الله! وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: «يُتِمُّوْنَ الصَّفَّ الأَوَّلَ، وَيَتَراصُّوْنَ فِيْ الصَّفِّ»[1].

وروى الطبراني في «الأوسط» عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «صُفُّوْا كَما تَصُفُّ الْمَلائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ»، قالوا: يا رسول الله! وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟ قال: «يُقِيْمُوْنَ الصُّفُوْفَ، وَيَجْمَعُوْنَ مَناكِبَهُمْ»[2].

وروى ابن أُبي شيبة عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الصَّفَّ الأَوَّلَ لَعَلَىْ مِثْلِ صَفِّ الْمَلائِكَةِ، وَلَوْ تَعْلَمُوْنَ لابْتَدَرْتُمُوْهُ»[3].

وروى الطبراني في «الكبير» بسند منقطع، عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنـه: أن رسول الله ﷺ قال: «فُضِّلْتُ بِأَرْبَعٍ؛ جُعِلْتُ أَنـا وَأُمَّتِيْ فِيْ الصَّلاةِ كَمَا تَصُفُّ الْمَلائِكَـةُ، وَجُعِلَ الصَّعِيْـدُ لِيْ وَضُوْءاً، وَجُعِلَتْ لِيَ

---

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٤٣٢)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٣٩)، ومسلم (٤٣٠)، وأبو داود (٦٦١)، والنسائي (٨١٦)، وابن ماجه (٩٩٢).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٤٤٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٩٠): وفيه من لم أعرفه ولم أجد من ترجمه.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٨١٦).

الأَرْضُ مَسْجِداً، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنائِمُ»[1].

٢٥ ـ ومنها: تكثير سواد المصلين؛ فإن ما كثر جمعه أفضل، ومعاونة المصلين في تحصيل ثواب الجماعة ـ خصوصاً لمن فاتته لعذر فصلى منفرداً ـ؛ فإن الاقتداء به سنة، وهو من أعمال الملائكة كما سبق.

روى ابن أبي شيبة، والإمام أحمد في «الزهد»، وأبو نعيم في «الحلية» عن كعب قال: قال إبراهيم عليه السلام: يا رب! إنه ليحزنني أنني لا أرى أحداً في الأرض يعبدك غيري، فأنزل الله تعالى ملائكة يصلون معه، ويكونون معه[2].

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد»، وأبو نعيم عن نوف البَكَالي قال: قال إبراهيم عليه السلام: يا رب! إنه ليس في الأرض أحد يعبدك غيري، فأنزل الله تعالى ثلاثة آلاف ملك، فأمَّهم ثلاثة أيام[3].

وروى البيهقي في «الشعب»، والأصبهاني في «الترغيب» عن سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ

---

(١) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٩٠): رواه الطبراني في «الكبير» وإسناده منقطع.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٣٣١)، والإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٧٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٢٦).

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٧٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٩).

رَجُلٍ يَكُوْنُ بِأَرْضٍ فَلاةٍ تَحْضُرُهُ الصَّلاةُ فَيُؤَذِّنُ، وَيُقِيْمُ الصَّلاةَ، فَيُصَلِّيْ إِلاَّ صَلَّىْ خَلْفَهُ مِنَ الْمَلائِكَةِ ما لا يَرَىْ طَرْفاهُ، يَرْكَعُوْنَ بِرُكُوْعِهِ، وَيَسْجُدُوْنَ بِسُجُوْدِهِ، وَيُؤَمِّنُوْنَ عَلَىْ دُعائِهِ»[1].

* **تَنْبِيْهانِ:**

الأَوَّلُ: لا تقتدي الملائكة بالمنفرد إلا إذا أذن وأقام، فإن اقتصر على الإقامة لم يُصَلِّ معه سوى ملكيه؛ لما رواه عبد الرزاق عن سعيد بن المسيِّب رحمه الله تعالى قال: من صلى بأرض فلاة فأقام، صلى عن يمينه ملك وعن يساره ملك، فإذا أذن وأقام صلى معه من الملائكة أمثال الجبال[2].

ورواه الليث، عن ابن المسيب، عن معاذ رضي الله تعالى عنه.

وقال الدارقطني في «العلل»: إنه الأصح[3].

وروى عبد الرزاق ـ أيضاً ـ حديث سلمان المتقدم بلفظ: «إِذا كانَ الرَّجُلُ بِأَرْضٍ فَلاةٍ فَحانَتِ الصَّلاةُ فَلْيَتَوَضَّأْ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ ماءً فَلْيَتَيَمَّمْ، فَإِنْ أَقامَ صَلَّىْ مَعَهُ مَلَكانِ، وَإِنْ أَذَّنَ وَأَقامَ صَلَّىْ خَلْفَهُ مِنْ جُنُوْدِ اللهِ

---

(١) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (١/ ٤٠٥) مرفوعاً، ثم رواه موقوفاً على سلمان وقال: هذا هو الصحيح موقوف، وقد روي مرفوعاً ولا يصح رفعه.

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٩٤٥)، ورواه الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ٧٤).

(٣) انظر: «العلل» للدارقطني (٦/ ٦٣).

ما لا يَرَىٰ طَرْفاهُ»[1].

التَّنْبِيْهُ الثَّانِيْ: لعلك تقول: إن فضيلة الجماعـة لا ينالها الإمام ما لـم ينو الإمامة والجماعـة ـ على الأصح ـ فعليـه: لا تحصل فضيلة الجماعة للمنفرد إذا اقتدى به غيره، فأي فائدة له في اقتداء غيره به؟

فالجواب عن ذلك: إن المقتدي بهذا المنفرد إن كان لم يُصَلِّ قبل ذلك، أو صلى منفرداً، فقد حصل فضيلة الجماعة لنفسه باقتدائه بالمنفرد المذكور، وإن كان قـد صلى قبل ذلك صلاتـه في جماعـة فقـد حصل باقتدائه المذكور فضيلة هذه الصلاة الثانية نفلاً، وفرضه الأولى في الأصح.

ثم المنفرد لا يخلو عن فائدة باقتداء هذا المقتدي بـه إن قلنا بالقول الثاني: (إن فضيلة الجماعة تحصل له وإن لم ينو الإمامة أو الجماعة).

ويؤيده قوله ﷺ ـ وقد جاء بعد العصر رجل إلى المسجد ـ: «مَنْ يَتَصَدَّقُ عَلَىٰ هَذا فَيُصَلِّ مَعَهُ؟» فصلى معه رجل. رواه أبو داود، وغيره، وحسنوه[2].

وإن قلنـا بالقـول الأول ـ وهـو الأصح ـ: (إن فضيلـة الجمـاعـة لا تحصل له إلا بنية الجماعة) فلا تفوته الفضيلة أيضاً؛ لأنه يمكنه أن ينويَ

---

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٩٤٥).

(٢) رواه أبو داود (٥٧٤)، والترمذي (٢٢٠) وحسنه، والإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٥).

بقلبه الجماعة في أثناء صلاته، فينال الفضيلة من حينئذ.

وقال القاضي حسين من أصحابنا الشافعية رضي الله تعالى عنهم فيمن صلى منفرداً، فاقتدى به جمع، ولم يعلم بهم: ينال فضيلة الجماعة لأنهم نالوها بسببه، بخلاف ما لو علم بهم؛ فإنه لا ينال الفضيلة ما لم ينوها؛ لأن تركه للنية مع علمه يشعر بإعراضه عن تحصيل الفضيلة[1].

وعلى هذا القول: ففي مسألة اقتداء الملائكة بالمؤمن إذا صلى في أرض فلاة لا تفوته ـ إن شاء الله ـ فضيلة جماعتهم لأنه لا يحس بهم، فإن أحس بهم ـ بأن كان من أرباب الكشف، وأصحاب الأحوال السَّنِية، وكشف له عن حقائقهم وجواهرهم ـ فحينئذ ينبغي أن ينوي الجماعة على ما فصَّله القاضي حسين رحمه الله تعالى.

ثم على كل حال: فإن المقتدي بالمنفرد مع تشبهه بالملائكة عليهم السلام متسبب لإقامة جماعة من جماعات المسلمين، فلا يخلو لذلك عن ثواب وأجر.

وكذلك إن اقتدى بمن يصلي في جماعة إماماً لا يخلو من ثواب زائد على فضيلة الجماعة ـ وهو تكثير سواد المصلين ـ لأن «من كثر سواد قوم فهو منهم»[2] ـ كما سبق ـ مع فضيلة التشبه بالملائكة عليهم السلام في ذلك.

---

(١) انظر: «روضة الطالبين» للنووي (١/ ٣٦٧).

(٢) تقدم تخريجه.

٢٦ ـ ومن أعمال الملائكة عليهم السلام: ركعتا الفجر.

روى عبد الرزاق، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه قال: دخل ابن مسعود المسجد قبل صلاة الفجر، فرأى قوماً قد أسندوا ظهورهم إلى القبلة، واستقبلوا الناس، فقال: «لا تَحُوْلُوا بين الملائكة وبين صلاتها؛ فإنها صلاة الملائكة»[1].

٢٧ ـ ومنها: سجود التلاوة، أو سجدة النحل بالخصوص.

وقد سبق أنه مندرج في السجود الذي ذكرناه من أعمالهم.

قال الله تعالى في سورة النحل: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: ٤٩].

وروى الخطيب في «تلخيص المتشابه» عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: في القرآن خمس عشرة سجدة، والذي نفسي بيده إن الملائكة في السماء لتسجد بالسجدة التي في سورة النحل.

بل السجود مطلقاً لعظمة الله تعالى.

٢٨ ـ ومنها: سجودهم لآدم عليه السلام.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: كانت السجدة لآدم، والطاعة لله[2].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٤٧٩٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦٤٣٧).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١/ ٨٤).

وقال الحسن: كرامة من الله تعالى أكرم بها آدم عليه السلام[1].

رواهما ابن أبي حاتم.

وروى ابن عساكر عن أبي إبراهيم المزني صاحب الإمام الشافعي رحمة الله عليهما: أنه سئل عن سجود الملائكة لآدم، فقال: إن الله تعالى جعل آدم كالكعبة[2].

وسبق أن ملائكة بعض السماوات سجود أبداً.

وروى ابن المبارك في «الزهد» عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي عيسى ـ شيخ قديم ـ أن ملكاً لما استوى الرب سبحانه وتعالى على كرسيه سجد لم يرفع رأسه، ولا يرفع رأسه حتى تقوم الساعة، فيقول يوم القيامة: يا رب! لم أعبدك حق عبادتك، إلاَّ أني لم أشرك بك شيئاً، ولم أتخذ من دونك ولياً[3].

وهذا السجود سجود تعظيم وإجلال، وهو خاص بالله تعالى، بل هذا هو أصل مشروعية السجود، فلذلك لم يجز السجود لغيره كما سبق.

٢٩ ـ ومنها: صلاة الضحى.

روى الديلمي في «مسند الفردوس» عن عبدالله بن زيد رضي الله

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١/ ٨٣).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧/ ٣٩٨).

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٧٥)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٦٣٩).

تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «سَأَلْتُ رَبِّيَ أَنْ يَكْتُبَ عَلَىْ أُمَّتِيْ صَلاةَ الضُّحَىْ، فَقالَ: تِلْكَ صَلاةُ الْمَلائِكَةِ، فَمَنْ شاءَ صَلاَّها، وَمَنْ شاءَ تَرَكَها، وَمَنْ صَلاَّها فَلا يُصَلِّها حَتَّىْ تَرْتَفِعَ»[1].

يعني: الشمس.

٣٠ ـ ومنها: لزوم المساجد، وعمارتها بالعبادة، والتبكير إليها، والتأخر فيها.

قال تعالى: ﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾[الطور: ٤]؛ سمي معموراً لأن الملائكة تعمره بالصلاة والتسبيح والتقديس.

روى ابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصححه، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن أنس رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «الْبَيْتُ الْمَعْمُوْرُ فِيْ السَّماءِ السَّابِعَةِ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُوْنَ أَلْفَ مَلَكٍ لا يَعُوْدُوْنَ إِلَيْهِ حَتَّىْ تَقُوْمَ السَّاعَةُ»[2].

وفي رواية لابن جرير: أن النبي ﷺ قال: «لَمَّا عَرَجَ بِيَ الْمَلَكُ إِلَىْ السَّماءِ السَّابِعَةِ انْتَهَيْتُ إِلَىْ بِناءٍ، فَقُلْتُ لِلْمَلَكِ: ما هَذا؟ قالَ: هَذا بِناءٌ بَناهُ اللهُ تَعالَىْ لِلْمَلائِكَةِ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُوْنَ أَلْفاً يُقَدِّسُوْنَ اللهَ، وَيُسَبِّحُوْنَهُ، لا يَعُوْدُوْنَ فِيْهِ»[3].

---

(١) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٣٤٠٦).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (٢٧/ ١٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٤٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٩٩٣).

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (٢٧/ ١٨).

وروى ابن جرير ـ أيضاً ـ عن قتادة قال: ذُكر لنا: أن رسول الله ﷺ قال يوماً لأصحابه: «هَلْ تَدْرُوْنَ ما الْبَيْتُ الْمَعْمُوْرُ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «فَإِنَّهُ مَسْجِدٌ فِيْ السَّماءِ بِحِيالِ الْكَعْبَةِ، لَوْ خَرَّ مِنْهُ حَجَرٌ خَرَّ عَلَيْهَا، يُصَلِّيْ كُلَّ يَوْمٍ فِيْهِ سَبْعُوْنَ أَلْفَ مَلَكٍ إِذا خَرَجُوْا مِنْهُ لَمْ يَعُوْدُوْا آخِرَ ما عَلَيْهِمْ»(١).

وروى الإمام أحمد، ومسلم عن جابر رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْخَبِيْثَةِ فَلا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنا؛ فَإِنَّ الْمَلائِكَةَ تَتَأَذَّىْ مِمَّا يَتَأَذَّىْ مِنْهُ الإِنْسُ»(٢).

وروى البغوي، وابن قانع في «معجميهما» عن شريك بن شرحبيل رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْخَبِيْثَةِ ـ يَعْنِيْ: الثُّوْمَ ـ فَلا يَقْرَبَنَّ الْمَسْجِدَ؛ فَإِنَّ الْمَلائِكَةَ تَتَأَذَّىْ مِمَّا يَتَأَذَّىْ مِنْهُ بَنُوْ آدَمَ»(٣).

وهذا يدل على ملازمة الملائكة عليهم السلام المساجد.

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلْمَساجِدِ أَوْتاداً الْمَلائِكَةُ جُلَسَاؤُهُمْ؛ إِنْ غابُوْا

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٢٧/ ١٧).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٧٤)، ومسلم (٥٦٤)، وفيهما «المنتنة» بدل «الخبيثة».

(٣) رواه ابن قانع في «معجم الصحابة» (١/ ٣٣٠).

يَفْتَقِدُوْهُمْ، وَإِنْ مَرِضُـوْا عادُوْهُمْ، وَإِنْ كانُـوْا فِيْ حاجَةٍ أَعانُوْهُمْ»، ثم قال: جَلِيْسُ الْمَسْجِدِ عَلَىْ ثَلاثِ خِصالٍ؛ أَخٌ مُسْتَفادٌ، أَوْ كَلِمَةٌ مُحْكَمَةٌ، أَوْ رَحْمَةٌ مُنْتَظَرَةٌ[1].

وفيه إشارة أن من خصال الملائكة عليهم السلام تفقـد الإخوان في الله تعالى، والسؤال عنهم إذا غابـوا، وعيـادتهم إذا مـرضـوا، وقضـاء حوائجهم.

وروى الإمام عبدالله بن المبارك في «الزهد» عن ابن أبي جبلة قال: آخر من يخرج من المسجد يخرج معه الملائكـة عليهم السلام بلوائهم بين يديه حتى يأتيَ منزله، فيكونون كما هم حتى يخرج إلى المسجد، فينطلقون بلوائهم بين يديه، فهم كذلك مع آخر من يخرج من المسجد، وأول من يدخل[2].

وروى الطبراني في «المعجم الكبير» ـ ورواته موثقون ـ عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: أنه رأى قوماً قد أسندوا ظهورهم إلى القبلة بين أذان الفجر والإقامة، فقال: لا تحولوا بين الملائكة وبين صلاتها[3].

وتقدم نحوه من رواية عبد الرزاق.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٤١٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٢): فيه ابن لهيعة وفيه كلام.

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٤٥٤).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٩٤٤).

٣١ ـ ومنها: التبكير إلى المساجد يوم الجمعة للشهادة للسابقين والمبكرين على اختلاف مراتبهم، ولحضور الخطيب، وسماع الخطبة، والإنصات لها، وشهود الصلاة بعدها.

روى الشيخان، وغيرهما عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «إِذا كانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَقَفَتِ الْمَلائِكَـةُ عَلَىْ بابِ الْمَسْجِـدِ يَكْتُبُوْنَ الأَوَّلَ فَالأَوَّلَ، وَمَثَلُ الْمُهَجِّرِ كَمَثَلِ الَّذِيْ يُهْدِيْ بَدَنَةً، ثُمَّ كَالَّذِيْ يُهْدِيْ بَقَرَةً، ثُمَّ كَبْشاً، ثُمَّ دَجاجَةً، ثُمَّ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الإِمامُ طَوَوْا صُحُفَهُمْ يَسْتَمِعُوْنَ الذِّكْرَ»[1].

قال الحافظ زين الدين العراقي رحمه الله تعالى: المراد بالملائكة الذين يحضرون الجمعـة، ويكتبون الناس على منازلهم غير الحفظة الموكلين ببني آدم؛ لأن الحفظة يكتبون كل شيء عمله ابن آدم.

قال: وهؤلاء الملائكة الذين يكتبون منازل الجائين إلى الجمعة يجتمعون لذلك، كما روي عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه[2]، وكما قاله أبو بكر بن العربي.

---

(١) رواه البخاري (٨٨٧)، ومسلم (٨٥٠).

(٢) يشير إلى الحديث الذي رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٦٠) عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقعد الملائكة على أبواب المساجد فيكتبون الأول والثاني والثالث، حتى إذا خرج الإمام رفعت الصحف».

* **فَائِدَةٌ:**

الصحف التي تكتب فيها الملائكة أسماء المصلين يوم الجمعة من الفضة، وأقلامهم التي يكتبون بها من الذهب؛ لما رواه الإمام ابن الإمام؛ عبدالله بن أحمد بن حنبل في «زوائد الزهد» عن ثابت البُناني رحمه الله تعالى قال: بلغنا أن لله ملائكة معهم ألواح من فضة، وأقلام من ذهب يطوفون، ويكتبون من صلى ليلة الجمعة ويوم الجمعة في جماعة[1].

وقد قلت في «منظومتي» التي في خصائص يوم الجمعة: [من الرجز]

وَتَكْتُبُ الْمَلائِكُ الأَجِلاَّ
مَنْ لَيْلَةَ الْجُمْعَةِ كَانَ صَلَّىْ
أَوْ يَوْمَهَا جَمَاعَةً وَالْمُكْتَتَبْ
أَلْوَاحُ فِضَّةٍ بِأَقْلامِ الذَّهَبْ
وَتَكْتُبُ الأَوَّلَ ثُمَّ الأَوَّلاَ
مِنَ الْمُبَكِّرِيْنَ حَتَّىْ يَدْخُلا
إِمَامُهُمْ إِلَىْ صَلاةِ الْجُمُعَةْ
فَتَحْضُرَنَّهُ إِذَنْ مُسْتَمِعَةْ

(١) ذكره السيوطي في «اللمعة في خصائص الجمعة» (ص: ١٢١) وعزاه لـ «زوائد الزهد» لعبدالله بن الإمام أحمد.

٣٢ ـ ومنها: كراهية السفر يوم الجمعة.

وهو حرام على المقيم إذا طلع الفجر، إلا أن يخاف فوات الرفقة، أو يكون في طريقه جمعة يدركها[١].

روى ابن النَّجار في «تاريخه» عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سافَرَ مِنْ دارِ إقامَتِهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ دَعَتْ عَلَيْهِ الْمَلائِكَةُ: لا يُصْحَبْ فِيْ سَفَرِهِ، وَلا يُعانُ عَلَىْ حاجَتِهِ».

٣٣ ـ ومنها: تفقد الإخوان الذين كانوا يجتمعون معهم في الصلاة، ومجالس الذِّكر، وسائر مشاهد الخير، والسؤال عن أحوالهم، وعيادة مرضاهم، ومساعدتهم في حوائجهم.

وقد جاء في الأثر، كما ذكره الإمام أبـو طالـب المكي في كتاب «القوت»: أن الملائكة عليهم السَّلام يفتقدون العبـد إذا تأخر عن وقته يوم الجمعة، فيسأل بعضهم بعضاً عن ما فعل فلان؟ وما الذي أخـره؟ اللَّهُمَّ إن كان أخره فقر فَأَغْنِه، وإن كان أخره مرض فاشفه، وإن كان أخره شغل ففرغه لعبادتك، وإن كان أخره لهوٌ فَأَقْبِـلْ بقلبه على طاعتك[٢].

وفي قوله: إذا تأخر عن وقتـه إشارةٌ إلى أنهم إنما يفتقدون من كان له عادةٌ، ووقتٌ يحضر فيه، لا من لم تكن له عادة بذلك؛ فإنه أبعد الناس

---

(١) انظر أقوال العلماء في هذه المسألة وأدلة كل فريق في: «اللمعة في خصائص الجمعة» للسيوطي (ص: ١٣١).

(٢) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (١/ ١١٨).

عن موالاة الملائكة لتلبسه بأخلاق المنافقين، كما سيأتي.

وقد سبق حديث أبي هريرة ﷺ في تفقد الملائكة أوتاد المساجد، وعيادتهم إذا مرضوا، ومعاونتهم في حوائجهم[1].

وقد أشرت إلى ذلك في «منظومتي» المشار إليها، مشيراً إلى الملائكة عليهم السَّلام بقولي: [من الرجز]

وَيَتَفَقَّدُوْنَ مَنْ تَأَخَّرا
عَنْ وَقْتٍ اعْتَادَ بِهِ أَنْ يَحْضُرا

وَيَتَساءَلُوْنَ عَنْهُ ما فَعَلْ
وَما الَّذِيْ أَخَّرَهُ مِنَ الْعِلَلْ

إِنْ كانَ عَنْ فَقْرٍ فَنَوِّلْهُ الْغِنا
أَوْ مَرَضٍ فَعَافِهِ يا رَبَّنَا

أَوْ شُغْلٍ ربٍّ فَفَرِّغْنْهُ
حَتَّى يُطِيْعَنَّ فَتَرْضَى عَنْهُ

أَوْ كانَ عَنْ لَهْوٍ فَأَقْبِلْ يا كَرِيْمْ
بِقَلْبِهِ إِلَيْكَ حَتَّىْ يَسْتَقِيْمْ

هُمْ جُلَسَاءُ أَهْلِ كُلِّ مَسْجِدِ
يُذَكِّرُوْنَ الْقَوْمَ بِالتَّفَقُّدِ

---

(١) تقدم تخريجه.

إِنْ مَرِضُـــوْا عَـــادُوْهُمُ أَوْ كَـــانُوْا

فِـــيْ حاجَــةٍ فَهُــمْ لَهُــمْ أَعَــانُوْا

٣٤ ـ ومنها: التذكير بالصَّلاة إذا حان وقتها، والدعاء إليها.

روى الطبراني، والضياء في «المختارة» عن أنس ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَكاً يُنادِيْ عِنْدَ كُلِّ صَلاةٍ: يا بَنِيْ آدَمَ! قُوْمُوْا إِلَىْ نِيْرَانِكُمُ الَّتِيْ أَوْقَدْتُمُوْها عَلَىْ أَنْفُسِكُمْ فَأَطْفِئُوْهَا»[1].

وقد تقدم هذا مع حديث ابن مسعود في المعنى.

٣٥ ـ ومنها: إيقاظ النائم للصلاة ـ سواء صلاة الليل وغيرها كالصُّبح ـ وقد سبق أنهم يوقظون المتهجدين.

روى الطبراني في «الأوسط» عن عبدالله ـ يعني: ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَرَادَ الْعَبْدُ الصَّلاةَ مِنَ اللَّيْلِ أَتَاهُ مَلَكٌ، فَقالَ لَهُ: قُمْ فَقَدْ أَصْبَحْتَ، فَصَلِّ، وَاذْكُرْ رَبَّكَ، فَيَأْتِيْهِ الشَّيْطَانُ، فَيَقُوْلُ لَهُ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيْلٌ، وَسَوْفَ تَقُوْمُ، فَإِنْ قامَ، فَصَلَّىْ أَصْبَحَ نَشِطاً، خَفِيْفَ الْجِسْمِ، قَرِيْرَ الْعَيْنِ، وَإِنْ هُوَ أَطاعَ الشَّيْطانَ حَتَّىْ أَصْبَحَ، بالَ فِيْ أُذُنَيْهِ»[2].

واعلم أن قول الملك للمصلي لا يلزم منه أن يسمعه ويفهمه، بل استيقاظه يكون من الملك، للطف الملائكة لا يحتاج من تتوجه إليه

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٢٩٣).

نصيحتهم أن يسمع كلامهم كما يسمع كلام الآدميين، بل قد يكون ذلك إلقاء في الروح، وربما سمع بعض الصَّالحين ذلك جهرة، وسيأتي لذلك مزيد بيان في التشبه بالشيطان.

وقد روى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزُّهد» عن هشام بن زياد أخي العلاء بن زياد قال: كان العلاء بن زياد يحيي كل ليلة جمعة، قال: فوجد ليلة فترة، فقال: يا أسماء! ـ لامرأته ـ إني أجد فترة، فإذا مضى كذا وكذا فأيقظيني، قالت: نعم، فأتى آت في منامه، فأخذ بناصيته، فقال: يا ابن زياد! قم فاذكر الله ﷻ يذكرْك، قال: فقام، فما زالت تلك الشعرات التي أخذها منه قائمة حتى مات[1].

٣٦ ـ ومنها: الأذان والإقامة:

سبق أن إسرافيل عليه السَّلام مؤذن أهل السماء.

وروى أبو نعيم في «الحلية»، وابن عساكر عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ـ: «نزَلَ آدمُ عَلَيْـهِ السَّلامُ بِالْهِنْـدِ، وَاسْتَوْحَشَ، فَنَزَلَ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلامُ فَنادَىْ بِالأَذانِ: اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ ـ مَرَّتَيْنِ ـ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّـداً رَسُوْلُ اللهِ ـ مَرَّتَيْنِ ـ، قالَ آدَمُ: مَنْ مُحَمَّدٌ؟ قالَ: آخِرُ وَلَدِكَ مِنَ الأَنْبِياءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ»[2].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «التهجد وقيام الليل» (ص: ٤٧٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٤٤) عن عبدالله بن الإمام أحمد.

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ١٠٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧/ ٤٣٧).

وروى البزار عن علي رضي الله تعالى عنه قال: لما أراد الله تعالى أن يعلم رسوله الأذان أتاه جبريل عليه السلام بدابة يقال لها: البراق، فذهب يركبها، فاستصعبت، فقال لها جبريل عليه السلام: اسكني، فوالله ما ركبك عبد أكرم على الله من محمد ﷺ، فركبها حتى انتهى إلى الحجاب الذي يلي الرَّحمن، فبينما هو كذلك إذ خرج ملك من الحجاب، فقال رسول الله ﷺ: «يا جِبْرِيْلُ! مَنْ هَذا؟» قال: والذي بعثك بالحق إني لأقرب الخلق مكاناً، وإن هذا الملك ما رأيته قط منذ خلقت قبل ساعتي هذه، فقال الملك: الله أكبر، الله أكبر، فقيل له من وراء الحجاب: صدق عبدي؛ أنا أكبر، أنا أكبر، ثم قال الملك: أشهد أن لا إله إلا الله، فقيل من وراء الحجاب: صدق عبدي؛ لا إله إلا أنا، فقال الملك: أشهد أن محمداً رسول الله، فقيل من وراء الحجاب: صدق عبدي؛ أنا أرسلت محمداً، فقال الملك: حي على الصلاة، حي على الفلاح، قد قامت الصلاة، ثم قال: الله أكبر، الله أكبر، فقيل من وراء الحجاب: صدق عبدي؛ أنا أكبر، أنا أكبر، ثم قال: لا إله إلا الله، فقيل من وراء الحجاب: صدق عبدي؛ لا إله إلا أنا، ثم أخذ الملك بيد محمد فقدمه، فأَمَّ أهل السَّماوات فيهم آدم ونوح، فيومئذ أكمل الله تعالى لمحمد الشرف على أهل السَّماوات والأرض[1].

قلت: هذه كيفية الإقامة لأن ألفاظها فرادى، ولزيادة لفظ الإقامة

---

(١) رواه البزار في «المسند» (٥٠٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٣٢٩): فيه زياد بن المنذر وهو مجمع على ضعفه.

فيها، وإنما سماها عليٌّ رضي الله عنه أذاناً على ضرب من المجاز، ولأن العرب قد تسمي الإقامة أذاناً.

وفي الحديث: «بَيْنَ كُلِّ أَذانَيْنِ صَلاةٌ»[1]؛ أي: بين كل أذان وإقامة.

وفي حديث علي رضي الله تعالى عنـه إشارة إلى أن إجابة المؤذن خُلق من أخلاق الله تعالى، والله الموفق.

٣٧ ـ ومنها: سماع الأذان، والإنصات للمؤذن:

روى ابن عدي في «الكامل» عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَهْلَ السَّماءِ لا يَسْمَعُوْنَ شَيْئاً مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ إِلاَّ الأَذَانَ»[2].

٣٨ ـ ومنها: الاستغفار للمصلين:

روى ابن خزيمة في «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَجْتَمِعُ مَلائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلائِكَةُ النَّهارِ فِيْ صَلاةِ الْفَجْرِ وَصَلاةِ الْعَصْرِ، فَيَجْتَمِعُوْنَ فِيْ صَلاةِ الْفَجْرِ، فَتَصْعَدُ مَلائِكَةُ اللَّيْلِ، وَتَثْبُتُ مَلائِكَةُ النَّهارِ، وَيَجْتَمِعُوْنَ فِيْ صَلاةِ الْعَصْرِ، فَتَصْعَدُ مَلائِكَةُ النَّهارِ، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبادِيْ؟ فَيَقُوْلُوْنَ: أَتَيْناهُمْ وَهُمْ يُصَلُّوْنَ، وَتَرَكْناهُمْ وَهُمْ يُصَلُّوْنَ، فَاغْفِرْ لَهُمْ يَوْمَ الدِّيْنِ»[3].

---

(١) رواه البخاري (٥٩٨)، ومسلم (٨٣٨).

(٢) رواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٤/ ٣٢٣) وضعفه.

(٣) رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (٣٢٢).

٣٩ ـ ومنها: الاستغفار لمن بات على طهارة:

روى الطبراني في «الأوسط» بإسناد حسن، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «طَهِّرُوْا هَذِهِ الأَجْسامَ ـ طَهَّرَكُمُ اللهُ ـ؛ فَإِنَّـهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَبِيْتُ طَاهِراً إِلاَّ باتَ مَعَهُ فِيْ شِعارِهِ مَلَكٌ، لا يَنْقَلِبُ ساعَةً مِنْ اللَّيْلِ إِلاَّ قالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ؛ فَإِنَّهُ باتَ طَاهِراً»[1].

٤٠ ـ ومنها: الاستغفار لمن قرأ: ﴿حمٓ﴾[الدخان: ١] من الليل.

روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ ﴿حمٓ﴾ الدُّخَان فِيْ لَيْلَةٍ، أَصْبَحَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ سَبْعُوْنَ أَلْفَ مَلَكٍ»[2].

٤١ ـ ومنها: الاستغفار لمن صلى على النبي ﷺ في كتاب:

روى الطبراني، وأبو الشيخ، والمستغفري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّىْ عَلَيَّ فِيْ كِتابٍ لَمْ يَزَلِ الْمَلائِكَةُ يَسْتَغْفِرُوْنَ لَهُ ما دامَ اسْمِيَ فِيْ ذَلِكَ الْكِتَابِ»[3].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٠٨٧)، وجوَّد المنذري إسناده في «الترغيب والترهيب» (١/ ٢٣١).

(٢) رواه الترمذي (٢٨٨٨) وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وعمر بن أبي خثعم يضعف، قال محمد: وهو منكر الحديث.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٨٣٥). قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٦٢): رواه الطبراني وغيره، وروي من كلام جعفر بن محمد موقوفاً عليه وهو أشبه.

٤٢ ـ ومنها: الاستغفار للعلماء:

روى الترمذي وصححه، عن أبي أسامة ﷺ قال: ذُكِر لرسول الله ﷺ رجلان؛ أحدهما عابد، والآخر عالم، فقال رسول الله ﷺ: «فَضْلُ الْعالِمِ عَلَىْ الْعابِدِ كَفضْلِيَ عَلَىْ أَدْناكُمْ».

ثم قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ، وَمَلائِكَتَهُ، وَأَهْلَ السَّماواتِ، وَأَهْلَ الأَرْضِ، حَتَّىْ النَّمْلَةَ فِيْ جُحْرِها، وَحَتَّىْ الْحُوْتَ، لَيُصَلُّوْنَ عَلَىْ مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ»(١).

وصلاة الملائكة بمعنى: الاستغفار.

ويدل عليه ما رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه» عن أبي الدرداء ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ سَلَكَ طَرِيْقاً يَلْتَمِسُ فِيْهِ عِلْماً سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيْقاً إِلَىْ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطالِبِ الْعِلْمِ رِضَىً بِما يَصْنَعُ، وَإِنَّ الْعالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِيْ السَّماواتِ وَمَنْ فِيْ الأَرْضِ، حَتَّىْ الْحِيْتَانُ فِيْ الْماءِ، وَفَضْلُ الْعالِمِ عَلَىْ الْعابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَىْ سائِرِ الْكَواكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَماءَ وَرَثَةُ الأَنْبِياءِ، وَإِنَّ الأَنْبِياءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِيْناراً، وَلا دِرْهَماً، وَإِنَّما وَرَّثُوْا الْعِلْمَ؛ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وافِرٍ»(٢).

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٨٥). قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ١٩): رواه الترمذي من حديث أبي أمامة وقال غريب، وفي نسخة: حسن صحيح.

(٢) رواه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢) وقال: وليس هو عندي بمتصل، =

٤٣ ـ ومنها: الاستغفار لمحبي أبي بكر، وعمر رضي الله تعالى عنهما، ولعن مبغضيهما:

روى ابن باكُويه الشيرازي في كتاب «الألقاب» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ فِيْ سَماءِ الدُّنْيا ثَمانِيْنَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُوْنَ لِمَنْ أَحَبَّ أَبا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَفِيْ السَّماءِ الثَّانِيَةِ ثَمَانِيْنَ أَلْفَ مَلَكٍ يَلْعَنُوْنَ مَنْ يُبْغِضُ أَبا بَكْرٍ وَعُمَرَ»[1].

٤٤ ـ ومنها: الاستغفار لصُوَّام رمضان:

روى البيهقي بسند صالح، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «أُعْطِيَتْ أُمَّتِيْ فِيْ شَهْرِ رَمَضانَ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِيْ:

أَمَّا واحِدَةٌ فَإِنَّهُ إِذا كانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضانَ نَظَرَ اللهُ إِلَيْهِمْ، وَمَنْ نَظَرَ اللهُ إِلَيْهِ لَمْ يُعَذِّبْهُ أَبَداً.

وَأَمَّا الثَّانِيَةُ: خُلُوْفُ أَفْواهِهِمْ حِيْنَ يُمْسُوْنَ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيْحِ الْمِسْكِ.

= هكذا حدثنا محمود بن خداش بهذا الإسناد، وإنما يروى هذا الحديث عن عاصم بن رجاء بن حيوة، عن الوليد بن جميل، عن كثير بن قيس، عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ، وهذا أصح، ورواه ابن ماجه (٣٤٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٨).

(١) ورواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٢/ ٣٤١) وقال: وألزقه العدوي على كامل، وليس الحديث عند كامل، ولا هو محفوظ عن ابن لهيعة؛ لأن أبا عبدالله الزاهد مجهول الأسانيد.

وَأَمَّا الثَّالِثَةُ: فَتَسْتَغْفِرُ لَهُمُ الْمَلائِكَةُ فِيْ كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ.

وَأَمَّا الرَّابِعَةُ: فَإِنَّ اللهَ ﷻ يَأْمُرُ جَنَّتَهُ فَيَقُوْلُ: اسْتَعِدِّيْ، وَتَزَيَّنِي لِعِبَادِيْ؛ أَوْشَكَ أَنْ يَسْتَرِيْحُوْا مِنْ تَعَبِ الدُّنْيَا إِلَىٰ دارِيْ وَكَرامَتِيْ.

وَأَمَّا الْخامِسَةُ: فَإِنَّهُ إِذا كانَ آخِرُ لَيْلَةٍ غَفَرَ اللهُ لَهُمْ جَمِيْعاً».

فقال رجل من القوم: هي ليلة القدر؟ قال: «لا، أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الْعُمَّالِ يَعْمَلُوْنَ، فَإِذا فَرَغُوْا مِنْ أَعْمالِهِمْ وُفُّوْا أُجُوْرَهُمْ!»[(١)].

٤٥ ـ ومنها: الاستغفار لعائد المريض:

روى ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذا عادَ الرَّجُلُ أَخاً مَرِيْضاً فِيْ اللهِ تَعالَىْ مَشَىْ مَعَهُ سَبْعُوْنَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُوْنَ لَهُ، وَكانَ يَخُوْضُ فِيْ الرَّحْمَةِ، حَتَّىْ إِذا دَخَلَ عَلَيْهِ غَرِقَ فِيْها»[(٢)].

٤٦ ـ ومنها: الاستغفار لمن قال: سبحان من تعزز بالقدرة، وقهر العباد بالموت:

روى الإمام أحمد في «الزهد» عن عبدالله بن إبراهيم قال: مر يحيى ابن زكريا على قبر دانيال النبي عليهم السلام قال: فسمعه وهو في القبر يقول: سبحان من تعزز بالقدرة، وقهر العباد بالموت، قال: فسمع ثم

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٦٠٣). قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٥٦): وإسناده مقارب.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (ص: ٧٢).

مضى، قال: فناداه مناد من السماء: يا يحيى! أنا الذي تعززت بالقدرة، وقهرت العباد بالموت، من قالها استغفر له السَّماوات والأرض ومن فيهن[1].

٤٧ ـ **ومنها: الاستغفار لكافة المؤمنين، مع التنصيص في استغفارهم على التائبين، والمتبعين سبيل الله تعالى، ومع الدُّعاء لهم بالنَّجاة من النار والفوز بالجنة وإنجاز الموعود والتوفيق**، كما في قوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[الشورى: ٥]، وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[غافر: ٧ ـ ٩].

فينبغي للإنسان أن يقتدي بالملائكة عليهم السلام في الدُّعاء، والاستغفار لإخوانه المؤمنين؛ فإن في ذلك فضلاً كثيراً، وأجراً غزيراً.

روى الطبراني في «معجمه الكبير» عن عُبادة بن الصَّامت رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنِ اسْتَغْفَرَ لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِناتِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعاً وَعِشْرِيْنَ مَرَّةً كانَ مِنَ الَّذِيْنَ يُسْتَجابُ لَهُمْ، وَيُرْزَقُ

---

(١) ورواه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (ص: ٢٨).

بِهِمْ أَهْلُ الأَرْضِ»[1].

ومن فضل الترحم، والاستغفار لهـذه الأمـة بالخصوص ما رواه الخطيب البغدادي في «تاريخه» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ دُعـاءٍ أَحَبُّ إِلَىْ اللهِ تَعالَىْ مِنْ أَنْ يَقُوْلَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ ارْحَمْ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ رَحْمَةً عامَّةً»[2].

وروى أبو نعيم في «الحلية» عن مَعروف الكَرخي قال: من قال كل يوم: اللَّهم أصلح أمة محمد، اللَّهم فرج عن أمة محمَّد، اللهم ارحم أمة محمد ﷺ، كُتِب من الأبدال[3].

٤٨ ـ ومنها: الصَّلاة على الصفِّ الأول من المصلين مرتين، وعلى الصف الثاني مرة، وعلى ميامن الصفوف، وعلى الذين يَصِلَون الصفوفَ، وعلى من ينتظر الصلاة، ومن في وجهه أثر السجود، وعلى الْمُتَعَمِّمِيْنَ يوم الجمعـة، وعلى من يصلي على النبي ﷺ، وعلى الرجل ما دامـت مائدتـه موضوعـة، وعلى المقتنين للأغنام،

---

(١) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢١٠): رواه الطبراني وفيه عثمان ابن أبي العاتكة وقال فيه: حدثت عن أم الدرداء، وعثمان هذا وثقه غير واحد، وضعفه الجمهور، وبقية رجاله المسمين ثقات.

(٢) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٦/ ١٥٧)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٦١٤٦). قال الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٤/ ٣٢٦): كأنه موضوع.

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣٣٦).

وعلى المتسحِّرين، وعلى الصَّائم إذا أُكل بين يديه، وعلى من فَطَّر صائماً، وعلى عائد المريض، وعلى زائـر أخيـه، وعلى من يسلم على أخيه، وعلى من يردُّ السلام، وعلى معلِّم الخير، وعلى العبد عند ختم القرآن، وعلى من قـرأ سورة (آل عمران) يوم الجمعة، وعلى المجاهد ما دام سلاحـه عليـه، وعلى الذاكرين الله كثيـراً، والمسبحين الله بكرة وأصيلاً، بـل على سائـر أمة محمد ﷺ.

والصلاة من الملائكـة عليهم السـلام في هـذه الأماكن، وأمثالها بمعنى: الترحم، والاستغفار.

٤٩ ـ ومنها: صلاتهم على النبي ﷺ، وسيأتي عدها من خصالهم في محله إن شاء الله تعالى.

والتشبه بهم في ذلك بالمعنى؛ أي: بالدعاء لهؤلاء بلفظ الاستغفار، ونحوه، لا بلفظ الصَّلاة؛ لأن الأكثرين على أنَّ الصَّلاة لا تشرع إلا على الأنبياء والملائكة، ولا تشرع على غيرهم إلا بالتبعية لهم.

وأمَّا أدلة ما أشرنا إليه:

فروى الإمام أحمـد بإسناد لا بأس بـه، عن أبي أمامـة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّوْنَ عَلَىْ الصَّفِّ الأَوَّلِ»، قالوا: يا رسول الله! وعلى الثاني؟ قال: «إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّوْنَ عَلَىْ الصَّفِّ الأَوَّلِ»، الحديث[1].

---

(١) رواه الإمـام أحمـد في «المسنـد» (٥/ ٢٦٢) واللفظ له، والطبراني في =

وروى ـ أيضاً بإسناد جيد، عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّوْنَ عَلَىْ الصَّفِّ الأَوَّلِ، أَوِ الصُّفُوْفِ الأُوَلِ»(١).

وروى أبو داود، وابن ماجه بإسناد حسن، عن عائشة رضي الله عنهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّوْنَ عَلَىْ مَيَامِنِ الصُّفُوْفِ»(٢).

وروى ابن خزيمة في «صحيحه» عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ يأتي الصف إلى ناحيتيه، فيمسح مناكبنا، أو صدورنا، ويقول: «لا تَخْتَلِفُوْا فَتَخْتَلِفَ قُلُوْبُكُمْ»، قال: وكان يقول: «إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّوْنَ عَلَىْ الَّذِيْنَ يَصِلُوْنَ الصُّفُوْفَ الأُوَلَ»(٣).

وروى هو، والإمام أحمد، وابن ماجه، وصححه ابن حبان، والحاكم، وقال: على شرط مسلم، عن عائشة رضي الله تعالى عنها،

= «المعجم الكبير» (٧٧٢٧). قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ١٨٧): رواه أحمد بإسناد لا بأس به، والطبراني وغيره.

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٦٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٩١): رجاله ثقات.

(٢) رواه أبو داود (٦٧٦)، وابن ماجه (١٠٠٥). قال النووي في «خلاصة الأحكام» (٢/ ٧١٠): رواه أبو داود بإسناد على شرط مسلم، وفيه رجل مختلف فيه، والمختار تصحيحه.

(٣) رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (١٥٥٦).

عـن النبـي ﷺ قـال: «إِنَّ اللهَ وَمَـلائِكَتَـهُ يُصَلُّـوْنَ عَلَىْ الَّذِيْـنَ يَصِلُـوْنَ الصُّفُوْفَ»[1].

وروى الإمـام أحـمـد عن علي رضي الله تعـالى عنـه قـال: قـال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذا جَلَسَ فِيْ مُصَلاَّهُ بَعْدَ الصَّلاةِ صَلَّتْ عَلَيْـهِ الْمَلائِكَةُ، قالَ: وَصَلاتُهُمْ عَلَيْهِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ»[2].

قلت: هذا الحديـث أحـد الأدلـة لما بينـاه من معنى الصـلاة من الملائكة على المذكورين، والله الموفق.

وروى مسلم، وأبو داود عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَزالُ الْعَبْدُ فِيْ صَلاةٍ ما دامَ الْعَبْدُ فِيْ مُصَلاَّهُ يَنْتَظِرُ الصَّلاةَ، وَالْمَلائِكَةُ يَقُوْلُوْنَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ»[3].

وروى أبو نعيم عن عُبيد بن عُمير قال: لا تَزالُ الْمَلائِكَةُ تُصَلِّيْ عَلَى الْعَبْدِ ما دامَ أَثَرُ السُّجُوْدِ فِيْ وَجْهِهِ[4].

وروى الطبراني في «معجمه الكبير» عن أبي الدرداء رضي الله تعالى

---

(١) رواه ابن خزيمـة في «صحيحه» (١٥٥٠)، والإمام أحمـد في «المسند» (٦/ ٦٧)، وابن ماجه (٩٩٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٢١٦٣)، والحاكم في «المستدرك» (٧٧٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ١٤٤). قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٤/ ٥٨): قال علي بن المديني: هو حديث كوفي، وإسناده حسن.

(٣) رواه مسلم (٦٤٩)، وأبو داود (٤٧١).

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٢٧٢).

عنه: أنَّ النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتُهُ يُصَلُّوْنَ عَلَىْ أَصْحابِ الْعَمائِمِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ»[1].

قلت في منظومتي المسماة بـِ: «الفوائد المجتمعة في خصائص يوم الجمعة»:

وَاللهُ وَالأَمْـلاكُ كُلُّهُـمْ مَعَـهْ
صَـلُّوْا عَلَـىْ الْمُعَمَّـمِ يَـوْمَ الْجُمُعَـهْ

وروى أبو نعيم في «الحلية»، والضياء في «المختارة» عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّىْ عَلَيَّ صَلاةً صَلَّتِ الْمَلائِكَةُ عَلَيْهِ ما صَلَّىْ عَلَيَّ؛ فَلْيُكْثِرْ عَبْدٌ، أَوْ لِيُقِلَّ»[2].

وروى ابن ماجه عن عبدالله بن عامر بن ربيعة، عن أبيه رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «ما مِنْ مُسْلِمٍ يُصَلِّيْ عَلَيَّ إِلاَّ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلائِكَةُ؛ فَلْيُقِلَّ عَبْدٌ مِنْ ذَلِكَ، أَوْ لِيُكْثِرَ»[3].

وروى أبو بكر بن عاصم في «فضل الصلاة» على النبي ﷺ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنَّ النبي ﷺ قال: «مَنْ صَلَّىْ عَلَيَّ صَلاةً

---

(١) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ١٧٦): رواه الطبراني في «الكبير» وفيه أيوب بن مدرك، قال ابن معين: إنه كذاب.

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٨٠) لكن من حديث عامر بن ربيعة، ورواه الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٨/ ١٨٩).

(٣) رواه ابن ماجه (٩٠٧)، وإسناده ضعيف.

صَلَّىْ اللهُ وَمَلائِكَتُهُ عَلَيْهِ عَشْراً؛ فَلْيُقِلَّ عَبْدٌ أَوْ لِيُكْثِرَ».

وروى الإمام أحمد بسند حسن، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: من صلى على رسول الله ﷺ صلاةً، صلَّى اللهُ عليه وملائكته سبعين صلاة، فلْيُقِلَّ عبدٌ من ذلك أو ليُكْثِرَ[1].

وروى الطبراني بأسانيد قريبة للحُسْنِ، عن أبي طلحة رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ - وأسارير وجهه تَبْرُقُ - فقلت: يا رسول الله! ما رأيتك أطيب نفساً، ولا أظهر بِشراً من يومك هذا، قال: «وَما لِيَ لا تَطِيْبُ نَفْسِيْ، وَيَظْهَرُ بِشْرِيْ! وَإِنَّما فارَقَنِيْ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلامُ السَّاعَةَ، فَقَالَ: يا مُحَمَّدُ! مَنْ صَلَّىْ عَلَيْكَ مِنْ أُمَّتِكَ صَلاةً كَتَبَ اللهُ لَـهُ بِها عَشْرَ حَسَناتٍ، وَمَحَا عَنْـهُ عَشْرَ سَيِّئاتٍ، وَرَفَعَهُ بِها عَشْرَ دَرَجَاتٍ، وَقالَ لَهُ الْمَلَكُ مِثْلَ ما قالَ لَكَ، قُلْتُ: يا جِبْرِيْلُ! وَما ذاكَ الْمَلَكُ؟ قال: إِنَّ اللهَ عز وجل وَكَّلَ لَكَ مَلَكاً مِنْ لَدُنْ خَلْقِكَ إِلَىْ أَنْ بَعَثَـكَ؛ لا يُصَلِّيْ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلاَّ قالَ: وَأَنْتَ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْكَ»[2].

وقوله: «إِنَّ اللهَ وَكَّلَ بِكَ مَلَكاً»؛ أي: يحفظك من لَدُن خلقك إلى بعثك، ثم هو معك؛ لا يصلي عليك أحد إلا قال له: «وَأَنْتَ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْكَ».

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٧٢).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٧٢٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٦١): فيه محمد بن إبراهيم بن الوليد، لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

وروى الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمَلائِكَةَ لا تَزالُ تُصَلِّيْ عَلَىْ أَحَدِكُمْ ما دامَتْ مائِدَتُهُ مَوْضُوْعَةً»[1].

وروى محمد بن سعد في «طبقاته» عن بعض الصَّحابة رضي الله تعالى عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ تَرُوْحُ عَلَيْهِمْ ثَلاثَةٌ مِنَ الْغَنَمِ إِلاَّ باتَتِ الْمَلائِكَةُ تُصَلِّيْ عَلَيْهِمْ حَتَّىْ تُصْبِحَ»[2].

وروى الإمام أحمد بإسناد قوي، عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «السَّحُوْرُ كُلُّهُ بَرَكَةٌ؛ فَلا تَدَعُوْهُ، وَلَوْ أَنْ يَجْرَعَ أَحَدُكُمْ جَرْعَةً مِنْ ماءٍ؛ فَإِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّوْنَ عَلَىْ الْمُتَسَحِّرِيْنَ»[3].

وروى ابن حبان في «صحيحه»، والطبراني في «معجمه الأوسط»، وأبو نعيم في «الحلية» عن ابن عمر رضي الله عنهما قالت[4]: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ وَملائِكَتَهُ يُصَلُّوْنَ عَلَىْ الْمُتَسَحِّرِيْنَ»[5].

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (١/ ١٥٦)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (١٠٣٥)، وضعف العراقي إسناده في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٣٥٤).

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٤٩٦).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٢). قال المنذري في «الترغيب والترهيب»: إسناده قوي.

(٤) في «أ»: «عن عائشة رضي الله عنها قالت».

(٥) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٣٤٦٧)، والطبراني في «المعجم الأوسط» =

وروى الترمذي وصححه، وابن ماجه، وابن خزيمة، وابن حبان في «صحيحيهما»، وغيرهم عن أم عمار رضي الله تعالى عنها: أن النبي ﷺ دخل إليها، فقدمت إليه طعاماً، فقال: «كُلِيْ»، فقالت: «إني صائمة»، فقال رسول الله ﷺ: «الصَّائِمُ إِذا أَكَلَتْ عِنْدَهُ الْمَفاطِيْرُ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلائِكَةُ عَلَيْهِمُ السَّلامُ»[1].

وفي رواية: «إِنَّ الصَّائِمَ تُصَلِّيْ عَلَيْهِ الْمَلائِكَةُ إِذا أُكِلَ عِنْدَهُ حتَّى يَفْرُغُوْا»[2].

وربما قال: «حَتَّىْ يَشْبَعُوْا».

وروى ابن ماجه، والبيهقي عن بُريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لبلال رضي الله تعالى عنه: «الْغَداءَ يا بِلالُ»، فقال: إني صائم، فقال رسول الله ﷺ: «نأْكُلُ رِزْقَنا، وَفَضْلَ رِزْقِ بِلالٍ فِيْ الْجَنَّةِ، شَعَرْتُ يا بِلالُ أَنَّ الصَّائِمَ تُسَبِّحُ عِظامُهُ، وَتَسْتَغْفِرُ لَهُ الْمَلائِكَةُ ما أُكِلَ عِنْدَهُ»[3].

قلت: لعل صلاة الملائكة عليهم السَّلام على الصَّائم إذا أكل عنده،

= (٦٤٣٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣٢٠).

(١) رواه الترمذي (٧٨٥) وصححه، وابن ماجه (١٧٤٨)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢١٤٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٤٣٠).

(٢) رواه الترمذي (٧٨٥) وصححه.

(٣) رواه ابن ماجه (١٧٤٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٥٨٦). قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٩٣): ومحمد بن عبد الرحمن هذا مجهول، وبقية مدلس، وتصريحه بالتحديث لا يفيد مع الجهالة.

واستغفارهم له لكونه في ذلك متخلقاً بأخلاقهم لأنهم قد يحضرون الطعام وهم لا يأكلون ولا يشربون، كما سيأتي، والله الموفق.

وروى الطَّبراني في «معجمه الكبير» عن سلمان رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ فَطَّرَ صائِماً عَلَىْ طَعامٍ وَشَرابٍ مِنْ حَلالٍ، صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلائِكَةُ فِيْ ساعاتِ شَهْرِ رَمَضانَ، وَصَلَّىْ عَلَيْهِ جِبْرِيْلُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ»[1].

وروى الإمام أحمد، وأبو يعلى، والبيهقي في «سننه» عن علي رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِذا عادَ الرَّجُلُ أَخاهُ الْمُسْلِمَ مَشَىْ فِيْ خِرافَةِ الْجَنَّـةِ ـ أي: مجتناها ـ حَتَّىْ يَجْلِسَ، فَإِذا جَلَسَ غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ، فَإِنْ كانَ غُدْوَةً صَلَّىْ عَلَيْهِ سَبْعُوْنَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّىْ يُمْسِيَ، وَإِنْ كانَ عِشاءً صَلَّىْ عَلَيْهِ سَبْعُوْنَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّىْ يُصْبِحَ»[2].

وروى الترمذي وحسنه، ولفظه: «ما مِنْ مُسْلِمٍ يَعُوْدُ مُسْلِماً غُدْوَةً إِلاَّ صَلَّىْ عَلَيْهِ سَبْعُوْنَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّىْ يُمْسِيَ، وَإِنْ عادَهُ عَشِيَّةً صَلَّىْ عَلَيْهِ

---

(١) رواه الطَّبراني في «المعجم الكبير» (٦١٦٢)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٥٦٢٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائـد» (٣/ ١٥٧): وفيه الحسن بن أبي جعفر، قال ابن عدي: لـه أحاديث صالحة وهو صدوق، قلت: وفيه كلام.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٨١)، وأبـو يعلى في «المسند» (٢٦٢)، والبيهقي في «السنن الكبـرى» (٣/ ٣٨٠). وقد رواه أيضاً النسائي في «السنن الكبرى» (٧٤٩٤)، وابن ماجه (١٤٤٢).

سَبْعُوْنَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّىْ يُصْبِحَ، وَكانَ لَهُ خَرِيْفٌ فِيْ الْجَنَّةِ»[1].

وقوله: «وَكانَ لَهُ خَرِيْفٌ فِيْ الْجَنَّةِ» يحتمل وجهين:

الأول: أنه أراد به النخل التي تخرص.

والمعنى: كان له خريف نخيل مباحة له، كما أن النخل يخرص ليباح لمالكه التصرف فيه، ويدل عليه قوله في الرواية الأخرى: «مَشَىْ فِيْ خِرافَةِ الْجَنَّةِ»؛ أي: مجتناها.

ومنه الخريف لثلاثة أشهر بين القيظ والشتاء؛ تخترف فيها الثمار؛ أي: تجتنى.

والوجه الثاني: أن يكون أراد بالخريف السنة والعام؛ من باب تسمية الكل باسم البعض.

ومنه الحديث: «يَهْوِيْ سَبْعِيْنَ خَرِيْفاً»؛ أي: عاماً.

والمعنى: وكان له مسافة عام في الجنة.

وروى الإمام أبو بكر بن باكُويه الشيرازي في «الألقاب» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ وَكَّلَ بِعائِدِ السَّقِيْمِ مِنَ السَّاعَةِ الَّتِيْ تَوَجَّهَ إِلَيْهِ فِيْها سَبْعِيْنَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّوْنَ عَلَيْهِ إِلَىْ مِثْلِها مِنَ الْغَدِ».

وروى الطَّبراني في «الأوسط» عن أبي رَزين العقيلي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا رَزَيْنٍ! إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذا زارَ أَخاهُ الْمُسْلِمَ

(١) رواه الترمذي (٩٦٩) وحسنه، ورواه أيضاً أبو داود (٣٠٩٨).

شَيَّعَهُ سَبْعُوْنَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّوْنَ عَلَيْهِ؛ اللَّهُمَّ كَما وَصَلَهُ فِيْكَ فَصِلْهُ»[1].

وروى الديلمي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذا سَلَّمَ الْمُسْلِمُ عَلَىْ الْمُسْلِمِ فَرَدَّ عَلَيْهِ، صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلائِكَةُ سَبْعِيْنَ مَرَّةً»[2].

قلت: يحتمل أن يكون الضمير عائداً على المبتدئ بالسلام؛ لأن الشرط عقد على فعله.

ويحتمل أن يكون عائداً على الرادِّ؛ لأنه الأقرب إلى الضمير.

وعليه: فالمبتدئ بالسلام شريكه في صلاة الملائكة عليهم السلام؛ لأنه هو الذي كان سبباً في تحصيل صلاة الملائكة له، والله الموفق.

وروى الطبراني في «الكبير»، والضياء في «المختارة» عن أبي أمامة رضي الله عنه: أنَّ النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ، حَتَّىْ النَّمْلَةَ فِيْ جُحْرِها، وَحَتَّىْ الْحُوْتَ فِيْ الْبَحْرِ، لَيُصَلُّوْنَ عَلَىْ مُعَلِّمِ [الناس] الْخَيْرِ»[3].

وروى الطبراني في «الأوسط» بإسناد حسن، عن جابر رضي الله

---

(1) رواه الطَّبراني في «المعجم الأوسط» (٨٣٢٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٧٣): وفيه عمرو بن الحصني، وهو متروك.

(2) قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٥٠٢): ذكره صاحب «الفردوس» من حديث أبي هريرة ولم يسنده ولده في «المسند».

(3) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٩١٢). ورواه الترمذي أيضاً (٢٦٨٥) بألفاظ قريبة. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٢٥): رواه الطبراني في «الكبير» وفيه القاسم أبو عبد الرحمن، وثقه البخاري، وضعفه أحمد.

تعالى عنه، والبزار عن عائشة رضي الله عنها قالا: قال رسول الله ﷺ: «مُعَلِّمُ الْخَيْرِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ، حَتَّىٰ الْحِيْتانُ فِيْ الْبِحارِ»[1].

وروى البيهقي عن أبي الدَّرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ غَدا يُرِيْدُ الْعِلْمَ لا يَتَعَلَّمُهُ إِلاَّ لِلَّهِ تَعَالَىْ، فَتَحَ اللهُ لَـهُ بَاباً إِلَىْ الْجَنَّـةِ، وَفَرَشَتْ لَهُ الْمَلائِكَةُ أَكْنافَهَا، وَصَلَّتْ عَلَيْهِ مَلائِكَةُ السَّمَاواتِ، وَحِيْتانُ الْبَحْرِ، وَلِلْعالِمِ مِنَ الْفَضْلِ عَلَىْ الْعابِـدِ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَـدْرِ عَلَىْ أَصْغَرِ كَوْكَبٍ فِيْ السَّماءِ، وَالْعُلَماءُ وَرَثَةُ الأَنْبِياءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ؛ إِنَّ الأَنْبِياءَ لَمْ يُوَرِّثُوْا دِيْنـاراً، وَلا دِرْهَمـاً، وَلَكِنَّهُمْ وَرَّثُـوْا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظِّهِ، وَمَوْتُ الْعالِمُ مُصِيْبَةٌ لا تُجْبَرُ، وثُلْمَةٌ لا تُسَدُّ، وَهُوَ نَجْمٌ طُمِسَ، مَوْتُ قَبِيْلَةٍ أَيْسَرُ مِنْ مَوْتِ عالِمٍ»[2].

وقد سبق هذا الحديث بلفظ آخر، وفي هذا اللفظ زيادة.

وقوله: «لا يَتَعَلَّمُهُ إِلاَّ لِلَّهِ... إلى آخره»؛ يشير إلى أن هذا الثواب، وصلاة الملائكة إنما يكون للمخلصين من العلماء، وهو كذلك.

وقد روى الطبراني في «الأوسط» بسند جيد، عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «عُلَمَاءُ هَذِهِ الأُمَّةِ رَجُلانِ:

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٢١٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٢٤): فيه إسماعيل بن عبدالله بن زرارة، وثقه ابن حبان، وقال الأزدي: منكر الحديث، ولا يلتفت إلى قول الأزدي في مثله، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٦٩٩).

رَجُلٌ آتاهُ اللهُ عِلْماً، فَبَذَلَهُ لِلنَّاسِ، وَلَمْ يَأْخُذْ عَلَيْهِ طَمَعاً، وَلَمْ يَشْتَرِ بِـهِ ثَمَناً، فَذَلِكَ تَسْتَغْفِرُ لَـهُ حِيْتانُ الْبَحْرِ، وَدَوابُّ الْبَـرِّ، وَالطَّيْرُ فِي جَوِّ السَّماءِ.

وَرَجُلٌ آتاهُ اللهُ عِلْماً، فَبَخِلَ بِهِ عَنْ عِبادِ اللهِ، وَأَخَذَ بِهِ طَمَعاً، وَشَرَىٰ بِهِ ثَمَناً، فَذَلِكَ يُلْجَمُ يَوْمَ الْقِيامَةِ بِلِجامٍ مِنْ نارٍ، وَيُنادِيْ مُنادٍ: هَذا الَّذِيْ آتاهُ اللهُ عِلْماً فَبَخِلَ بِهِ عَنْ عِبادِ اللهِ، وَأَخَذَ عَلَيْهِ طَمَعاً، وَشَرَىٰ بِـهِ ثَمَناً، وَكَذَلِكَ حَتَّىٰ يَفْرُغَ الْحِسابُ»[1].

وروى أبـو نعيم في «الحليـة» عن سعـد بن أبي وقاص ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ خَتَمَ الْقُرْآنَ أَوَّلَ النَّهارِ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلائِكَةُ حَتَّىٰ يُمْسِيَ، وَمَنْ خَتَمَهُ آخِرَ النَّهارِ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلائِكَةُ حَتَّىٰ يُصْبِحَ»[2].

وروى أبـو عُبيد في «فضائل القرآن» عن إبراهيم التَّيمي رحمه الله تعالى قال: كان يقال: إذا ختم الرجل القرآن في أول النهار صلت عليه الملائكة بقيةَ يومه، وإذا ختمه أول الليل صلت عليه الملائكة بقيةَ ليلته.

---

(١) رواه الطَّبراني في «المعجم الأوسط» (٧١٨٧) وقال: لم يـرو هذا الحديث عن العـوام إلا عبدالله بن خراش، ولا يروى عن ابن عباس إلا بهـذا الإسناد. قال الزيلعي في «نصب الرايـة» (٤/ ٢٩٤): قال البخاري: عبدالله بن خراش عن العوام بن حوشب منكر الحديث، وضعفه أيضاً أبـو زرعة، وقال فيه أبو حاتم: ذاهب الحديث، انتهى كلامه، وأقره ابن القطان عليه، انتهى.

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٢٦).

قال: وكانوا يحبون أن يختموا في أول النهار، أو في أول الليل[١].

وروى في «الحلية» نحوه عن عَبدة بن أبي لُبابة[٢].

وفيها عن الأعمش، عن إبراهيم النخعي قال: إذا قرأ الرجل القرآن نهاراً صلت عليه الملائكة حتَّى يمسي، وإذا قرأه ليلاً صلت عليه الملائكة حتَّى يصبح.

قال الأعمش: فرأيت أصحابنا يعجبهم أن يختموه أول النهار وأول الليل[٣].

وفي هذه الرواية أن الملائكة يصلون على القارئ أول النهار وأول الليل، وإن لم يختمه.

وروي عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّه رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذا خَتَمَ الْعَبْدُ الْقُرْآنَ صَلَّىْ عَلَيْهِ عِنْدَ خَتْمِهِ سِتُّوْنَ أَلْفَ مَلَكٍ»[٤].

وفي هذا الحديث: أن صلاتهم عليه لا تتقيد بأن يكون الختم أول

---

(١) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (١/ ٩٩).

(٢) انظر: «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٦/ ١١٣).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٢٢٧)، والدارمي في «السنن» (٣٤٧٧).

(٤) قال ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (١/ ٢٩٩): وفيه الحسن بن علي أبو سعيد العدوي، وعبدالله بن سمعان.

النهار، أو أول الليل، أو في غيرهما.

وروى الطبراني في «الكبير» عن ابن عبَّاس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ السُّوْرَةَ الَّتِيْ يُذْكَرُ فِيْها آلُ عِمْرانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَمَلائِكَتُهُ حَتَّىْ تَجِبَ الشَّمْسُ»[1]؛ أي: تسقط للغروب.

وروى الديلمي عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمَلائِكَةُ تُصَلِّيْ عَلَىْ الْغازِيْ ما دامَتْ حَمائِلُ سَيْفِهِ فِيْ عُنُقِهِ»[2].

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤١ ـ ٤٣].

قال أبو العالية في الآية: صلاة الله: ثناؤه، وصلاة الملائكة: الدعاء[3].

وقال سعيد بن جبير فيها: الله يغفر لكم، وتستغفر لكم الملائكة.

---

(١) رواه الطَّبراني في «المعجم الكبير» (١١٠٠٢). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ١٦٨): فيه طلحة بن زيد الرقي وهو ضعيف.

(٢) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٦٦٧٣)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٤/ ١٦١). قال الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٦/ ٢٧٢): قال الدارقطني: يحيى بن عنبسة كذاب. انتهى، وقال الحاكم وأبو نعيم: روى عن مالك وداود بن أبي هند أحاديث موضوعة.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣١٥١).

رواهما ابن أبي حاتم.

وقال الأزهري: الصلاة من الله الرحمة[1].

وقال غيره: الرحمة مع التعظيم[2].

قلت: وفي قوله في الآية: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[الأحزاب: ٤٣] إشارة إلى أن معنى الصلاةِ الرحمةُ.

أو المعنى: وكان بالمؤمنين ـ أي: بعامَّتِهم ـ رحيماً؛ فإن ذكروا الله كثيراً، وسبحوه بكرة وأصيلاً، خصهم بالرحمة المقرونة بالتعظيم، المخصوصة باسم الصَّلاة.

وروى الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، والبيهقي في «الدلائل» عن سليم بن عامر قال: جاء رجل إلى أبي أمامة رضي الله تعالى عنه فقال: يا أبا أمامة! إني رأيت في منامي أن الملائكة يصلون عليك كلما دخلت، وكلما خرجت، وكلما قمت، وكلما جلست.

فقال أبو أمامة: اللهم غفراً، دعونا عنكم، وأنتم لو شئتم صلت عليكم، ثم قرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾[الأحزاب: ٤١ ـ ٤٣] الآية[3].

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٢/ ١٦٦).

(٢) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (١٤/ ٤٦٦).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٥٦٥)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ٢٥).

ونقل الثعلبي، والبغوي عن أنس رضي الله عنه[1]، ورواه عبد بن حميد، وابن المنذر مرسلاً، قال [مجاهد][2]: لما نزلت ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾[الأحزاب: ٥٦] قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: يا رسول الله! ما أنزل الله عليك خيراً إلا أشركنا فيه، فنزلت ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ﴾[الأحزاب: ٤٣][3].

وروى ابن المنذر عن ابن جريج في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾[الأحزاب: ٥٦].

قال: لما نزلت جعل النَّاس يهنؤنه بهذه الآية[4].

وقال أُبي بن كعب رضي الله عنه: ما أنزل الله فيك خيراً إلا أخلطنا به معك إلا هذه الآية، فنزل ذكر المؤمنين في الآية الأخرى[5].

وروى ابن أبي حاتم عن سفيان الثوري: أنه سئل عن قوله: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليْت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم»؟ قال: أكرم الله أمة محمد ﷺ فصلى عليهم كما صلى على الأنبياء، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ﴾[الأحزاب: ٤٣].

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٨/ ٥٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٣٤).

(٢) زيادة من «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٦٢٢).

(٣) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٦٢٢).

(٤) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٦٤٦).

(٥) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٦٤٦).

أشار سفيان إلى أن آل محمد أمته، وأن آل إبراهيم ذريته الأنبياء.

وروى عبد الرزاق، وغيره عن الحسن في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ﴾[الأحزاب: ٤٣] قال: إن بني إسرائيل سألوا موسى عليه السلام: هل يصلي ربك؟ فكأن ذلك كبر في صدر موسى، فأوحى الله تعالى إليـه: أخبرهم بأني أصلي، وأن صلاتي: إن رحمتي سبقت غضبي[1].

وأخرجه عبد بن حميد بنحوه عن شَهْر بن حَوشب، وزاد فيه: «ولولا ذلك هلكوا»[2].

وروى ابن مردويه عن عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما: أَنَّ النبي ﷺ ليلة أسري به قال له جبريل: إن ربك يصلي، قال: «يا جِبْرِيْلُ! كَيْفَ يُصَلِّيْ؟» قال: يقول: سُبُّوْحٌ قُدُّوْسٌ رَبُّ الْمَلائِكَةِ وَالرُّوْحِ، سَبَقَتْ رَحْمَتِيْ غَضَبِـيْ[3].

وعن عطاء بن أبي رباح، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قُلْـتُ لِجِبْرِيْلَ: هَـلْ يُصَلِّيْ رَبُّكَ؟» قال: «نعم»، قلت: «وَما صَلاتُهُ؟» قال: «سُبُّوْحٌ قُدُّوْسٌ، تغلب رحمتي غضبي»[4].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (٣/ ١١٩).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٦٢٢).

(٣) قال ابن عراق في «تنزيه الشريعـة المرفوعـة عن الأحاديث الموضوعة» (١/ ١٤٣) ـ بعد أن ذكر حديث أبي هريرة المتقدم ـ: وله شاهد من حديث عبدالله بن الزبير أخرجه ابن مردويه وفيه سندل عمر بن قيس المكي.

(٤) رواه الطبـراني في «المعجم الصغير» (٤٣) موصولاً، ورواه عبد الرزاق =

قلت: إنما سأل جبريل النبي ﷺ هذا السؤال في ليلة الإسراء، كما في حديث ابن الزُّبير، وكان بمكة قبل أن ينزل عليه آيتا الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾[الأحزاب: ٥٦]، و﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾[الأحزاب: ٤٣]؛ فإن سورة الأحزاب مدنية.

وروى ابن أبي شيبة عن مصعب بن سعد قال: إذا قال العبد: سبحان الله، قالت الملائكة: وبحمده، وإذا قال: سبحان الله وبحمده، صلوا عليه[1].

٥٠ ـ ومن خصال الملائكة عليهم السلام: لعن أهل المعاصي الْمُصِرِّين عليها بحيث لا يتوبون منها، ولا يستحيون من الله تعالى، خصوصاً الكفار.

ثم وردت آثار بأنهم يلعنون أهل معاص مخصوصين.

والتشبه بهم في لعن الموصوفين بالمعاصي، دون لعن المعين بذاته واسمه جائزٌ.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[البقرة: ١٦١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾[البقرة: ١٥٩].

= في «المصنف» (٢٨٩٨) موقوفاً على عطاء.

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٤٢٤).

قال قتادة في قوله: ﴿وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾[البقرة: ١٥٩]: من ملائكة الله، والمؤمنين. رواه ابن جرير، وغيره[١].

وأكثر المفسرين أن هذه الآيـة في علماء أهل الكتاب الذين كتموا صفة محمَّد ﷺ، وغيرها ممَّا في كتاب الله تعالى.

وذهب آخرون إلى أنها عامة فيمن كتم علماً من علوم الدِّين سئل عنه من محتاج إليه، ولم يكن ثَمَّ من بينه غيره[٢].

وعليه حمل الحديث: «فَمَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ، أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيامَةِ بِلِجامٍ مِنْ نارٍ»[٣].

وفي لفظ: «مَنْ كَتَمَ عِلْماً مِمَّـا يَنْفَـعُ اللهُ بِـهِ النَّاسَ فِيْ أَمْـرِ الدِّيْنِ أَلْجَمَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ بِلِجامٍ مِنْ نارٍ»[٤].

رواهما ابن ماجه؛ بالأول عن أنس، وبالثاني عن أبي سعيد.

وفي الباب أحاديث أخرى.

ويؤيده ما في «صحيح البخاري»، وغيـره عن أبي هريرة ﵁ قال: لولا آيتان[٥] في كتاب الله ما حدثت أحداً بشيء أبداً، ثم تلا هذه الآية:

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٢/ ٥٥).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٥٣).

(٣) رواه ابن ماجه (٢٦٤)، وإسناده ضعيف.

(٤) رواه ابن ماجه (٢٦٥)، وإسناده ضعيف.

(٥) في «أ»: «آية».

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ ﴾[البقرة: ١٥٩] الآية[1].

وروى الإمام أحمد، وأبو نعيم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمَلائِكَةَ لَتَلْعَنُ أَحَدَكُمْ إذا أَشارَ إِلَىٰ أَخِيْهِ بِحَدِيْدَةٍ، وَإِنْ كانَ أَخاهُ لأَبِـيْهِ وَأُمِّهِ»[2].

وأخرجه مسلم، والترمذي بمعناه[3].

وروى الشِّيرازي في «الألقاب» عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ دَخَلَ الْحَمَّامَ بِغَيْرِ مِئْزَرٍ لَعَنَهُ الْمَلَكانِ».

وروى أبو بكر بن السُّنِّي عن عُمير بن سعد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ دَعا رَجُلاً بِغَيْرِ اسْمِهِ لَعَنَتْهُ الْمَلائِكَةُ»[4].

وهذا محمـول على ما لو دعـاه بغير اسمه ليهينه، ويؤذيه، ونحو ذلك.

فأما إذا لم يعرف اسمه فناداه بنحو: (يا رجل)، فلا بأس.

ويدل على ذلك: ما أخرجه الإمام عبـدالله بن المبارك في «الزُّهـد»

---

(١) رواه البخاري (١١٨) واللفظ له، ومسلم (٢٤٩٢).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٥٠٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٣٤).

(٣) رواه مسلم (٢٦١٦)، والترمذي (٢١٦٢).

(٤) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلـة» (ص: ٥٣٢)، والديلمي في «مسنـد الفردوس» (٥٧٢٧)، قال النسائي: هذا حديث منكر. انظر: «العلل المتناهية» لابن الجوزي (٢/ ٧٤٧).

عن أبي مريم الغَسَّاني: أن رجالاً من الجند خرجوا ينتضلون؛ منهم سعيد ابن عامر رضي الله تعالى عنه، فبينما هم كذلك إذا أصابهم الحر، فوضع سعيد قَلَنْسُوَتَهُ عن رأسه ـ وكان رجلاً أصلع ـ، فلمَّا رأى سعيد صاح به الواصف في شيء ذكـره من رميته: يا أصلع ـ وهو لا يعرفه ـ، فقال له سعيد: إن كنتَ لَغَنِيّاً أن تلعنك الملائكة، فقال رجل منهم: ومم تلعنه الملائكة؟ قال: من دعا امرأً بغير اسمه لعنته الملائكة عليهم السَّلام[1].

وروى الشيخ الإمام الفقيه الزَّاهـد نصر المقدسي في كتاب «الحجة على تارك المحجة» عن شداد بن أوس ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أَتانِيْ جِبْرِيْلُ وَمِيْكائِيْلُ وَإِسْرافِيْلُ عَلَيْهِمُ السَّلامُ مَعَ كُـلِّ واحِـدٍ مِنْهُمْ سَبْعُوْنَ أَلْفاً، فَقَالُوْا: يا مُحَمَّدُ! إِنَّ اللهَ ﷻ يُقْرِئُكَ السَّلامَ، وَيَقُوْلُ لَكَ: بَلِّغْ أُمَّتَكَ أَنَّ مَنْ ماتَ مِنْهُمْ وَهُوَ مُفارِقٌ الْجَماعَةَ لَمْ يَشَمَّ رائِحَةَ الْجَنَّةِ وَلَوْ كانَ أَكْثَرَ أَهْلِ الأَرْضِ عَمَلاً، وَمَنْ تَرَكَ الْجَماعَةَ لَعَنْـتُهُ أَنا وَمَلائِكَتِيْ، وَقَدْ لَعَنْـتُهُ فِيْ التَّوْراةِ وَالإِنْجِيْلِ وَالزَّبُوْرِ، وَتارِكُ الْجَماعَةِ يُصْبِـحُ وَيُمْسِيْ فِيْ لَعْنَتِيْ وَسَخَطِيْ»[2].

وروى ابن لاَل، وابن عساكر عن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَفْتَىْ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَعَنَـتْهُ مَلائِكَةُ السَّماءِ وَالأَرْضِ»[3].

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزُّهد» (١/ ٢٣٨).

(٢) انظر: «مختصر الحجة على تارك المحجة للمقدسي» (١٩٥).

(٣) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٢/ ٢٠)، والخطيـب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٣٢٧).

وروى الطبراني في «الكبير» عن ابن عبَّاس رضي الله تعالى عنهما: أنَّ النبي ﷺ قال: «مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ»[1].

وروى فيه عن عبادة بن الصَّامت رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: أنه قال: «مَنْ ظَلَمَ أَهْلَ الْمَدِيْنَةِ وَأَخافَهُمْ [فأخفه]، وعَلَيْهِ[2] لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ»[3].

وفي الباب عن جابر، وغيره.

وروى الدَّارقطني في «الأفراد» عن أنس رضي الله عنه: أنَّ النبي ﷺ قال: «مَنْ غَشَّ أُمَّتِيْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ»، قالوا: يا رسول الله! وما الغش؟ قال: «أَنْ يَبْتَدِعَ لَهُمْ بِدْعَةً فَيُعْمَلَ بِها»[4].

وروى الطبراني في «الكبير» عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ مَثَّلَ بِأَخِيْهِ - وفي رواية: مَنْ مَثَّلَ بِحَيَوانٍ - فَعَلَيْهِ

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٧٠٩). وضعف الهيثمي إسناده في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢١).

(٢) في «أ»: «فعليه».

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٥٨٩)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٢٠٦٧).

(٤) قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٤٦): رواه الدارقطني في «الأفراد» من حديث أنس بسند ضعيف جداً.

لَعْنَةُ اللهِ، وَالْمَلائِكَةِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ»[1].

وروى الإمام أحمد، والحاكم عن أبي بكر[2] رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ وَلِيَ مِنْ أُمُوْرِ الْمُؤْمِنِيْنَ شَيْئاً فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أَحَداً مُحاباةً، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ»[3].

وروى البزار عن ثوبان، والطَّبراني في «الكبيـر» عن ابن عباس رضي الله عنهم قالا: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ حَدَثاً، أَوْ آوَىْ مُحْدِثاً، أَوِ ادَّعَىْ إِلَىْ غَيْرِ أَبِيْهِ، أَوْ تَوَلَّىْ غَيْرَ مَوالِيْـهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَـةُ اللهِ وَالْمَلائِكَـةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ، لا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ صَرْفاً وَلا عَدْلاً»[4].

وروى الحاكم في «تاريخ نيسابور» عن ابن عمـر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَهَيَّأَ لِلنَّاسِ بِقَوْلِهِ وَلِباسِهِ وَخالَفَ فِيْ ذَلِكَ فِيْ أَعْمالِهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ».

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٠٩١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٤٩): وفيه بقية بن الوليد وهو مدلس، والأصم بن هرمز، لم أعرفه.

(٢) في «أ»: «عن أبي هريرة».

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٦)، والحاكم في «المستدرك» (٧٠٢٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٣٢): رواه أحمد وفيه رجل لم يسم.

(٤) ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٧٢١)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٨٣): رواه البـزار وفيـه يزيد بن ربيعة، وهو متروك، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به.

وروى مسلم، وأبو داود عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَوَلَّىْ قَوْماً بِغَيْرِ إِذْنِ مَوالِيْهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ، لا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ صَرْفاً، وَلا عَدْلاً»(١).

وأخرجه ابن جرير من حديث سعيد بن زيد ﷺ، ولفظه: «مَنْ تَوَلَّىْ مَوْلَى قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِ مَوالِيْهِ...»، الحديث(٢).

وروى أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال رسول الله ﷺ: «مَنْ رَاعَ مُؤْمِناً، لَعَنَتْهُ الْمَلائِكَةُ»(٣).

وروى أبو داود، والنسائيُّ، وابن ماجه، والبيهقيُّ عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ: قال: «مَنْ قُتِلَ فِيْ عِمِّيَاً أَوْ رِمِّيَاً تَكُوْنُ بَيْنَهُمْ بِحَجَرٍ أَوْ بِسَوْطٍ فَعَقْلُهُ عَقْلُ خَطاءٍ، وَمَنْ قُتِلَ عَمْداً فَقَوَدُ يَدَيْهِ، فَمَنْ حالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ»(٤).

روى ابن عساكر عن معاوية بن صالح، عن بعضهم قال: قال رسول الله ﷺ: «لَعَنَ اللهُ وَالْمَلائِكَةُ رَجُلاً تَأَنَّثَ، وَامْرَأَةً تَذَكَّرَتْ، وَرَجُلاً تَحَصَّرَ بَعْدَ يَحْيَىْ بْنِ زَكَرِيَّا، وَرَجُلاً قَعَدَ عَلَىْ الطَّرِيْقِ يَسْتَهْزِئُ مِنْ أَعْمَىْ،

---

(١) رواه مسلم (١٥٠٨)، وأبو داود (٥١١٤).

(٢) رواه الطبري في «تهذيب الآثار» (٣/ ١٧٩)، وأبو داود الطيالسي في «مسنده» (٢٤١).

(٣) رواه أبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (٢/ ٦).

(٤) رواه أبو داود (٤٥٩١)، والنسائي (٤٧٨٩)، وابن ماجه (٢٦٣٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ٢٥).

وَرَجُلاً شَبعَ مِنَ الطَّعامِ فِيْ يَوْمِ مَسْغَبَةٍ»[1].

وروى الطَّبراني في «الأوسط»، والحاكم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَلَّ سَخِيْمَتَهُ ـ يعني: الغائط ـ عَلَىْ طَرِيْقٍ عَامٍّ مِنْ طَرِيْقِ الْمُسْلِمِيْنَ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ»[2].

وروى الشيخان، وأبو داود، والنَّسائيُّ عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَىْ فِراشِهِ فَلَمْ تَأْتِهِ فَباتَ غَضْبانَ، لَعَنَتْها الْمَلائِكَةُ حَتَّىْ تُصْبحَ»[3].

وفي رواية للشيخين، والنسائي: «إِذا باتَتِ الْمَرْأَةُ هاجِرَةً فِراشَ زَوْجِها، لَعَنَتْها الْمَلائِكَةُ حَتَّىْ تُصْبحَ»[4].

ورواه أبو نعيم، ولفظه: «لا تَهْجُرُ امْرَأَةٌ فِراشَ زَوْجِها إِلاَّ

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٤/ ١٩٦).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٤٢٦)، والحاكم في «المستدرك» (٦٦٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٤): وفيه محمد بن عمرو الأنصاري، ضعفه يحيى بن معين، ووثقه ابن حبان، وبقية رجاله ثقات.

(٣) رواه البخاري (٣٠٦٥)، ومسلم (١٤٣٦)، وأبو داود (٢١٤١)، والنَّسائي في «السنن الكبرى» (٨٩٧٠).

(٤) رواه البخاري (٤٨٩٨)، ومسلم (١٤٣٦) واللفظ له، والنَّسائي في «السنن الكبرى» (٨٩٧٠).

لَعَنَتْها مَلائِكَةُ اللهِ»[1].

وروى الطَّبـراني في «الأوسـط» عن ابن عمـر رضي الله عنهما قال: سمعـت رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذا خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِها وَزَوْجُها كارِهٌ، لَعَنَها كُلُّ مَلَكٍ فِيْ السَّـماءِ، وَكُلُّ شَـيْءٍ مَـرَّتْ عَـلَيْهِ، غَيْرِ الإِنْـسِ وَالْجِـنِّ حَتَّىْ تَرْجِعَ»[2].

وروى ابن ماجه، والطَّبراني عن واثلة رضي الله عنه: أنّ النبي ﷺ قال: «مَنْ باعَ عَيْباً لَمْ يُبَيِّنْهُ، لَمْ يَزَلْ فِيْ مَقْتِ اللهِ، وَلَمْ تَزَلِ الْمَلائِكَةُ تَلْعَنُهُ»[3].

واللعنة من الله تعالى: الإبعاد والطرد.

ومن الملائكة والناس: طلب ذلك منه سبحانه وتعالى، أو الإخبار بطرد الملعون، وإبعاده عن حضرة القرب.

ومن ثَمَّ قال أكثر العلماء: لا يجوز لعن المُعيَّن؛ لأنه لا يعلم بماذا يختم له.

نعم، من مات على الكفر يجوز لعنه.

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٥٩) وقال: هذا حديث ثابت، ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٤٨).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥١٣). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٣١٣): وفيه سويد بن عبد العزيز وهو متروك وقد وثقه دحيم وغيره، وبقية رجاله ثقات.

(٣) رواه ابن ماجه (٢٢٤٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٩)، قال الرازي في «علل الحديث» (١/ ٣٩١): هذا حديث منكر.

فأما لعن العصاة بالوصف؛ كلعن الظالم، جائزٌ.

ثم إن الإبعاد والطرد إذا حق من الله تعالى لبعض عباده، فقد حق للملائكة والنَّاس لعنه لأنه تصديق الله تعالى.

ومن ثَمَّ قال ﷺ للشيطان الذي عرض له في صلاته: «أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللهِ»[1].

ومن هنا: فكل من لعنه الله تعالى فهو ملعون عند الملائكة عليهم السَّلام.

وما سبق فيما ورد التنصيص على لعن الملائكة فيه لطوائف مخصوصة.

وبقي طوائف ورد لعن الله تعالى لهم فهم ملعونون ـ أيضاً ـ عند الملائكة، فينبغي الإشارة إلى ذلك.

قال الله تعالى في حق إبليس ـ وهو أول المَلاعين ـ: ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝٧٧ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[ص: ٧٧ ـ ٧٨].

وقال تعالى في اليهود: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾[المائدة: ٦٤].

وروى الإمام أحمد، والشيخان عن عائشة وابن عباس معاً رضي الله تعالى عنها: أَنَّ رسول الله ﷺ [قال]: «لَعَنَ اللهُ الْيَهُوْدَ وَالنَّصارَىْ؛ اتَّخَذُوْا قُبُوْرَ أَنْبِيائِهِمْ مَساجِدَ»[2].

---

(١) رواه مسلم (٥٤٢).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢١٨)، والبخاري (٤٢٥)، ومسلم (٥٣١).

وروى الإمام أحمد، وأبو داود، وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لَعَنَ اللهُ الْيَهُوْدَ؛ إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْهِمُ الشُّحُوْمَ فَباعُوْها، وَأَكَلُوْا أَثْمانَها، وَإِنَّ اللهَ إِذا حَرَّمَ عَلَىْ قَوْمٍ أَكْلَ شَيْءٍ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ ثَمَنَهُ»(1).

وروى الشيخان، والنَّسائي، وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أنَّ النبي ﷺ قال: «لَعَنَ اللهُ السَّارِقَ؛ يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ، وَيَسْرِقُ الْحَبْلَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ»(2).

وروى الإمام مالك في «الموطأ»، والإمام أحمد، والبخاري، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه عن ابن عباس، وابن ماجه عن أبي هريرة، والطَّبراني في «الكبير» عن أبي بكرة قالوا رضي الله عنهم: قال رسول الله ﷺ: «لَعَنَ اللهُ الْمُتَشَبِّهاتِ مِنَ النِّساءِ بِالرِّجالِ، وَالْمُتَشَبِّهِيْنَ مِنَ الرِّجالِ بِالنِّساءِ»(3).

وروى الإمام أحمد، ومسلم عن جابر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال:

---

(1) رواه الإمام أحمد في «المسند» (1/ 247)، وأبو داود (3488).

(2) رواه البخاري (640)، ومسلم (1687)، والنسائي (4873).

(3) رواه الإمام أحمد في «المسند» (1/ 251)، والبخاري (5546)، وأبو داود (4097)، والترمذي (2784)، وابن ماجه (1904) عن ابن عباس.
ورواه ابن ماجه (1903) عن أبي هريرة. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (8/ 103): رواه الطبراني ـ يعني: عن أبي بكرة ـ وفيه عمرو بن عبيد، وهو خبيث متروك.

«لَعَنَ اللهُ آكِلَ الرِّبا، وَمُوْكِلَهُ، وَشاهِدَيْهِ، وَكاتِبَهُ؛ هُمْ فِيْه سَواءٌ»[1].

وروى أبو داود، والحاكم وصححه، والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما، والترمذي، وابن ماجه عن أنس رضي الله تعالى عنه، والطَّبراني في «الكبير» عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنهم قالوا: قال رسول الله ﷺ: «لَعَنَ اللهُ الْخَمْرَ، وَشارِبَها، وَساقِيَها، وَبائِعَها، وَمُبْتاعَها، وَعاصِرَها، وَمُعْتَصِرَها، وَحامِلَها، وَالْمَحْمُوْلَةَ إِلَيْهِ، وَآكِلَ ثَمَنِهَا»[2].

وروى الإمام أحمد، والشيخان، والنَّسائي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ مَثَّلَ بِالْحَيَوانِ»[3].

وروى الإمام أحمد، ومسلم عن جابر رضي الله عنه قال: رأى النبي ﷺ

---

(1) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٠٤)، ومسلم (١٥٩٨) واللفظ له وعنده: «هم سواء».

(2) رواه أبو داود (٣٦٧٤)، والحاكم في «المستدرك» (٢٢٣٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ٣٢٧)، ورواه أيضاً الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٩٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما.
ورواه الترمذي (١٢٩٥) وقال: غريب، وابن ماجه (٣٣٨١) عن أنس رضي الله تعالى عنه.
ورواه الطَّبراني في «المعجم الكبير» (٨٣٨٧) عن عثمان بن أبي العاص.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٩٠): رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» وفيه عبدالله بن عيسى الخزاز، وهو ضعيف.

(3) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٨٦)، والبخاري (٥١٩٦) واللفظ له، ومسلم (١٩٥٨)، والنسائي (٤٤٤٢).

حماراً قد وُسِمَ في وجهه، فقال: «لَعَنَ اللهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا»[1].

ورويا، والترمذي عن علي رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ والِدَه[2]، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَىٰ مُحْدِثاً، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنارَ الأَرْضِ»[3].

وروى الخرائطي في «مساوئ الأخلاق» عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «لَعَنَ الله سبعةً من خَلْقِه من فوقِ سَبْعِ سماوات»، فردَّد اللعنة على واحد منهم ثلاث مرات، ولعن كل واحدٍ منهم لعنةً لعنةً، وقال: «مَلْعُوْنٌ، مَلْعُوْنٌ، مَلْعُوْنٌ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوْطٍ، مَلْعُوْنٌ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَبِنْتِها، مَلْعُوْنٌ مَنْ سَبَّ شَيْئاً مِنْ والِدَيْهِ، مَلْعُوْنٌ مَنْ أَتَىٰ شَيْئاً مِنَ الْبَهائِمِ، مَلْعُوْنٌ مَنْ غَيَّرَ حُدُوْدَ الأَرْضِ، مَلْعُوْنٌ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، مَلْعُوْنٌ مَنْ تَوَلَّىٰ غَيْرَ مَوالِيْهِ»[4].

ولعبد الرزاق نحوه من حديث ابن عباس[5].

ورواه الطبراني، والحاكم وصححه، وأشار المنذري إلى تحسينه[6]،

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٢٩٦)، ومسلم (٢١١٧).

(٢) في «أ»: «والديه».

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ١٠٨)، ومسلم (١٩٧٨)، والنسائي (٤٤٢٢). ولم يعزه ابن الأثير إلى الترمذي في «جامع الأصول» (١٠/ ٧٦٧).

(٤) رواه الخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (١/ ٤٤٢).

(٥) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٣٤٩٤).

(٦) قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ١٩٦): رواه الطبراني في=

من حديث أبي هريـرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «لَعَنَ اللهُ سَبْعَةً مِنْ خَلْقِهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاواتٍ، وَرَدَّدَ اللَّعْنَةَ عَلَىْ واحِدٍ مِنْهُمْ ثَلاثاً، وَلَعَنَ كُلَّ واحِدٍ مِنْهُمْ لَعْنَةً تَكْفِيْهِ، قالَ: مَلْعُوْنٌ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوْطٍ، مَلْعُوْنٌ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوْطٍ، مَلْعُوْنٌ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوْطٍ، مَلْعُوْنٌ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَىْ، مَلْعُوْنٌ مَنْ أَتَىْ شَيْئاً مِنَ الْبَهائِمِ، مَلْعُوْنٌ مَنْ عَقَّ والِدَيْهِ، مَلْعُوْنٌ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ امْرَأَةٍ، وَابْنَتِها، مَلْعُوْنٌ مَنْ غَيَّرَ حُدُوْدَ الأَرْضِ، مَلْعُوْنٌ مَنِ ادَّعَىْ إِلَىْ غَيْرِ مَوالِيْهِ»[1].

وروى ابن حبان في «صحيحه»، والبيهقيُّ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ قال: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، لَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ تُخُوْمَ الأَرْضِ، لَعَنَ اللهُ مَنْ كَمَّهَ أَعْمَىْ عَنِ السَّبِيْلِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ سَبَّ والِدَيْهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ تَوَلَّىْ غَيْرَ مَوالِيْهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوْطٍ، قالَها ثَلاثاً فِيْ عَمَلِ قَوْمِ لُوْطٍ»[2].

= «الأوسط» ورجاله رجال الصحيح إلا محرز بن هارون التيمي ويقال فيه محرر بالإهمال، ورواه الحاكم من رواية هارون أخي محرر وقال: صحيح الإسناد، قال الحافظ كلاهما واه، لكن محرز قد حسن له الترمذي، ومشَّاه بعضهم، وهو أصلح حالاً من أخيه هارون، والله أعلم.

(١) رواه الطَّبراني في «المعجم الأوسط» (٨٤٩٧)، والحاكم في «المستدرك» (٨٠٥٣).

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٤٤١٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٣٧٣).

وروى أبـو داود، والتـرمـذي وصححـه، عن عبـدالله بن عمـرو رضي الله تعالى عنهما قال: «لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي»[1].

وأخرجـه ابن ماجـه، ولفظه: قال رسول الله ﷺ: «لَعْنَةُ اللهِ عَلَىْ الرَّاشِيْ وَالْمُرْتَشِيْ»[2].

وروى الإمام أحمد، وأبو يعلى، والطبراني في «الكبير»، والبيهقي في «الشعب» عن ثوبان رضي الله تعالى عنه، والحاكم في «المستدرك» عن أبي هريـرة رضي الله تعالى عنـه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَعَنَ اللهُ الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ وَالرَّائِشَ الَّذِيْ يَمْشِيْ بَيْنَهُمَا»[3].

نعم، يستثنى من الراشي من يدفع بالرشوة الظلم عن نفسه[4].

والرائش حكمه حكم موكله.

وروى الإمـام أحمـد، والستـة عن ابن عمـر، والثلاثـة الأولـون والنسائي عن عائشة، وهؤلاء وابن ماجه عن أسماء بنت أبي بكر الصديق، والطبراني في «الكبير» عن أبي أمامة، وعن ابن عباس رضي الله تعالى

---

(١) رواه أبو داود (٣٥٨٠)، والترمذي (١٣٣٧).

(٢) رواه ابن ماجه (٢٣١٣).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسنـد» (٥/ ٢٧٩)، والطبـراني في «المعجم الكبير» (١٤١٥)، والبيهقي في «شعب الإيمـان» (٥٥٠٣) عن ثوبـان. ورواه الحاكم في «المستدرك» (٧٠٦٧) عن أبي هريرة.

(٤) انظر: «أحكام القرآن» للجصاص (٤/ ٨٦).

عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «لَعَنَ اللهُ الْواصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ، وَالْواشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ»[1].

وروى الإمام أحمد، والستة عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَعَنَ اللهُ الْواشِماتِ وَالْمُسْتَوْشِماتِ، وَالْمُتَنَمِّصاتِ، وَالْمُتَفَلِّجاتِ لِلْحُسْنِ، الْمُغَيِّراتِ لِخَلْقِ اللهِ»[2].

وروى الإمام أحمد، وابن أبي شيبة، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه عن علي ﷺ، والإمام أحمد، وابن أبي شيبة، والترمذي وصححه، والنسائي عن ابن مسعود، والترمذي عن جابر، وابن ماجه عن ابن عباس، والإمام أحمد والبيهقي عن أبي هريرة ﷺ، كلهم عن النبي ﷺ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢١)، والبخاري (٥٦٠٣)، ومسلم (٢١٢٤)، وأبو داود (٤١٦٨)، والترمذي (١٧٥٩)، والنسائي (٥٠٩٥)، وابن ماجه (١٩٨٧) عن ابن عمر.

ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ١١١)، والبخاري (٥٥٩٠)، ومسلم (٢١٢٣)، والنَّسائي (٥٠٩٧) عن عائشة.

ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ١١١)، والبخاري (٥٥٩١)، ومسلم (٢١٢٢)، والنَّسائي (٥٢٥٠)، وابن ماجه (١٩٨٨) عن أسماء.

ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٥٩٥) عن أبي أمامة، و(١١٥٠٢) عن ابن عباس.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٤١٦)، والبخاري (٤٠٦٤)، ومسلم (٢١٢٥)، وأبو داود (٤١٦٩)، والترمذي (٢٧٨٢)، والنَّسائي (٥٠٩٩)، وابن ماجه (١٩٨٩).

قال: «لَعَنَ اللهُ الْمُحَلِّلَ، وَالْمُحَلَّلَ لَهُ»[1].

وروى البيهقي في «السنن» عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «لَعَنَ اللهُ النَّائِحَةَ، وَالْمُسْتَمِعَةَ، وَالْحالِقَةَ[2]، وَالسَّالِقَةَ[3]، وَالْواشِمَةَ، وَالْمُوْتَشِمَةَ»[4].

وروى هو، والإمام أحمد، وأبو داود عن أبي سعيد، والطَّبراني في «الكبير» عن ابن عمر، وابن عباس رضي الله عنهم: أن النبي ﷺ قال: «لَعَنَ اللهُ النَّائِحَةَ وَالْمُسْتَمِعَةَ»[5].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ١٥٨)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦١٩٣)، وأبو داود (٢٠٧٦)، والترمذي (١١١٩)، وابن ماجه (١٩٣٥) عن علي.
وروواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٤٥٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦١٩٠)، والترمذي (١١٢٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٥٥٣٦) عن ابن مسعود.
ورواه الترمذي (١١١٩) عن جابر.
ورواه ابن ماجه (١٩٣٤) عن ابن عباس.
ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٢٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٢٠٨) عن أبي هريرة.

(٢) الحالقة: التي تَحلق شعرها إذا أصيبتْ بزَوجها.

(٣) السالقة، ويقال بالصاد، وهي التي ترفع صوتها بالصراخ عند المصيبة.

(٤) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٦٤).

(٥) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٦٣)، والإمام أحمد في «المسند» =

وروى الإمام مالك في «الموطأ»، والإمام أحمد، وأبـو داود، والترمذي وحسنه، والنسائي، والحاكم وصححه، عن ابن عباس ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَعَنَ اللهُ زائِـراتِ الْقُبُـوْرِ، وَالْمُتَّخِذِيْنَ عَلَيْها الْمَساجِدَ وَالسُّرُجَ»[1].

وروى ابن ماجه، والطبراني في «الكبير»، وابن حبان في «صحيحه» عن أبي أمامة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَعَنَ اللهُ الْخامِشَةَ وَجْهَها، وَالشَّاقَّةَ جَيْبَها، وَالدَّاعِيَةَ بِالْوَيْلِ وَالثُّبُوْرِ»[2].

وروى الطَّبراني في «الكبير» عن ابن عمر ﵄: أن النبي ﷺ قال: «لَعَنَ اللهُ مَنْ سَبَّ أَصْحابِيْ»[3].

وروى الدَّيلمي عن أنس ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَلْعُوْنٌ مَنْ لَعِبَ بِالشَّطْرَنْجِ»[4].

= (٢/ ٦٥)، وأبو داود (٣١٢٨) عن أبي سعيد.

ورواه الطَّبراني في «المعجم الكبير» عن ابن عباس (١١٣٠٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ١٤): رواه الطبراني عن ابن عمر، وفيه الحسن ابن عطية.

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢٢٩)، وأبو داود (٣٢٣٦)، والترمذي (٣٢٠)، والنسائي (٢٠٤٣)، والحاكم في «المستدرك» (١٣٨٤).

(٢) رواه ابن ماجه (١٥٨٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٣١٥٦).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٥٨٨).

(٤) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٦٣٩١)، وذكره الإمام أحمد في =

وعن بهز، عن أبيه، عن جدِّه رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَلْعُوْنٌ مَنْ كَذَبَ»[1].

وكلاهما ضعيف.

وروى الطبراني في «الكبير»، والحاكم في «التاريخ»، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَلْعُوْنٌ مَنْ سَأَلَ بِوَجْهِ اللهِ، وَمَلْعُوْنٌ مَنْ سُئِلَ بِوَجْهِ اللهِ، ثُمَّ يَمْنَعُ سائِلَهُ، ما لَمْ يسْأَلْ هَجْراً»[2].

وروى البيهقي في «السنن» عن الحسن مرسلاً، والديلمي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لَعَنَ اللهُ النَّاظِرَ، وَالْمَنْظُوْرَ إِلَيْهِ»[3]؛ يعني: النظر إلى العورة.

وروى ابن ماجه، والبيهقي[4] عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَعَنَ اللهُ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الْوالِدَةِ وَوَلَدِها،

= «الورع» (ص: ٩٢)، قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ٦٦٩): قال النووي: لا يصح، وهو كذلك، بل لم يثبت من المرفوع في هذا الباب شيء.

(١) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٦٣٩٤).

(٢) قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (١٢٥٧): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا شيخه يحيى بن عثمان بن صالح وهو ثقة وفيه كلام.

(٣) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٩٩) عن الحسن مرسلاً، والديلمي في «مسند الفردوس» (٥٤٤١) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) كذا في «أ» و«ت»، ولعل المراد: «الدارقطني» بدل «البيهقي».

وَبَيْنَ الأَخِ وَأَخِيْهِ»[1].

وروى أبو داود، والترمذي، والحاكم عن حذيفة ﷺ قال رسول الله ﷺ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ قَعَدَ وَسْطَ الْحَلَقَةِ»[2].

أي: (لغير ضرورة)، أو: (بغير إذن أهلها) ليخرج الْمُسْتَمْلي، ونحوه.

وروى الترمذي وحسنه، عن أبي هريرة ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «لَعَنَ اللهُ عَبْدَ الدِّيْنارِ، لَعَنَ اللهُ عَبْدَ الدِّرْهَمِ»[3].

وروى الديلمي عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَعَنَ اللهُ ﷻ فَقيْراً تَواضَعَ لِغَنِيٍّ مِنْ أَجْلِ غِناهُ؛ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَقَدْ ذَهَبَ ثُلُثا دِيْنِهِ»[4].

وروى الإمام أحمد، عن معاوية رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٢٥٠)، والدارقطني في «السنن» (٣/ ٦٧). وضعف البوصيري إسناده في «مصباح الزجاجة» (٣/ ٣٢) وقال: وله شاهد من حديث علي، رواه أحمد والترمذي وابن ماجه.

(٢) رواه أبو داود (٤٨٢٦)، والترمذي (٢٧٥٣) واللفظ له وصححه، والحاكم في «المستدرك» (٧٧٥٤).

(٣) رواه الترمذي (٢٣٧٥).

(٤) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٥٤٤٩). قال السيوطي في «اللآلئ المصنوعة» (٢/ ٢٧٢): موضوع.

قال: «لَعَنَ اللهُ الَّذِيْنَ يُشَقِّقُـوْنَ الْخُطَبَ تَشْقِيْقَ الشِّعْرِ»[1]؛ يعني: التفصح في الكلام.

وروى الإمام مالك في «الموطأ»، والإمام الشافعيُّ، والبيهقيُّ في «السُّنن» عن عمرة بنت عبد الرحمن مرسلاً، والبيهقي عنها، عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «لَعَنَ اللهُ الْمُخْتَفِيَ وَالْمُخْتَفِيَةَ»[2].

قال في «القاموس»: المختفي: النباش؛ كأنه من اختفيته: إذا أزلت خفاياه[3].

وروى البخاري في «تاريخه» عن عكرمة مرسلاً، والخطيب عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَعَنَ اللهُ الْمُسَوِّفاتِ»[4].

ورواه الطَّبراني في «الكبير» من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، وزاد فيه: «الَّتِيْ يَدْعُوْها زَوْجُها إِلَىْ فِراشِهِ فَتَقُوْلُ: (سَوْفَ)

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٩٨). وضعف الهيثمي إسناده في «مجمع الزوائد» (٨/ ١١٦).

(٢) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ٢٣٨)، والإمام الشافعي في «المسند» (ص: ٣٦٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ٢٧٠) عن عمرة بنت عبد الرحمن مرسلاً، وعن عائشة (٨/ ٢٧٠).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١٦٥٢) (مادة: خفي).

(٤) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٢٦٩) مرسلاً، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١١/ ٢١٩) عن أبي هريرة.

حَتَّىٰ تَغْلِبَهُ عَيْناهُ»[1].

وروى أبو يعلى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَعَنَ اللهُ الْمُفْسِلَةَ الَّتِيْ إِذا أَرادَ زَوْجُها أَنْ يَأْتِيَها قالَتْ: أَنا حائِضٌ [وليست بحائض][2]»[3].

وروى الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى مرسلاً، قال: مرَّ رسول الله ﷺ بكتاب في أرض فقال: «لَعَنَ اللهُ مَنْ فَعَلَ هَذا، لا تَضَعُوْا كِتابَ اللهِ إِلاَّ مَوْضِعَهُ»[4].

وروى الإمام أحمد، وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَلْعُوْنٌ مَنْ أَتَىٰ امْرَأَةً فِيْ دُبُرِها»[5].

وروى الترمذي، والدَّارقطني، والبيهقيُّ في «شعب الإيمان» عن

---

(١) رواه الطَّبراني في «المعجم الأوسط» (٤٣٩٣). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٩٦): رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير» من طريق جعفر بن ميسرة الأشجعي عن أبيه، وميسرة ضعيف، ولم أرَ لأبيه من ابن عمر سماعاً.

(٢) زيادة من «المسند» لأبي يعلى (٦٤٦٧).

(٣) رواه أبو يعلى في «المسند» (٦٤٦٧)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٩٦): فيه يحيى بن العلاء، وهو ضعيف متروك.

(٤) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٣/ ٢٥٧)، مرسلاً.

(٥) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٤٤٤)، وأبو داود (٢١٦٢).

أبي بكر رضي الله تعالى عنه: «مَلْعُوْنٌ مَنْ ضَارَّ مُؤْمِناً، أَوْ مَكَرَ بِهِ»[1].

وروى الدارقطني في «العلل» عن عليٍّ ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «لُعِنَتِ الْقَدَرِيَّةُ عَلَىْ لِسانِ سَبْعِيْنَ نَبِيّاً».

وفي «تاريخ الحاكم» عن أبي أمامة نحوه[2] في المرجئة.

وروى الطَّبراني في «الكبير» عن جابر بن سَمُرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ بَدا بَعْدَ هَجْرِهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ بَدا بَعْدَ هَجْرِهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ بَدَا بَعْدَ هَجْرِهِ إِلاَّ فِيْ الْفِتْنَةِ؛ فَإِنَّ الْبَدْوَ فِيْ الْفِتْنَةِ خَيْرٌ مِنَ الإِقامَةِ فِيْها»[3].

وروى الترمذي، والحاكم وصححه، والطبراني في «الكبير»، وأبو نعيم، والبيهقي في «الشعب» عن عائشة رضي الله عنها، والحاكم وصححه، عن علي بن الحسين، عن أبيه، عن جده ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «سِتَّةٌ لَعَنْتُهُمْ - وَكُلُّ نَبِيٍّ مُجابٌ -: الزَّائِدُ فِيْ كِتابِ اللهِ، وَالْمُكَذِّبُ بِقَدَرِ اللهِ، وَالْمُتَسَلِّطُ بِالْجَبَرُوْتِ فَيُعِزُّ بِذَلِكَ مَنْ أَذَلَّ اللهُ، وَيُذِلُّ مَنْ أَعَزَّ اللهُ، وَالْمُسْتَحِلُّ لِحُرَمِ اللهِ، وَالْمُسْتَحِلُّ مِنْ عِتْرَتِيْ ما حَرَّمَ اللهُ، وَالتَّارِكُ لِسُنَّتِيْ»[4].

---

(١) رواه الترمذي (١٩٤١) وقال: غريب، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٥٧٧). قال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (ص: ٣٠٤): فيه ضعف.

(٢) ورواه الروياني في «مسنده» (١١٨٠).

(٣) رواه الطَّبراني في «المعجم الكبير» (٢٠٧٤).

(٤) رواه الترمذي (٢١٥٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٤١)، والطبراني في =

وأخرجه الطبراني في «الكبير» من حديث عمرو بن شفوي اليافعي ﵁ بنحوه إلا أنه قال: «سَبْعَةٌ لَعَنْتُهُمْ، وَزادَ: وَالْمُسْتَأْثِرُ بِالْفَيْءِ»(1).

وروى عبد بن حُميد، وأبو الشيخ، وابن مَردويه في «تفاسيرهم»، والطَّبراني عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ بَنِيْ إِسْرائِيْلَ لَمَّا عَمِلُوْا الْخَطِيْئَةَ نَهاهُمْ عُلَماؤُهُمْ تَعْذِيْراً، ثُمَّ جالَسُوْهُمْ، وَواكَلُوْهُمْ، وَشارَبُوْهُمْ كَأَنْ لَمْ يَعْمَلُوْا بِالأَمْسِ قَطِيْعَةً، فَلَمَّا رَأَىْ اللهُ ذَلِكَ مِنْهُمْ ضَرَبَ بِقُلُوْبِ بَعْضِهِمْ عَلَىْ بَعْضٍ، وَلَعَنَهُمْ عَلَىْ لِسانِ نَبِيٍّ مِنَ الأَنْبِياءِ».

ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ﴾[المائدة: ٧٨] حتى فرغ من الآية، ثم قال: ﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾[المائدة: ٦٣].

ثم قال رسول الله ﷺ: «وَاللهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوْفِ، وَلَتَنْهُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْطُرُنَّهُمْ عَلَىْ الْحَقِّ أَطْراً، أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللهُ بِقُلُوْبِ بَعْضِكُمْ عَلَىْ بَعْضٍ، وَلَيَلْعَنَنَّكُمْ كَما لَعَنَهُمْ»(2).

= «المعجم الكبير» (٢٨٨٣)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٢/ ٦٧٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٠١١) عن عائشة.

وراوه الحاكم في «المستدرك» (٣٩٤٠) عن علي ﵁.

(1) رواه الطَّبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٤٣).

(2) رواه الطَّبراني في «المعجم الكبير» (١٠٢٥٦). وانظر: «الدر =

وروى ابن ماجه عن عمر رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال : «الْجالِبُ مَرْزُوْقٌ، وَالْمُحْتَكِرُ مَلْعُوْنٌ»[1].

وروى الطبراني في «الكبير»، وابن قانع في «معجمه» عن المهاجر ابن قنفذ رضي الله تعالى عنه قال : رأى رسول الله ﷺ ثلاثة على دابة، فقال : «الثَّالِثُ مَلْعُوْنٌ»[2].

وهذا محمول على أنه أراد الثالث من أولئك الثلاثة، أو على أنه فيما لو ضعفت الدَّابة عن حمل الثلاثة.

٥١ ـ ومن خصال الملائكة عليهم السلام: الصَّلاة على الميت من المسلمين.

روى ابن باكُويه الشِّيرازي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ الْمَلائِكَةَ صَلَّتْ عَلَىْ آدمَ فَكَبَّرَتْ عَلَيْهِ أَرْبَعاً».

ورواه أبو نعيم في «الحلية»، ولفظه : «كَبَّرَتِ الْمَلائِكَةُ عَلَىْ آدمَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَرْبَعاً»[3].

وهو بهذا اللفظ عند الحاكم في «المستدرك» من حديث

= المنثور» للسيوطي (٣/ ١٢٤).

(١) رواه ابن ماجه (٢١٥٣)، والدارمي في «السنن» (٢٥٤٤)؛ وإسناده ضعيف.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٨٢)، وابن قانع في «معجم الصحابة» (٣/ ٦٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١١٣): رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٩٦).

أنس رضي الله تعالى عنه[1].

وروى الدارقطني، والبيهقي في «سننه» بسند صحيح، عن أُبي رضي الله تعالى عنـه، عن النبي ﷺ قال: «صَلَّتِ الْمَلائِكَـةُ عَلَىْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ فَكَبَّرَتْ عَلَيْهِ أَرْبَعاً، وَقالَتْ: هَذِهِ سُنَّتُكُمْ يا بَنِيْ آدَمَ»[2].

* **فَائِدَةٌ جَلِيْلَةٌ:**

روى محمد بن سعد في «طبقاته»، والبيهقي في «الدَّلائل» عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كنَّا مع النبي ﷺ بتبوك، فطلعت الشمس بضياء وشعاع ونور، لم أرها طلعت فيما مضى، فأتى جبريل عليه السَّلام إلى رسول الله ﷺ فقال: «يَا جِبْرِيْلُ! ما لِيْ أَرَىْ الشَّمْسَ الْيَوْمَ طَلَعَتْ بِضِـياءٍ وَنُوْرٍ وَشُعاعٍ لَمْ أَرَها طَلَعَتْ فِيْما مَضَىْ؟

قال: ذاك أن معاوية بن معاوية الليثي مات بالمدينة اليوم، فبعث الله إليه سبعين ألف ملك يصلون عليه.

قال: وَفِيْمَ ذاكَ؟

قال: كان يكثر قراءة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص: ١] بالليـل والنهار، وفي ممشاه وقعوده، فهل لك أن أقبض لك الأرض فتصلي عليه؟

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٤٢٣).

(٢) رواه البيهقي في «السنـن الكبـرى» (٤/ ٣٦). قال الإمـام ابن القيم في «زاد المعاد» (١/ ٥٠٩): وهذا لا يصح.

قال: نعَمْ»، فصلى عليه[1].

وقال في رواية أخرى: جاء جبريل عليه السلام فقال: «يا محمد! مات معاوية بن معاوية المزني، أتحب أن تصلي عليـه؟» قال: «نعَمْ»، قال: فضرب بجناحه فلم يبق من شجرة ولا أكمة حتى اتضعت له، ورفع السرير له حتَّى نظر إليه، وخلفه صفَّان من الملائكة، في كل صف سبعون ألف ملك، قال: «قلت: يا جِبْرِيْلُ! بِمَ نالَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ مِنَ اللهِ تَعَالَىْ؟» قال: «بحبِّه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص: ١] يقرؤها قائماً، وقاعداً، وذاهباً، وجائياً، وعلى كل حال»[2].

* تَنْبِيْهانِ:

الأَوَّلُ: روى الإمام أحمد بإسناد حسن، عن أبي هريـرة رضي الله تعالى عنـه: أن رسـول الله ﷺ قال: «لا تُصَلِّيْ الْمَلائِكَـةُ عَلَىْ نائِحَـةٍ، وَلا مُسْتَمِعَةٍ»[3]؛ أي: لا تصلي صلاة الميت عليهما، أو: لا تستغفر لهما.

الثَّانِيْ: وروى الدَّارقطني في «سننه» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: صلى

(١) ورواه البيهـقي في «دلائـل النبـوة» (٥/ ٢٤٥)، قـال الإمـام النـووي في «المجموع» (٥/ ٢٠٧): حديـث ضعيف، ضعفه الحفاظ، منهم البخاري في «تاريخه» والبيهقي.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٤٠)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٤٦).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٦٢). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ١٣): فيه أبو مرانة، ولم أجد من وثقه ولا جرحه، وبقية رجاله ثقات.

جبريل على آدم عليـه السَّلام، وكبَّر عليه أربعاً، صلَّى جبريل بالملائكة يومئذٍ في مسجد الخيف، وأخذ من قبل القبلة، ولحد له، وسَنَّم قبره[1].

وروى ابن عساكر عنه: أنَّ جبريل ولي آدم عليهما السلام، وجاء بكفن وحنوط وسدر، ثم قال: يا بني آدم أترون ما أصنع بأبيكم؟ فاصنعوا بموتاكم، فغسَّلوه، وكفَّنوه، وحنَّطوه، ثم حملوه إلى الكعبة، فصلى عليه جبريل، فعرف فضل جبريل يؤمئذ على الملائكة، فكبر عليه أربعاً، ووضعوه مما يلي القبلة عند القبور، ودفنوه في مسجد الخيف[2].

فأي الروايتين صح كـان دالاً على أن المـلائكـة صلـوا عليـه في المسجد.

وفيه: جواز الصَّلاة على الميت في المسجد.

والعمدة في الاحتجاج له: حديث عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ما صلَّى رسول الله ﷺ على سهيل بن بيضاء إلا في المسجد[3].

وبهذا قال الشافعي، وأحمد.

قال الزركشي: وهي رواية المدنيين عن مالك.

وقال أبو حنيفة ـ وتلك في الرواية المشهورة عنه ـ: لا تصح الصَّلاة عليه في المسجد.

---

(١) رواه الدارقطني في «السنن» (٢/ ٧٠).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧/ ٤٥٦).

(٣) رواه مسلم (٩٧٣).

واحتج لهذا المذهب بحديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً: «مَنْ صَلَّىٰ عَلَىٰ جَنازَةٍ فِيْ الْمَسْجِدِ فَلا شَيْءَ لَهُ»[1]، وهو ضعيف.

وقال الخطيب البغداديُّ: المحفوظ في الرواية: «فَلا شَيْءَ عَلَيْهِ»، فتكون تلك الروايـة محمولة على هذه، واللام فيها بمعنى على كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[الإسراء: ٧]؛ أي: عليها[2].

٥٢ ـ ومن أعمال الملائكة عليهم السَّلام: الإعلام بالموت ـ لاسيما بموت الصَّالحين ـ ليصلى عليهم، وتحضر جنائزهم لإعلام جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ بموت معاوية بن معاوية[3].

وقد صحح النووي رضي الله تعالى عنه في «مجموعه» استحباب الإعلام بموت المسلم لكثرة المصلين عليه[4].

٥٣ ـ ومنها: تغسيل الموتى، وتكفينهم، وتحنيطهم، ودفنهم:

وروى الطَّبراني في «الأوسـط» عن أُبي بن كعـب رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ آدَمَ غَسَّلَتْهُ الْمَلائِكَةُ بِماءٍ، وَسِدْرٍ، وَكَفَّنُوْهُ،

---

(١) رواه أبو داود (٣١٩١)، وابن ماجـه (١٥١٧). قال النـووي في «خلاصة الأحكام» (٢/ ٩٦٦): ضعفه الحفاظ، منهم أحمد بن حنبل، وأبو بكر بن المنذر، والخطابي، والبيهقي.

(٢) انظر: «نصب الراية» للزيلعي (٢/ ٢٧٥).

(٣) تقدم تخريجه قريباً.

(٤) انظر: «المجموع» للنووي (٥/ ١٧١).

وَلَحَدُوْا لَهُ، وَدَفَنُوْهُ، وَقالُوْا: هَذِهِ سُنَّتُكُمْ يا بَنِيْ آدَمَ فِيْ مَوْتاكُمْ»[1].

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أن جبريل عليه السلام ولي آدم عليه السلام، فجاءه بكفن وحنوط وسدر[2].

وروى الطبراني في «الكبير» عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رَأَيْتُ الْمَلائِكَةَ تُغَسِّلُ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَحَنْظَلَةَ بنَ الرَّاهِبِ»[3].

وروى ابن سعد عن الحسن رحمه الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لَقَدْ رَأَيْتُ الْمَلائِكَةَ تُغَسِّلُ حَمْزَةَ»[4].

وروى ابن أبي الدُّنيا في «الهواتف» عن أبي بكر بن أبي مريم قال: حج قوم، فمات صاحب لهم بأرض فَلاَة، فطلبوا الماء، فلم يقدروا عليه، فأتاهم آتٍ، فقالوا: دلَّنا على الماء، فقال: إن حلفتم لي ثلاثاً وثلاثين يميناً أنه لم يكن صَرَّافاً، ولا مَكَّاساً، ولا عريفاً، ولا بريداً دللتكم على الماء، فحلفوا له ثلاثاً وثلاثين يميناً، فدلهم على الماء، وكان منهم غير بعيد، ثم قالوا: عاونَّا على غسله، فقال: إن حلفتم لي ثلاثاً وثلاثين

(١) رواه الطَّبراني في «المعجم الأوسط» (٤٤٢٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٣٥): فيه عثمان بن سعد، وثقه أبو نعيم وغيره، وضعفه جماعة.

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧/ ٤٧٥).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٠٩٤)، قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٣/ ٢١٢): إسناد لا بأس به.

(٤) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ١٦).

يميناً [أنه لم يكن صَرَّافاً، ولا مَكَّاساً، ولا عريفاً، ولا بريداً، دللتكم على غسله، فأعانهم على غسله، قالوا له: تقدمْ فصلِّ عليه، فقال: لا، إلا أن تحلفوا لي أربعاً وثلاثين يميناً أنه لم يكن صَرَّافاً، ولا مَكَّاساً، ولا عريفاً، ولا بريداً صليت عليه، فحلفوا له أربعاً وثلاثين يميناً، فصلى عليه، ثم ذهبوا ينظرون، فلم يروا أحداً، فكانوا يرون أنه ملك[1].

* **تَنْبِيْهٌ:**

قال ابن هبيرة في «الإشراف على مذاهب الأشراف»: اتفقوا على أن الشهيد ـ وهو من مات في قتال الكفار ـ لا يغسل، انتهى.

فعلى هذا: لا يقتدى بالملائكة في تغسيل الشهيد؛ حيث غسَّلوا حمزة وحنظلة ـ كما علمت ـ وقد قتلا شهيدين في غزوة أحد، لكنا أوردنا حديث ابن عبَّاس والحسن في هذا المحل؛ إشارةً إلى أن أصل تغسيل الميت من عمل الملائكة عليهم السَّلام، ولذلك قدمنا حديث تغسيلهم لآدم عليه السَّلام؛ لأنه محل الاقتداء بهم لأن آدم لم يمت شهيداً.

وروي: أن الملائكة لم تغسِّل حمزة وحنظلة إلا لأنهما كانا جُنُبَيْن حين استشهدا.

فالنظر حينئذٍ في الشهيد إذا مات جنباً هل يُغسَّل أم لا؟

فقال مالك رضي الله تعالى عنه: لا يُغسَّل.

---

(١) رواه ابن أبي الدُّنيا في «الهواتف» (ص: ٧٩).

وهو الأصح من مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه.

لأنه ﷺ لم يغسل حمزة وحنظلة مع أنهما ماتا جنبين، وإنما أخبر عن الملائكة أنهم غسلوهما.

وقال الشافعي في قوله الآخر، وأبو حنيفة، وأحمد رضي الله تعالى عنهم: يُغسَّل[1].

ومن فعل ذلك على هذا القول كان متشبهاً بالملائكة عليهم السَّلام في غسل الشهيد الجنب.

*** تَتِمَّةٌ:**

روى الحاكم عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: قتل حمزة رضي الله تعالى عنه جنباً، فقال رسول الله ﷺ: «غَسَّلَتْهُ الْمَلائِكَةُ»[2].

وروى هو وصححه، وأبو نعيم، عن عبدالله بن الزُّبير رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إِنْ حَنْظَلَةُ تُغَسِّلُهُ الْمَلائِكَةُ، فاسألوا[3] أهلَه: «ما شأنه»، قالت: «خرج وهو جنب حين سمع الهائعة»، فقال رسول الله ﷺ: «لِذَلِكَ غَسَّلَتْهُ الْمَلائِكَةُ عَلَيْهِمُ السَّلامُ»[4].

---

(١) انظر: «المجموع» للنووي (٥/ ٢١٥).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤٤٨٥).

(٣) في «أ»: «فسألوا».

(٤) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤٩١٧)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٢/ ٨٥٣).

* **فَائِدَةٌ:**

قال العلماء رحمهم الله تعالى: الحكمة في عدم تغسيل الشهيد إبقاء أثر الشهادة عليه.

وهذا هو الحكمة في استحباب تكفينه في ثيابه الملطَّخة بالدَّم.

قالوا: وفي عدم غسله حكمة أخرى، وهي أن القتل طُهر، فلا يحتاج إلى طهارة أخرى.

وكذلك ـ أيضاً ـ الحكمة في أنه لا يصلى عليه، كما هو مذهب الإمام مالك، والشافعي، وإحدى الروايتين عن أحمد = أنَّ الصلاة على الميت شفاعة، والشهيد لا يحتاج إلى شافع.

* **فَائِدَةٌ أُخْرَىْ:**

روى أبو نعيم عن سعد بن أبي وقاص ﷺ: أن سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه لما مات يوم الخندق، خرج رسول الله ﷺ مسرعاً، فإنه لينقطع شسع الرجل فما يرجع، ويسقط رداؤه فما يلوي، وما يعرج أحد على أحد، فقالوا: يا رسول الله! إن كدت لتقطعنا؟ قال: «خَشِيْتُ أَنْ تَسْبِقَنا الْمَلائِكَةُ إِلَىْ غَسْلِهِ كَمَا سَبَقَتْنا إِلَىْ غَسْلِ حَنْظَلَةَ».

قلت: في هذا الحديث إشارة إلى استحباب منافسة الملائكة عليهم السَّلام، ومسابقتهم إلى أعمال الخير فضلاً عن الاقتداء بهم، والتشبه بهم.

* تَنْبِيهٌ:

حصلت لسعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه شهادة الآخرة، ولم تتم له شهادة الدُّنيا بحيث إنه لا يغسل، فلذلك غسله النبي ﷺ؛ فإن الشهيد الذي لا يغسل ولا يصلى عليه هو الذي مات في قتال الكفار المباح بسبب القتال ـ ولو بعَوْدِ سلاحه إليه، أو بإصابة سلاح مسلم إياه، أو سقوطه، أو رمح دابته، أو نحو ذلك ـ فإن مات بعد انقضاء القتال وفيه حياة مستقرة ـ ولو بسبب جراحة فيه من القتال يقطع بموته منها ـ، أو مات في قتال البُغاة، فلا يجري عليه حكم الشهادة في الدنيا، وإن أعطي الشهادة في الآخرة، وكذلك كان حال سعد بن معاذ رضي الله عنه.

روى الشيخان عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: أصيب سعد ابن معاذ رضي الله تعالى عنه يوم الخندق، رماه حِبَّان بن العَرَقة في الأكحل، فضرب النبي ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب، فلما رجع رسول الله ﷺ من الخندق، ووضع السِّلاح، واغتسل، أتاه جبريل عليه السَّلام وهو ينفض رأسه من الغبار، فقال: قد وضعت السِّلاح، والله ما وَضَعْتُهُ، اخرج إليهم، قال النبي ﷺ: «فَأَيْنَ؟» فأشار إلى بني قريظة، فأتاهم رسول الله ﷺ فنزلوا على حكمه، فرد الحكم إلى سعد، قال: فإنِّي أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة، وأن تسبى النِّساء والذُّرية، وأن تقسم أموالهم، فقال سعد: اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحبَّ إلي أن أجاهدهم فيك من قوم كذَّبوا رسولَك، وأخرجوه، اللهم فإني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم، فإن كان بقي من حرب، فافجرها،

واجعل موتي قريباً، فانفجرت من لبته، فمات سعد بن معاذ رضي الله عنه[1].

وحِبَّان بن العرقة ـ بكسر الحاء المهملة، وتشديد الموحدة، وبالنون ـ وقيل: هو جبَّار ـ بالجيم، وتشديد الموحدة، وبالراء ـ.

والعَرَقة: بفتح العين المهملة، والراء، وقيل: بكسرها، وهو المشهور، وبالقاف[2].

٥٤ ـ ومن خصال الملائكة عليهم السَّلام: الأسف على الصَّالحين عند موتهم:

روى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزُّهد» عن ثابت البُناني رحمه الله تعالى قال: لما مات موسى بن عمران عليه السَّلام جالت الملائكة في السَّماوات بعضها إلى بعض واضعي أيديهم على الخدود ينادون: مات موسى كَليمُ الله، وأي الخلق لا يموت؟[3].

وفي ذلك أن وضع اليد على الخد ـ وهي هيئة الكآبة والحزن ـ ليس بمذموم، بخلاف لطم الخد.

وقلت في المعنى: [من البسيط]

وَضَعْتُ كَفِّيْ عَلَىْ خَدِّيْ لِفُرْقَتِهِمْ
حُزْناً عَلَيْهِمْ كَحَالِ الْمُفْكِرِ الْوَجِعِ

---

(١) رواه البخاري (٣٨٩٦)، ومسلم (١٧٦٩).

(٢) انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (١٠/ ٣٠١).

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٧٤).

وَلَـمْ أَكُـنْ لاطِمـاً خَـدِّيْ لِبَيْـنِهِمُ
لأَنَّ ذَاكَ دَلِيْـلُ الـسُّخْطِ وَالْجَـزَعِ

٥٥ ـ ومنها: البكاء لموت الغريب لغربته لا جزعاً لموته.

* مَطْلَبٌ:

إذا توفي في غربته لم يعذَّب.

روى ابن أبي الدُّنيا في «كتاب الموت» عن الحسن قال: إن الله ﷻ إذا توفي المؤمن ببلاد غربته لم يعذبه رحمة لغربته، وأمر الملائكة فبكته لغيبة بواكيه عنه[1].

٥٦ ـ ومنها: حضور جنائز الصالحين، وحملها، وتشييعها:

روى الإمام أحمد في «الزُّهد»، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن أبي الجلد: أن داود عليه السَّلام قال في مسألته: إلهي! فما جزاء من شيع الجنائز ابتغاء مرضاتك؟ قال الله: جزاؤه أن تشيعه الملائكة يوم يموت إلى قبره، وأن أصلِّيَ على روحه في الأرواح[2].

وروى البيهقي في «الدَّلائل» عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ في سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه: «تَحَرَّكَ لَهُ

---

(١) انظر: «شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور» للسيوطي (ص: ١٠٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزُّهد» (ص: ٧٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٢٨٠).

الْعَرْشُ، وَشَيَّعَ جِنازَتَهُ سَبْعُوْنَ أَلْفَ مَلَكٍ»[1].

وروى ابن سعد، عن محمود بن لَبِيد ﷺ: أن القوم قالوا: يا رسول الله! ما حَمَلْنا ميتاً أخف علينا من سعد؟ قال: «ما يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَخِفَّ عَلَيْكُمْ وَقَدْ هَبَطَ مِنَ الْمَلائِكَةِ كَذا وَكَذا، لَمْ يَهْبِطُوْا قَطُّ قَبْلَ يَوْمِهِمْ، قَدْ حَمَلُوْهُ مَعَكُمْ»[2].

وعن الحسن رحمه الله تعالى قال: لما مات ابن معاذ ـ وكان رجلاً جسيماً، جزلاً ـ جعل المنافقون يقولون: لم نر رجلاً أخف منه، وقالوا: تدرون لم ذاك؟ لمحكمه في بني قريظة، فذكر ذلك للنبي ﷺ، فقال: «وَالَّذِيْ نَفْسِيْ بِيَدِهِ لَقَدْ كانَتِ الْمَلائِكَةُ تَحْمِلُ سَرِيْرَهُ»[3].

وروى هذا الحديث الحاكم بنحوه من طريق قتادة، عن أنس ﷺ[4].

قلت: كذلك يطمس الله على قلوب المنافقين حتى يروا الأمور الحسنةَ قبيحةً؛ فإن خفة جنازة سعد رضي الله تعالى عنه إنما كانت لكرامته، فزعموا أنها كانت بخلاف ذلك، وأنها عقوبة له على حكمه في بني قريظة مع أنه موافق في حكمه الله تعالى.

وأين نظر هؤلاء من نظر النبي ﷺ، وأصحابه الكرام ﷺ الذين

---

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ٢٨).

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٤٢٨).

(٣) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٤٣٠).

(٤) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤٩٢٦).

منهم حسان بن ثابت ـ رضي الله تعالى عنه، القائل ـ يبكي سعداً، ويرثيه رضي الله تعالى عنهما : [من الطويل]

لَقَـدْ سَـمَحَتْ مِـنْ فَـيْضِ عَيْنِـيَ عَبْـرَةٌ
وَحُـقَّ لِعَيْنِـيْ أَنْ تَفِـيْضَ عَلَـىْ سَـعْدِ

قَتِيْـلٌ ثَـوَىْ فِـيْ مَعْـرَكٍ فُجِعَـتْ بِـهِ
عُيُـوْنٌ دَرارِيْ الـدَّمْعِ دائِمَـةُ الْوَجْـدِ

عَلَـىْ مِلَّـةِ الـرَّحْمَنِ وارِثُ جَنَّـةٍ
مَـعَ الـشُّهَداءِ وَفْـدُهُمْ أَكْـرَمُ الْوَفْـدِ

فَـإِنْ تَـكُ قَـدْ وَدَّعْتَنـا وَتَرَكْتَنـا
وَأَمْـسَيْتَ فِـيْ غَبْـراءَ مُظْلِمَـةِ اللَّحْـدِ

فَأَنْـتَ الَّـذِيْ يـا سَـعْدُ أُبْـتَ لِمَـشْهَدٍ
كَـرِيْمٍ وَأَبْـوَابِ الْمَكـارِمِ وَالْمَجْـدِ

بِحُكْمِـكَ فِـيْ حُيَّـيِّ قُرَيْظَـةَ بِالَّـذِيْ
قَضَىْ اللهُ فِيْهِمْ مـا قَـضَيْتَ عَلَـىْ عَمْـدِ

فَوافَـقَ حُكْـمَ اللهِ حُكْمُـكَ فِـيْهِمُ
وَلَمْ تَعْفُ إِذْ ذَكَّرْتَ مـا كـانَ مِـنْ عَهْـدِ

فَإِنْ كانَ رَيْبُ الدَّهْرِ أَقْصاكَ فِـيْ الأُلَـىْ
شَـرَوْا هَـذِهِ الـدُّنْيا بِجَنَّاتِهـا الْخُلْـدِ

فَــنِعْمَ مَــصِيْرُ الــصَّادِقِيْنَ إِذا دُعُــوْا

إِلَــىْ اللهِ يَوْمــاً لِلْوَجاهَــةِ وَالْقَــصْدِ[١]

ـ ومن شهود الملائكة لجنائز الصَّالحين: ما رواه الطَّبراني في «الكبير»، وأبو نعيم في «معرفة الصَّحابة» رضي الله تعالى عنهم، عن سهم ابن حبيش ـ وكان ممن شهد قتل عثمان رضي الله عنه ـ قال: فلما أمسينا قلت: لئن تركتم صاحبكم حتى يصبح مثَّلوا به، فانطلقوا به إلى بَقيع الغَرقد، فأمكنا له من جوف الليل، ثم حملناه، وغشينا سواد من خلفنا، فهبناهم حتى كدنا أن نتفرق عنه، ومنادٍ: لا روع عليكم اثبتوا؛ فإنَّا جئنا لنشهده معكم.

وكان ابن حبيش يقول: هم ـ والله ـ الملائكةُ عليهم السلام[٢].

ومن ذلك ما رواه أبو الحسن بن جَهْضَم، ونقله عنه الإمام عبد الحق الإشبيلي في كتاب «العاقبة» عن أبي بكر المصري من شهود الملائكة لجنازة ذي النون المصري، ولجنازة أبي إبراهيم المزني رحمهما الله في صُور طيرٍ خُضْر[٣].

قلت: وكذلك شاهد غَيْرُ واحد طيراً خضراً ترفرف حول جنازة شيخ الإسلام الوالد حول نعشه، وقد خفَّ نعشُه على حامليه حتى كاد

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٤/ ٢٣١).

(٢) رواه الطَّبراني في «المعجم الكبير» (١١٠)، وأبو نعيم في «معرفة الصَّحابة» (١/ ٧٠).

(٣) انظر: «العاقبة في ذكر الموت» للإشبيلي (ص: ١٥٩).

يطير، وقد ذكرت ذلك في كتاب ترجمة الوالـد المسمى: «بلغة الواحد» بأبسط من ذلك.

وقلت ملماً بالقصة: [من الطويل]

وَلَـمْ أَرَ يَوْمـاً فَـوْقَ نَعْـشٍ يُرَفْـرِفُ
طُيُـوْرٌ مِـنَ الأَمْـلاكِ تَحْنُـوْ وَتَعْطِـفُ

كَمـا قَـدْ رَأَيْنـا فِـيْ جَنـازَةِ مَـنْ بَكَـتْ
عَلَيْـهِ قُلُـوْبُ الْخَلْـقِ تَـذْكُوْ وَتَنْطِـفُ

أَبِـيْ الْبَرَكـاتِ الْعـامِرِيِّ وَمَـنْ بِـهِ
مَقادِيْرُنـا تَـسْمُوْ الـسِّماكَ وَتُـشْرِفُ

وَذَلِـكَ أَمْـرٌ شـاهَدَتْهُ جَماعَـةٌ
وَرُبَّ فَتَـىً غَيْـرِيَ بِـذَلِكَ أَعْـرَفُ

وَقَـدْ خَـفَّ فِـيْهِمْ نَعْـشُهُ وَكَأَنَّـهُ
يَطِيْـرُ وَأَجْـسادُ الْمُحِبِّـيْنَ تَلْطُـفُ

* تَنْبِيْهٌ:

إنما قيدنا هذه الخصلة من خصال الملائكة عليهم السَّلام؛ أعني: شهود الجنائز، بجنائز الصالحين لأنها محل الاقتـداء بالملائكة، والتشبه بهم في حضورها، وإلا فإن الملائكة ورد أنهم يحضرون جنائز الكفـار أيضاً، كما في الحديث الذي رواه عبدالله ابن الإمام أحمـد، والطحاوي

عن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مَرَّتْ بِكُمْ جَنازَةٌ فَإِنْ كانَ مُسْلِماً، أَوْ يَهُوْدِيَّاً، أَوْ نَصْرانِيَّاً فَقُوْمُوْا لَها؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ نَقُوْمُ لَها، وَلَكِنْ نَقُوْمُ لِمَنْ مَعَها مِنَ الْمَلائِكَةِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ»(١).

في هذا الحديث إشارة إلى أن الملائكة تحضر جنائز الكفار كما تحضر جنائز المسلمين، وكأن جنائز المسلمين تحضرها ملائكة الرَّحمة، وجنائز الكفار تحضرها ملائكة العذاب.

ويدل على هذا حديث أبي سعيد الخُدري، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ رَجُلاً قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِيْنَ نَفْساً، ثُمَّ عَرَضَتْ لَهُ التَّوْبَةُ، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَىْ راهِبٍ، فَأَتاهُ، فقالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِيْنَ نَفْساً، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقالَ: لا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِئَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَىْ رَجُلٍ عالِمٍ، فَقالَ لَهُ: إِنَّهُ قَتَلَ مِئَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُوْلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَىْ أَرْضِ كَذا وَكَذا؛ فَإِنَّ بِها ناساً يَعْبُدُوْنَ اللهَ، فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلا تَرْجِعْ إِلَىْ أَرْضِكَ؛ فَإِنَّها أَرْضُ سُوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّىْ إِذا انْتَصَفَ الطَّرِيْقُ فَأَتاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيْهِ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلائِكَةُ الْعَذابِ، فَقالَتْ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جاءَ تائِباً مُقْبِلاً، وَقالَتْ مَلائِكَةُ الْعَذابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْراً قَطُّ، فَأَتاهُمْ مَلَكٌ فِي صُوْرَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوْهُ بَيْنَهُمْ، فَقالَ: قِيْسُوْا ما بَيْنَ الأَرْضَيْنِ، قالَ: أَيَّتُها

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٤١٣)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ٤٨٩).

كانَ أَدْنَىٰ فَهُوَ لَهُ، فَقاسُوْهُ، فَوَجَدُوْهُ أَدْنَىٰ إِلَىٰ الأَرْضِ الَّتِيْ أَرادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ». أخرجه الإمام أحمد، ومسلم، وابن ماجه[١].

فالملائكة التي تحضر جنازة الكافر والفاسق الذي مات مُصِرّاً هم ملائكة العذاب.

وذكر الحافظ عبد العظيم المنذري في حديث عمّار رضي الله تعالى عنه الذي أخرجه أبو داود، وغيره: «إِنَّ الْمَلائِكَةَ لا تَحْضُرُ جَنازَةَ الْكافِرِ بِخَيْرٍ، وَلا الْمُتَضَمِّخِ بِالزَّعْفَرانِ، وَلا الْجُنُبِ»[٢]: أن المراد بالملائكة هنا هم الَّذين يتنزلون بالرَّحمة، والبركة دون الْحَفَظَةِ؛ فإنهم لا يفارقون على حال من الأحوال[٣]. ا.هـ.

وأما شهود المسلم لجنازة الكافر فلا فائدة فيه للميت؛ فإنه خالد في النَّار، ولا للحي؛ إذ لا ثواب له في ذلك، بل هو مكروه.

إلا أنه لا بأس باتباع المسلم جنازة قريبه الكافر.

قال الأذرعي: و[لا] يبعد إلحاق الزوجة والمملوك بالقريب.

قال: وفي الجار نظر[٤].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٢٠)، ومسلم (٢٧٦٦)، وابن ماجه (٢٦٢٢)، ورواه البخاري أيضاً (٣٢٨٣).

(٢) رواه أبو داود (٤١٧٦).

(٣) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ٩٠).

(٤) انظر: «فتح الوهاب شرح منهج الطلاب» لزكريا الأنصاري (٢/ ١٦٥).

وفي اتباع المسلم جنازة المسلم الفاسق مع الثواب نفع الميت بالدُّعاء، وغيره.

٥٧ ـ ومن خصال الملائكة عليهم السَّلام: المشي في الجنائز، والامتناع من الركوب فيها:

روى الترمذيُّ، وابن ماجه، وصححه الحاكم، عن ثوبان ﷺ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازةٍ، فرأى ناساً ركباناً، فقال: «أَلا تَسْتَحْيُوْنَ؟ إِنَّ مَلائِكَةَ اللهِ عَلَىْ أَقْدامِهِمْ، وَأَنْتُمْ عَلَىْ ظُهُوْرِ الدَّوابِّ؟!»(١).

وروى أبو داود من حديثه أيضاً: أنَّ رسول الله ﷺ أُتِيَ بدابة وهو مع الجنازة، فأبى أن يركبها، فلمَّا انصرف أُتِيَ بدابة، فركب، فقيل له، فقال: «إِنَّ الْمَلائِكَةَ كانَتْ تَمْشِيْ فَلَمْ أَكُنْ لأَرْكَبَ وَهُمْ يَمْشُوْنَ، فَلَمَّا ذَهَبُوْا رَكِبْتُ»(٢).

وفي هذا الحديث إشارة إلى أنَّ كراهة الرُّكوب إنَّما هو في تشييع الجنازة وكذلك هو في مذهب الشّافعيِّ رضي الله تعالى عنه، إلا لعذرٍ.

ولا يكره الرُّكوب في الرُّجوع منها لهذا الحديث، وعليه حمل

---

(١) رواه الترمذي (١٠١٢) وقال: الموقوف أصح، وابن ماجه (١٤٨٠)، والحاكم في «المستدرك» (١٣١٥).

(٢) رواه أبو داود (٣١٧٧). قال النووي في «خلاصة الأحكام» (٢/ ١٠٠٢): قال البيهقي: المحفوظ في هذا الحديث ـ بروايتيه ـ أنه موقوف على ثوبان، قال: وكذا قال البخاري: إن الموقوف أصح.

حديث جابر بن سُمرة رضي الله تعالى عنه في «صحيح مسلم»، و«سنن أبي داود»، و«الترمذي»، قال: كنَّا مع النبي ﷺ في جنازة أبي الدَّحداح وهو على فرس له يسعى، ونحن حوله، وهو يتوقَّص به[1].

بدليل رواية مسلم، وأبي داود، والنسائي عن جابر بن سمُرة أيضاً: أن النبي ﷺ اتبع جنازة أبي الدَّحداح ماشياً، ورجع على فرس[2].

* **فَائِدَةٌ:**

روى الديلمي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمَلائِكَةُ يَمْشُوْنَ مَعَ الْجَنازَةِ يَقُوْلُوْنَ: سُبْحانَ مَنْ تَعَزَّزَ بِالْقُدْرَةِ، وَقَهَرَ الْعِبادَ بِالْمَوْتِ»[3].

٥٨ ـ ومنها: المشي أمام الجنازة:

روى أبو بكر بن أبي شيبة، عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ أباه أوصاه: إن أنت حملتني على السرير فامش مشياً بين المشيين، وكن خلف الجنازة؛ فإن مقدمها للملائكة، وخلفها لبني آدم[4].

يستفاد من هذا الأثر: أن الملائكة عليهم السَّلام تمشي أمام

---

(١) رواه مسلم (٩٦٥)، وأبو داود (٣١٧٧)، والترمذي (١٠١٣).

(٢) رواه مسلم (٩٦٤)، وأبو داود (٣١٧٨)، والنسائي (٢٠٢٦)، ورواه الترمذي (١٠١٤) واللفظ له.

(٣) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٦٦٧٤).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١١٢٧٥).

الجنـازة، وأن الإنسـان ينبغي أن يُخلي أمامهـا لهم، وبذلك أخـذ أبـو حنيفة رضي الله عنه، فقال: إن المشي خلف الجنازة أفضل[1].

ولا شك أن المشي أمام الجنازة فيه مخالطة للملائكة، وتشبه بهم، ولا زحمة تحصل للملائكة بذلك لأنهم أرواح لطيفة، فالأَولى أن يكون المشي أمام الجنازة أفضل، وإن كان في المشي خلفها فضل أيضاً، وإلى هذا ذهـب أكثـر الصَّحابـة والتابعين، وهو مذهـب مالك، والشَّافعي، وأحمد رضي الله عنهم؛ لقول ابن عمر رضي الله عنهما: رأيت النبي ﷺ وأبا بكر وعمر يمشون أمام الجنازة. رواه أصحاب السُّنن[2].

وروى الترمـذي، وابن ماجـه، عن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كـان يمشي أمام الجنازة وأبو بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم[3].

وروى ابن أبي شيبة بسنـد صحيـح، عـن أبي صالح قـال: كـان أصحاب محمد ﷺ يمشون أمام الجنازة[4].

---

(١) انظر: «شرح معاني الآثار» للطحاوي (١/ ٤٨٣).

(٢) رواه أبو داود (٣١٧٩)، والترمذي (١٠٠٧)، وابن ماجه (١٤٨٢)، ورواه النسائي في «السنن الكبرى» (٢٠٧٢) ورجح الترمذي والنسائي وقفه.

(٣) رواه الترمذي (١٠١٠)، وابن ماجه (١٤٨٣)، قال الترمذي: سألت محمداً عن هذا الحديث فقال: هذا حديث خطأ، أخطأ فيه محمد بن بكر، وإنما يروى هذا الحديث عن يونس عن الزهري: أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يمشون أمام الجنـازة، قال الزهـري: وأخبرني سـالم أن أبـاه كـان يمشي أمام الجنازة، قال محمد: هذا أصح.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١١٢٢٨).

وروى البيهقي عن زياد بن قيس الأشعريِّ قال: أتيت المدينة، فرأيت أصحاب النبي ﷺ يمشون أمام الجنازة[1].

قلت: في وصية عمر لابنه أن يمشي خلف سريره إشارة لِمَا النَّاس عليه اليوم من مشي أقارب الجنازة خلفها، وتقديم النَّاس أمامها؛ فإن عمر أوصى ابنه أن يمشي خلفه، ولم يأمر أن يمشي سائر النَّاس خلفه.

٥٩ ـ ومنها: الفكر في حال الميت، وما قدَّم من الأعمال، لا فيما ترك من الأهل والأموال.

روى الحافظ أبو الفرج بن الجوزي في «صفة الصَّفوة» عن سُويد ابن غَفَلَة قال: إنَّ الملائكة تمشي أمام الجنازة، وتقول: ما قدم؟ ويقول الناس: ما أخر؟[2].

وروى البيهقي في «شعب الإيمان» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذا ماتَ الْمَيتُ تَقُوْلُ الْمَلائِكَةُ: ما قَدَّمَ؟ وَتَقُوْلُ النَّاسُ: ما خَلَّفَ؟»[3].

٦٠ـ ومنها: زيارة قبور الصالحين، والأبرار:

روى ابن عدي في «الكامل» عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ زارَ قَبْرَ أَبَوَيْهِ، أَوْ أَحَدِهِما احْتِساباً كانَ كَعَدْلِ

---

(١) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٢٤).

(٢) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٣/ ٢٢).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٤٧٥).

حَجَّةٍ مَبْرُوْرَةٍ، وَمَنْ كانَ زَوَّاراً لَهُما زارَتِ الْمَلائِكَةُ قَبْرَهُ»[1].

وروى أبو نعيم عن عليٍّ رضي الله تعالى عنه: أنَّ النبي ﷺ قال: «يا عَلِيُّ! تَعَلَّمِ الْقُرْآنَ، وَعَلِّمْهُ النَّاسَ؛ فَلَكَ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَناتٍ؛ فَإِنْ مِتَّ مِتَّ شَهِيْداً، يا عَلِيُّ! تَعَلَّمِ الْقُرْآنَ، وَعَلِّمْهُ النَّاسَ؛ فَإِنْ مِتَّ حَجَّتِ الْمَلائِكَةُ إِلَىْ قَبْرِكَ كَما يَحُجُّ النَّاسُ إِلَىْ الْبَيْتِ الْعَتِيْقِ»[2].

٦١ ـ ومنها: الدُّعاء بالمأثور عند رؤية الهلال:

روى عبد الرَّزَّاق، عن ابن جريج، عن عطاء قال: بينما رجل يسير في فَلاَة من الأرض إذ هلَّ هلال، فجعل ينظر إليه، فسمع قائلاً يقول ـ ولا يراه ـ: اللهم أهلَّه علينا بالأمن والإيمان، والسَّلامة والإسلام، والهدى والمغفرة، والتوفيق لما ترضى، والحفظ مما تسخط، ربي وربُّكَ الله؛ فلم يزل يرددها حتى حفظها الرَّجل[3].

وأخرجه ابن أبي الدُّنيا في «الهواتف» بنحوه[4].

٦٢ ـ ومنها: الصيام، والإمساك عن الطَّعام والشراب، وعن سائر الشهوات، بل هذه الحالة لازمة للملائكة عليهم السَّلام؛

---

(١) رواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٢/ ٣٩٣)، وقال: وهذا منكر إسناداً ومتناً.

(٢) رواه أبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (٢/ ١٩٦) عن أبي هريرة ﷺ، ورواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٨٣١٤) عن علي ﷺ.

(٣) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٧٣٥٠).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (ص: ٢٨).

فإنهم يَقْتَاتون بالذِّكر، والتسبيح.

قال جعفر الصادق رحمه الله تعالى: الصيام فيه تشبه بالملائكة عليهم السَّلام؛ لأنهم لا يأكلون ولا يشربون، يسبحون الليل والنهار، لا يَفْتُرُوْنَ.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٦٩ ـ ٧٠].

قال القاضي ناصر الدين البيضاوي رحمه الله تعالى في «تفسيره»: إنا ملائكة مرسلة إليهم، وإنما لم نمد أيدينا إليه لأنا لا نأكل[1].

٦٣ ـ ومنها: الاقتيات بالذكر:

وهو أبلغ من الصيام، وهو حال الصمدانيين الذين كانوا يطوون الأربعينيات، وأكثر منها، ودونها بحيث يكون خارقاً للعادة، فيكتفون بالذكر، والفكر عن الطعام، والشراب.

وقد قيل: [من البسيط]

لهـا مَنَاهِـل مِـنْ ذكـراكَ تَـشْغَلُها

عـن الـشَّرابِ وتُلْهيهـا عـن الـزَّادِ

ومن هذا القبيل ما ذكره أبو طالب المكي في «القوت»، وأبو حامد

---

(١) انظر: «تفسير البيضاوي» (٣/ ٢٤٥).

الغزالي في «الإحياء»: عن أبي بكر رضي الله تعالى عنه: أنه كان يطوي ستة أيام، وعن عبدالله بن الزُّبير رضي الله تعالى عنهما: أنه كان يطوي سبعة أيام، وعن الثوري، وابن أدهم: أنهما كانا يطويان ثلاثة أيام، وعن محمد بن عمر العوفي، وعبد الرحمن بن إبراهيم دُحَيْم، وإبراهيم التَّيمي، وحجَّاج بن قرافصة، وحفص العابد المصِّيصي، والمستلم بن سعيد، وزهير الباني، وسليمان الخَوَّاص، وسهل بن عبدالله، وإبراهيم بن أحمد الخواص: أن طَيَّهم وصل إلى ثلاثين يوماً[1].

وعن بعض هذه الطائفة: أنه وقف على راهب، فذاكره بحاله، وطمع في إسلامه، وترك ما هو عليه من الغرور، وكلمه في ذلك بكلام كثير إلى أن قال له الراهب: إن المسيح عليه السلام كان يطوي أربعين، وإنه معجزة لا تكون إلا لنبي صادق، قال له الصوفي: فإن طويت خمسين يوماً تترك ما أنت عليه، وتدخل في دين الإسلام، وتعلم أنه حق، وأنك على باطل؟ قال: نعم، فقعد لا يبرح إلا حيث يراه، فطوى خمسين يوماً، فقال: أزيدك أيضاً؟ فطوى إلى تمام الستين، فعجب الراهب منه، وقال: ما كنت أظن أن أحداً يجاوز المسيح، وكان ذلك سبب إسلامه[2].

وقال أبو عثمان المغربي رحمه الله تعالى: الرباني يأكل مرة في

---

(١) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (٢/ ٢٧٩)، و«إحياء علوم الدين» للغزالي (٣/ ٩٠).

(٢) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (٢/ ٢٨٠) و«إحياء علوم الدين» للغزالي (٣/ ٩٠).

أربعين يوماً، والصمداني في ثمانين يوماً[1].

ومن أعجب ما في هذا الباب ما روي عن سهل بن عبدالله: أنه اقتات بثلاثة دراهم في ثلاث سنوات[2].

وعن الشيخ محي الدين بن العربي: أنه اقتات من أول المحرم إلى عيد الفطر بلوزة واحدة.

وذلك كله من باب خرق العادة، والالتحاق بالملائكة عليهم السَّلام في هذا الْخُلُقِ الشريف، وهو محمول على الاقتيات بالذكر.

وعن بعض العلماء العاملين أنه قال: إني لأقتات بوردي من الذكر كما أقتات بالطَّعام والشَّراب.

وقد قلت في المعنى: [من السريع]

ذِكْرُكَ لِيْ قُوْتٌ وَمَنْ لَمْ يَجِدْ
قُوْتاً فَقَدْ فَاتَ بِهِ الْفَوْتُ
وَأَنْتَ لِيْ رُوْحٌ وَمَنْ يَنْفَصِلْ
عَنْ رُوْحِهِ أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ

وقال الشيخ العارف بالله شهاب الدين السُّهروردي في «عوارف المعارف»: قيل لسهل بن عبدالله: هذا الذي يأكل في كل أربعين، وأكثر

---

(١) انظر: «الرسالة القشيرية» للقشيري (ص: ١٧٨).

(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٣/ ٩٧).

مرةً[1]؛ أين يذهب لهب الجوع عنه؟ قال: يطفئه النور.

قال: وقد سألت بعض الصالحين عن ذلك، فذكر لي كلاماً بعبارة دلت على أنه يجد فرحاً بربه ينطفئ معه لهب الجوع.

قال: وهذا واقع في الخلق أن الشخص يطرقه فرح ـ وقد كان جائعاً ـ فيذهب عنه الجوع، وهكذا في طَرق الخوف يقع ذلك[2]. انتهى.

فإن قيل: قد صح عن النبي ﷺ أنه نهى عن الوصال في الصوم، فقيل له: إنك تواصل، فقال: «لَسْتُ كَأَحَدِكُمْ؛ إِنَّ اللهَ يُطْعِمُنِيْ، وَيَسْقِيْنِيْ»[3]، فهذا يخالفه ما تقدم؟

فالجواب: أن هذا النهي إنما هو في مقام الدَّعوة العامة، والتشريع لكافة الناس، ولئلا يتخذ الوِصال سنة جارية يتعاطاه القادر عليه والضعيف عنه، فيحتاج إلى التكلف، فأما من كان يقتات بالذكر بحيث يستغني عن الطَّعام والشَّراب فقد يقال في حقه بإباحة الوصال له خاصة[4].

وعلى ذلك يخرج أحوال من أسلفنا ذكرهم من السَّلف رضوان الله عليهم أجمعين.

---

(١) في «العوارف»: «أكلة» بدل «مرة».

(٢) انظر: «عوارف المعارف» للسهروردي (ص: ٢٠٥).

(٣) رواه البخاري (٦٨٦٩)، ومسلم (١١٠٣)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) قال ابن حزم في «المحلى» (٧/ ٢٢): لا حجة في أحد غير رسول الله ﷺ لا صاحب ولا غيره فقد واصل قوم من الصحابة رضي الله عنهم في حياة النبي ﷺ وتأولوا في ذلك التأويلات البعيدة فكيف بعده عليه السلام؟ فكيف من دونهم؟

وقد حكى القاضي عِياض رحمه الله تعالى عن ابن وهب، وإسحاق ابن راهويه، وأحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى: أنهم أجازوا الوصال[1].

وحكى ابن حزم أن ابن وَضَّاح من المالكية كان يواصل أربعة أيام[2].

وأطلق أكثر الشافعية العبارة بكراهية الوصال، واختلفوا هل هي كراهة تنزيه، أو تحريم على وجهين؛ أصحهما الثاني[3]، وهو ظاهر كلام الشَّافعيِّ رضي الله تعالى عنه؛ فإنه قال بعد أن ذكر حديث النهي عن الوصال: وفرق الله تعالى بين رسوله وبين خلقه في أمور أباحها له، وحظرها عليهم[4].

وكذلك مذهب أبي حنيفة، ومالك رضي الله عنهما[5].

---

(١) انظر: «شرح مسلم» للنووي (٧/ ٢١٢) وفيه كلام القاضي عياض، لكنه قيد إباحة الوصال بالسحر، ونقل عن الأكثرين كراهته.

(٢) انظر: «المحلى» لابن حزم (٧/ ٢٢).

(٣) قال الإمام النووي: وممن صرح به من أصحابنا بتصحيح تحريمه ـ أي تحريم الوصال ـ صاحب «العدة» والرافعي وآخرون، وقطع به جماعة من أصحابنا؛ منهم القاضي أبو الطيب في كتابه «المجرد»، والخطابي في «المعالم»، وسليم الرازي في «الكفاية»، وإمام الحرمين في «النهاية»، والبغوي، والروياني في «الحلية»، والشيخ نصر في كتابه «الكافي» وآخرون، كلهم صرحوا بتحريمه من غير خلاف. انظر: «المجموع» للنووي (٦/ ٣٧٤).

(٤) انظر: «المجموع» للنووي (٦/ ٣٧٤).

(٥) قال الإمام ابن القيم في «زاد المعاد» (٢/ ٣٨): والقول الثالث ـ وهو =

وقال الحافظ زين العراقي في «شرح الترمذي»: وأصرح ما يستدل به على عدم تحريم الوصال: ما رواه أبو داود بإسناد صحيح، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: حدثني رجل من أصحاب النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ نهى عن الحجامة، والمواصلة، ولم يحرمهما إبقاءً على أصحابه، فقيل له: يا رسول الله! إنك تواصل إلى السحر؟ فقال: «إِنِّيْ أُواصِلُ إِلَىْ السَّحَرِ وَرَبِّيْ يُطْعِمُنِيْ، وَيَسْقِيْنِيْ»[1]، انتهى[2].

قلت: وهنا أصل أصيل، وهو أن إدخال الطعام والشراب في الجوف إنما هو في الأصل مباح، وإنما يندب تعاطيه، أو يلزم إذا احتاج إليه الإنسان من حيث إنه يتقوت به، ويتحفظ به على حياته، فإذا أخذ الإنسان منه حاجته وكفايته لم يحسن في حقه أن يتناول زيادة عنها، بل إذا شبع منه حرم الزيادة عليه حذراً من الهلاك الذي من حذره ألجئ إلى استعمال الطعام والشراب إذا احتاج إليه، فإذا كان في عباد الله من

= أعدل الأقوال ـ: أن الوصال يجوز من سحر إلى سحر، وهذا هو المحفوظ عن أحمد وإسحاق لحديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ: «لا تواصلوا فأيكم أراد أن يواصل فليواصل إلى السحر» رواه البخاري، وهو أعدل الوصال وأسهله على الصائم، وهو في الحقيقة بمنزلة عشائه إلا أنه تأخر، فالصائم له في اليوم والليلة أكلة، فإذا أكلها في السحر، كان قد نقلها من أول الليل إلى آخره، والله أعلم.

(1) رواه أبو داود (٢٣٧٤).

(2) انظر: «طرح التثريب» للعراقي (٤/ ١٢٦).

رزقه الله تعالى حالة شريفة لحالة الشبع بحيث لا يحصل له معها وَهن في بدنه، ولا ضعف في قواه، ولا توقـان إلى الطعام يشغله عن الذكـر والطاعة، فظاهر هذا القياس أنه ما دام غنياً عن الطعام والشراب، ففي هذه الحالة لا نكلفه تناول شيء من المطعومات ولا من المشروبات حتى يحتاج إليه، بل الدنيا ـ وإن كان الأصل في مطعوماتها ومشروباتها الإباحة ـ فإن اشتغال المقبل على الله تعالى بها اشتغال بما لا يعنيه، فمقتضى طريقه أن لا يتناول منها شيئاً إلا أن يحتاج إليه، ويضطر إلى الأخذ منه، فمهما أغناه الله تعالى عنه فلا يتناوله أصلاً، فمن رزقه الله تعالى حالة تغنيه عن الطعام والشراب، وتدفع عنه المحذور المدفوع بهما كما يدفعانه، وزيادة ينبغي أن لا نكلفه بها، ولو واصل الصيامَ عُمُرَه.

ثم كـان بعض الطـاوين من أهـل الله تعالى إذا طوى يتناول عنـد الغروب مفطراً ما ـ ولو قطرة ماء ـ عملاً بالسنة، وخروجاً من الخلاف.

وعلى ذلك: فينبغي أن يتناول عند السحر شيئاً ما بنية السحور عملاً بالسنة أيضاً، واغتناماً لصلاة الله وملائكته، كما في الحديث المتقـدم «إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّوْنَ عَلَىْ الْمُتَسَحِّرِيْنَ»[1].

ولما وقف شيخنا الإمام أبو العباس أحمـد ابن الشيخ الإمـام أبي النَّدى يونس العيثـاوي الشـافعي ـ نفع الله بـه، وفسح في مدتـه ـ على ما كتبته هنا استجاده، ثم قال: وفي تناوله لمفطر ما عند الغروب وعند

---

(١) تقدم تخريجه.

السحر مع العمل بالسنة فائدة أخرى، وهي أن عبادتـه تتعدد؛ فإنـه يجدد لكل يوم نية، ويحصل على عبادة الصيام، وسنة الفطر، وسنة السحور[1].

* **فَائِدَةٌ:**

روى الحاكم في «المستدرك» عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: أنَّ النبي ﷺ قال: «طَعامُ الْمُؤْمِنِيْنَ فِيْ زَمَنِ الدَّجَّالِ طَعامُ الْمَلائِكَةِ: التَّسْبِيْحُ وَالتَّقْدِيْسُ، فَمَنْ كانَ يَوْمَئِذٍ مَنْطِقَهُ التَّسْبِيْحُ وَالتَّقْدِيْسُ أَذْهَبَ اللهُ عَنْهُ الْجُوْعَ»[2].

وفي هذا الحديث دليل لما ذكرناه من أنَّ الله تعالى يهب حالة شريفة لبعض عباده تغنيه عن الطَّعام والشَّراب، وأن هذه الحالة تكون في فتنة الدَّجال لكافة المؤمنين، وإنما كانت حينئذٍ لعموم أهل الإيمان لأن من فتنة الدجال أن يمر على البلدة فيقول لأهلها: اعبدوني، واتبعوني، فإن اتبعوه أمر السَّماء فأمطرت، والأرض فأنبتت، فكانوا في أرغد عيش، وإلا أمر السماء أن لا تمطر، والأرض أن لا تنبت، فكانوا في أضيق عيش[3]، فأخبر النبي ﷺ أنَّ هذه الفتنة لا تضر المؤمنين إذا انقطعوا

---

(١) وعند ذلك لا يسمى وصالاً، قال البدر العيني في «عمدة القاري» (١١/ ٧٣): حقيقة الوصال هو أن يصل صوم يوم بصوم يوم آخر من غير أكل أو شرب بينهما.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٨٥٦١) وقال: صحيح، وقال الذهبي: كلا إذ فيه سعيد بن سنان متهم تالف.

(٣) يشير إلى حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه المشهور عن الدجال، والحديث رواه مسلم (٢٩٣٧).

بالتسبيح، والتقديس؛ فإنهم يستغنون بذلك عما تمطره السماء، وتنبته الأرض.

وروى ابن ماجه في «سننه»، وابن خزيمة في «صحيحه»، والحاكم في «مستدركه»، وغيرهم عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ: أنه قال: «يا أَيُّها النَّاسُ! إِنَّها لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ عَلَىْ وَجْهِ الأَرْضِ مُنْذُ ذَرَأَ اللهُ ذُرِّيَّةَ آدمَ أَعْظَمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ».

وفيه يقول: «وَإِنَّ قَبْلَ خُرُوْجِ الدَّجَّالِ ثَلاثَ سَنَواتٍ شِدادٍ يُصِيْبُ النَّاسَ فِيْها جُوْعٌ شَدِيْدٌ؛ يَأْمُرُ اللهُ السَّماءَ السَّنَةَ الأُوْلَىْ أَنْ تَحْبِسَ ثُلُثَ مَطَرِها، وَيَأْمُرُ الأَرْضَ، فَتَحْبِسُ ثُلُثَ نَباتِها، ثُمَّ يَأْمُرُ السَّماءَ فِيْ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ، فَتَحْبِسُ ثُلُثَيْ مَطَرِها، وَيَأْمُرُ الأَرْضَ، فَتَحْبِسُ ثُلُثَيْ نَباتِها، ثُمَّ يَأْمُرُ السَّماءَ فِيْ السَّنَةِ الثَّالِثَةِ، فَتَحْبِسُ مَطَرَها كُلَّهُ، وَيَأْمُرُ الأَرْضَ، فَتَحْبِسُ نَباتَها كُلَّهُ، فَلا تُنْبِتُ خَضْراءَ، فَلا تَبْقَىْ ذاتُ ظِلْفٍ إِلاَّ هَلَكَتْ إِلاَّ ما شاءَ اللهُ»، قالوا: فما يعيش الناس في ذلك الزمان؟ قال: «التَّهْلِيْلُ، وَالتَّكْبِيْرُ، وَالتَّحْمِيْدُ، وَيُجْرَىْ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ مَجْرَىْ الطَّعامِ»(١).

٦٤ ـ ومن أخلاق الملائكة عليهم السلام طلب ليلة القدر، والتماسها، وشهودها، والدعاء فيها، والابتهال إلى الله تعالى فيها.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤

(١) رواه ابن ماجه (٤٠٧٧).

﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ [القدر: ١ ـ ٥].

روى أبو الشيخ بن حبان في كتاب «الثواب»، والبيهقي، والأصبهاني في «الترغيب» عن ابن عبَّاس رضي الله تعالى عنهما: أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ الْجَنَّةَ لَتَتَنَجَّدُ، وَتَتَزَيَّنُ مِنَ الْحَوْلِ إِلَىٰ الْحَـوْلِ لِدُخُـوْلِ شَهْرِ رَمَضانَ»... فذكر الحديث، وفيه: «إذا كانَتْ لَيْلَةُ الْقَـدْرِ يَأْمُـرُ اللهُ ﷻ جِبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلامُ فَيَهْبِـطُ فِيْ كَبْكَبَةٍ مِنَ الْمَلائِكَـةِ وَمَعَهُمْ لِواءٌ أَخْضَرُ، فَيَرْكِزُوْنَ اللِّواءَ عَلَىٰ ظَهْرِ الْكَعْبَةِ، وَلَهُ مِئَةُ جَناحٍ؛ مِنْها جَناحانِ لا يَنْشُرُهُما إِلاَّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَيَنْشُرُهُما فِيْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ، فَيُجاوِزُ الْمَشْرِقَ إِلَىٰ الْمَغْرِبِ، فَيَحُثُّ جِبْرِيْلُ الْمَلائِكَةَ عَلَيْهِمُ السَّلامُ فِيْ هَذِهِ اللَّيْلَةِ فَيُسَلِّمُوْنَ عَلَىٰ كُلِّ قائِمٍ، وَقاعِدٍ، وَمُصَلٍّ، وَذاكِرٍ، وَيُصافِحُوْنَـهُمْ، وَيُؤَمِّنُوْنَ عَلَىٰ دُعائِهِمْ حَتَّىٰ يَطْلُعَ الْفَجْرُ، فَإِذا طَلَعَ الْفَجْرُ يُنادِيْ جِبْرِيْلُ عَلَيْـهِ السَّـلامُ مَعاشِرَ الْمَلائِكَةِ: الرَّحِيْلَ الرَّحِيْلَ، فَيَقُوْلُوْنَ: يا جِبْرِيْلُ! فَما صَنَعَ اللهُ فِيْ حَوائِجِ الْمُؤْمِنِيْنَ مِنْ أُمَّةِ أَحْمَدَ ﷺ؟ فَيَقُوْلُ: نَظَرَ اللهُ إِلَيْهِمْ فِيْ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، فَعَفا عَنْهُمْ إِلاَّ أَرْبَعَةً»، قلنا: يا رسول الله! من هم؟ قال: «رَجُلٌ مُدْمِنُ خَمْرٍ، وَعاقٌّ لِوالِدَيْهِ، وَقاطِعُ رَحِمٍ، وَمُشاحِنٌ»، الحديث[1].

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٦٩٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٢/ ٢٩١). قال ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٥٣٥): وهذا حديث لا يصح، قال يحيى بن سعيد: الضحاك عندنا ضعيف، وقال أبو حاتم الرازي: والقاسم بن الحكم مجهول، وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج بالعلاء بن عمرو.

وروى الإمام أحمد، والبزار، والطبراني بإسناد حسن صحيح، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال في ليلة القدر: «إِنَّها لَيْلَةُ سابِعَةٍ، أَوْ تاسِعَةٍ وَعِشْرِيْنَ، إِنَّ الْمَلائِكَـةَ تِلْكَ اللَّيْلَـةَ فِيْ الأَرْضِ أَكْثَـرُ مِنْ عَدَدِ الْحَصَا»[1].

* **فَائِدَةٌ:**

قال أبو عبد الرحمن السلمي في «حقائقـه» عن بعضهم في قولـه تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ ﴾[القدر: ٤].

قال: نزول الملائكة في تلك الليلة لاسترواح قلوب العارفين.

وقال في قوله تعالى: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾.

نقلاً عن بعضهم أيضاً: يأذن الله تعالى للملائكـة في زيارة عبـاده المؤمنين[2].

فيستفاد من ذلك أن من أخـلاق الملائكـة ـ أيضـاً ـ ترويح قلوب العارفين بالله تعالى؛ وذلك بالذِّكر والأنس.

وفي الحديث: «أَرِحْنا بِها يا بِلالُ»[3]؛ أي: بالصَّلاة.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٥١٩)، والطبـراني في «الأوسـط» (٤٩٣٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائـد» (٣/ ١٧٦): رواه أحمـد والبزار والطبراني في «الأوسط» ورجاله ثقات.

(٢) انظر: «حقائق التفسير» لأبي عبد الرحمن السلمي (٢/ ٤٠٩).

(٣) رواه أبو داود (٤٩٨٥) عن سالم بن أبي الجعد، عن رجل.

وروحها ذكر الله تعالى، والاقتراب منه؛ ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾[العلق: ١٩].

وكذلك يستفاد منه أن من أخلاقهم زيارة المؤمنين، ولاسيما في الأوقات الفاضلة، والليالي المباركة، وهي من السنن المؤكدة.

* **تَنْبِيْهٌ:**

التشبه بالملائكة في شهود ليلة القدر، وإحيائها، والاحتفال بها خاص بهذه الأمة؛ لأنَّ هذه الليلة خاصة بهم.

قال النووي في «شرح المهذب»: ليلة القدر مختصة بهذه الأمة لم تكن لمن قبلنا[(١)].

قال مالك ﷺ في «الموطأ»: بلغني أنَّ رسول الله ﷺ أُرِيَ أعمارَ النَّاس قبله، وما شاء الله من ذلك، فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل الذي بلغ غيرهم في طول العمر، فأعطاه الله: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[القدر: ٣][(٢)].

وروى الدَّيلمي عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ وَهَبَ لأُمَّتِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَلَمْ يُعْطِها مَنْ كانَ قَبْلَهُمْ»[(٣)].

* **فَائِدَةٌ جَلِيْلَةٌ:**

روى أبو نعيم عن عمران بن خالد الخزاعي قال: كنت عند عطاء

---

(١) انظر: «المجموع» للنووي (٦/ ٤٥٨).

(٢) انظر: «الموطأ» للإمام مالك (١/ ٣٢١).

(٣) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٦٤٧).

جالساً، فجاء رجل فقال: يا أبا محمد! إن طاوساً يزعم أن من صلى العشاء، ثم صلى بعدها ركعتين يقرأ فيها في الأولى: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾[السجدة: ١ ـ ٢]، وفي الثانية ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾[الملك: ١]، كتب له مثل وقوف ليلة القدر، فقال عطاء: صدق طاوس، ما تركتها[1].

٦٥ ـ ومن أخلاق الملائكة عليهم السَّلام ـ أيضاً ـ: السرور بفطر هذه الأمة من رمضان، وحضور صلاة العيد معهم، والاستبشار باستيفاء أجورهم.

ذكر ابن عبَّاس في حديثه المتقدم آنفاً عن النبي ﷺ قال: «فَإِذا كانَتْ لَيْلَةُ الْفِطْرِ سُمِّيَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةُ لَيْلَةَ الْجائِزَةِ، فَإِذا كانَتْ غَداةُ الْفِطْرِ بَعَثَ اللهُ ﷻ الْمَلائِكَةَ فِيْ كُلِّ بِلادٍ، فَيَهْبِطُوْنَ إِلَىْ الأَرْضِ، فَيَقُوْمُوْنَ عَلَىْ أَفْواهِ السِّكَكِ، فَيُنادُوْنَ بِصَوْتٍ يُسْمَعُ مِنْ خَلْقِ اللهِ إِلاَّ الْجِنَّ وَالإِنْسَ، فَيَقُوْلُوْنَ: يا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ! اخْرُجُوْا إِلَىْ رَبٍّ كَرِيْمٍ، يُعْطِيْ الْجَزِيْلَ، وَيَعْفُوْ عَنِ الْعَظِيْمِ، فَإِذا بَرَزُوْا إِلَىْ مُصَلاَّهُمْ، يَقُوْلُ اللهُ ﷻ لِلْمَلائِكَةِ: ما جَزاءُ الأَجِيْرِ إِذا عَمِلَ عَمَلَهُ؟ قالَ: فَتَقُوْلُ الْمَلائِكَةُ: إِلَهَنا، وَسَيِّدَنا! جَزاؤُهُ أَنْ تُوَفِّيَهُ أَجْرَهُ، قالَ: فَيَقُوْلُ: إِنِّيْ أُشْهِدُكُمْ يا مَلائِكَتِيْ أَنِّيْ قَدْ جَعَلْتُ ثَوابَهُمْ مِنْ صِيامِهِمْ شَهْرَ رَمَضانَ، وَقِيامِهِمْ رِضائِيْ، وَمَغْفِرَتِيْ، وَيَقُوْلُ: يا عِبادِيْ! سَلُوْنِيْ فَوَعِزَّتِيْ، وَجَلالِيْ لا تَسْأَلُوْنِيْ الْيَوْمَ شَيْئاً فِيْ جَمْعِكُمْ لآخِرَتِكُمْ إِلاَّ أَعْطَيْتُكُمْ، وَلا لِدُنْياكُمْ إِلاَّ نَظَرْتُ لَكُمْ، فَوَعِزَّتِيْ لأَسْتُرَنَّ عَلَيْكُمْ

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٧).

عَثَراتِكُمْ ما رَاقَبْتُمُوْنِي، وَعِزَّتِيْ لا أُخْزِيْكُمْ، وَلا أَفْضَحُكُمْ بَيْنَ أَصْحابِ الْحُدُوْدِ، انْصَرِفُوْا مَغْفُوْراً لَكُمْ، قَدْ أَرْضَيْتُمُوْنِيْ، وَرَضِيْتُ عَنْكُمْ»[1].

فتعرج الملائكة، وتستبشر بما يعطي الله ﷻ هذه الأمة إذا أفطروا من شهر رمضان.

٦٦ ـ ومنها: اختيار صحبة الصَّالحين في السفر، والتنزه عن المسافرة مع أهل المعاصي، وفي الرَّكْب الذي فيه كلب، أو جرس، أو نمر.

وروى الطبراني بإسناد حسن، عن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي ﷺ: «ما مِنْ راكِبٍ يَخْلُوْ فِيْ مَسِيْرِهِ بِاللهِ وَذِكْرِهِ إِلاَّ رَدِفَهُ مَلَكٌ، وَلا يَخْلُوْ بِشِعْرٍ وَغَيْرِهِ إِلاَّ رَدِفَهُ شَيْطانٌ»[2].

وروى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا تَصْحَبُ الْمَلائِكَةُ رِفْقَةً فِيْها جُلْجُلٌ وَلا نَمِرٌ»[3].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٩٥). وحسن المنذري إسناده في «الترغيب والترهيب» (٤/ ٣٩).

(٣) هذا الحديث هو مجموع حديثين:

الأول: رواه أبو داود (٤١٣٠) عن أبي هريرة: «لا تصحب الملائكة رفقة فيها جلد نمر».

والثاني: رواه النسائي (٥٢٢١) عن ابن عمر: «لا تصحب الملائكة رفقة فيها جلجل».

وروى هو، والإمام أحمد، ومسلم، والترمذي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَصْحَبُ الْمَلائِكَةُ رِفْقَةً فِيْها كَلْبٌ، وَلا جَرَسٌ»[1].

وروى النَّسائي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أن النبي ﷺ قال: «لا تَصْحَبُ الْمَلائِكَةُ رِفْقَةً فِيْها جُلْجُلٌ»[2].

وأخرج الإمام أحمد، وأبو داود نحوه من حديث أم حبيبة رضي الله تعالى عنها[3].

٦٧ ـ ومنها: قصد البيت الحرام بالحج، والعمرة، والزيارة، والطواف، والاعتكاف، وفعل ذلك.

تقدم قول الملائكة لآدم عليهم السلام: بِرَّ حجك يا آدم، لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام[4].

وروى الأزرقي عن وهب بن مُنبِّه رحمه الله تعالى: أنه قرأ في بعض الكتب الأولى أن ليس من ملك بعثه الله تعالى إلى الأرض إلا أمره بزيارة البيت، فينقض من تحت العرش محرماً ملبياً حتى يستلم الحجر، ثم يطوف بالبيت سبعاً، ويركع في جوفه ركعتين، ثم يصعد[5].

---

(١) رواه أبو داود (٢٥٥٥)، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٥٣٧)، ومسلم (٢١١٣)، والترمذي (١٧٠٣).

(٢) رواه النسائي (٥٢٢١).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٤٢٦)، وأبو داود (٢٥٥٤).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) رواه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٣٩).

وروى الأزرقي ـ أيضاً ـ عن ابن عبَّاس رضي الله تعالى عنهما: أن جبريل عليه السلام وقف على رسول الله ﷺ وعليه عصابة حمراء قد علاها الغبار، فقال له رسول الله ﷺ: «ما هَذا الْغُبارُ الَّذِيْ أَرَىْ عَلَىْ عِصابَتِكَ أَيُّها الرُّوْحُ الأَمِيْنُ؟» قال: «إني زرت البيت، فازدحمت الملائكة على الركن، فهذا الغبار الذي ترى مما تثيره بأجنحتها»(١).

وروى ـ أيضاً ـ عن عثمان بن يسار قال: بلغني ـ والله أعلم ـ أن الله تعالى إذا أراد أن يبعث ملكاً من الملائكة لبعض أمور في الأرض استأذنه ذلك الملك في الطواف ببيته، فيهبط الملك مهلاًّ(٢).

وروى ـ أيضاً ـ عن مقاتل، عن النبي ﷺ أنه يصلي في البيت المعمور كل يوم سبعون ألف ملك، ثم يقومون إذا أمسوا فيطوفون بالكعبة، ثم يسلمون على النبي ﷺ، ثم ينصرفون، ولا تنالهم النوبة حتى يوم القيامة(٣).

ونقل القرطبي في «تفسيره» عن الحسن: أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾[الطور: ٤]: هو الكعبة البيت الحرام الذي هو معمور من الناس، فيعمره الله تعالى في كل سنة بست مئة ألف، فإن عجز الناس عن ذلك أتمه الله تعالى بالملائكة، وهو أول بيت وضع للعبادة في الأرض(٤).

---

(١) رواه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٣٥).

(٢) رواه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٣٥).

(٣) رواه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٤٩).

(٤) انظر: «تفسير القرطبي» (١٧/ ٦٠).

وذكره أبو طالب المكي، وأبو حامد الغزالي، وغيرهما حديثاً مرفوعاً إلى النبي ﷺ، ولفظه: «إِنَّ اللهَ وَعَدَ هَذا الْبَيْتَ أَنْ يَحُجَّهُ فِيْ كُلِّ سَنَةٍ سِتُّ مِئَةِ أَلْفِ إِنْسانٍ، فَإِنْ نَقَصُوْا أَكْمَلَهُمُ اللهُ تَعَالَىْ بِالْمَلائِكَةِ»[1].

وروى أبو بكر بن أبي شيبة، عن ابن عبَّاس رضي الله تعالى عنهما قال: أول من طاف بالبيت الملائكة[2].

ورواه الطبراني في «الكبير» في أثناء حديث طويل من كلام ابن عبَّاس، ورجال إسناده ثقات[3].

وذكر الشيخ جمال الدين أبو اليمن ابن الإمام محب الدين أبي جعفر الطبري رحمهما الله تعالى في كتاب «التشويق إلى البيت العتيق» عن جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن عليٍّ رضي الله تعالى عنهم: أن الله تعالى لما قال للملائكة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾[البقرة: ٣٠]؛ ظنوا أن الله ﷻ غضب عليهم، فعاذوا بالعرش، فطافوا حوله سبعة

---

(١) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (٢/ ٢٠١)، و«إحياء علوم الدين» للغزالي (١/ ٢٤١)، قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ١٩٦): لم أجد له أصلاً.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٩٠٢).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٢٨٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٥٩): وفيه عطاء بن السائب، وهو ثقة، ولكنه اختلط، وبقية رجاله ثقات.

أطواف يسترضون ربهم، فرضي عنهم، وقال لهم: ابنوا لي في الأرض بيتاً يعوذ بـه كلٌّ من سخطتُ عليـه من خلقي، ويطوف حولـه كما فعلتم بعرشي، فأغفر له كما غفرت لكم، فبنوا هذا البيت[1].

وروى الأزرقي عن القاسم بن عبد الرحمن الأنصاري، عن محمد ابن علي، عن أبيه علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهم: أنه سئل عن بدء الطواف: لم كان؟ وأنَّى كـان؟ وحيث كـان؟ وكيف كـان؟ فقال رضي الله تعالى عنه: أما بدء هذا الطواف بهذا البيت فإن الله تعالى قال للملائكـة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[البقرة: ٣٠]، قالت الملائكـة: أي ربِّ! خليفةً من غيرنا؟ ممن يفسد فيها، ويسفك الدِّماء، ويتحاسدون، ويتباغضون؟ ويتباغون؟ أي ربِّ! اجعل ذلك الخليفة منا؛ فنحن لا نفسد فيها، ولا نسفك الدماء، ولا نتباغض، ولا نتحاسد، ولا نتباغى، ونحن نسبح بحمدك، ونقدس لك، ونطيعك، ولا نعصيك، قال الله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ٣٠].

قال: فظنَّتِ الملائكة أن ما قالوه رد على ربهم ﷻ، وأنه قد غضب من قولهم، فـلاذوا بالعـرش، ورفعـوا رؤوسهم، وأشـاروا بالأصابـع يتضرعون، ويبكون إشفاقاً لغضبـه، وطافـوا بالعرش ثلاث ساعـات، فنظر الله تعالى إليهم، فنزلت الرحمة عليهم، فوضع الله سبحانـه تحت

---

(١) وانظر: «الأحكام السلطانية» للماوردي (ص: ١٧٨)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (٢/ ٣١٧).

العرش بيتاً على أربع أساطين من زبرجد، وغشاه ياقوتة حمراء، ويسمى: البيت الضُّراح، ثم قال الله ﷻ للملائكة: طوفوا بهذا البيت، ودَعُوا العرش.

قال: فطافت الملائكة بالبيت، وتركوا العرش، وصار أهون عليهم، وهو البيت المعمور الذي ذكره الله ﷻ يدخله كل يوم وليلة سبعون ألف ملك لا يعودون فيه أبداً.

ثم إنَّ الله ﷻ بعث ملائكة فقال: ابنوا لي بيتاً في الأرض بمثاله وقدره، فأمر الله تعالى من في الأرض من خلقه أن يطوفوا بهذا البيت كما تطوف أهل السماء بالبيت المعمور.

فقال السائل لعلي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما: صدقت يا ابن بنت رسول الله ﷺ[1].

هكذا كان الضُراح ـ بضم الضاد المعجمة، وبالراء، والحاء المهملة ـ.

قلت: وهذا الأثر صريح في أن الله تعالى أراد من أهل الأرض أن يتشبهوا بأهل السماء في الطواف بالبيت وأمرهم بذلك.

وكذلك ما رواه الأزرقي ـ أيضاً ـ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما أهبط الله تعالى آدم إلى الأرض من الجنة كان رأسه في السماء، ورجلاه في الأرض، وهو مثل الفلك في رعدته، قال: فطأطأ الله

---

(١) رواه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٣٣).

منه إلى ستين ذراعاً، فقال: يا ربِّ! ما لي لا أسمع أصوات الملائكة، ولا حسهم؟ قال: خطيئتك يا آدم، ولكن اذهب فابنِ لي بيتاً، فطف به، واذكرني حوله كنحو ما رأيت الملائكة تصنع حول عرشي، قال: فأقبل آدم يتخطى، فطويت له الأرض، وقبضت لـه المفاوز، فصار كـل مفازة يمر بها خطوة. . . ، فذكر الحديث في بناء آدم البيت[1].

والبيت الحرام بنته الملائكة أولاً، ثم عفا، ثم أمر آدم ببنائه ثانيةً، كما في الأثر.

وبذلك يجمع بين ما ذكرناه آنفاً عن ابن عباس، وما ذكرناه قبله عن علي بن الحسين رضي الله عنهم.

*** فَائِدَةٌ لَطِيْفَةٌ:**

ذكر الإمام أبو سعيد الخركوشي رحمه الله تعالى في كتاب «شرف المصطفى ﷺ»: أنه ﷺ قال: «الْكَعْبَةُ مَحْفُوْفَةٌ بِسَبْعِيْنَ أَلْفاً مِنَ الْمَلائِكَةِ يَسْتَغْفِرُوْنَ لِمَنْ طافَ بِها، وَيُصَلُّوْنَ عَلَيْهِ»[2].

ففي هذا الحديث أن من أعمال الملائكة الدعاء لعامة الطائفين، والصلاة عليهم.

وقد تقدم لذلك نظائر، فينبغي الاقتداء بالملائكة في ذلك بتعميم الدعاء عند الكعبة، وغيرها من الأماكن الشريفة.

---

(١) رواه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٣٦).

(٢) وانظر: «أخبار مكة» للفاكهي (١/ ١٩٦).

وقد تلبس الإمام عمر بن عبد العزيز بهذه الخصلة الشريفة ـ فيما ذكره أبو سعيد ـ أيضاً ـ عن سفيان بن عيينة، عن ابن عبد الملك، قال: حجَّ عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه بالناس، فلما نظر إلى مجتَمَع الناس بعرفةَ قال: اللهم زد في إحسان محسنهم، وتجاوز عن مسيئهم، وراجع بمسيئهم إلى التوبة، وحُطَّ من أوزارهم بالرَّحمة[1].

قال ابن عيينة: هكذا يكون الراعي يدعو لأهل رعيته.

قلت: وإذا كان الراعي داعياً لأهل رعيته كان دعاؤه دليل الشفقة والرحمة، وبذلك يكون خيار الرعاة.

وفي «صحيح مسلم» عن عوف بن مالك رضي الله عنه: أنَّ النبي ﷺ قال: «خِيارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِيْنَ تُحِبُّوْنَهُمْ، وَيُحِبُّوْنَكُمْ، وَتُصَلُّوْنَ عَلَيْهِمْ، وَيُصَلُّوْنَ عَلَيْكُمْ، وَشِرارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِيْنَ تُبْغِضُوْنَهُمْ، وَيُبْغِضُوْنَكُمْ، وَتَلْعَنُوْنَهُمْ، وَيَلْعَنُوْنَكُمْ»[2].

*** لَطِيْفَةٌ أُخْرَىْ:**

ذكر الإمام أبو الفرج بن الجوزيِّ رحمه الله تعالى في كتاب «مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن» عن وهيب بن الورد رحمه الله تعالى قال: كنت أطوف أنا وسفيان الثوري رضي الله تعالى عنه ليلاً، فانقلب سفيان، وبقيت في الطَّواف، فدخلت الْحِجْرَ، فصليت تحت الميزاب،

---

(١) ورواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٢٩٠).

(٢) رواه مسلم (١٨٥٥).

فبينا أنا ساجد إذ سمعت كلاماً بين أستار البيت والحجارة، وهو يقول: يا جبريل! أشكو إلى الله ثم إليك هؤلاء الطائفين حولي من تفكههم في الحديث، ولغطهم وسهوهم.

قال وهيب: فأولت أن البيت شكى إلى جبريل عليه السَّلام[1].

٦٨ ـ ومن خصال الملائكة عليهم السلام: التلبية في النُّسُكِ وغيره:

روى ابن أبي الدُّنيا في كتاب «التوبة» عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَنْ لَبَّى الْمَلائِكَةُ عَلَيْهِمُ السَّلامُ، قال اللهُ تَعَالَىْ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾[البقرة: ٣٠]، فَرَادُّوْهُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ، فَطافُوْا بِالْعَرْشِ سِتَّ سِنِيْنَ يَقُوْلُوْنَ: لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ، اعْتِذاراً إِلَيْكَ، لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ نَسْتَغْفِرُكَ، وَنَتُوْبُ إِلَيْكَ»[2].

٦٩ ـ ومنها: لقاء الحجاج، ومصافحتهم، ومعانقتهم:

قال أبو الليث السَّمرقنديُّ: روي في الخبر: أنَّ الملائكة يتلقون الحاج، فيسلمون على أصحاب الجِمال، ويصافحون أصحاب البغال والحمير، ويعانقون الرَّجَّالة[3].

---

(١) انظر: «مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن» لابن الجوزي (ص: ٢٨٧).

(٢) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ١١٣) لابن أبي الدنيا في «التوبة».

(٣) انظر: «أخبار مكة» للفاكهي (٢/ ٢٧٦)، و«قوت القلوب» لأبي طالب المكي (٢/ ٢٠٠).

وروى البيهقي في «الشعب» عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: إِنَّ الْمَلائِكَةَ لَتُصافِحُ رُكَّابَ الْحَجِّ، وَتَعْتَنِقُ الْمُشاةَ[1].

٧٠ ـ ومنها: زيارة قبر النبي ﷺ:

تقدم حديث مقاتل أن الملائكة الذين ينزلون من البيت المعمور كل يوم لزيارة البيت يزورون البيت، ثم يسلمون على النبي ﷺ.

وروى الإمام أحمد، والنسائي، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم وصححه، والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه، وابن عدي في «الكامل» عن ابن عباس رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ «إِنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً سَيَّاحِيْنَ فِيْ الأَرْضِ يُبَلِّغُوْنِيْ عَنْ أُمَّتِيْ السَّلامَ»[2].

ولا يخفى أن مِنْ لازِمِ ذَلِكَ زيارتُهُ.

وذكر أبو سعيد في «شرف المصطفى»، وابن الجوزي في «مثير الغرام الساكن» عن كعب الأحبار رضي الله تعالى عنه قال: ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفاً من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون بأجنحتهم، ويصلون على النبي ﷺ، حتى إذا أمسوا عَرَجوا، وهبط مثلهم، فصنعوا مثل ذلك، حتى إذا انشقت الأرض خرج في سبعين ألفاً

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٠٩٩) وضعفه.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٤٥٢)، والنسائي (١٢٨٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٩١٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٧٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٥٨٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه.
وراوه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٣/ ٢٣٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

من الملائكة يوقرونه ﷺ[1].

ورواه أبو نعيم في «الحليـة»، والبيهقي في «شعب الإيمـان» عن وهب بن منبه، عن كعب[2].

*** لَطِيْفَةٌ:**

لعل من منع زيارة قبـر النبي ﷺ[3] والتوسل بـه، ولم يـزره أشبه الناس بالشياطين[4]، كما أن من سن زيارة قبره ﷺ والتوسل به، وزاره، وتوسل به أشبه الناس بالملائكة الحافين بقبره الشريف، المتقربين به إلى الله تعالى.

---

(١) رواه ابن الجوزي في «مثير الغرام الساكن» (ص: ٤٨٧).

(٢) رواه أبـو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٣٩٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤١٧٠).

(٣) **قلت**: لم أقف على منع زيارة قبر النبي ﷺ هكذا مطلقاً، وإنما فرقوا بين شد الرحل والسفر لمجرد زيارة قبره ﷺ، وبين زيارة قبـره ﷺ من غير شد رحـل، فالزيـارة الأولى هي التي جرى فيها الكـلام بين العلمـاء بين مانـع ومجيز، ورجح غيـر واحد من الأئمة المنع، لحديث النبي ﷺ المروي في «الصحيحين» عن أبي هريرة ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد. . .» الحديث.
أما زيارة قبره ﷺ من غير شد رحل، فهي كالمتفق عليها بين العامة والخاصة، بل هي مندوب إليها، والله أعلم.

(٤) غفر الله للمؤلف على هذا التحامـل، خصوصاً أنـه رحمه الله لم يفصل ويحرر الكلام في هذه المسألة، وحريٌّ بالمرء أن يحفظ لسانه وقلمه عن أمثال هذه الإطلاقات والعبارات، والله أعلم.

وأكثر هذا الفريق يعتقدون أنَّه ﷺ حي في قبره، وأن زيارته في قبره كزيارته قبل موته، وهذه مسألة لا يشك فيها أحد من أهل البصائر.

وقد روى الطبراني، والبزار، وابن عدي، وابن خزيمة، والدارقطني عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ زارَنِيْ بَعْدَ وَفاتِيْ فَكَأَنَّما زارَنِيْ فِيْ حَياتِيْ»[1].

وروى أبو نعيم، والبيهقي عن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «الأَنْبِيَاءُ أَحْياءٌ فِيْ قُبُوْرِهِمْ»[2].

وروى البيهقي، والأصبهاني في «الترغيب» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وَالَّذِيْ نَفْسِي بِيَدِه، لَيَنْزِلَنَّ عِيْسَىْ بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِما السَّلامُ ثُمَّ لَئِنْ قامَ عَلَىْ قَبْرِيَ لأُجِيْبَنَّهُ»[3].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٤٩٦)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٢/ ٣٨٢)، والدارقطني في «السنن» (٢/ ٢٧٨). قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٢٤/ ٣٥٧): ليس لشيء من ذلك أصل، وإن كان قد روى بعض ذلك الدارقطني والبزار في «مسنده»، فمدار ذلك على عبدالله بن عمر العمري، أو من هو أضعف منه، ممن لا يجوز أن يثبت بروايته حكم شرعي.

(٢) رواه أبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (٢/ ٤٤)، والبيهقي في «حياة الأنبياء» (ص: ٧٠).

(٣) ورواه أبو يعلى في «مسنده» (٦٥٨٤)، وأخرج نحوه الحاكم في «المستدرك» (٤١٦٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧/ ٤٩٦). قال الهيثمي في =

وروى الخطيب في «رواة مالك» ـ وقال: حديث غريب جداً ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لما مرض أبي أوصاني أن يؤتى به قبر النبي ﷺ، ويقال: هذا أبو بكر يدفن عندك يا رسول الله، فإن أذن لكم فادفنوني، وإن لم يؤذن لكم فاذهبوا بي إلى البقيع، فأتي به إلى الباب، فقيل: هذا أبو بكر، وقد اشتهى أن يدفن عندك يا رسول الله، وقد أوصانا: إن أُذِنَ لنا دخلنا، وإن لم يؤذن لنا انصرفنا، فنودينا؛ أي: ادخلوا وكرامة.

وروى أبو نعيم في «دلائل النبوة» عن سعيد بن المسيب قال: لقد رأيتني ليالي الحَرَّة وما في مسجد رسول الله ﷺ غيري، وما يأتي وقت صلاة إلا سمعت الأذان من القبر[1].

وروى الأصبهاني عن إبراهيم بن شيبان قال: حججت في بعض السنين فجئت المدينة، فتقدمت إلى قبر رسول الله ﷺ، فسلمت عليه، فسمعت من داخل الحجرة: وَعَلَيْكَ السَّلامُ.

وقد قلت في المعنى: [من الخفيف]

إِنَّما قامَتِ الأَدِلَّةُ بِالنَّصِّ
عَلَىْ وِفْقِ ما أَفادَ الشُّهُوْدُ

= «مجمع الزوائد» (٨/ ٢١١): هو في الصحيح باختصار، رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.

(١) ورواه اللالكائي في «كرامات الأولياء» (١/ ١٦٦).

أَنَّ خَيْـــرَ الْـــوَرَىٰ وَكُـــلَّ نَبــــِيٍّ
فِــــيْ حَيــــاةِ هَيْئَـــةٍ لا تَبـــِيْدُ

رُدَّتِ الـــرُّوْحُ بَعْـــدَ مَـــوْتٍ إِلَـــيْهِمْ
إِنَّ رَبِّـــيْ كَمَـــا بَـــدَاهُمْ يُعِيْـــدُ

إِنَّ أَرْضـــاً تُـــسْتَوْدَعُ الرُّسْـــلُ فِيْهـــا
لَـــيْسَ تَـــسْخُو أَنْ يَأْكُـــلَ الرُّسْـــلَ دُوْدُ

إِنَّ مَـــنْ دُوْنَهُـــمْ إِذا مـــاتَ قَـــتْلاً
لَـــــيْسَ يَبْلَـــىٰ لأَنَّ ذاكَ شَـــــهِيْدُ

فَهْـــوَ حَـــيٌّ وَالـــرِّزْقُ يَغْـــدُوْ عَلَيْـــهِ
كُـــلَّ يَـــوْمٍ وَراحَ وَهْـــوُ سَـــعِيْدُ

أَتُـــرَىٰ حِلْيَـــةُ النَّبـــِيِّيْنَ تَبْلَـــىٰ
دُوْنَ مَـــنْ دُوْنَهُـــمْ فَكَيْـــفُ تُفِيْـــدُ

لَـسْـــتَ ـ وَاللهِ ـ مُنْـصِفـــاً لَـــوْ تَـــرَاهُ
لا وَلا الْقَـــوْلُ فِيْـــهِ مِنْـــكَ سَـــدِيْدُ

إِنَّ طَـــهَ الأَمِـــيْنَ إِنْ زُرْتَ قَبْــــراً
ضَـــمَّ أَعْـــضاءَهُ وَأَنْـــتَ شَـــهِيْدُ

فَـــإِذا مـــا سَـــلَّمْتَ أَنْـــتَ عَلَيْـــهِ
مِـــنْ قَرِيْـــبٍ وَالـــشَّوْقُ مِنْـــكَ شَـــدِيْدُ

رَدَّ مِـــنْ قَبْـــرِهِ الـــسَّلامَ وَلَكِـــنْ

لَـــيْسَ يُـــصْغِيْ إِلَـــىْ الْكَـــلامِ بَلِيْـــدُ

وَإِذا فُهْـــــتَ بِالـــــسَّلامِ عَلَيْـــــهِ

نَـــائِيَ الـــدَّارِ وَالْمَـــزارُ بَعِيْـــدُ

بَلَّغَتْـــهُ الْمَلائِـــكُ الْغُـــرُّ حَقَّـــاً

عَنْـــكَ مـــا كُنْـــتَ بِالـــسَّلامِ تَجُـــوْدُ

عَجَبـــاً مِنْـــكَ فِـــيْ الـــصَّلاةِ تُنـــادِيْ

ذَاتَـــهُ أَيُّهـــا النَّبِـــيُّ الْمَجِيْـــدُ

وَتُحَيِّيْـــهِ بِالْخِطـــابِ كِفاحـــاً

ثُـــمَّ تَنْفِـــيْ حَياتَـــهُ وَتَمِيْـــدُ

فَعَلَيْـــهِ الـــصَّلاةُ مـــا افْتَـــرَّ رَوْضٌ

وَعَلَيْـــهِ الـــسَّلامُ مـــا اخْـــضَرَّ عُـــوْدُ

٧١ ـ ومن أعمال الملائكة عليهم السلام: إبلاغ النبي ﷺ من سلم عليه وصلاته، كما تقدم في حديث ابن مسعود، وابن عباس رضي الله تعالى عنهم.

وروى البخاري في «تاريخه» عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَكاً أَعْطاهُ اللهُ أَسْماءَ الْخَلائِقِ، قائِمٌ عَلَىْ

قَبْرِيَ، فَما مِنْ أَحَدٍ يُصَلِّيْ عَلَيَّ صَلاةً إِلاَّ بُلِّغْتُها»[1].

ورواه البزار، وغيره، ولفظه: «إِنَّ اللهَ تَعالَىْ وَكَّلَ بِقَبْرِيَ مَلَكاً أَعْطاهُ اللهُ أَسْماءَ الْخَلائِقِ، فَلا يُصَلِّ عَلَيَّ أَحَدٌ إِلَىْ يَوْمِ الْقِيامَةِ إِلاَّ أَبْلَغَنِيْ بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيْهِ؛ هَذا فُلانٌ ابْنُ فُلانٍ صَلَّىْ عَلَيْكَ»[2].

ويحصل على التشبه بالملائكة عليهم السلام في هذه الخصلة من يحمل إلى النبي ﷺ من الزوار سلام من لم يستطع البلوغ إليه ﷺ، وحمل الإنسان السلام عليه أمانة يتعيَّن على حاملها تأديتُها، وتحمُّلُ الزوارِ السَّلامَ إليه ﷺ محبوب مقبول فعله العلماء والصالحون.

وقد صح، واشتهر أن عمر بن عبد العزيز ﷺ كان يبرد البريد من الشام إلى المدينة للسلام على النبي ﷺ[3].

٧٢ ـ ومنها: الصلاة، والسلام على النبي ﷺ:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

---

(١) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٦/ ٤١٦) وقال: لا يتابع عليه.

(٢) رواه البزار في «المسند» (١٤٢٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٦٢): نعيم بن ضمضم ضعيف، وابن الحميري اسمه عمران، قال البخاري: لا يتابع على حديثه، وقال صاحب الميزان: لا يعرف، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٣) عزاه ابن عبد الهادي في «الصارم المنكي في الرد على السبكي» (ص: ٣٢٤) إلى ابن الجوزي في «مثير العزم الساكن»، ثم قال: ليس بصحيح عنه، بل في إسناده عنه ضعف وانقطاع.

﴿ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[الأحزاب: ٥٦] أي: اقتدوا بالله، وملائكته في ذلك.

وقد تقدم ما نقلناه عن كعب الأحبار في زيارة الملائكة لقبره الشريف.

وروى ابن عساكر عن عبد الرَّحمن بن غُنْم رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «سَلَّمَ عَلَيَّ مَلَكٌ، ثُمَّ قالَ لِيْ: لَمْ أَزَلْ أَسْتَأْذِنُ رَبِّيْ ﷻ فِيْ لِقائِكِ حَتَّىْ كانَ هَذا أَوانَ أَذِنَ لِيْ أَنِّيْ أُبَشِّرُكَ: لَيْسَ أَحَدٌ أَكْرَمَ عَلَىْ اللهِ مِنْكَ»[1].

وروى الديلمي عن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «يا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ أَنْجاكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ مِنْ أَهْوالِها وَمَواطِنِها أَكْثَرُكُمْ عَلَيَّ صَلاةً فِيْ دارِ الدُّنْيا، إِنَّهُ قَدْ كانَ فِيْ اللهِ وَمَلائِكَتِهِ كِفايَةٌ إِذْ يَقُوْلُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾[الأحزاب: ٥٦]، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الْمُؤْمِنِيْنَ لِيُثِيْبَهُمْ»[2].

٧٣ ـ ومنها: الإكثار من ذكره ﷺ المبنيُّ على محبته المستتبعة للإكثار من الصَّلاة والسَّلام عليه.

فقد قالت عائشة رضي الله عنها: من أحب شيئاً أكثر من ذكره.

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٥/ ٣١٣)، ورواه كذلك البخاري في «التاريخ الكبير» (٥/ ٢٤٧).

(٢) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٨١٧٥)، والخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (ص: ٥٧).

ورواه الديلمي في «مسند الفردوس» مرفوعاً إلى النبي ﷺ من حديثها.

وروى أبو القاسم الخَتلي في «دِيباجه»، وابن عساكر في «تاريخه» عن كعب الأحبار رحمه الله تعالى: أن الله أنزل على آدم عليه السَّلام عصياً بعدد الأنبياء المرسلين، ثم أقبل على ابنه شيث عليه السَّلام فقال: أي بُنَيَّ! أنت خليفتي من بعدي، فخذها بعمارة التقوى، والعروة الوثقى، وكلما ذكرت الله ﷻ فاذكر إلى جنبه اسم محمد ﷺ؛ فإني رأيت اسمه مكتوباً على ساق العرش ـ وأنا بين الروح، والطين ـ ثم إني طفت السماوات فلم أر في السماوات موضعاً إلا رأيت اسم محمد ﷺ مكتوباً عليه، وإن ربي أسكنني الجنة، فلم أر في الجنة قصراً، ولا غرفة إلا رأيت اسم محمد ﷺ مكتوباً عليه، ولقد رأيت اسم محمد ﷺ مكتوباً على نحور الحور العين، وعلى ورق قصب آجام الجنة، وعلى ورق شجرة طوبى، وعلى ورق سدرة المنتهى، وعلى أطراف الحجب، وبين أعين الملائكة، فأكثر من ذكره؛ فإن الملائكة تذكره في كل ساعاتها[1].

٧٤ ـ ومنها: موالاة النبي ﷺ، ومظاهرته، ومناصرته:

قال الله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤].

٧٥ ـ ومنها: محبة الصالحين، ومجالستهم، ومساعدتهم على

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٣/ ٢٨١).

طاعة الله تعالى، وتكثير سوادهم، ومؤانسة الغرباء:

روى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن كعب قال: إن إبراهيم عليه السلام شكى إلى الله تعالى فقال: يا رب! إني ليحزنني أني لا أرى أحداً في الأرض يعبدك، قال: فبعث الله تعالى ملائكة يصلون معه ويكونون معه[1].

وسبق حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: «إِنَّ لِلْمَساجِدِ أَوْتاداً الْمَلائِكَةُ جُلَسَاؤُهُمْ؛ إِنْ غابُوْا يَفْتَقِدُوْهُمْ، وَإِنْ مَرِضُوْا عادُوْهُمْ، وَإِنْ كانُوْا فِيْ حاجَةٍ أَعانُوْهُمْ»[2].

٧٦ ـ ومنها: محبة العلم، والعالم، والمتعلم، وكراهية الجهل، وأهله:

وروى أبو نعيم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ عَلَىْ بابِهِ مَلَكانِ، فَإِذا خَرَجَ قالا: اغْدُ عالِماً، أَوْ مُتَعَلِّماً، وَلا تَكُنِ الثَّالِثَ»[3].

٧٧ ـ ومنها: الإرشاد إلى أفاضل العلماء، وزهادهم، والدلالة عليهم، والإشارة بالتعلم منهم، واستفتائهم:

روى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن سويد بن

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) ورواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٦١١٠).

إبراهيم قال: شهدت الحسن ـ يعني: البصري ـ وجاءته امرأة من بني تيم الله من عُبَّاد أهل البصرة لم يكن في زمانها أفضل منها، فقالت: يا أبا سعيد! إني رأيت في المنام فيما يرى النائم كأني أستفتي ملأً من الملائكة في المستحاضة، فقالوا: تستفتينا! وفيكم الحسن بيده خاتم جبريل عليه السلام؟[1].

٧٨ ـ ومنها: موالاة العلماء، ومخالطتهم، والتبرك بهم:

روى أبو نعيم في «الحلية» عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذا الْعِلْمِ أَقْواماً فَيَجْعَلُهُمْ قادَةً يُقْتَدَىٰ بِهِمْ فِيْ الْخَيْرِ، وَتُقْتَصُّ آثارُهُمْ، وَتُرْمَقُ أَعْمالُهُمْ، وَتَرْغَبُ الْمَلائِكَةُ فِيْ خُلَّتِهِمْ، وَبِأَجْنِحَتِها تَمْسَحُهُمْ»[2].

٧٩ ـ ومنها: كتابة القرآن:

قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١١ ـ ١٦].

روى ابن جرير عن ابن عباس في الآية؛ قال: هم الملائكة[3].

---

(١) ورواه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (ص: ٧٧).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٤٦)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٨١٢٤).

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (٣٠/ ٥٣).

وقال مجاهد: السفرة: الكتبة [من] الملائكة. رواه عبد بن حُميد[1].

وقال: القاضي البيضاوي في قوله: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ﴾[عبس: ١٥]: كتبة من الملائكة ينسخون الكتب من اللوح[2].

٨٠ ـ ومنها: تعلم العلم، وتعليمه والتأدب بالآداب اللائقة بطلبة العلم والعلماء:

وقد تقدم ذلك في حديث سؤال جبريل عليه السلام عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، وأمارات الساعة، وقول النبي ﷺ: «هَذا جِبْرِيْلُ أَتاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِيْنَكُمْ»[3].

٨١ ـ ومنها: الوعظ، والنصيحة، والنطق بالحكمة:

وهذا جبريل عليه السلام جاء بذلك كله إلى الأنبياء عليهم السلام.

وقال وُهَيب بن الورد رحمه الله تعالى: بينما أنا في السوق إذ أخذ آخِذٌ بقفاي، فقال: وهيبُ! خف الله في قدرته عليك، واستحيي من الله في قربك منه، فالتفتُّ فلم أر أحداً[4].

وقال عبد العزيز بن أبان ـ وليس بالقرشي ـ: كنت أصلي ذات

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (١٩/ ٢١٦)، «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٤١٨).

(٢) انظر: «تفسير البيضاوي» (٥/ ٤٥٢).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (ص: ٣٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٤٠).

ليلة، أو كنت نائماً فهتف بي هاتف: يا عبد العزيز! نظيف الثوب حسن الصورة يتقلب بين أطباق جهنم غداً[1].

وقال عبد الواحد بن الخطاب: أقبلنا قافلين من بلاد الروم نريد البصرة، حتى إذا كنا بين الرصافة وحمص سمعنا صائحاً يصيح من تلك الرمال ـ سمعته الآذان، ولم تره الأعين ـ يقول: يا مستور! يا محفوظ! اعقل في ستر من أنت؛ فإن كنت لا تعقل في ستر من أنت فاتَّقِ الدنيا؛ فإنها حمى الله ﷻ، فإن كنت لا تتقيها فاجعلها شَرَكاً، ثم انظر أين تضع قدميك منها[2].

وقال رجاء بن عيسى: قال لي عمرو بن حزم: أتدري أي شيء كانت توبتي؟ خرجت مع أحداث بالكوفة، فلما أردت آتي المعصية هتف بي هاتف: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[المدثر: ٣٨][3].

وقال زِرُّ بن أبي أسماء: إن رجلاً دخل غَيْضَة، فقال: لو خلوت هَهنا بمعصية من كان يراني؟ فسمع صوتاً ملأ ما بين لابتي الغيضة: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[الملك: ١٤][4].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (ص: ٣٠)، و«صفة النار» (ص: ١١١).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (ص: ٢٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٥٦).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (ص: ٣٠).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (ص: ٣١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٧٧).

وقال المستلم بن سعيد: كان رجل بأرض طبرستان ـ قال: وهي أرض آسية كثيرة الشجر ـ قال: فبينما هو يسير إذ نظر إلى ورق الشجر قد جف، فتساقط، وتراكم بعضه على بعض، فجعل يفكر في نفسه وهو يسير: أترى الله ﷻ يحصي هذا كله؟ فسمع منادياً ينادي: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[الملك: ١٤][1].

روى هذه الآثار ابن أبي الدنيا في كتاب «الهواتف».

وأقرب ما يحمل عليه ما فيها أن الهواتف بهؤلاء من الملائكة عليهم السَّلام.

٨٢ ـ ومنها: قولهم فيما لا يعلمون: «لا علم لنا»، أو: «لا ندري»:

قال الله تعالى حكاية عن الملائكة عليهم السلام: ﴿قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾[البقرة: ٣٢].

قال القرطبي: الواجب على من سئل عن علم أن يقول إن لم يعلم: (الله أعلم)، و: (لا أدري) اقتداء بالملائكة، والأنبياء، والفضلاء من العلماء[2]. انتهى.

وسئل الشعبي عن مسألة فقال: لا علم لي بها، فقيل: ألا تستحيي؟ قال: ولِمَ أستحيي مما لم تستحِ منه ملائكة الرحمن حين قالوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[البقرة: ٣٢]؟.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (ص: ٣١).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (١/ ٢٨٥).

وروى الإمام أحمد، والحاكم وصححه، عن جُبير بن مُطْعِم رضي الله تعالى عنه، وأبو يعلى عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال: «أي البلاد شر؟» قال: «لا أَدْرِيْ حَتَّىْ أَسْأَلَ»، فسأل جبريل عليه السلام عن ذلك، فقال: «لا أدري حتى أسأل»، فانطلق ثم جاء، فقال: «إني سألت ربي عن ذلك، فقال: شر البلاد الأسواق»[1].

قال الحاكم: هذا الحديث أصل في قول العالم: (لا أدري)[2].

وروى ابن حبان في «صحيحه» عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أن رجلاً سأل النبي ﷺ: أيُّ البقاع شر؟ فقال: «لا أَدْرِيْ حَتَّىْ أَسْأَلَ جِبْرِيْلَ»، فسأل جبريل فقال: «لا أدري حتى أسأل ميكائيل»، فجاءه فقال: «خيرُ البقاعِ المساجدُ، وشرُّها الأسواقُ»[3].

وروى ابن مردويه بأسانيدَ حِسانٍ، عن جابر بن عبدالله، وعن قيس ابن سعد بن عبادة، وعن أنس بن مالك ـ وكلهم من الأنصار رضي الله عنهم ـ: أنَّ النبي ﷺ لما نزلت هذه الآية: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[الأعراف: ١٩٩] قال لجبريل: «ما هَذا؟» قال: «لا أدري حتى أسأل العليم»، ثم رجع فقال: «إن ربك يأمرك أن تَصِلَ من قطعك،

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٨١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٠٣)، وأبو يعلى في «المسند» (٧٤٠٣)، ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٥٤٥) كلهم عن جبير بن مطعم.

(٢) انظر: «المستدرك» للحاكم (٣٠٣).

(٣) رواه ابن حبان في «صحيحه» (١٥٩٩).

وتعطيَ من حرمك، وتعفوَ عن من ظلمك»[1].

وأنشد القرطبي ليزيد بن الوليد بن عبد الملك[2]، واستحسنه:

[من المتقارب]

إِذا مـا تَحَـدَّثْتُ فِـيْ مَجْلِـسٍ
تَنَـاْهَىْ حَـدِيْثِيْ إِلَـىْ مـا عَلِمْـتُ

وَلَـمْ أَعْـدُ عِلْمِـيْ إِلَـىْ غَيْـرِهِ
وَكَـانَ إِذا مَـا تَنَـاهَىْ سَـكَتُّ[3]

وقلت: وذيلت عليه بقولي: [من المتقارب]

وَلَـوْ جـاءَنِي أَحَـدٌ سـائِلاً
عَـنِ الـشَّيْءِ أَعْلَمُـهُ لأَفَـدْتُ

وَقُلْـتُ لِمَـا لَـمْ أَكُـنْ عَالِمـاً
بِـهِ إِنْ أَكُـنْ عَنْـهُ يَوْمـاً سُـئِلْتُ

إِلَيْـكَ اعْتِـذارِيَ لا عِلْـمَ لِـيْ
بِهَـذا وَلا غَـرْوَ فِيْمـا فَعَلْـتُ

(١) عزاه الحافظ في «فتح الباري» (٨/ ٣٠٦) إلى ابن مردويه.

(٢) في «أ»: «عبدالله».

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (١/ ٢٨٧)، و«جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (١/ ١٣٢).

مَلائِكَـــــةُ اللهِ قَبْلِـــــيْ أجـــــابُوْا
إلَـــهَ الـــسَّماءِ بِمـــا قَـــدْ أَجَبْـــتُ

٨٣ ـ ومنها: التواضع مع الأستاذ، وتعظيم حرمته، والتأدب معه:

قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾[البقرة: ٣١] إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ ﴾[البقرة: ٣٤].

قيل: أراد به السجود الحقيقي تعظيماً لآدم عليه السلام.

وقيل: أراد بالسجود التواضع لآدم، والتذلل له[١].

وذكر النَّقَّاش في تفسير هذه الآية: أن الملائكة لما أُمروا بالسجود كان أولهم سجوداً إسرافيل عليه السَّلام فلذلك منحه الله تعالى علم اللوح المحفوظ[٢].

قلت: وفيه إشارة إلى أن من كان من التلامذة أو المريدين أسرع إلى خدمة الأستاذ والشيخ وأطيب نفساً بها، كان أرقى في وراثة علم الأستاذ وأقرب؛ فإن علم اللوح المحفوظ المحيط بمجريات الكون التي سبق بها القضاء والقدر، إنما جُوزيَ به إسرافيل عليه السلام على مبادرته إلى السجود لآدم الذي أقامه الله تعالى في مقام الأستاذية والتربية للملائكة عليهم السَّلام لكونه أشبه بعلم آدم بالأسماء كلها.

---

(١) انظر: «تفسير البيضاوي» (١/ ٢٩٣).

(٢) وانظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (١/ ٤٦).

وروى ابن عساكر في «تاريخه» عن عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه قال: لما أمر الله تعالى الملائكة بالسُّجود لآدم عليهم السَّلام، كان أول من سجد إسرافيل عليه السَّلام، فأثابه الله أن كتب القرآن في جبهته[1].

وروى ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ في «العظمة» نحوه عن ضَمْرة[2].

ولا يخلو إما أن يراد بالقرآن جميع كتب الله، أو القرآن المنزل على قلب النبي ﷺ.

وعلى كلا الوجهين، فإن القرآن شبيه بعلم آدم الأسماء كلها، بل جميع العلوم في القرآن.

٨٤ ـ ومنها: الشفقة، والعطف على ولد الأستاذ وذريته ـ خصوصاً العلماء منهم، والصالحون ـ؛ فإن للملائكة عليهم السلام من الشفقة والعطف على أولاد آدم الذي هو أستاذ الملائكة ما لا يخفى، ولذلك يستغفرون لهم، ويصلون عليهم، كما تقدم.

٨٥ ـ ومنها: التواضع لوجه الله تعالى، خصوصاً مع العلماء، وطلبة العلم:

وروى أبو نعيم في «الحلية» عن كعب قال: اطلبوا العلم لله،

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧/ ٣٩٨).

(٢) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٥٦٢)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ١٢٣) لابن أبي حاتم.

وتواضعوا فيه؛ فإن الملائكة تتواضع لله[1].

وروى الإمام أحمد، وابن ماجه، وصححه ابن حبان، والحاكم، عن صفوان بن عسال ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «ما مِنْ خارِجٍ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ فِيْ طَلَبِ الْعِلْمِ إلاَّ وَضَعَتِ الْمَلائِكَةُ أَجْنِحَتَها رِضَىً بِما يَصْنَعُ»[2].

وروى البزار عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ طالِبَ الْعِلْمِ تَبْسُطُ الْمَلائِكَةُ لَهُ أَجْنِحَتَها، وَتَسْتَغْفِرُ لَهُ»[3].

وروى أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه»، وغيرهم عن أبي الدَّرداء رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ سَلَكَ طَرِيْقاً يَلْتَمِسُ فِيْهِ عِلْماً سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيْقاً إِلَىْ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَها لِطالِبِ الْعِلْمِ رِضَىً بِما يَصْنَعُ، وَإِنَّ العالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِيْ السَّماواتِ وَمَنْ فِيْ الأَرْضِ، حَتَّىْ الْحِيْتانُ فِيْ الْمَاءِ»، الحديث[4].

وهذا الباب فيه أحاديث كثيرة.

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٣٧٧).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٣٩)، وابن ماجه (٢٢٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٠).

(٣) عزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٢٤) للبزار، وقال: وفيه محمد بن عبد الملك، وهو كذاب.

(٤) تقدم تخريجه.

قد ألهمني الله تعالى في وضع الملائكة أجنحتها لطالب العلم وللعالم: أن الملائكة رأت لطالب العلم والعالم عليها حقين:

الأول: أنه ولد أستاذها، ومعلمها؛ أعني: آدم عليه السَّلام.

الثاني: أنه أراد الاقتداء بأبيه، ومشابهته في التعلم والتعليم؛ فلذلك خصته بوضع الأجنحة له تواضعاً زيادة على ما هي عليه من المودة والشفقة على سائر المؤمنين من بني آدم كما تواضعت لأبيه آدم بالسُّجود.

وهذا من لطائف العلم.

وقال الأستاذ أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى في مؤلف جمع فيه كلام أبي علي الدقاق أستاذه: وسمعته يقول في معنى قوله ﷺ: «إِنَّ الْمَلائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَها لِطالِبِ الْعِلْمِ رِضىً بِمَا يَصْنَعُ»[1]، قال: أراد به التواضع على جهة التشريف كقوله: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾[الشعراء: ٢١٥] وقوله: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾[الإسراء: ٢٤].

قال: وقيل: على الحقيقة تضع أجنحتها لهم فيمشون عليها، ولا ندركها للطافة أجسامهم.

ويحتمل أنه أراد بها يوم القيامة يضعون أجنحتهم لطالب العلم، ويحملونهم إلى الجنة.

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾[مريم: ٨٥]؛ ركباناً على أجنحة الملائكة.

---

(١) تقدم تخريجه.

قال: ثم هذا لطالب العلم، فكيف بمن طلب المعلوم؟ انتهى.

وأراد بالمعلوم: الله تعالى.

وعندي أن الملائكة عليهم السَّلام إنما تضع أجنحتها لمن أراد بعلمه وجهه سبحانه وتعالى لقوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[البينة: ٥]، ومن كان علمه محموداً عند الله تعالى.

فأما من طلب علماً مذموماً؛ كالسحر والكهانة، أو محموداً لغير الله تعالى لم تفعل الملائكه معه ذلك؛ لأنه من بُغَضَاءِ الله تعالى وأعدائه، وهم إنما يتواضعون مع أحبائه وأوليائه.

وأيضاً فإن الشياطين رفقاء مَنْ هذا وَصْفُهُم كما قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٢]، والملائكة، والشياطين لا يجتمعون؛ فافهم!

نعم، يتفاوت تواضعهم مع العلماء المصلحين من المخلصين على قدر تفاوت درجاتهم في العلم الصالح، وفي الإخلاص فيه.

* تَنْبِيْهٌ، وَمَوْعِظَةٌ:

أخبرنا شيخ الإسلام والدي إجازة عن الشيخ أبي الفتح المزي، عن شيخ الإقراء ابن الجزري صاحب «النشر»، وغيره [ح] وأخبرنا ـ أيضاً ـ عن البرهان بن أبي شريف، عن الزين القباني؛ كلاهما عن ابن الخباز، عن شيخ الإسلام أبي زكريا النواوي، أنا الأنباري، أنا الحافظ عبد القادر الرهاوي، أنا عبد الرحيم بن علي الشاهد، أنا محمَّد بن طاهر المقدسي

الحافظ، أنا أبو الفتح المفيد، أنا أبو الحسن علي بن محمد بن طلحة بن سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، سمعت أبا يحيى زكريا بن يحيى السَّاجي قال: كنا نمشي، وكان معنا رجل ماجن متهم في دينه، فقال: ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة ـ كالمستهزئ ـ، فما زال من موضعه حتى جفت رجلاه، وسقط[1].

قال الحافظ عبد القادر: إسناد هذه الحكاية كالأخذ باليدين، أو كرأي العين؛ لأن رواتها أعلام، وراويها الإمام[2].

قلت: وكذلك الرواة بيننا وبين الرهاوي كلهم أعلام مشاهير، وتوثيقهم وتعديلهم لا يحتاج إلى مزيد تقدير رحمهم الله تعالى.

وبالإسناد إلى محمد بن طاهر قال: أنا يحيى بن الحسن العلوي، أنا الحسن العتيقي، قال: سمعت عبدالله بن محمد بن محمد العكبري قال: سمعت محمد بن عبدالله بن محمد بن يعقوب الْمَتُّوْثِي، قال: سمعت أبا داود السجستانيَّ يقول: كان في أصحاب الحديث رجل خليع إلى أن سمع لحديث النبي ﷺ «إِنَّ الْمَلائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطالِبِ الْعِلْمِ رِضَىً بِما يَصْنَعُ»[3]، فجعل في رجليه مسمارين من حديد، وقال: أريد

---

(١) ذكرها النووي في «بستان العارفين» (ص: ١١١). ورواها الخطيب البغدادي في «الرحلة في طلب الحديث» (ص: ٨٥).

(٢) انظر: «بستان العارفين» للنووي (ص: ١١٢).

(٣) تقدم تخريجه.

أن أطأ أجنحة الملائكة، فأصابته الأَكِلَة في رجله.

قال النووي رحمه الله تعالى: الْمَتُّوْثِيُّ: بميم مفتوحة، ثم تاء مثناة من فوق مشددة مضمومة، ثم واو ساكنة، ثم ثاء مثلثة، ثم ياء النسب.

وقال: ذكر الإمام أبـو عبدالله محمـد بن إسماعيل بن الفضل في كتابه في «شرح صحيح مسلم» هذه الحكاية، وقال فيها: فَشُلَّتْ يداه، ورجلاه، وسائر أعضائه.

قال: ورأيت في بعض الروايات أنه تفسخت بنيته[(١)].

٨٦ ـ ومن خصال الملائكة عليهم السلام: الأمر بالسنة، ووفاء الحقوق، والحث على المحافظة على ذلك.

روى الإمام أحمـد، والطبـراني بسنـد صحيح، عـن أبي أمـامـة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما جاءَنِي جِبْرِيْلُ قَطُّ إلاَّ أَمَرَنِي بِالسِّواكِ، حَتَّىْ لَقَدْ خَشِيْتُ أَنْ أُحْفِيَ مُقَدَّمَ فَمِيْ»[(٢)].

وروى الشيخان، وغيرهما عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ قال: «ما زالَ جِبْرِيْلُ يُوْصِيْنِيْ بِالْجارِ حَتَّىْ ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ»[(٣)].

---

(١) انظر: «بستان العارفين» للنووي (ص: ١١٢).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٦٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٨٤٧).

(٣) رواه البخاري (٥٦٦٩)، ومسلم (٢٦٢٥).

وروى البيهقي بسند حسن، عن عائشة رضي الله تعالى عنها، عن النبي ﷺ قال: «ما زالَ جِبْرِيْلُ عَلَيْـهِ السَّلامُ يُوْصِيْنِي بِالْجارِ حَتَّىْ ظَنَنْتُ أَنَّـهُ سَيُوَرِّثُهُ، وَما زالَ يُوْصِيْنِي بِالْمَمْلُوْكِ حَتَّىْ ظَنَنْتُ أَنَّـهُ يَضْرِبُ لَهُ أَجَلاً أَوْ وَقْتاً إِذا بَلَغَهُ عَتُقَ»(١).

وروى الحكيم الترمذي عن حنظلة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «ما جاءَنِي جِبْرِيْلُ عَلَيْـهِ السَّـلامُ إِلاَّ أَمَرَنِيْ بِهاتَيْنِ الدَّعْوَتَيْنِ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِيْ طَيِّباً، وَاسْتَعْمِلْنِيْ صالِحاً»(٢).

إلى غير ذلك من أحاديث الإرشاد إلى الأعمال الصَّالحات المروية عن جبريل عليه السَّلام.

ومن لطائف الشيخ أبي النجيب عبد القاهر السُّهروردي قوله رضي الله تعالى عنه: [من المتقارب]

أَداءُ الْحُقُـــوْقِ دَلِيْـــلُ الْكَـــرَمْ
وَفِـــيْ ذاكَ مَرْضـــاةُ مَـــوْلَىْ الأُمَـــمْ
وَمَـــنْ قـــامَ لِلَّـــهِ فِـــيْ خَلْقِـــهِ
بِحُـــسْنِ الرِّعايَـــةِ حـــازَ الـــنِّعَمْ

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٥٥٤) وقال: أخرج مسلم حديث الجار من حديث الليث وغيره، وحديث المملوك صحيح على شرطه، وشرط البخاري.

(٢) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ٢٢٧).

٨٧ ـ ومنها: الدعاء إلى الله تعالى، والتذكير بآلائه، والتزهيد في الدنيا، والترغيب في الآخرة، والدعاء للمنفقين، وعلى الممسكين، ولا يقال: (منفق) إلا إذا أنفق في وجوه الخير، وإلا فهو غارم وخاسر.

وروى الإمام أحمد، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم وصححه، واللفظ له، عن أبي الدرداء ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «ما طَلَعَتْ شَمْسٌ قَطُّ إِلاَّ بُعِثَ بِجَنْبَتَيْها مَلَكانِ؛ إِنَّهما يُسْمِعانِ أَهْلَ الأَرْضِ إِلاَّ الثَّقَلَيْنِ: يا أَيُّها النَّاسُ! هَلُمُّوْا إِلَىْ رَبِّكُمْ، فَإِنَّ ما قَلَّ وَكَفَىْ، خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَىْ، وَلا غَرَبَتْ شَمْسٌ قَطُّ إِلاَّ وَبُعِثَ بِجَنْبَتَيْها مَلَكانِ يُنادِيانِ: اللَّهُمَّ عَجِّلْ لِمُنْفِقٍ خَلَفاً، وَعَجِّلْ لِمُمْسِكٍ تَلَفاً»[1].

وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ صَباحٍ يُصْبِحُ الْعِبادُ فِيْهِ إِلاَّ وَمَلَكانِ يَنْزِلانِ فَيَقُوْلُ أَحَدُهُما: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَيَقُوْلُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً»[2].

ورواه ابن حبان في «صحيحه»، ولفظه: «إِنَّ مَلَكاً بِبابٍ مِنْ أَبْوابِ الْجَنَّةِ...»[3].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٩٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٣٢٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٦٦٢). قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٣٤١): رواه أحمد بإسناد صحيح.

(٢) رواه البخاري (١٣٧٤)، ومسلم (١٠١٠).

(٣) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٣٣٣٣).

وَرواه الطَّبراني: «بِبابٍ مِنْ أَبْوابِ السَّماءِ يَقُوْلُ: مَنْ يُقْرِضِ الْيَوْمَ يُجْزَ غَداً، وَمَلَكٌ بِبابٍ آخَرَ يَقُـوْلُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَأَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً»[1].

وروى أبو نعيم عن الأوزاعي قال: بلغني أن في السماء ملكاً ينادي كل يوم: ألا ليت الخلائق لم يخلقوا، أو: يا ليتهم إذا خلقوا علموا لماذا خلقوا له، وجلسوا مجلساً، وذكروا ما عملوا[2].

٨٨ ـ ومنها: الإيجاز في الخطبة والتذكرة.

وروى الطبراني في «معجمه الصغير»، و«الأوسط» عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قالَ لِيْ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلامُ: أَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفارِقُهُ، وَاعْمَلْ ما شِئْتَ فَإِنَّكَ مُلاقِيْهِ، وَعِشْ ما شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ».

وقال رسول الله ﷺ: «أَوْجَزَ لِيْ جِبْرِيْلُ فِيْ الْخُطْبَةِ»[3].

٨٩ ـ ومنها: النصيحة للمسلمين:

كما يستدل لذلك بالخصال المذكورة آنفاً، وفيما سبق.

وروى أبـو نعيم في «الحليـة» عن مُطَرِّف رحمـه الله تعـالى قال:

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٩٣٥).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٤٢).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الصغير» (٧٠٤)، و«المعجم الأوسط» (٤٨٤٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٢٠): وفيه جماعة لم أعرفهم.

وجدنا أنصح عباد الله لعباد الله الملائكة، ووجدنا أغش العباد لعباد الله الشياطين[1].

٩٠ ـ ومنها: الصدق، وتصديق أهل الصدق:

قال الله تعالى حكاية عن رسل إبراهيم عليه السَّلام: ﴿وَأَتَيْنَاكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾[الحجر: ٦٤].

وتقدم قول جبريل عليه السَّلام للنبي ﷺ حين أجابه عن سؤاله عن الإسلام، والإيمان، والإحسان: «صدقت، . . . صدقت»[2].

٩١ ـ ومنها: الجهاد في سبيل الله:

روى مسلم، وغيره عن ابن عبَّاس رضي الله تعالى عنهما قال: حدثني عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلث مئة وسبعة عشر رجلاً، فاستقبل رسول الله ﷺ القبلة، ثم مد يده، فجعل يهتف بربه مادّاً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبه، فأتاه أبو بكر ﷺ فأخذ رداءه، فألقاه عن منكبه، ثم التزمه من ورائه، فقال: يا نبي الله! كذلك مناشدتك ربك؛ فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[الأنفال: ٩] الآية.

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٠٨).

(٢) تقدم تخريجه.

قال: وأمده الله تعالى بالملائكة.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: فبينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسَّوط فوقه، وصوت الفارس: أَقْدِم حَيزوم؛ إذ نظر إلى المشرك أمامه مستلقياً، فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه، وشق وجهه لضربة السوط[1]، فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري، وحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: «صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّماءِ الثَّالِثَةِ»، فقتلوا يومئذٍ سبعين، وأسروا سبعين[2].

وروى البيهقي عن خارجة بن إبراهيم رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل من القائل يوم بدر من الملائكة: «أقدم حَيْزُوم[3]»، فقال جبريل عليه السَّلام: «ما كل ملائكة السماء...»[4].

*** فَائِدَةٌ:**

روى الطبراني عن رافع بن خَديج رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ لِلْمَلائِكَةِ الَّذِيْنَ شَهِدُوْا بَدْراً فِيْ السَّماءِ لَفَضْلاً عَلَىْ مَنْ تَخَلَّفَ مِنْهُمْ»[5].

---

(١) في «أ»: «الصوت».

(٢) رواه مسلم (١٧٦٣).

(٣) قال الإمام النووي في «شرح مسلم» (١٢/ ٨٥): وهو اسم فرس الملك، وهو منادى بحذف حرف النداء، أي: يا حيزوم.

(٤) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٥٧).

(٥) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٤٣٥).

وروى البخاري عن معاذ بن رَفاعـة الزُّرقي، عن أبيه ـ وكان أبوه من أهل بدر رضي الله عنه ـ قال: جاء جبريـل إلى النبي ﷺ، فقال: «ما تَعُـدُّون أهل بدرٍ فيكم؟ قال: مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِيْنَ» ـ أو كلمـة نحوها ـ، قال: «كذلك من شهد بدراً من الملائكة»[1].

وروى أبو نعيم في «معرفة الصحابة» عن رفاعة بن رافع بن مالك قال: سمعت أبي يقـول: إن جبريل عليـه السـلام قال لرسول الله ﷺ: «كيف أهل بدر فيكم؟ قال: هُمْ أَفاضِـلُنا»، فقال جبريل عليه السلام: «ومن شهد بدراً من الملائكة هم أفاضلنا»[2].

قال شيخ الإسلام الوالد في «تفسيره»: [من الرجز]

وَمالِـــكٌ رَوَىْ بَلاغـــاً أَنْ سَـــأَلْ
نَبـــِيَّنَا جِبْرِيْـــلُ مـــا هُـــوَ مَحَـــلْ

غُـــزاةِ بَـــدْرٍ فِـــيْكُمُ قـــالَ الْخِيـــارْ
فَقـــالَ إِنَّهُـــمْ كَـــذَلِكَ يُـــشارْ

إِلَـــيْهِمُ فِيْنـــا فَـــدَلَّ ذَلِـــكْ
أَنَّ اصْـــطِفاءَ النَّـــاسِ وَالْمَلائِـــكْ

---

(١) رواه البخاري (٣٧٧١).

(٢) رواه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٢/ ١٠٤٢).

لَـــمْ يَــكُ بِالـــذَّاتِ وَلَكِـــنْ بِالْفِعـــالْ

وَأَنَّ مِـــنْ أَفْـــضَلِ الاعْمـــالِ الْقِتـــالْ

* تَنْبِـيْهٌ:

روى محمد بن جرير الطبري، والبيهقي، وأبو نعيم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كانت سيماء الملائكة يوم بدر عمائم بيض أرسلوها في ظهورهم و يوم حنين عمائم حمر، ولم تقاتل الملائكة في يوم سوى يوم بدر، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عدداً، ومدداً، لا يضربون[1].

وقوله: (لم تقاتل الملائكـة في يوم سوى يوم بـدر)؛ أي: في حروب النبي ﷺ، وفي مشهد الناس.

ويجوز أنها كانت تقاتل في بعض حروبه غير بدر، ولم يشهدها أحد، ولم يخبرهم النبي ﷺ عن ذلك، أو لم يبلغ ابن عباس ذلك، وهذا أحسن الأوجه كلها.

وقد صح أنهم قاتلوا في أُحُدٍ أيضاً.

فروى الشيخان عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: رأيت يوم أحد عن يمين رسول الله ﷺ، وعن يساره رجلين عليهما ثياب

---

(١) رواه الطبري في «التاريخ» (٢/ ٣٦)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٥٧).

بيض يقاتلان عن رسول الله ﷺ، ما رأيتهما قبل ذلك، ولا بعده[1]؛ يعني: جبريل، وميكائيل عليهما السَّلام.

وروى الطبراني، وغيره عن محمود بن لَبيد رضي الله تعالى عنه قال: قال الحارث بن الصِّمَّة ﷺ: سألني النَّبي ﷺ يوم أحد وهو في الشِّعْبِ عن عبد الرَّحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه فقلت: رأيته إلى جنب الجبل، فقال: «إِنَّ الْمَلائِكَةَ تُقاتِلُ مَعَهُ».

قال الحارث: فرجعت إلى عبد الرَّحمن، فأجد بين يديه سبعة صرعى، فقلت: ظفرت عينك! أكلَّ هؤلاء قتلت؟ قال: أَمَّا هذا وهذا فإني قتلتهما، وأما هؤلاء فقتلهم من لم أره، فقلت: صدق الله ورسوله[2].

ومن مقاتلة الملائكة عليهم السَّلام في غير حروب رسول الله ﷺ ما قاله الشيخ أبو الفتح بن سيد الناس اليعمري الحافظ في كتاب «المقامات العلية في الكرامات الجلية»، وهي قصيدة عينية نظمها في كرامات بعض الصحابة، وشرحها، وقال فيها بعد أن مدح النبي ﷺ، وذكر مناقب أصحابه رضي الله تعالى عنهم: [من الكامل]

وَسَرَتْ سَرِيْرَتُنا إِلَىْ أَصْحابِهِ
فَلَهُمْ خَوارِقُ ما ادَّعاها مُدَّعِيْ

---

(١) رواه البخاري (٣٨٢٨)، ومسلم (٢٣٠٦).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣/ ٢٧١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١١٤): وفيه عبد العزيز بن عمران وهو ضعيف.

فَلِعَسْكَرِ الصِّدِّيْقِ إِمْدادُ السَّما
وَلَمْ تَلُحْ مِنْ بَعْدِها فِيْ مَجْمَعِ

ثم قال في الشرح المذكور: أما شهود الملائكة الحروب التي كانت في خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه فذكره الثعلبي، وغيره من المفسرين.

قال: وذكر وليمة بن موسى في كتاب «الردة» في قتالِ خالدِ بن الوليد رضي الله تعالى عنه مسيلمةَ أن غلامين من أهل اليمامة من بني يَشْكُر نظر أحدهما في اليوم الأول من أيام القتال، فقال لأخيه: هل ترى ما أرى؟ قال: نعم، قال: فما ترى؟ قال: أرى ملائكة تنزل من السماء بأيديها سيوف من نار تضرب وجوه القوم وأدبارهم، فقال: لقد رأيت.

ذكر الخبر، وذكر فيه قولهما لخالد رضي الله تعالى عنه: لقينا ملائكة السماء وبأيديها[1] سيوف من نار، فخفنا يوماً كيوم بدر. ا.هـ.

٩٢ ـ ومن خصال الملائكة عليهم السَّلام: تكثير سواد المجاهدين، كما علمت من خبر ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

وروى الإمام أحمد، والبزار وصححه، والبيهقي عن عليٍّ رضي الله تعالى عنه قال: قيل لي ولأبي بكر رضي الله تعالى عنه يوم بدر؛ قيل لأحدنا: «معك جبريل»، وقيل للآخر: «معك ميكائيل»، قال: وإسرافيل

(١) في «أ»: «وبأيديهما».

ملك عظيم يشهد القتال ولا يقاتل، ويكون في الصَّف[1].

٩٣ ـ ومنها التسويم في الحرب:

قال الله تعالى: ﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[آل عمران: ١٢٥].

قرأ أبو عمر، وابن كثير، وعاصم: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ ـ بكسر الواو ـ على أنه اسم فاعل؛ أي: معلمين أنفسهم، وخيلهم، أو مرسلين خيلهم في الغارة.

وقرأ الباقون بفتح الواو على أنه اسم مفعول؛ أي: معلمين بعلامات.

واختلف في تلك العلامات، فقال علي رضي الله تعالى عنه: إن الملائكة اعتمت بعمائم بيض أرسلوها بين أكتافهم، وذلك في يوم بدر[2].

وتقدم عن ابن عباس نظيره، واستثنى منهم جبريل عليه السَّلام؛ فإنه كان بعمامة صفراء على مثال الزُّبير بن العوَّام رضي الله تعالى عنه.

روى أبو نعيم في «فضائل الصحابة» عن عروة رحمه الله تعالى

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ١٤٧) واللفظ له، والبزار في «المسند» (٧٢٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٥٥)، ولفظ البزار: «قال لي رسول الله ﷺ ولأبي بكر». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٥٨): رجال أحمد والبزار رجال الصحيح.

(٢) تقدم تخريجه.

قال: نزل جبريل عليه السلام يوم بدر على سيما الزبير وهو معتجر بعمامة صفراء[1].

وروى هو، وابن عساكر عن عباد بن عبدالله بن الزُّبير: أنه بلغه أن الملائكة نزلت يوم بدر وهم طير بيض عليهم عمائم صفر، وكان على رأس الزبير يومئذٍ عمامة صفراء، فقال النبي ﷺ: «نَزَلَتِ الْمَلائِكَةُ عَلَىٰ سِيْما أَبِيْ عَبْدِاللهِ»، قال: وجاء النبي ﷺ وعليه عمامة صفراء[2].

وروى ابن أبي شيبة، وابن جرير، وغيرهما عن عبدالله بن الزُّبير رضي الله تعالى عنهما: أن الزُّبير كان عليه يوم بدر عمامة صفراء معتجراً بها، فنزلت الملائكة عليهم عمائم صفر[3].

وروى الطَّبراني بسند ضعيف، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم سود، ويوم حنين عمائم حمر[4][5].

---

(١) رواه أبو نعيم في «فضائل الخلفاء الراشدين» (ص: ٢٠٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣٠).

(٢) رواه أبو نعيم في «فضائل الخلفاء الراشدين» (ص: ٢٠١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٨/ ٣٥٤).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٢٧٢٤)، والطبري في «التفسير» (٤/ ٨٣)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٣/ ٧٥٥).

(٤) في «أ»: «يوم بدر عمائم سوداً، ويوم حنين عمائم حمراً، بنصب سوداً وحمراً»، والمثبت من «المعجم الكبير» للطبراني (١١٤٦٩).

(٥) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٤٦٩). وضعف السيوطي إسناده=

وروى هو، وابن إسحاق عنه قال: كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض أرسلوها في ظهورهم، ويوم حنين عمائم حمر[1][2].

وقيل: كانت سيماهم أنهم كانوا على خيل بُلْقٍ[3].

وروى البيهقي، وابن عساكر عن سهيل بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: رأيت يوم بدر رجالاً بيضاً على خيل بُلْقٍ بين السماء والأرض معلمين يقتلون ويأسرون[4].

وروى ابن أبي شيبة، وغيره عن عليٍّ بن أبي طالب ﷺ قال: كانت سيما الملائكة يوم بدر الصوف الأبيض في نواصي الخيل وأذنابها[5].

= في «الإتقان في علوم القرآن» (٤/ ٥٠٦).

(١) في «أ»: «يوم بدر عمائم بيضاً أرسلوها في ظهورهم، ويوم حنين عمائم حمراً، بنصب بيضاً وحمراً»، والمثبت من «المعجم الكبير» للطبراني (١٢٠٨٥).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٠٨٥). وانظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٣/ ١٨٢). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٨٣): رواه الطبراني وفيه عمار بن أبي مالك الجنبي ضعفه الأزدي.

(٣) قاله الربيع، انظر: «تفسير القرطبي» (٤/ ١٩٦).

(٤) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٥٧).

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٢٧٢٣) و(٣٦٦٦٩) ولفظه فيهما: كان سيما أصحاب رسول الله ﷺ يوم بدر الصوف الأبيض، ورواه ابن أبي حاتم=

وروى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في قوله: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾[آل عمران: ١٢٥]؛ قال: بالعِهْن الأحمر[١].

وروى هو، وابن أبي شيبة عن مجاهد في قوله: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾؛ قال: معلمين، مجزوز أذناب خيولهم، ونواصيها فيها الصُّوف والعِهْن[٢].

قلت: هذا يصلح أن يكون أصلاً فيما يعتاده الناس من جز أذناب الخيل ونواصيها، لكنهم يخصون ذلك بصغار الخيل المركوبة، والله الموفق.

وروى البيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وحكيم بن حزام رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال يوم بدر لأبي بكر رضي الله عنه: «أَبْشِرْ يا أَبا بَكْرٍ، هَذا جِبْرِيْلُ مُعْتَجِرٌ بِعَمامَةٍ صَفْراءَ آخِذٌ بِعِنانِ فَرَسِهِ بَيْنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ»[٣].

قال في «القاموس»: الاعتجار: لف العمامة دون التلحي[٤].

= في «التفسير» (٣/ ٧٥٤) بلفظ المؤلف دون قوله: «في نواصي الخيل وأذنابها». وكأن المصنف تابع السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٣١٠) الذي رواه كما هنا.

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٣/ ٧٥٤).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٣/ ٧٥٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٢٧٧١).

(٣) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٥٤).

(٤) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٥٦٠) (مادة: عجر).

وفي «النهاية»: إنه لف العمامة على رأسه، ورد طرفها على وجهه، ولا يعمل منها شيئاً تحت ذقنه[1].

قلت: وهذه الهيئة لائقة بالحرب؛ فإن في كشف الوجه دون التلحي إظهاراً للشجاعة، وكمالاً للمبارزة، وفي رد طرف العمامة على الوجه ضبطاً لها وصيانةً عن السقوط عند الفروسية والطعان.

وفي جميع ما ذكرناه دليل على اتخاذ الشارة والعلامة لطوائف المقاتلة وكتائبها، يجعلها السلطان أو نائبه لهم لتتميز كل كتيبة وطائفة من غيرها، ونص عليه القرطبي في «تفسيره»[2].

وروى ابن جرير عن عكرمة في قوله: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾[آل عمران: ١٢٥]؛ قال: عليهم سيما القتال[3].

قلت: وهذا شامل للبس الدرع، والمِغْفَر، وحمل السلاح، والدَّرْق، وغير ذلك من آلات القتال.

وعليه: فمن تلبس بذلك كله فهو متشبه بالملائكة عليهم السَّلام.

٩٤ ـ ومن خصال الملائكة عليهم السَّلام: ركوب الخيل في الحرب ـ وخصوصاً البُلْق ـ لما تقدم من فعل الملائكة يوم بدر من نزولهم على خيل بُلْقٍ.

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣/ ١٨٥).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٤/ ١٩٧).

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (٤/ ٨٣).

قال القرطبي: ولعلهم نزلوا على الخيل البُلْقِ موافقة لفرس المقداد رضي الله تعالى عنه؛ فإنه كان أبلق، ولم يكن لهم فرس غيره، فنزلت الملائكة على الخيل البُلْقِ إكراماً للمقداد، كما نزل جبريل عليه السَّلام معتجراً بعمامة صفراء على مثال الزُّبير رضي الله عنه[1].

قلت: وفي ذلك إشارة إلى استحباب الملائكة عليهم السَّلام للتشبه بالصالحين، وقد تقدم نظير ذلك.

وفي كون فرس المقداد وخيل الملائكة بلقاً في بدر، وحصول النصرة فيها دليل واضح على يُمْنِ الخيل البلق، ورَدٌّ على من يتطير بالفرس الأبلق، والله الموفق.

٩٥ ـ ومنها: معاونة المجاهدين، ومساعدتهم، وحَسُّ الكَلال عنهم وعن دوابهم.

روى محمَّد بن سعد في «طبقاته» عن محمود بن لَبيد رضي الله تعالى عنه قال: حدثنا عبيد بن أوس قال: لما كان يوم بدر أسرت العباس وعقيل بن أبي طالب، فلما نظر إليهما رسول الله ﷺ قال: «أَعانَكَ عَلَيْهِما مَلَكٌ كَرِيْمٌ»[2].

وروى ابن أبي شيبة عن محمد بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال: إنَّ رسول الله ﷺ قال يوم أحد: «اقْدُمْ مُصْعَبُ»، فقال له عبد الرَّحمن

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (٤/ ١٩٧).

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٤/ ١٢).

ابن عوف رضي الله تعالى عنـه: يا رسول الله! ألم يقتل مصعب؟ قال: «بَلَىٰ، وَلَكِنْ مَلَكٌ قامَ مَقامَهُ، وَتَسَمَّىٰ بِاسْمِهِ»[1].

وروى ابن عساكر، وغيره عن سعد بن أبي وقاص قال: لقد رأيتني أرمي بالسهم يوم أحد فيرده علي رجل أبيض حسن الوجه لا أعرفه حتى كان بعد، فظننت أنه ملك[2].

وروى هو، والبيهقي عن عمير بن إسحاق قال: لما كان يوم أحد انكشفوا عن رسول الله ﷺ، وسعد يرمي بين يديـه، وفتى ينبل لـه، كلما ذهبت نَبَلة أتاه بها، وقال: ارم أبا إسحاق! فلمَّا فرغوا نظروا مَنِ الشَّابُ، فلم يروه، ولم يُعرف[3].

وروى الطبـراني في «معجمـه الكبيـر» عن أبي الـدَّرداء رضي الله تعالى عنـه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً يَنْزِلُوْنَ فِيْ كُلِّ لَيْلَةٍ يَحُسُّوْنَ الْكَلالَ[4] عَنْ دَوابِّ الْغُزاةِ إِلاَّ دابَّةً فِيْ عُنُقِها جَرَسٌ»[5].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٧٧٠).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٠/ ٣٢٠).

(٣) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٠/ ٣٠٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٢٥٧).

(٤) أي: يذهب عنها التعب بحسها وإسقاط التراب عنها. انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (١/ ٣٨٥).

(٥) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٦٧): رواه الطبراني، وفيه ليث بن أبي سليم، وهو مدلس، وبقية رجاله ثقات، وفي بعضهم كلام لا يدفع عدالتهم.

وروى الخطيب البغدادي في «تالي التلخيص» عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: أصبح رسول الله ﷺ يمسح فرساً له بثوبه ويقول: «عاتَبَنِيْ فِيْهِ جِبْرِيْلُ الْبارِحَةَ».

وروى أبو داود في «المراسيل» عن نعيم بن أبي هند رحمه الله تعالى: أنَّ النَّبيَّ ﷺ أُتِيَ بفرس، فقام إليه يمسح وجهه وعينيه ومنخريه بكُمِّ قميصه، فقيل: يا رسول الله! تمسح بكم قميصك؟ فقال: «إِنَّ جِبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلامُ عاتَبَنِيْ فِيْ الْخَيْلِ»[1].

٩٦ ـ ومنها: تثبيت المجاهدين، وتشجيعهم:

قال الله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[الأنفال: ١٢].

قال القاضي البيضاوي: بالبشارة، أو بتكثير سوادهم، أو بمحاربة أعدائهم[2].

وروى البيهقي في «دلائل النبوة» عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان الملك يتصور في صورة من يعرفون من الناس يثبتونهم، فيقول: إني دنوت منهم ـ يعني: الكفار ـ فسمعتهم يقولون: لوحملوا علينا ما ثبتنا ليسوا بشيء[3].

---

(١) رواه أبو داود في «المراسيل» (٢٩١)، ورواه ابن عبد البر في «التمهيد» (٢٤/ ١٠١) عن عروة البارقي نحوه مسنداً.

(٢) انظر: «تفسير البيضاوي» (٣/ ٩٣).

(٣) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٦٠).

فذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾[الأنفال: ١٢].

قلت: والكذب في الحرب نَصَّ رسول الله ﷺ على إباحته[1]، لكن الأحسن أن يحمل ذلك من الملائكة على حقيقته، وأن الملك كان يدنو من الكفار فيسمعهم يقولون ذلك لشدة ما دخل قلوبهم من الرُّعب، ثم يبلغون ذلك المؤمنين تثبيتاً لهم، والله الموفق.

٩٧ ـ ومنها: حفظ العبد وحراسته، وكَلأَتُه من الشياطين ومن كل ما يؤذيه، وإحصاء حسناته له، وسيئاته عليه، وكتابة ذلك.

ويتشبه بالملائكة في ذلك من حفظ أخاه المؤمن في نفسه بالحراسة، والجاه، والذبِّ عنه وعن ماله وعرضه، وبتعويذه بأسماء الله تعالى وكلماته، وبتعلم الفرائض والحساب والكتابة، ونحو ذلك.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[الانفطار: ١٠ ـ ١٢].

وقال تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾[الأنعام: ٦١].

قال السُّدِّي: هم المعقبات من الملائكة يحفظونه، ويحفظون

---

(١) جاء التصريح بإباحة الكذب في الحرب في أحاديث منها: ما رواه أبو داود (٤٩٢١) عن أم كلثوم بنت عقبة قالت: كان رسول اللهِ ﷺ يقول: «لا أَعُدُّهُ كَاذِبًا الرَّجُلُ يُصْلِحُ بين الناس يقول الْقَوْلَ ولا يُرِيدُ بِهِ إلا الإِصْلاَحَ، وَالرَّجُلُ يقول في الْحَرْبِ، وَالرَّجُلُ يحدث امْرَأَتَهُ، وَالْمَرْأَةُ تُحَدِّثُ زَوْجَهَا».

عمله. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم[1].

وقال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾[الرعد: ١١].

قال مجاهد: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ﴾[الرعد: ١١]؛ يعني: هي الْحَفَظة[2].

وقال ابن عباس: هم الملائكة تعقب بالليل والنهار؛ تكتب على ابن آدم.

رواهما ابن جرير، وابن المنذر[3].

وروى الطبراني عن أبي عُبيدة بن عبدالله بن مسعود قال: كان عبدالله - يعني: أباه رضي الله تعالى عنه - يقول: يتدارك الحرسان من ملائكة الله ﷻ حارس الليل، وحارس النهار عند طلوع الفجر[4].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الآية: ليس من عبد إلا ومعه ملائكة يحفظونه من أن يقع عليه حائط، أو يتردَّى في بئر، أو يأكله سبع، أو غرق، أو حرق، فإذا جاء القدر خَلَّوا بينه وبين القدر. رواه ابن

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٧/ ٢١٦)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٤/ ١٣٠٦).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (١٣/ ١١٥).

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (١٣/ ١١٦).

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩١٣٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٣١٨): أبو عبيدة لم يسمع من أبيه.

المنذر، وأبو الشيخ[1].

وفي رواية لابن المنذر: لكل عبد حفظةٌ يحفظونه؛ لا يخر عليه حائط، أو يتردى في بئر، أو يصيبه دابة، حتى إذا جاء القدر الذي قدر له تخلت عنه الحفظة، فأصابه ما شاء الله أن يصيبه[2].

وأخرجه أبو داود، وابن أبي الدنيا، وابن عساكر.

وفي رواية لأبي داود: ليس من الناس أحد إلا وقد وكل به ملك فلا تريده دابة، أو شيء إلا قال: اتقه، اتقه، فإذا جاء القدر خلى عنه[3].

وروى ابن جرير عن أبي مَجْلِز قال: جاء رجل من مُرادٍ إلى عليٍّ وهو يصلي، فقال: احترس فإن ناساً من مراد يريدون قتلك، فقال: إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر عليه، فإذا جاء القدر خَلَّيا بينه وبينه، وإن الأجل عدة حصينة[4].

وروى هو، وأبو الشيخ عن كعب الأحبار قال: لو تجلى لابن آدم كل حزن وسهل لرأى على كل شيء من ذلك شياطين، لولا أن الله

---

(١) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٦١٥) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ.

(٢) ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤١/ ٥٥١).

(٣) ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٨/ ١٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٦١٥) ونسباه إلى أبي داود في «القدر».

(٤) رواه الطبري في «التفسير» (١٣/ ١١٩)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٣٤).

وكل بكم ملائكة يذُبُّون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم إذن لتَخَطَّفَتْكم[1].

وروى ابن أبي الدُّنيا في «مكائد الشيطان»، والطبراني عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وُكِّلَ بِالْمُؤْمِنِيْنَ ثَلاثُ مِئَةٍ وَسِتُّوْنَ مَلَكاً يَدْفَعُوْنَ عَنْهُ ما لَمْ يُقَدَّرْ عَلَيْهِ؛ مِنْ ذَلِكَ: لِلْبَصَرِ سَبْعَةُ أَمْلاكٍ يَذُبُّوْنَ عَنْهُ كَما يُذَبُّ عَنْ قَصْعَةِ الْعَسَلِ مِنَ الذُّبابِ فِيْ الْيَوْمِ الصَّائِفِ، وَما لَوْ بَدا لَكُمْ لَرَأَيْتُمُوْهُ عَلَىْ كُلِّ سَهْلٍ وَجَبَلٍ كُلُّهُمْ باسِطٌ يَدَيْهِ فَاغِرٌ فاهُ، وَما لَوْ وُكِلَ الْعَبْدُ إِلَىْ نَفْسِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ لاخْتَطَفَتْهُ الشَّياطِيْنُ»[2].

وروى ابن جرير عن كِنانة العدويِّ قال: دخل عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! أخبرني عن العبد كم معه من ملك؟ فقال: «مَلَكٌ عَنْ يَمِيْنِكَ عَلَىْ حَسَناتِكَ، وَهُوَ أَمِيْرٌ عَلَىْ الَّذِيْ عَلَىْ الشِّمالِ؛ إِذا عَمِلْتَ حَسَنَةً كُتِبَتْ عَشْراً، فَإِذا عَمِلْتَ سَيِّئَةً قالَ الَّذِيْ عَلَىْ الشِّمالِ: أَكْتُبُ؟ قالَ: لا، لَعَلَّهُ يَسْتَغْفِرُ اللهَ وَيَتُوْبُ، فَإِذا قالَ ثَلاثاً قالَ: نَعَمْ، اكْتُبْهُ أَراحَنَا اللهُ مِنْهُ، فَبِئْسَ الْقَرِيْنُ ما أَقَلَّ مُراقَبَتَهُ لِلَّهِ، وَأَقَلَّ اسْتِحْياءَهُ مِنْهُ، يَقُوْلُ اللهُ تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (١٣/ ١١٩)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ٩٦٩).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٧٠٤) مع اختلاف في بعض الألفاظ. قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٧٢٣): رواه ابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان»، والطبراني في «المعجم الكبير» بإسناد ضعيف.

رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[قٓ: ١٨]، وَمَلَكانِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ وَمِنْ خَلْفِكَ؛ يَقُوْلُ اللهُ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾[الرعد: ١١]، وَمَلَكٌ قابِضٌ عَلَىْ ناصِيَتِكَ، فَإِذا تَواضَعْتَ لِلَّهِ رَفَعَكَ، فَإِذا تَجَبَّرْتَ عَلَىْ اللهِ قَصَمَكَ، وَمَلَكانِ عَلَىْ شَفَتَيْكِ لَيْسَ يَحْفَظانِ عَلَيْكَ إِلاَّ الصَّلاةَ عَلَىْ مُحَمَّد ﷺ، وَمَلَكٌ قائِمٌ عَلَىْ فِيْكَ لا يَدَعُ [الحيَّةَ تدخل][1] فِيْ فِيْكَ، وَمَلَكانِ عَلَىْ عَيْنَيْكَ، فَهَؤُلاءِ عَشَرَةُ أَمْلاكٍ عَلَىْ كُلِّ بَنِيْ آدَمَ، يَنْزِلُوْنَ مَلائِكَةُ اللَّيْلِ عَلَىْ مَلائِكَةِ النَّهارِ؛ لأَنَّ مَلائِكَةَ اللَّيْلِ سِوَىْ مَلائِكَةِ النَّهارِ، فَهَؤُلاءِ عِشْرُوْنَ مَلَكاً عَلَىْ كُلِّ آدَمِيٍّ، وَإِبْلِيْسُ بِالنَّهارِ وَوَلَدُهُ بِاللَّيْلِ»[2].

* تَنْبِيْهٌ:

قال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى في قوله: ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾[الرعد: ١١]؛ قال: حفظهم إياه من أمر الله. رواه ابن جرير[3].

وقال ابن عباس: ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾[الرعد: ١١]؛ قال: عن أمر الله من بين يديه، ومن خلفه[4].

---

(١) زيادة من «تفسير الطبري» (١٣/ ١١٥).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (١٣/ ١١٥). قال ابن كثير في «التفسير» (٢/ ٥٠٥): حديث غريب جداً.

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (١٣/ ١١٧).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٧/ ٢٢٣٢)، وكذلك رواه الطبري في «التفسير» (١٣/ ١١٨).

قال أيضاً: ﴿مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾: بإذن الله. رواهما ابن أبي حاتم[1].

وقال: ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾: بأمر الله. رواه أبو الشيخ[2].

فـ: (مِنْ) للتبعيض على قول سعيد؛ أي: حفظهم إياه بعض أمر الله.

وللسببية على قول ابن عباس؛ أي: حِفْظُهم إياه ناشئ عن أمر الله تعالى، فهم مسخرون من قِبَلِه سبحانه لحفظ العبد، وحفظه من جملة أعمالهم التي بأمره يعملون.

وليس معنى الآية أنهم يحفظونه من قضاء الله وقدره؛ فإن هذا محال.

٩٨ ـ ومن أعمال الملائكة عليهم السلام: السعي في مصالح المسلمين؛ فإنهم يصعدون بأعمالهم الصَّالحة، ويسوقون أرزاقهم إليهم بإذن الله تعالى.

روى الحاكم وصححه، والبيهقي، وغيرهما عن المحارب بن سليم قال: قال عبدالله رضي الله تعالى عنه: إذا حدثناكم بحديث بتصديق ذلك من كتاب الله ﷻ: إن العبد المسلم إذ قال: الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وتبارك الله، أخذها ملك، فجعلها تحت

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٧/ ٢٢٣٢)، والطبري في «التفسير» (١٣/ ١١٧).

(٢) وكذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٦١٢).

جناحه، ثم صَعِدَ بها، فلا يمر على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن، حتى يجيء بها وجه الرحمن، ثم قرأ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[فاطر: ١٠][1].

وقد تكلم حجة الإسلام أبو حامد في كتاب الشكر من «الإحياء» في تسخير الله تعالى الملائكة عليهم السلام لعباده في القيام بمصالح أغديتهم ومنافعهم بما لا مزيد عليه؛ كالملائكة الموكلين بالسحاب، وغيرهم[2].

وروى الديلمي في «مسند الفردوس» عن بُريدة الأسلمي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ نبْتٍ يَنْبُتُ إلاَّ وَتَحْتَهُ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ بِهِ حَتَّىٰ يُحْصَدَ»[3].

وروى ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن عبدالله بن الحارث قال: ما في الأرض من شجرة ـ صغيرة ولا كبيرة، كمغرز إبرة، رطبة

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٥٨٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٢٥)، ورواه أيضاً الطبراني في «المعجم الكبير» (٩١٤٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٩٠): رواه الطبراني، وفيه المسعودي، وهو ثقة، ولكنه اختلط، وبقية رجاله ثقات.

(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٤/ ١٢٠) وما بعدها.

(٣) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٦١٤٣). قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ١٠٣١): وفيه محمد بن صالح الطبري، وأبو بحر البكرواي، واسمه عثمان بن عبد الرحمن، وكلاهما ضعيف.

ولا يابسة ـ إلا عليها ملك موكل بها يأتي الله بعلمها ـ أي: وهو أعلم ـ؛ رطوبتها إذا رطبت، ويبسها إذا يبست كل يوم(١).

قال الأعمش: وهذا في الكتاب: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[الأنعام: ٥٩](٢).

قلت: ولا شك أن هذا تسخير للملائكة في حفظ أرزاق العباد.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾[الجاثية: ١٣]، والملائكة: ما في السَّموات والأرض.

وقال كعب: ما من شجرة، ولا موضع إبرة إلا وملك موكل بها، يرفع علم ذلك إلى الله تعالى؛ فإن ملائكة السَّماء أكثر من عدد التراب(٣).

وقال الحسن: ما من عام بأمطر من عام، لكن الله يصرفه حيث يشاء، ويُنزل مع المطر كذا وكذا من الملائكة يكتبون حيث يقع فيه المطر، ومن يرزقه، وما يخرج منه مع كل قطرة(٤).

رواهما أبو الشَّيخ.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٤/ ١٣٠٤)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٧٤٣)، ورواه كذلك الطبري في «التفسير» (٧/ ٢١٣).

(٢) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٧٤٣).

(٣) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٧٤٢).

(٤) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ١٢٧٤).

وروى الإمام أحمد، والترمذي وصححه، والنَّسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن اليهود سألوا النَّبيَّ ﷺ عن الرَّعد: ما هو؟ قال: «مَلَكٌ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُوَكَّلٌ بِالسَّحابِ مَعَهُ مَخارِيْقُ مِنْ نارٍ يَسُوْقُ بِها السَّحابَ حَيْثُ شاءَ الله»، قالوا: فما الصوت الذي نسمع فيه؟ قال: «زَجْرُهُ السَّحابَ حَتَّىْ يَنْتَهِيَ إِلَىْ حَيْثُ أُمِرَ»، قالوا: صدقت(١).

وروى ابن أبي حاتم عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: إن تحت الأرض الثالثة، وفوق الأرض الرابعة من الجن ما لو أنهم لو ظهروا لكم لم تروا معه نوراً، على كل زاوية من زواياه خاتم من خواتيم الله، على كل خاتم ملك من الملائكة يبعث الله إليه في كل يوم ملكاً من عنده: أن احتفظ بما عندك(٢).

ولا شك أنَّ في حبس الملائكة، وطردهم الشياطين ـ كما سبق ـ مصالح كثيرة لبني آدم، ودَرء مفاسد كثيرة، وما ذلك إلا كرامة للمؤمنين منهم، ولكن كان التسخير لعامة بني آدم ليتم حفظ المؤمنين بحفظ عامتهم، وليرحم العامة بعمل الخاصة، وحِكَمُهُ تبارك وتعالى بديعةٌ بالغةٌ.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢٧٤)، والترمذي (٣١١٧) وحسنه، والنَّسائي في «السنن الكبرى» (٩٠٧٢).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٤/ ١٣٠٤)، ورواه أيضاً أبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٦٤٣).

٩٩ ـ ومن أعمال الملائكة عليهم السلام، وهو مندرج فيما قبله: قضاء حوائج العباد.

روى البيهقي عن جابر رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ جِبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلامُ مُوَكَّلٌ بِحاجاتِ الْعِبادِ؛ فَإِذا دَعا الْمُؤْمِنُ قالَ: يا جِبْرِيْلُ! احْبِسْ حاجَةَ عَبْدِيْ؛ فَإِنِّيْ أُحِبُّهُ، وَأُحِبُّ صَوْتَهُ، وَإِذا دَعا الْكافِرُ قالَ: يا جِبْرِيْلُ! اقْضِ حاجَةَ عَبْدِيْ؛ فَإِنِّيْ أُبْغِضُهُ، وَأُبْغِضُ صَوْتَهُ»[١].

وروي من طرق أخرى نحوه.

فقضاء حوائج العباد عبادة مَلائِكِيَّةٌ[٢]، والآتي بها متشبهٌ بالملائكة الكرام.

وقد روى ابن أبي الدُّنيا في «قضاء الحوائج» عن جابر ﷺ: أن النَّبيَّ ﷺ قال: «مَنْ يَكُنْ فِيْ حاجَةِ أَخِيْهِ يَكُنِ اللهُ فِيْ حاجَتِهِ»[٣].

وهو في «صحيح البخاري» من حديث ابن عمر بلفظ: «مَنْ كانَ...»[٤].

وروى ابن أبي الدُّنيا عن الحسن رحمه الله تعالى مرسلاً قال:

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٠٣٥).

(٢) في «أ»: «ملكية».

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» (ص: ٥٤).

(٤) رواه البخاري (٦٥٥١)، ومسلم (٢٥٨٠).

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ عِباداً خَلَقَهُمْ لِحَوائِجِ النَّاسِ، فَقَضاها عَلَىْ أَيْدِيْهِمْ؛ أُوْلَئِكَ آمِنُوْنَ مِنْ فَزَعِ يَوْمِ الْقِيامَةِ»[1].

وعنه قال: لأن أقضيَ لمسلم حاجة أحب إِلَيَّ من أن أصلي ألف ركعة[2].

وقال: لأن أقضي لأخٍ حاجة أحب إِلَيَّ من أن أعتكف شهرين[3].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَضَىْ لأَخِيْـهِ حاجَةً كانَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ خَدَمَ اللهَ عُمُرَهُ».

وأخرجه أبو نعيم في «الحلية»[4].

وروى الخطيب عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَضَىْ لأَخِيْهِ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» (ص: ٥٥) مرسلاً، ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٣٣٤) مسنداً عن ابن عمر. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٩٢): رواه الطبراني، وفيه عبد الرحمن بن أيوب ضعفه الجمهور، وحسّن حديثه الترمذي، وأحمد بن طارق الراوي عنه لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» (ص: ٤٨).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» (ص: ٤٨).

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٥٥)، ورواه أيضاً البخاري في «التاريخ الكبير» (٨/ ٤٣)، وابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» (ص: ٣٧). قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٥١٥): إسناده ضعيف مرسل.

الْمُسْلِمِ حاجَةً كانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ كَمَنْ حَجَّ وَاعْتَمَرَ»[1].

قلت: وإنما كان قضاء حاجة العبد بمثابة خدمة الله في عمر القاضي كله، أو بمثابة الحج والعمرة، والاعتكاف والصَّلاة؛ لأن العبد محتاج إلى تلك الحاجة، أو إلى المعونة فيها، والله سبحانه غنيٌّ عن العالمين.

ولطف أبو العتاهية في قوله: [من مجزوء الكامل المرفل]

وَاقْضِ الْحَوائِجَ ما اسْتَطَعْـ ـتَ وَكُنْ لِهَمِّ أَخِيْكَ فارِجْ
فَلَخَيْرُ أَيَّامِ الْفَتَىْ يَوْمٌ قَضَىْ فِيْهِ الْحَوائِجْ

١٠٠ ـ ومنها: المكافأة على المعروف، والتوسل بالصالحين، وطلب الدعاء منهم، والإحسان إليهم:

روى ابن أبي شيبة عن عبدالله بن عيسى قال: كان فيمن كان قبلكم رجلٌ عَبَدَ الله أربعين سنة في البر، ثم قال: يا رب! قد اشتقت أن أعبدك في البحر، فأتى قوماً، فاستحملهم، فحملوه، وجرت بهم سفينتهم ما شاء الله أن تجري، ثم قامت، فإذا شجرة في ناحية الماء، قال: فقال: ضعوني على هذه الشجرة، قال: فقالوا: ما يعيشك على هذه؟ قال: إنما استحملتكم، فضعوني حيث أريد، فوضعوه، وجرت بهم سفينتهم، فأراد مَلَكٌ أن يعرج إلى السَّماء، فتكلم بكلامه الذي كان يعرج به، فلم يقدر على ذلك، فعلم أن ذلك لخطيئة كانت منه، فأتى صاحب الشجرة،

---

(١) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٥/ ١٣١).

فسأله أن يشفع له إلى ربه، قال: فصلى، ودعا للمَلَكِ، قال: وطلب إلى ربه أن يكون هو يقبض نفسه ليكون أهون عليه من ملك الموت، فأتاه حين حضر أجله فقال: إني طلبت إلى ربي أن يشفعني فيك كما شفعك فيَّ، وأن أكون أقبض نفسك، فمن حيث شئت قبضتها، قال: فسجد سجدة، فخرجت دمعة(1) من عينه، فمات(2).

١٠١ـ ومنها: موافقة الطائعين، والقرب منهم، والثناء عليهم، ومجانبة العاصين، والتحذير منهم:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ﴾[فصلت: ٣٠ ـ ٣١].

وروى الإمام أحمد، والترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَوْ أَنَّكُمْ تَكُوْنُوْنَ عَلَىْ كُلِّ حالَةٍ عَلَىْ الْحالَةِ الَّتِيْ أَنْـتُمْ عَلَيْها عِنْدِيْ لَصافَحَتْكُمُ الْمَلائِكَةُ، وَلَزارَتْكُمْ فِيْ بُيُوْتِكُمْ، وَلَوْ لَمْ تُذْنِبُوْا لَجاءَ اللهُ بِقَوْمٍ يُذْنِبُوْنَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ»(3).

وروى الإمام أحمد، والطبراني بسند قريب، عنه: أن رسول الله ﷺ

---

(1) في «أ» و«ت»: «روحه»، والمثبت من «المصنف» لابن أبي شيبة.

(2) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٩٩٠).

(3) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٠٤)، والترمذي (٣٥٨٩) مختصراً وأصل الحديث عند مسلم (٢٧٥٠) من حديث حنظلة.

قال: «ما مِنْ خارجٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ إلاَّ ببابِـهِ رايَتانِ؛ رَايَةٌ بيَدِ مَلَكٍ، وَرايَـةٌ بِيَدِ شَيْطانٍ، فَإِنْ خَرَجَ لِما يُحِبُّ اللهُ اتَّبَعَهُ الْمَلَكُ بِرايَتِهِ، فَلَمْ يَزَلْ تَحْتَ رايَةِ الْمَلَكِ حَتَّىْ يَرْجِعَ إِلَىْ بَيْتِـهِ، وَإِنْ خَرَجَ إِلَىْ سَخَـطِ اللهِ اتَّبَعَهُ الشَّيْطانُ بِرايَتِهِ، فَلَمْ يَزَلْ تَحْتَ رايَةِ الشَّيْطانِ حَتَّىْ يَرْجِعَ إِلَىْ بَيْتِهِ»[1].

وسبق حديثه: «إِنَّ لِلْمَساجِدِ أَوْتاداً، الْمَلائِكَةُ جُلَساؤُهُمْ؛ إِنْ غابُوْا يَفْتَقِدُوْهُمْ، وَإِنْ مَرِضُوْا عادُوْهُمْ، وَإِنْ كانُوْا فِيْ حاجَةٍ أَعانُوْهُمْ»[2].

وذكر الإمام أبو طالب المكي في كتـاب «القـوت»: أن الله تعالى أوحى إلى أيُّوب عليـه السلام: «ما من عبـد لي من الآدميين إلا ومعـه ملكان، فإذا شكر على نعمائي قال: اللهم زده نِعَماً على نعمك؛ فإنك أهل الشكر والحمد، فكن من الشاكرين قريباً، وزدهم شكراً، وزدهم من النعماء، وكفى بالشاكرين ـ يا أيُّوب ـ علو المرتبـة عنـدي، وعنـد ملائكتي، فأنا أشكر شكرهم، وملائكتي تدعـو لهم، والبقاع تحبهم، والآثـار تبكي عليـهم، فكـن لي ـ يا أيُّـوب ـ شاكراً، ولآلائي ذاكـراً، ولا تذكر لي حتى أذكر، ولا تشكر لي حتى أشكر أعمالك، أنـا أوفِّـق

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٢٣)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٧٦٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٣٢): رواه أحمد والطبراني في «الأوسط» وفيـه عبد الرحمن بن أبي الزناد، وثقه مالك، وضعفه أحمد ويحيى في رواية.

(٢) تقدم تخريجه.

أوليائي لصالح الأعمال، وأشكرهم على ما وفقتهم، وأقتضيهم الشكر، ورضيت به مكافأة، فرضيت بالقليل عن الكثير، وتقبلت القليل، وجازيت عليه بالجزيل، وشر العبيد عندي من لم يشكرني إلا عند حاجته، ولم يتضرع إليَّ إلا في وقت عقوبته»[1].

١٠٢ ـ ومنها: المؤاخاة في الله:

روى أبو القاسم البغوي، والباوردي، وابن قانع، والطبراني في «معاجمهم»، وابن عساكر عن زيد بن أبي أوفى رضي الله تعالى عنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ في مسجد المدينة فجعل يقول: «أَيْنَ فُلانٌ؟ أَيْنَ فُلانٌ؟»، فلم يزل يتفقدهم، ويبعث إليهم حتى اجتمعوا عنده، فقال: «إِنِّيْ مُحَدِّثُكُمْ بِحَدِيْثٍ فَاحْفَظُوْهُ، وَعُوْهُ، وَحَدِّثُوْا بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ: إِنَّ اللهَ اصْطَفَىْ مِنْ خَلْقِهِ خَلْقاً ـ وَتَلا هذه الآية: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ﴾[الحج: ٧٥] ـ خَلْقاً يُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، وَإِنِّيْ مُصْطَفٍ مِنْكُمْ مَنْ أُحِبُّ أَنْ أَصْطَفِيَه، وَمُؤَاخٍ بَيْنَكُمْ كَمَا آخَىْ اللهُ بَيْنَ الْمَلائِكَةِ؛ قُمْ يا أَبا بَكْرٍ...». فذكر الحديث في مؤاخاته ﷺ بين أصحابه رضي الله تعالى عنهم[2].

---

(١) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (١/ ٣٥٢).

(٢) رواه ابن قانع في «معجم الصحابة» (١/ ٢٢٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٥١٤٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢١/ ٤١٤)، ورواه أيضاً ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٣/ ٢٠٦).

١٠٣ ـ ومنها: محبة أحباب الله، وبغض بُغَضاء الله تعالى، والحب فيه، والبغض فيه:

روى مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ إِذا أَحَبَّ عَبْداً دَعا جِبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلامُ فقالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلاناً فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيْلُ، ثُمَّ يُنادِيْ جِبْرِيْلُ فِيْ السَّماءِ، فَيَقُوْلُ: إِنِّيْ أُحِبُّ فُلاناً فَأَحِبُّوْهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّماءِ، ثُمَّ يُوْضَعُ لَهُ الْقَبُوْلُ فِيْ أَهْلِ الأَرْضِ، وَإِذا أَبْغَضَ اللهُ عَبْداً دَعا جِبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلامُ فَيَقُوْلُ: إِنِّيْ أُبْغِضُ فُلاناً فَأَبْغِضْهُ، فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيْلُ، ثُمَّ يُنادِيْ فِيْ أَهْلِ السَّماءِ: إِنَّ اللهَ تَعالَىْ يُبْغِضُ فُلاناً فَأَبْغِضُوْهُ، ثُمَّ تُوْضَعُ لَهُ الْبَغْضاءُ فِيْ أَهْلِ الأَرْضِ»[1].

وأخرجه بنحوه هو، والبخاري، والترمذي[2].

وروى أبو نعيم في «الحلية» عن أنس رضي الله تعالى عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إِذا أَحَبَّ اللهُ عَبْداً قَذَفَ حُبَّهُ فِيْ قُلُوْبِ الْمَلائِكَةِ، وَإِذا أَبْغَضَ عَبْداً قَذَفَ بُغْضَهُ فِيْ قُلُوْبِ الْمَلائِكَةِ، ثُمَّ يَقْذِفُهُ فِيْ قُلُوْبِ الآدَمِيِّيْنَ»[3].

وروى البيهقي في «الأسماء والصفات» عن عبد الرحمن بن أبي

---

(١) رواه مسلم (٢٦٣٧).

(٢) رواه مسلم (٢٦٣٧)، والبخاري (٣٠٣٧)، والترمذي (٣١٦١).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٧٧)، وقال: هذا حديث صحيح ثابت.

ليلى، قال: كتب أبو الدرداء إلى سلمة بن مخلد: سلام عليك، أما بعد: فإن العبد إذا عمل بطاعة الله أحبَّه الله، فإذا أحبَّه الله حبَّبه إلى عباده، وإن العبد إذا عمل بمعصية الله أبغضه الله، فإذا أبغضه الله بغَّضه إلى عباده[1].

قلت: الإضافة في: (عباده) للتشريف؛ أي: إلى عباده المؤمنين.

وكذلك قوله ﷺ: «ثُمَّ يُوْضَعُ لَهُ القَبُوْلُ فِيْ أَهْلِ الأَرْضِ»؛ المراد: المؤمنون والصالحون منهم، فلا اعتبار بقبول الكفار والفساق، ولا بِرَدِّهم.

وكذلك قوله ﷺ: «أَنْتُمْ شُهَداءُ اللهِ فِيْ الأَرْضِ»؛ لأن الكافر والفاسق ليسا أهلاً للشهادة.

وقد روى الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»، وابن مَردويه في «تفسيره» عن عليٍّ رضي الله تعالى عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦] ما هو؟ قال: «الْمَحَبَّةُ فِيْ صُدُوْرِ الْمُؤْمِنِيْنَ، وَالْمَلائِكَةِ الْمُقَرَّبِيْنَ، يا عَلِيُّ! إِنَّ اللهَ أَعْطَى الْمُؤْمِنَ المِقَة[2] وَالْمَحَبَّةَ، وَالْحَلاوَةَ، وَالْمَهَابَةَ فِيْ صُدُوْرِ الصَّالِحِيْنَ»[3].

١٠٤ ـ ومنها: موالاة الصالحين: لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ

---

(١) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٣/ ٨١)، ورواه أيضاً عبد الرزاق في «المصنف» (١٠/ ٤٥١).

(٢) أي: المحبة.

(٣) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ٢٢٦).

رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾[فصلت: ٣٠] إلى قوله: ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾[فصلت: ٣١].

ومن موالاتهم للصالحين: إيناسهم في الغربة، والوحدة، والسفر، ومساعدتهم في الرِّزق، ونحو ذلك.

وقد حكى الشيخ محي الدين بن عربي في «مسامراته» عن بعض العارفين، عن أبي عبدالله الغزالي ـ من أقران أبي مدين ـ قال: كان يحضر مجلس شيخنا أبي العباس بن العريف الصنهاجي رجل لا يتكلم، فإذا فرغ الشيخ خرج، فوقع في قلبي منه شيء؛ أحببت أن أعرفه، وأعرف موضعه، فتبعته عشيةً يوم انفصاله من مجلس الشيخ من حيث لا يشعر بي، فلما كان في بعض سكك المدينة ـ يعني: المرية ـ وإذا شخص قد تلقاه من الهواء، وانقض عليه انقضاض الطائرة بيده رغيف حسن، فتناوله منه، وانصرف عنه، فجذبته من خلفه، وقلت: السلام عليكم، فعرفني، فرد السلام، قلت له: من هذا الشخص ـ عافاه الله ـ الذي ناولك الرغيف؟ فأقسمت عليه، فقال: يا هذا! هذا ملك الأرزاق يأتيني كل يوم بما قدر لي من الرزق حيث كنت من أرض ربي.

١٠٥ ـ ومنها: السلام ابتداءً ورداً، أو المعانقة، والمصافحة، والزيارة:

وكل ذلك منهم مع المؤمنين.

قال الله تعالى حكاية عن رسل إبراهيم عليهم السلام: ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴾[الذاريات: ٢٥].

وروى الإمام أحمد، والشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ عَلَىٰ صُوْرَتِهِ، وَطُوْلُهُ سِتُّوْنَ ذِراعاً، ثُمَّ قالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَىٰ أُوْلَئِكَ النَّفَرِ ـ وَهُمْ نَفَرٌ مِنَ الْمَلائِكَةِ جُلُوْسٌ ـ فَاسْمَعْ ما يُجِيْبُوْنَكَ؛ فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَذَهَبَ، فَقالَ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ، فَقالُوْا: السَّلامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ، فَزادُوْهُ: وَرَحْمَةُ اللهِ، وَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَىٰ صُوْرَةِ آدَمَ طُوْلُهُ سِتُّوْنَ ذِراعاً، فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّىٰ الآنَ»[1].

وروى الإمام أحمد، والبيهقي في «الدلائل» بسند صحيح، عن حارثة بن النعمان رضي الله تعالى عنه قال: مررت على رسول الله ﷺ ومعه جبريل عليه السلام فسلمت عليه، ومررت، فلما رجعنا، وانصرف النبي ﷺ، قال: «هَلْ رَأَيْتَ الَّذِيْ كانَ مَعِي؟» قلت: نعم، قال: «فَإِنَّهُ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلامُ وَقَدْ رَدَّ عَلَيْكَ السَّلامَ»[2].

وروى ابن مردويه عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أَفْشُوْا السَّلامَ بَيْنَكُمْ؛ فَإِنَّها تَحِيَّةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَإِذا مَرَّ رَجُلٌ عَلَىٰ مَلأٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ كانَ لَهُ عَلَيْهِمْ دَرَجَةٌ إِنْ رَدُّوْا عَلَيْهِ، فَإِنْ لَمْ يَرُدُّوْا

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣١٥)، والبخاري (٥٨٧٣)، ومسلم (٢٨٤٢).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٤٣٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ٧٤).

عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُمْ؛ الْمَلائِكَةُ»[1].

وروى البيهقي عن قتادة في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾[النور: ٦١]؛ قال: إذا دخلت بيتك فسلم على أهلك، وإذا دخلت بيتاً لا أحد فيه فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين؛ فإنه كان يؤمر بذلك.

قال: وحدثنا أن الملائكة ترد عليه[2].

وروى مسلم عن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه قال: إن الملائكة كانت تسلم عليَّ، فلما اكتويت انقطع عنِّي، فلما تركت عاد إليَّ[3].

وروى ابن سعد في «طبقاته» عن قتادة رحمه الله تعالى: إن الملائكة كانت تصافح عمران بن حصين حتى اكتوى فتنحت[4].

---

(١) ورواه البخاري في «الأدب المفرد» (١٠٣٩)، والبزار في «المسند» (١٧٧١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٣٩١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٧٧٩) موقوفاً، وقال: هكذا جاء موقوفاً، وقد روي مرفوعاً من وجه ضعيف.

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٨٤٠) مختصراً، ورواه بلفظ المؤلف ابن أبي حاتم في «التفسير» (٨/ ٢٦٥١).

(٣) رواه مسلم (١٢٢٦)، ولفظه «وقد كان يُسَلَّمُ عَلَيَّ حتى اكْتَوَيْتُ فَتُرِكْتُ ثُمَّ تَرَكْتُ الْكَيَّ فَعَادَ».

(٤) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٤/ ٢٨٨)، ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ١٠٧).

وذلك أن عمران رضي الله تعالى عنه كان به مرض دام به سنين، وكانت الملائكة عليهم السلام تزوره، وتسلم عليه، وتصافحه، فاكتوى طلباً للبُرء، فتنحَّت عنه الملائكة، فلما عزم أن لا يعود إلى الاكتواء أعادوا الزِّيارة والسلام عليه.

وقد قدَّمت آنفاً الحديث الشاهد بمصافحة الملائكة للمؤمنين لو داموا على حالة القرب والرقة.

وسبق الحديث الشاهد بمصافحة الملائكة رِكاب الحاج، ومعانقة رجالتهم.

* تَنْبِيْهٌ:

ذكر الديلمي في «فردوسه» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمَلائِكَةُ تَعْجَبُ مِنَ الْمُسْلِمِ يَمُرُّ عَلَىْ الْمُسْلِمِ فَلا يُسَلِّمُ عَلَيْهِ»[1].

١٠٦ ـ ومنها: الاستئذان:

روى ابن جرير، والبيهقي عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾[الإنسان: ٢٠]؛ قال: هو استئذان الملائكة عليهم لا يدخل عليهم إلا بإذن[2].

---

(١) قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٥٠٣): لم أقف له على أصل.

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (٢٩/ ٢٢١)، والبيهقي في «البعث والنشور» (١/ ٤١٦).

وروى ابن جرير، وأبو نعيم نحوه عن سفيان الثوريِّ رحمه الله تعالى[1].

١٠٧ ـ ومنها: القيام للصالحين، والعلماء إكراماً:

وروى الحافظ أبو بكر بن أبي عاصم في «فضائل عمر رضي الله تعالى عنه» عن أبي هريرة ﷺ قال: كان النبي ﷺ، وأصحابه في المسجد، وأهل بيته حوله، فدخل أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فقام لهما ﷺ، فقال بعض أصحابه: يا رسول الله! ألست قد نهيتنا أن يقوم بعضاً لبعض إلا لثلاثة: للأبوين، ولسلطانٍ عادل، ولعالم يعمل بعلمه؟ فقال ﷺ: «نَعَمْ، كانَ عِنْدِيَ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلامُ فَلَمَّا دَخلا قامَ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلامُ إِجْلالاً لَهُما، فَقُمْتُ أَنا مَعَ جِبْرِيْلَ».

ذكره المحب الطبري في «الرياض النضرة»[2].

وسيأتي في التشبه بالأعاجم بيان ما يحسن من القيام، وما يكره.

١٠٨ ـ ومنها: تلقين العاطس: «الحمد لله»، وتكميله له، وتشميته إذا حمد، وأتم الحمد:

روى أبو بكر بن السُّنِّي، والطبراني عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «إِذا عَطَسَ الرَّجُلُ فَقالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ» قالَتِ الْمَلائِكَةُ: «رَبِّ الْعالَمِيْنَ»، فَإِذا قالَ: «رَبِّ الْعالَمِيْنَ» قالَتِ

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٢٩/ ٢٢١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٧٧).

(٢) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» للمحب الطبري (١/ ٣٣٨).

الْمَلائِكَةُ: «يَرْحَمُكَ اللهُ»[1].

فينبغي للعبد الاقتداء بالملائكة في ذلك.

قال النووي رحمه الله تعالى في «الأذكار»: فإذا عطس ولم يحمد الله، ولم يسمعه الإنسان، لم يشمته، فإن كانوا جماعة فسمعه بعضهم دون بعض، فالمختار أن يشمته من سمعه دون غيره.

ثم قال: واعلم أنه إذا لم يحمد أصلاً يستحب لمن عنده أن يذكره بالحمد، هذا هو المختار[2]. انتهى.

قال البغوي رحمه الله تعالى: حكي أن رجلاً عطس عند الأوزاعي فلم يحمد الله، فقال الأوزاعي: كيف تقول إذا عطست؟ قال: أقول: الحمد لله، قال: يرحمك الله، قال: فأراد الأوزاعي رضي الله تعالى عنه أن يستخرج منه الحمد، فقال: يرحمك الله إن كنت حمدت[3].

وقال النووي في «شرح المهذب»: قال أصحابنا: وإنما يسن التشميت إذا قال العاطس: «الحمد لله»، فإن لم يقل: «الحمد لله» كره

---

(1) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٢٢٦)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٣٧١) وقال: لم يرفعه عن عطاء بن السائب إلا صباح بن يحيى، ورواه أيضاً البخاري في «الأدب المفرد» (٩٢٠). قال الحافظ في «فتح الباري» (١٠/ ٦٠٠): وللمصنف ـ يعني: البخاري ـ أيضاً في «الأدب المفرد» والطبراني بسند لا بأس به. ثم ذكر الحديث.

(2) انظر: «الأذكار» للنووي (ص: ٢١٥).

(3) انظر: «شرح السنة» للبغوي (١٢/ ٣١٢).

تشميته للحديث السابق[1].

يعني: عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِذا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتُوْهُ، فَإِنْ لَمْ يَحْمَدِ اللهَ فَلا تُشَمِّتُوْهُ». رواه مسلم[2].

* **فائِدَةٌ:**

تشميت العاطس هو الدعاء بالرحمة، وأول من شمت رب العزة جلَّ وعلا شمت آدم؛ أي: أعطاه الرحمة، وبشره بما أعطاه، فالتشميت خلق رباني، والمشمِّت متخلِّق به.

قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَطَسَ، وَأَلْهَمَهُ رَبُّهُ أَنْ قالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ»، قالَ لَهُ رَبُّهُ: «يَرْحَمُكَ اللهُ»، فَلِذَلِكَ سَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبَهُ»[3].

وقال أنس رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا نَفَخَ اللهُ فِيْ آدَمَ الرُّوْحَ فَبَلَغَ الرُّوْحُ رَأْسَهُ عَطَسَ، فَقالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِيْنَ، فَقالَ لَهُ تبارَكَ وَتَعالَىْ: يَرْحَمُكَ اللهُ»[4].

---

(١) انظر: «المجموع» للنووي (٤/ ٥١٤).

(٢) رواه مسلم (٢٩٩٢).

(٣) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦١٦٤)، ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٣٢٣).

(٤) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦١٦٥).

رواهما ابن حبان في «صحيحه».

١٠٩ ـ ومن أعمال الملائكة عليهم السلام: المذاكرة في أحوال الناس، والمسامرة من غير خوض فيما لا يعني.

روى البزار عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مَلائِكَةَ اللهِ يَعْرِفُوْنَ بَنِيْ آدَمَ ـ أَحْسِبُهُ قالَ: وَيَعْرِفُوْنَ أَعْمالَهُمْ ـ فَإِذا نَظَرُوْا إِلَىْ عَبْدٍ يَعْمَلُ بِطاعَةِ اللهِ ذَكَرُوْهُ بَيْنَهُمْ، وَسَمَّوْهُ، وَقالُوْا: أَفْلَحَ اللَّيْلَةَ فُلانٌ، وَإِذا نَظَرُوْا إِلَىْ عَبْدٍ يَعْمَلُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ ذَكَرُوْهُ بَيْنَهُمْ، وَسَمَّوْهُ، وَقالُوْا: هَلَكَ فُلانٌ اللَّيْلَةَ»[١].

١١٠ ـ ومنها: كراهية الغيبة، وإنكارها:

روى أبو نعيم عن مجاهد قال: لابن آدم جلساءُ من الملائكة، فإذا ذكر الرجل المسلم أخاه بخير قالت الملائكة: لك مثله، وإذا ذكره بسوء قالت الملائكة: يا ابن آدم المستور عورته! أَرْبَعْ على نفسك، واحمد الله[٢] الذي ستر عليك[٣].

وروى الإمام أحمد عن جابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنهما قال: كنا مع رسول الله ﷺ، فارتفعت ريح جيفة منتنة، فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٢٦): رواه البزار وفيه من لم أعرفهم.

(٢) في «أ»: «والحمد لله».

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٢٨٤)، ورواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (ص: ٢٧٦).

«أَتَدْرُوْنَ ما هَذِهِ الرِّيْحُ؟ هَذِهِ رِيْحُ الَّذِيْنَ يَغْتابُوْنَ النَّاس»[1].

ولا شك أنَّ الملائكة أشد إدراكاً لذلك من الناس، وهم يتأذون من الروائح الكريهة، ويكرهونها.

١١١ ـ ومنها: التودد للناس، والتنزل لعقولهم لأجل تعليمهم وإرشادهم، وإيصال الخيرات الربانيـة إليهم، ولذلك كانت الملائكة يتشكلون للناس بحسب ما يليق بهم، وبأحوالهم.

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَـٰهُ رَجُلًا﴾[الأنعام: ٩].

وقال تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[مريم: ١٧].

وقد تقدم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أن الملائكة كانـوا يتصورون لأهل بدر في صور من يعرفون من الناس يثبتونهم.

والأحاديث الواردة في تمثل جبريل عليه السلام في صورة دِحية الكلبي رضي الله تعالى عنه شائعة، منها:

ما رواه الشيخان عن أبي عثمـان النهـديِّ رحمـه الله تعـالى قال: نبئت أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ وعنده أم سلمة رضي الله تعالى عنها، فجعل يتحدث ثم قام، فقال النبي ﷺ: «مَنْ هَـذا»؟ قالـت: قلت: هذا دحية الكلبي، قالت: ما حسبته إلا إياه حتى سمعت خطبة

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٥١) وعنده: «المؤمنين» بدل «الناس»، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٣٢). قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ٣٣١): رواه أحمد وابن أبي الدنيا، ورواة أحمد ثقات.

النبي ﷺ بِخَبَرِ جبريل.

قيل لأبي عثمان: ممن سمعت هـذا؟ قال: من أسامـة رضي الله تعالى عنه[1].

وروى الحاكم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: رأيت جبريل عليـه السلام واقفـاً في حجرتي هـذه ورسـول الله ﷺ يناجيـه، فقلت: يا رسول الله! من هذا؟ قال: «بِمَنْ شَبَّهْتِهِ؟» قلت: بدحية، قال: «لَقَدْ رَأَيْتِ جِبْرِيْلَ»، قالت: فما لبثت إلا يسيراً حتى قال: «يا عائِشَةُ! هَذا جِبْرِيْلُ يُقْرِئُكِ السَّلامَ»، فقلت: وعليه السَّلام، جزاه الله مِنْ دَخِيْلٍ خيراً[2].

ومن هذا القبيل تشكل طائفة من الأولياء يقال لهم: (الأبدال) حتى ربما تصرفوا في وقت واحد في أبدان متعددة، كما حكي أن رجلاً اتهم قضيب البان البغدادي رحمه الله تعالى أنه لم يصل، فتصور له على الفور في صور مختلفـة، وقال لـه: في أي صورة من هذه الصـور رأيتني لم أُصَلِّ؟ فرجع عن الإنكار[3].

وكذلك رُئي جماعات بالموقف من عرفات، وبأماكن أخرى من بلاد أخر في وقـت واحـد؛ منهم: سهل بن عبـدالله التُّسْتَري، والشيخ

---

(١) رواه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٤٥١).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٦٧٢٢).

(٣) انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٢/ ٣٤٢)، و«الحاوي للفتاوي» للسيوطي (١/ ٢٠٩).

مُفَرِّج الدَّمَامِيني، والشيخ عبدالله المَنُوفي، والشيخ تاج الدين بن عطاء الله الإسكندري، وغيرهم[1].

وألف جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى في هذه المسألة مؤلفاً مستقلاً بسبب أن رجلين من أصحاب سيدي عبد القادر الدشطوطي المصري حلف كل منهما بالطلاق أن الشيخ عبد القادر المذكور بات عنده في الليلة الفلانية، فلم يوقع الطلاق على واحد منهما[2].

قلت: وأنا شاهدت ممن أعطي حال التصور والتشكل جماعة، منهم: شيخ الإسلام الوالد رضي الله تعالى عنه، فأخبرني من أثق به أنهم كانوا يدخلون عليه فلا يجدونه في أثوابه، ثم يجدونه بعد ساعة لطيفة.

والإيمان بكرامات الأولياء مذهب أهل السنة رضي الله تعالى عنهم، والله الموفق.

١١٢ ـ ومن خصال الملائكة عليهم السلام: إغاثة اللهفان:

روى أبو بكر بن أبي الدُّنيا في كتاب «الهواتف»، والأستاذ أبو القاسم القشيري في «رسالته» عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كان رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ من الأنصار تاجراً يتجر بمال له ولغيره، وكان يَزِنُ بنسك وورع، فخرج مرة فلقيه لصٌّ مقنع في السِّلاح، فقال له: ضع ما معك فإني قاتلك، قال: ما تريد بي؟ شأنك بالمال، قال: أما المال

---

(١) القدرة على التشكل من صفات الملائكة، لا من صفات البشر.

(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» للشعراني (١/ ٤٧٤).

فلي، ولست أريد إلا رأسك، قال: إذ أبيت فذرني أصلي أربع ركعات، وكان من دعائه في آخر سجدة: يا ودود! يا ذا العرش المجيد! يا فعال لما يريد! أسألك بعزك الذي لا يرام، وملكك الذي لا يضام، وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفيني شر هذا اللص، يا مغيث أغثني، يا مغيث أغثني، ثلاث مرات، فإذا هو بفارس قد أقبل بيده حربة واضعها بين أذني فرسه، فلما بصر بـه اللص أقبل نحوه، فطعنه فقتله، ثم أقبل إليه، فقال: من أنت ـ بأبي أنت وأمي ـ فقد أغاثني الله بك اليوم؟ قال: أنا ملك من أهل السماء الرابعة؛ دعـوتَ بدعائك الأول فسمعت لأبواب السماء قعقعة، ودعـوت بدعائك الثاني فسمعت لأهل السماء ضجـة، ودعوت بدعائك الثالث فقيل: دعاء مكروب، فسألت الله أن يوليني قتله.

قال أنـس: إنـه من توضأ وصلى أربع ركعات، ودعا بهذا الدعاء استجيب له، مكروباً كان أو غير مكروب[1].

وروى ابن أبي الدُّنيا في «الهواتف» عن خَوَّات بن جُبير رضي الله تعالى عنه قال: أصاب الناس قحـط شديد على عهـد عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنـه، فخرج بالناس وصلى بهم ركعتين، وخالـف بين طرفي ردائه ـ اليمين على اليسار، واليسار على اليمين ـ ثم بسط يديه، فقال: اللهم إنا نستغفرك، ونستسقيك، قال: فما برح من مكانـه حتى مطر، فبينما هم كذلك إذا أعراب قدموا المدينة فأتوا عمر بن الخطاب

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الهـواتـف» (ص: ٢٤)، والقشيـري في «رسالتـه» (ص: ٢٩٨).

رضي الله تعالى عنه فقالوا: يا أميـر المؤمنين! بينا نحن في بوادينا، في يوم كذا وكذا، في وقت كذا وكذا ـ إذ أظلتنا غمامة، وسمعنا صوتاً ينادي: أتاك الغوث أبا حفص، أتاك الغوث أبا حفص[1].

وروى فيه عن عمـارة بن زاذان قال: كنت مـع زياد النُّميـري في طريق مكة، فَضَلَّتْ ناقة لصاحب لنا، فطلبناها، فلم نقدر عليها، فأخذنا نقسم متاعه، فقال زياد: ألا تقول شيئاً؟ سمعت أنساً ﷺ يقرأ: ﴿حمٓ﴾، وتسجد وتدعو، فقلنا: بلى، فقرأه: ﴿حمٓ﴾ السجدة، وسجد ودعـا، فرفعنا رؤوسنا، فإذا رجل معه الناقة التي ذهبت، فقال زياد: أعطوه من طعامكم، فلم يقبل، قال: أطعموه، قال: إني صائم، قال: فنظرنا فلم نر شيئاً، قال: فلا أدري ما كان[2].

وقال الشيخ محيي الدين بن العـربي في «المسامـرات»: حدثنـا عبد الكريم بن حاتم بن وحشي بمكة سنة ست مئـة، قال: خرج عندنا رجل من المجاورين يريد مصر، فركب غراباً في البحـر، فطاب الريح بالليل، فنام كل من في المركب إلا الذي يدبره، فأراد الرجل الحاجة، فقعـد في مقدم المركب يقضي حاجتـه، فزلقت قدمـه، فأخذه البحر، وغطته الأمواج، والرئيس ينظر إليه، والمركب قد سار عنه بمسافة غيبته

---

(١) رواه ابن أبي الـدنـيـا في «الهـواتـف» (ص: ٢٦)، وابن عسـاكـر فـي «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٣٤٦).

(٢) رواه ابن أبي الدنيـا في «الهواتـف» (ص: ٨٠)، واللالكائي في «كرامـات الأولياء» (ص: ٢٣٠).

عـن عيـن الرئيس، والرئيس لا يتكلم مخـافـة أن يشـوش على النـاس ولا ينفعه ذلك، فلم يلبث أن رأى طائراً قد قبض عليه فأخرجه من الماء، وطار به حتى ألقاه في المركب، وقعد الطائر على جامور الصاري ساعة، ثم إن الطائر مد منقاره موضعه حتى ألصقه بأُذن الرجل، ثم قبضه وطار، فلما كان من الغد حسن الرئيس ظنه بذلك الرجل، وبادر إلى كرامتـه، ففطن له الرجل، فقال: يا أخي! لست والله ممن تظن، وإنما كان ما رأيت من أمر الله علمي وعلمك فيه سواء، ما شعرت بنفسي إلا وقد أخذتني الأمواج وأيقنت بالتلف، فسلمت الأمـر لله تعالى وقلت: ﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾[الأنعام: ٩٦]، فإذا بذلك الطائر قد فعل ما رأيت، فقال له الرئيس: فرأيته مد منقاره إليك، فهل كلمك؟ قال الرجل: نعم؛ وذلك أني فكرت في نفسي ما هو هذا الطائر، فألصق منقاره بأُذني، فقال لي: يا هذا! أنا تقدير العزيز العليم.

والحكايات في ذلك كثيرة.

١١٣ ـ ومن خصال الملائكـة عليهم السـلام: إجلال أبي بكر، وتوقير عمر، واستحياء من عثمان، وحب هؤلاء وعلي بن أبي طالب، وحب سائر الصَّحابة رضي الله تعالى عنهم، ومعرفة فضلهم.

وأقسم بالله تعالى: ليس في ملائكة الله تعالى رافِضِيٌّ، ولا شيعيٌّ.

روى أبـو يعلى عـن عمَّـار بن ياسـر رضي الله تعالى عنهمـا: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «يا جِبْرِيْلُ! أَخْبِـرْنِيْ عَنْ فَضائِلِ عُمَرَ عِنْدَكُمْ»، فقال له جبريل عليـه السلام: «لَوْ مَكَثْتُ فِيكُمْ ما مَكَثَ نُوْحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ فِيْ

قَوْمِهِ ما حَدَّثْتُكَ بِفَضِيْلَةٍ واحِدَةٍ مِنْ فَضائِلِ عُمَرَ، وَإِنَّ عُمَرَ لَحَسَنَةٌ واحِدَةٌ مِنْ حَسَناتِ أَبِيْ بَكْرٍ رضي الله عنهما»[1].

وروى ابن عدي في «الكامل» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما فِيْ السَّماءِ مَلَكٌ إِلاَّ وَهُوَ يُوَقِّرُ عُمَرَ، وَلا فِيْ الأَرْضِ شَيْطانٌ إِلاَّ وَهُوَ يَفِرُّ مِنْ عُمَرَ»[2].

وروى ابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عُثْمانُ حَيِيٌّ تَسْتَحْيِيْ مِنْهُ الْمَلائِكَةُ»[3].

وروى البخاري، وغيره: أن النبي ﷺ كان جالساً بحافة بئر، وهو مكشوف الفخذ، فدخل أبو بكر رضي الله عنه فلم يغط فخذه، ودخل عمر رضي الله تعالى عنه فلم يغطه، ودخل عثمان فغطاه، وقال: «أَلا أَسْتَحِيْ مِمَّنْ اسْتَحْيَتْ مِنْهُ الْمَلائِكَةُ»[4].

---

(١) رواه أبو يعلى في «المسند» (١٦٠٣)، وعبدالله ابن الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١/ ٤٢٩)، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٢٣٩): قال أحمد بن حنبل: هذا حديث موضوع ولا أعرف إسماعيل، وقال أبو الفتح الأزدي: هو ضعيف.

(٢) رواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٦/ ٣٤٩) وقال: وهذه الأحاديث بواطيل.

(٣) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٩/ ٩٢).

(٤) في عزو هذا الحديث إلى البخاري بهذا اللفظ بُعدٌ؛ لأن هذا الحديث ملفق من حديثين: أحدهما في البخاري (٣٤٧١) عن أبي موسى، وليس فيه =

وروى اللَّالكائيُّ في «السنة» عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر، وعمر رضي الله عنهما: «وَاللهِ إِنِّي لأُحِبُّكُما لِحُبِّ اللهِ إِيَّاكُما، وَاللهِ إِنَّ الْمَلائِكَةَ لَتُحِبُّكُما لِحُبِّ اللهِ عز وجل لَكُما، أَحَبَّ اللهُ مَنْ أَحَبَّكُما، وَوَصَلَ مَنْ وَصَلَكُما، قَطَعَ اللهُ مَنْ قَطَعَكُما، أَبْغَضَ اللهُ مَنْ أَبْغَضَكُما فِيْ دُنْياكُما وَآخِرَتِكُما»[1].

وروى الترمذي عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يُحِبُّ عَلِيّاً مُنافِقٌ، وَلا يُبْغِضُهُ مُؤْمِنٌ»[2].

وكذلك ورد أن: حب الأنصار من الإيمان، وبغضهم من النفاق[3].

والمهاجرون أولى منهم بذلك لأنهم أفضل منهم، والملائكة عليهم السلام من خواص المؤمنين.

= موضع الشاهد، والثاني عند مسلم (٢٤٠١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٠٣) عن عائشة، وفيه موضع الشاهد لكن بلفظ مختلف.

(١) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٧/ ١٢٤٤)، ورواه أيضاً عبدالله ابن الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١/ ٤٣٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٤/ ٥٦)، قال ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (١/ ٣٩٠) ـ والكلام على إسناد ابن عساكر ـ: قال الذهبي في الميزان: حديث منكر بمرة، وفيه محمد بن عبدالله بن ياسر نكرة، وداود بن سليمان الشيباني، قال الأزدي: ضعيف جداً، قلت ـ أي ابن عراق ـ: ما في هذا ما يقتضي أن يكون موضوعاً.

(٢) رواه الترمذي (٣٧١٧) وحسنه.

(٣) روى البخاري (٣٥٧٣) عن أنس عن النبي ﷺ قال: «آيَةُ الإِيْمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ».

١١٤ ـ ومنها: شهود النكاح والخِطْبَة، والإملاك، والْخُطْبَةُ لذلك:

روى أبو نعيم في «الحلية» عن عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: أصابت فاطمة رضي الله تعالى عنها صبيحة يوم العرس رعدة، فقال لها النبي ﷺ: «يا فاطِمَـةُ! زَوَّجْتُكِ سَيِّداً فِيْ الدُّنْيا، وَإِنَّهُ فِيْ الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِيْنَ، يا فاطِمَـةُ! لَمَّا أَرادَ اللهُ ﷻ أَنْ يُمَلِّكَكَ بِعَلِيٍّ رَضِـيَ اللهُ تَعالَىْ عَنْـهُ أَمَرَ اللهُ سُبْحانَـهُ وَتَعالَىْ جِبْرِيْلَ عَلَيْـهِ السَّلامُ فَقامَ فِيْ السَّماءِ الرَّابِـعَةِ، فَصَفَّ الْمَلائِكَةَ صُفُوْفاً، ثُمَّ خَطَبَ عَلَيْهِمْ، فَزَوَّجْتُكِ مِنْ عَلِيٍّ، ثُمَّ أَمَرَ اللهُ تَعالَىْ شَجَرَ الْجِنانِ فَحَمَلَتِ الْحُلِيَّ وَالْحُلَلَ، ثُمَّ أَمَرَهَا فَنَثَرَتْهُ عَلَىْ الْمَلائِكَةِ، فَمَنْ أَخَذَ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَيْئاً أَكْثَرَ مِمَّا أَخَذَ غَيْرُهُ افْتَخَرَ بِهِ إِلَىْ يَوْمِ الْقِيامَةِ»، قالت أم سلمة رضي الله تعالى عنها: لقد كانت فاطمة رضي الله تعالى عنها تفتخر على النساء لأن أول من خطب عليها جبريل عليه السَّلام[1].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٥٩) وقال: غريب من حديث الثوري عن الأعمش، وعبيدالله بن موسى ومن فوقه أعلام ثقات، والنظر في حال عمرو بن خالد السلفي.
قال السيوطي في «اللآلئ المصنوعة» (١/ ٣٦٤): وقال في «الميزان»: هذا الحديث كذب، وخالد كذبه جعفر الفريابي، ووهّاه ابن عدي وغيره، وقال في «اللسان»: خالد ذكره ابن حبان في «الثقات» وقال: ربما أخطأ، وقال الدارقطني: أحمد وعثمان ابنا خالد بن عمرو السلفي ثقتان وأبوهما ضعيف، وقال في موضع آخر: غيره أثبت منه، وقال ابن عدي: له أحاديث مناكير، وأخرجه الخطيب في «تاريخه»، وقال: غريب جداً تفرد به خالد بهذا الإسناد، وقد تابعه بعض الناس فرواه عن عبيدالله كذلك، والله أعلم.

وروى الطبراني، ومن طريقه أبو نعيم عن زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها قالت: خطبني عدة من قريش، فأرسلت أختي حَمْنَةَ رضي الله عنها إلى رسول الله ﷺ تستشيره، فقال لها رسول الله ﷺ: «أَيْنَ هِيَ مِمَّنْ يُعَلِّمُها كِتابَ رَبِّها وَسُنَّةَ نَبِيِّها»؟ قالت: ومن هو يا رسول الله؟ قال: «زَيْدُ بْنُ حارِثَةَ رضي الله عنه»، فغضبت حمنة غضباً شديداً، فقالت: يا رسول الله! أتزوِّجُ ابنة عمتك مولاك؟ قالت: وجاءتني فغضبت أشد من غضبها، فقلت أشد من قولها، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦] الآية قالت: فأرسلت إلى رسول الله ﷺ، فقلت: إني أستغفر الله، وأطيع الله ورسوله، وأفعل يا رسول الله ما رأيت، فزوجني زيداً.

وكنت أزري عليه، فشكاني إلى رسول الله ﷺ، فقال: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ، وَاتَّقِ الله»، فقال: يا رسول الله! أنا أطلقها، قالت: فطلقني، فلما انقضت عدتي لم أعلم إلا ورسول الله ﷺ قد دخل علي بيتي وأنا مكشوفة الشعر، فعلمت أنَّه أمر من السَّماء، فقلت: يا رسول الله! بلا خطبة ولا إشهاد؟ فقال: «اللهُ الْمُزَوِّجُ، وَجِبْرِيْلُ الشَّاهِدُ»(١).

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ٣٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٥١). قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ١١٠): والحسين ابن أبي السري ضعفه أبو داود وغيره، وحفص بن سليمان الأسدي قال البخاري: تركوه.

١١٥ ـ ومنها: التهنئة بالنكاح، وبالتوبة، وبكل ما يهنأ به:

روى ابن عساكر عن عطاء رحمه الله تعالى قال: إن الله تعالى لما خلق حواء من ضِلَع آدم ليسكن إليها جاءته الملائكة، وهنوه، وسلموا عليه عليهم السلام[١].

وروى ابن المنذر عن محمَّد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنه، وعن آبائه ـ: «إن آدم عليه السَّلام لما تاب الله عليه جاءته الملائكة عليهم السَّلام أفواجاً تهنيه؛ يقولون: نهنئك توبة الله يا أبا محمد»[٢].

١١٦ ـ ومنها: تجنب اللهو، واللعب، وكل باطل:

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَدْخُلُ الْمَلائِكَةُ بَيْتاً فِيهِ تَماثِيْلُ، أَوْ تَصاوِيْرُ»[٣].

وروى الإمام أحمد، والترمذي، وابن حبان نحوه[٤] عن أبي سعيد[٥].

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٩/ ١٠٣).

(٢) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ١٤٦) إلى ابن المنذر.

(٣) رواه مسلم (٢١١٢).

(٤) وروى البخاري (٣٧٨٠) نحوه عن أبي طلحة، لكنه قال: «لاَ تَدْخُلُ الْمَلاَئِكَةُ بَيْتًا فيه كَلْبٌ ولا صُورَةُ تَمَاثِيلَ».

(٥) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٩٠)، والترمذي (٢٨٠٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٨٤٩).

وروى أبـو داود عن عائشـة رضي الله تعـالى عنها، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «لا تَدْخُلُ الْمَلائِكَةُ بَيْتاً فِيْهِ جَرَسٌ»[1].

ورواه النسائي عن أم سلمـة مثله، وزاد: «وَلا تَصْحَـبُ رَكْباً فِيْـهِ جَرَسٌ»[2].

وروى الإمام أحمد، وأبو داود عن أم حبيبة رضي الله تعالى عنها عن النَّبيِّ ﷺ قال: «لا تَصْحَبُ الْمَلائِكَةُ رِفْقَةً فِيْها جَرَسٌ»[3].

وأخرجه النسائي عن ابن عمر، وقال: «جُلْجُلٌ»، وقد سبق[4].

وروى ابن أبي شيبة عن شريح: أنـه سمع صوت دف فقال: «إن الملائكة لا يدخلون بيتاً فيه دف»[5].

وأخرج نحوه عن سويد[6].

* تَنْبِـيْهٌ:

روى البزار عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «لا تَحْضُرُ الْمَلائِكَةُ مِنْ لَهْوِكُمْ إِلاَّ الرِّهانَ وَالنِّضالَ»[7].

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٣١).

(٢) رواه النسائي (٥٢٢٢) لكنه قال: «رفقة» بدل «ركباً».

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٣٢٧) وأبو داود (٢٥٥٤).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٦٤١١).

(٦) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٦٤١٢).

(٧) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٨٧) إلى البزار، ورواه الطبراني في =

وروى ابن عدي في «الكامل» عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمَلائِكَةُ تَشْهَدُ ثَلاثاً: الرَّمْيَ، وَالرِّهانَ، وَمُلاعَبَةَ الرَّجُلِ أَهْلَهُ»[1].

وروى الثقفي في «فوائده» عن أبي أيّوب الأنصاريِّ رضي الله عنه قال: «لا تحضر الملائكة من اللهو شيئاً إلا ثلاثة: لهو الرجل مع امرأته، وإجراء الخيل، والنِّضال»[2].

وروى النسائي، والبزار، والطبراني عن عطاء بن أبي رباح، وقال: رأيت جابر بن عبدالله، وجابر بن عمير يرتميان، فمل أحدهما، فجلس، فقال الآخر: كسلت؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كُلُّ شَيْءٍ لَيْسَ مِنْ ذِكْرِ اللهِ فَهُوَ لَغْوٌ وَلَهْوٌ إِلاَّ أَرْبَعُ خِصالٍ: مَشْيُ الرَّجُلِ بَيْنَ الْغَرَضَيْنِ، وَتَأْدِيْبُ فَرَسِهِ، وَمُلاعَبَةُ أَهْلِهِ، وَتَعْلِيْمُ السِّباحَةِ»[3].

= «المعجم الكبير» (١٣٤٧٤)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٧٧٦٤)، قال ابن طاهر المقدسي في «كتاب السماع» (ص: ٧٤): حديث يرويه عمر بن عبد الغفار الفقيمي، كان السلف يتهمونه بأنه يضع الحديث في الفضائل والمثالب.

(١) رواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٦/ ٢١١)، وقال: هذا الحديث بهذا الإسناد منكر.

(٢) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٨٥)، ورواه الذهبي بإسناده في «تذكرة الحفاظ» (٤/ ١٤٧٨)، وقال: عبدالله هو الليثي مدني ضعفه أبو حاتم.

(٣) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٨٩٣٨)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٨١٤٧).

١١٧ ـ ومنها: لبس البياض:

تقدم أن سيما الملائكة كانت يوم بدر «عمائم بيضاً»[(١)].

وسبق في صدر الباب في حديث سؤال جبريل عليه السلام عن الإسلام والإيمان في وصفه: «شديد بياض الثياب»[(٢)].

وروى الشيخان عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم أحد ومعه رجلان يقاتلان عليهما ثياب بيض كأشد القتال، ما رأيتهما قبل ولا بعد[(٣)].

زاد في رواية لمسلم: يعني: جبريل وميكائيل عليهما السَّلام[(٤)].

١١٨ ـ ومنها: لبس العمائم خصوصاً البيض، وإرخاء العَذَبة لها:

روى الطبراني في «الكبير»، والبيهقي في «الشعب» عن عبادة بن الصَّامت رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «عَلَيْكُمْ بِالْعَمائِمِ؛ فَإِنَّها سِيْما الْمَلائِكَةِ، وَأَرْخُوْا لَهَا خَلْفَ ظُهُوْرِكُمْ»[(٥)].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه البخاري (٣٨٢٨)، ومسلم (٢٣٠٦).

(٤) رواه مسلم (٢٣٠٦).

(٥) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٤١٨) عن ابن عمر، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٢٦٢) عن عبادة، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٢٠): رواه الطبراني وفيه عيسى بن يونس، قال الدارقطني: مجهول، وذكر الذهبي هذا الحديث في ترجمة يحيى بن عثمان بن صالح المصري =

وروى ابن عساكر عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: عَمَّمَ رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه وترك من عمامته مثل ورق العشر، ثم قال: «أَكْثَرُ مَنْ رَأَيْتُ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُعتمين[1]»[2].

وروى أبو داود الطَّيالسي، والبيهقيُّ عن علي رضي الله تعالى عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ أَمَدَّ فِيْ يَوْم بَدْرٍ وَحُنَيْنٍ بِمَلائِكَةٍ يَعْتَمُّوْنَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْعِمَّةِ؛ إِنَّ الْعَمائِمَ حاجِزَةٌ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالإِيْمانِ»[3].

* تَنْبِيْهٌ:

قال السيوطي في «الخصائص الكبرى»: وذكر ابن تيمية أن أصل العَذَبة أنه ﷺ لما رأى ربه واضعاً يديه بين كتفيه أكرم ذلك الموضع بالعَذَبة.

= شيخ الطبراني، ومع ذلك فقد وثقه، انتهى.
أما حديث عبادة، فقد قال ابن طاهر المقدسي في «ذخيرة الحفاظ» (٣/ ١٥٩٨): رواه الأحوص بن حكيم، وهو شامي ضعيف.

(١) في «أ»: «متعممين».

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٢/ ٨١)، ورواه أيضاً الطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٩٠١)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٢٠): رواه الطبراني في «الأوسط» عن شيخه مقدام بن داود، وهو ضعيف.

(٣) رواه أبو داود الطيالسي في «المسند» (١٥٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ١٤)، وفيه عبدالله بن بسر الحبراني الحمصي، قال الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٤/ ٦٧): قال يحيى بن سعيد القطان: رأيته وليس شيء، وقال أبو حاتم وغيره: ضعيف، وقال النسائي: ليس بثقة.

لكن قال العراقي: لم نجد لذلك أصلاً[1]، انتهى[2].

---

(١) انظر: «الخصائص الكبرى» للسيوطي (٢/ ٣٦٣).

(٢) وقد تكلم الشيخ ابن حجر الهيتمي في «شرح الشمائل» كلاماً عنيفاً وشنع على شيخ الإسلام وتلميذه كما نقله عنه علي القاري في «مرقاة المفاتيح» (٨/ ٢١٦) ثم رد عليه فقال: صانهما الله عن هذه السمة الشنيعة والنسبة الفظيعة، ومن طالع «شرح منازل السائرين» لنديم الباري الشيخ عبدالله الأنصاري الحنبلي قدس الله تعالى سره الجلي، وهو شيخ الإسلام عند الصوفية حال الإطلاق بالاتفاق بين له أنهما كانا من أهل السنة والجماعة، بل ومن أولياء هذه الأمة. ومما ذكر في الشرح المذكور ما نصه على وفق المسطور هو قوله على بعض عبارة المنازل: وهذا الكلام من شيخ الإسلام يبين مرتبته من السنة ومقداره في العلم، وأنه بريء مما رماه أعداؤه الجهمية من التشبيه والتمثيل على عاداتهم في رمي أهل الحديث والسنة بذلك، كرمي الرافضة لهم بأنهم نواصب، والناصبة بأنهم روافض، والمعتزلة بأنهم نوائب حشوية، وذلك ميراث من أعداء رسول الله ﷺ في رميه ورمي أصحابه بأنهم صباة قد ابتدعوا ديناً محدثاً، وهذا ميراث لأهل الحديث والسنة من نبيهم بتلقيب أهل الباطل لهم بالألقاب المذمومة، وقدّس الله روح الشافعي حيث يقول وقد نسب إليه الرفض:

إن كان رفضاً حب آل محمد ... فليشهد الثقلان أني رافضي

ورضي الله عن شيخنا أبي عبدالله بن تيمية حيث يقول:

إن كان نصباً حب صحب محمد ... فليشهد الثقلان أني ناصبي=

قلت: لا يخفى ما في ذلك من الانتصار لمذهب التجسيم، ولو كان لإكرام موضع اليد ـ كما زعم ـ لكان ينبغي أن يختص إرخاؤها بين الكتفين بالنبي ﷺ؛ لأن ذلك لم يتفق لغيره، والحق أن الأصل في إرخاء العَذَبة التشبه بالملائكة، كما علمت[1].

= وعفا الله عن الثالث حيث يقول:

فـإن كـان تجـسيماً ثبـوت صـفاته
وتنزيههـا عـن كـل تأويـل مفتـر

فـإني بحمـد الله ربـي مجـسم
هلمـوا شـهوداً واملـؤوا كـل محـضر

ثم شرع بشرح مذهب الشيخ في الصفات. انظر: «مرقاة المفاتيح» لعلي القاري (٨/ ٢١٧).

(١) قال الألوسي في «جلاء العينين في محاكمة الأحمدين» (ص: ٦٤٧): قال المناوي في «شرحه» أيضاً ـ بعد سوقه لكلام ابن حجر ـ ما نصه: فنقول: ابن حجر غير مستقيم؛ أما أولاً، فلأنهما ـ أي: شيخ الإسلام وابن القيم ـ قالا: إن الرؤية المذكورة كانت في المنام، وهذه كتبهما حاضرة.
وأما ثانياً: فلأنا نؤمن بأن له يداً لا كيد المخلوق، فلا مانع من وضعها وضعاً لا يشبه وضع المخلوق، بل وضع يليق بجلاله، وعجبت من الشيخ ابن حجر كيف أنكر هذا مع وجود خبر الترمذي «أتاني ربي في أحسن صورة فقال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: لا أدري، فوضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثنوتي ـ أي ثديي ـ وتجلى لي علم كل شيء» ا. هـ المراد منه. وتعقبه أيضاً الشيخ إبراهيم الكوراني في «إفاضة العلام» بقوله: أما=

وروى البيهقي في «الشعب» عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت:

= إثبات الجهة والجسمية المنسوب إليهما فقد تبين حالـه، وأنهما لم يثبتا الجسمية أصلاً، بل صرحا بنفيهما في غير ما موضع من تصانيفهما، ولم يثبتا الجهـة على وجـه يستلزم محـذوراً، وإنما أقرأ قـولـه تعالى: ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[طه: ٥] على ظاهره الذي يليـق بجـلال ذات الله تعالى، لا الظاهر الذي هو من نعوت المخلوقين حتى يستلزم الجسمية.

وأما قول العراقي: لم نجد له أصلاً، ففيـه أن ما ذكر ابن القيم ليس فيـه أن ما عزاه لشيخه منقول، حتى يتجه عليه أنه لا أصل له، وإنما فيه أن ما عزاه لشيخه إبداء مناسبة بديعة لإرخاء العذبة فهمها مما هو منقول، وهو الحديث الذي أخرجه جماعة منهم أحمد والترمذي وغيرهما، وصححـوه: «أن الله تجلى لي في أحسن صورة» وفي رواية: أتاني الليلة ربي في أحسن صورة - إلى أن قال - فوضع يده بين كتفي حتى وجـدت برد أنامله بين ثديي...»، الحديث، وإذا كان هذا فهماً منه، واستنباطاً لا نقلاً لم يرد عليه قول العراقي، ولم يجد لـه أصلاً. فالمناسبـة التي أبداها ابن تيميـة مناسبة صحيحـة غيـر مستلزمة للتجسيم، ولا مبنيـة عليه أصلاً كما ظنه ابن حجر، بل على صحة التجلي في المظهر مع التنزيه بـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[الشورى: ١١].

وقد دل كلام ابن تيمية عليه الرحمة عموماً وخصوصاً على أن الحق سبحانه وتعالى يتجلى لما يشـاء على أي وجـه يشاء مع التنزيـه بـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[الشورى: ١١] في كل حال، حتى تجليه في المظهر، وهذا هو الغاية في الإيمان والعلم أيضاً. ا. هـ. باختصار. فقد تبين لك وجه كلامِ العلامة ابن حجر، وبعدُه عن الإصابة فيما كَتَب وسطَّر، فتدبر وأنصف.

رأيت رجلاً يوم الخندق على صورة دِحْية الكلبي على دابة يناجي رسول الله ﷺ، وعليه عمامة قد أسدلها خلفه، فسألت رسول الله ﷺ؟ فقال: «ذاكَ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلامُ أَمَرَنِيْ أَنْ أَخْرُجَ إِلَىْ بَنِيْ قُرَيْظَةَ»[1].

وتقدم قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاً قد أسدلوها خلف ظهورهم[2].

* تَنْبِيْهٌ:

روى أبو الشيخ عن وهب بن مُنَبِّه رحمه الله تعالى: أن ذا القرنين أول من لبس العمامة، وذكر أنه كان برأسه قرنان كالظلفين يتحركان، فلبس العمامة من أجل ذلك[3].

فقوله: إنه أول من لبس العمامة؛ يعني: من البشر.

وقيل: إن ذا القرنين كان من الملائكة.

والأصح أنه كان من البشر، واختلف في نبوته[4].

وفيه إشارة إلى أن من محاسن العمامة وفوائدها أنها تستر ما يكون في الرأس من كِبَرٍ، أو صِغَرٍ، أو عيب، أو غير ذلك، وهو ظاهر.

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٢٥٧)، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٧٤١٢).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٧٠).

(٤) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٦/ ٣٨٣).

١١٩ ـ ومنها: لباس الصوف تواضعاً، وقناعة:

روى ابن أبي شيبة عن حميد بن إسحاق قال: قيل لهم يوم بدر: تسوموا؛ إن الملائكة قد تسومت، قال: فأول ما جعل الصوف ليومئذ[١].

ونص القرطبي على استحباب لبس الصوف تشبهاً بالملائكة في تسومهم يوم بدر[٢].

وروى الخطيب في «تلخيص المتشابه» عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: هبط جبريل عليه السَّلام على النَّبيِّ ﷺ وعليه عباءتان قطوانيتان، فقال النبي ﷺ: «وَإِنَّكُمْ لَتَلْبَسُوْنَ هَذا؟» قال: إي وربي، وإنه للباس حملة العرش[٣].

ولباس الصوف مشروط استحبابه بالسَّلامة من الرِّياء، وطلب الشهرة، وطلب الدُّنيا بلباسه.

وأحسن من قال: [من الوافر]

لَبِسْتَ الصُّوْفَ مَرْقُوْعَاً وَقُلْتَا
أَنَا الصُّوْفِيُّ لَيْسَ كَمَا زَعَمْتَا

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٢٧٢٢).

(٢) قال القرطبي في «التفسير» (٤/ ١٩٧): ولعلها نزلت عليها ـ أي الخيل البلق ـ موافقة لفرس المقداد فإنه كان أبلق، ولم يكن لهم فرس غيره، فنزلت الملائكة على الخيل البلق؛ إكراماً للمقداد، كما نزل جبريل معتجراً بعمامة صفراء على مثال الزبير، والله أعلم.

(٣) ورواه ابن الأعرابي في «معجمه» (٢/ ٤٨٤).

فَمَـــا الـــصُّوْفِيُّ إلاَّ مَـــنْ تَـــصَافا

مِـــنَ الأَكْـــدَارِ وَيْحَـــكَ لَـــوْ عَقَلْتَـــا

١٢٠ ـ ومنها: الائتزار إلى أنصاف السوق:

روى الطبراني في «الأوسط»، والديلمي عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّه رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ائْتَزِرُوْا كَما رَأَيْتُ الْمَلائِكَةَ تَأْتَـزِرُ»، قالوا: يا رسول الله! كيف رأيت؟ قال: «إِلَىْ أَنْصافِ سُوْقِها»[١].

وفي الحديث الصحيح: «إِزْرَةُ الْمُؤْمِنِ إِلَىْ أَنْصافِ ساقَيْهِ»[٢].

١٢١ ـ ومنها: التأذي بالروائح الكريهة، وسائر ما يُتَأَذَّى منه:

روى مسلم عن جابر ﷺ قال: قال رسـول الله ﷺ: «مَـنْ أَكَـلَ الْبَصَلَ، وَالثُّوْمَ، وَالْكُرَّاثَ فَلا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنا؛ فَإِنَّ الْمَلائِكَةَ تَتَأَذَّىْ مِمَّا

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٨٠٧)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٢٨٨)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٢٣): رواه الطبراني في «الأوسط» وفيه المثنى بن الصباح، وثقه ابن معين، وضعفه أحمد وجمهور الأئمة، حتى قيل: إنه متروك، ويحيى بن السكن ضعيف جداً.

(٢) رواه أبو داود (٤٠٩٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٩٧١٤)، وابن ماجه (٣٥٧٣)، وصحح النووي إسناد أبي داود في «رياض الصالحين» (ص: ١٦٧).

يَتَأَذَّىْ مِنْهُ بَنُوْ آدَمَ»[1].

وروى أبـو نعيم، والخطيب عن أنس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ لا يأكل الثوم ولا البصل ولا الكراث من أجل أن الملائكة تأتيـه، وأنـه يكلم جبريل عليه السلام[2].

وروى ابن أبي الدُّنيا في كتاب «المنامات» قال: ثنا إسحاق بن إسماعيل قال: سمعت سفيان بن عيينـة يقـول: رأيت النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله! ما تقول في الثوم والبصل؟ فقال: «الْمَلائِكَةُ تَتَأَذَّىْ بهما»[3].

وروى الطبراني في «الأوسط» بإسناد حسن، عن عبدالله بن يزيد[4] رضي الله تعالى عنـه، عن النبي ﷺ قال: «لا يُنْقَـعْ بَـوْلٌ فِيْ طَسْتٍ فِيْ الْبَيْتِ؛ فَإِنَّ الْمَلائِكَـةَ لا تَدْخُـلُ بَيْتـاً فِيْـهِ بَـوْلٌ مُنْتَقِـعٌ، وَلا تَـبُوْلَنَّ فِيْ مُغْتَسَلِكَ»[5].

وروى «فيه» عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهمـا: أنّـه قال: مـر

---

(1) رواه مسلم (٥٦٤).

(2) رواه أبو نعيم في «حليـة الأولياء» (٦/ ٣٣٢)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٢/ ٢٦٥).

(3) رواه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (ص: ٦٨).

(4) في «أ»: جابر بن عبدالله، والمثبت من «المعجم الأوسط» للطبراني (٢٠٧٧).

(5) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٠٧٧). وحسن إسناده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٠٤).

رسول الله ﷺ بصنم من نحاس، فضرب ظهره بظهر كفه، ثم قال: «خابَ وَخَسِرَ مَنْ عَبَدَكَ مِنْ دُوْنِ اللهِ»، ثم أتى النبي ﷺ جبريل عليه السلام ومعه ملك، فتنحى الملك، فقال النبي ﷺ: «ما شَأْنُهُ تَنَحَّىْ»؟ قال: «إنه وجد منك ريح نحاس، وإنا لا نستطيع ريح النحاس»[1].

قلت: ولعل هذا هو السبب في أن الملائكة لا تصحب ركباً فيه جرس ولا جلجل، كما ورد في الحديث، مع كونهما مما يتلهى به، والله الموفق.

١٢٢ ـ ومنها: الرثاء لحال الفقراء والضعفاء، والتعطف عليهم، ولذلك يفرحون بذهاب الشتاء:

روى الطبراني عن ابن عبَّاس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمَلائِكَةَ لَتَفْرَحُ بِذَهابِ الشِّتاءِ رَحْمةً لِمَا يَدْخُلُ عَلَىْ فُقَراءِ الْمُسْلِمِيْنَ مِنَ الشِّدَّةِ»[2].

ورواه الخطيب في «تلخيص المتشابه»، ولفظه: «تَفْرَحُ الْمَلائِكَةُ بِذَهابِ الشِّتاءِ لِما يَدْخُلُ عَلَى فُقَراءِ أُمَّتِيْ».

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٨٨٢)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٧٤): وفيه يزيد بن يوسف الصنعاني ضعفه ابن معين وغيره، وهو متروك، وأثنى عليه أبو مسهر وأبو سبرة، قال الذهبي: لا يعرف، وبقية رجاله ثقات.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١١٧١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٣٧): وفيه معلى بن ميمون، وهو متروك.

١٢٣ ـ ومنها: الفرح بتيسير الطَّاعة على المؤمنين:

روى الإمام أحمد في «الزُّهد» عن قتادة رحمه الله تعالى قال: إن الملائكة لتفرح بالشِّتاء للمؤمن؛ يقصر النهار فيصومه، ويطول الليل فيقومه[1].

ومثل ذلك لا يقال من قِبَل الرأي، فحكمه حكم المرفوع.

* **تَنْبِيْهٌ:**

اختلف السبب في فرح الملائكة بإقبال الشتاء وفرحهم بذهابه، فلا تعارض بينهما.

١٢٤ ـ ومنها: إدخال السُّرور على قلوب المؤمنين، وتبشيرهم، وتعزية المحزونين، وتسليتهم:

قال الله تعالى حكاية عن رسل إبراهيم عليه السَّلام ﴿قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾[الحجر: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[فصلت: ٣٠].

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النَّبيِّ ﷺ «أَنَّ رَجُلاً زارَ أَخاً لَهُ فِيْ اللهِ، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ مَلَكاً فقالَ: أَيْنَ تُرِيْدُ؟ فَقالَ: أُرِيْدُ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٢٢٥).

أَنْ أَزُوْرَ أَخِيْ فُلاناً، قالَ: لِحاجَةٍ لَكَ عِنْدَهُ؟ قالَ: لا، قالَ: لِقَرابَـةٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَـهُ؟ قالَ: لا، قالَ: فِيْمَـه؟ قالَ: أُحِبُّـهُ فِيْ اللهِ، قالَ: فَإِنَّ اللهَ تَعالَىْ أَرْسَلَنِيْ إِلَيْكَ يُخْبِـرُكَ بِأَنَّهُ يُحِبُّكَ لِحُبِّكَ إِيَّاهُ، وَقَدْ أَوْجَبَ لَكَ الْجَنَّةَ»[1].

وروى ابن أبي الدُّنيا، والطَّبرانيُّ عن العِرباض بن سارية ﷺ: أنه كان يحب أن يقبض، فكان يقول: اللهم كَبُـرْ سني، ووَهَنَ عظمي، فاقبضني إليك، قال: فبينما أنا يوماً في مسجد دمشق وأنا أصلي، وأدعو أن أقبض إذ أنا بفتى شاب من أجمل الرجال، وعليه رداء أخضر، فقال: ما هذا الذي تدعو بـه؟ قلت: وكيف أدعو؟ قال: اللهم حسن العمل، وبلغ الأجل، قلت: من أنـت يرحمك الله؟ قال: أنـا روقيائيل[2] الذي يسل الحزن من صدور المؤمنين، ثم التفتُّ فلم أر أحداً[3].

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٧) وقد ذكره المصنف بالمعنى، ولفظه: «أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا له في قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ الله له على مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فلما أتى عليه قال: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قال: أُرِيدُ أَخًا لي في هذه الْقَرْيَةِ، قال هل لك عليه من نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قال: لاَ، غير أني أَحْبَبْتُهُ في اللَّهِ ﷻ، قال: فَإِنِّي رسـول اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قد أَحَبَّكَ كما أَحْبَبْتَهُ فيه».

(٢) كذا في «أ»، وعند ابن أبي الدنيا في «الهواتـف» (ص: ٩٧): زنائيل، وعند الطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ٢٤٥): ريبائيل، وعند ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٠/ ١٨٢): رتائيل.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (ص: ٩٧)، ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ٢٤٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٠/ ١٨٢).

وروى الديلمي عن أنس رضي الله تعالى عنه، عن النَّبيِّ ﷺ «أَنَّ مُشَيِّعِيْ الْجَنازَةِ قَدْ وَكَّلَ اللهُ بِهِمْ مَلَكاً وَهُمْ مُهْتَمُّوْنَ مَحْزُوْنُوْنَ، حَتَّىْ إِذا أَسْلَمُوْهُ فِيْ ذَلِكَ الْقَبْرِ، وَرَجَعُوْا راجِعِيْنَ أَخَذَ كَفّاً مِنْ تُرابٍ فَرَمَىْ بِهِ وَهُوَ يَقُوْلُ: ارْجِعُوْا إِلَىْ دُنْياكُمْ، أَنْساكُمُ اللهُ مَوْتاكُمْ، فَيَنْسَوْنَ مَيِّتَهُمْ وَيَأْخُذُوْنَ فِيْ شَرابِهِمْ وَبَيْعِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُوْنُوْا مِنْهُمْ»[1].

والمعنى: أن هذا الملك موكل بتسلية النَّاس عن مصائبهم ليرجعوا إلى معاشهم، فتظهر مظاهر أسمائه تعالى فيهم أمراً ونهياً، ووعداً ووعيداً، وثواباً وعقاباً، فيبرز كل شيء سبق به القضاء على وفق ما قضى؛ إذ لولا الأمل لخربت الدَّنيا، والدُّنيا مزرعة الآخرة.

وقد روى ابن أبي شيبة، والإمام أحمد في «الزُّهد» عن الحسن قال: لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة: إن الأرض لا تسعهم، قال: إني جاعلٌ موتاً، قالوا: إذاً لا يهنؤهم عيش، قال: إني جاعل أملاً[2].

وقد قلت: [من الخفيف]

مَا سَلا مَنْ سَلا بَعْدَ مَوْتٍ نَزَلْ
وَأَتَىْ الْمَرْءَ مِنْ بَعْدِ زُهدٍ أَمَلْ

---

(١) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٩٠٨).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٢٢٢)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ١١٤) إلى الإمام أحمد في «الزهد».

لِـــسِوَىْ حِكْمَـــةٍ ذَاقَهَـــا مَـــنْ عَقَـــلْ

وَلِنَيْـــلِ الْمُنَـــىْ أَمْرُهَـــا قَـــدْ كَمَـــلْ

لَـــوْ تَمَـــادَىْ بِنَـــا حُزْنُنَـــا وَالْوَجَـــلْ

ظَهَـــرَ الـــنَّقْصُ فِـــيْ أَمْرِنَـــا أَوْ بَطَـــلْ

عَـــزَّ مَـــنْ أَحْكَـــمَ الـــصُّنْعَ فِيْنَـــا وَجَـــلْ

رَبَّنَـــا الْطُـــفْ بِنَـــا لانْتِهَـــاءِ الأَجَـــلْ

١٢٥ ـ ومنها: تفقد الإخوان، ومعاونتهم، وعيادة مرضاهم:

روى البيهقيُّ عن عبدالله بن سلام رضي الله تعالى عنه قال: إن للمساجد أوتاداً هم أوتادها، وإن لهم جلساً من الملائكة تفقدهم الملائكة إذا غابوا، فإن كانوا مرضى عادوهم، وإن كانوا في حاجة عاونوهم[١].

وقد سبقت الإشارة في هذا المعنى في لزوم المساجد، وذكرنا ثَمَّ حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه فيه.

* **تَنْبِيْهٌ:**

روى أبو الشيخ عن العُتبي قال: إذا مرض العبد، ثم عوفي فلم يزدد خيراً، قالت الملائكة: داويناه فلم ينفعه الدَّواء[٢].

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٩٥٣). ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٥٠٧).

(٢) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٣٢٦) إلى أبي الشيخ، وذكره ابن قتيبة في «عيون الأخبار» (ص: ٢٩٥).

وقد قلت: [من السريع]

قَــدْ يَمْــرَضُ الْعَبْـدُ فِـيْ دائِـهِ ... أَدْوِيَـــةٌ لِلْقَلْـــبِ لَـــوْ يَعْقِــلُ

نَضـجٌ مِـنْ أَدْوائِنَـا وَهِـيَ مِـنْ ... أَدْوِيَـــةِ الأَدْوَاءِ لَـــوْ نَعْقِـــلُ

لَكِـنْ دَوَاءُ الْفَاسِـدِ الطَّبْـعِ لَـوْ ... تُؤْتِيـــهِ مَـــا شِـــئْتَ لا يَفْعَـــلُ

١٢٦ ـ ومنها: الأمر بالتداوي خصوصاً بالحجامة:

روى الترمذي وحسَّنه، وابن ماجه، والحاكم وصححه، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مَرَرْتُ بِمَـلأٍ مِنَ السَّماءِ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِيْ إلاَّ قالَ: عَلَيْكَ بِالْحِجامَةِ»[1].

وروى ابن ماجه بسند حسن، عن أنس رضي الله تعالى عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «ما مَرَرْتُ لَيْلَـةَ أُسْـرِيَ بِيْ بِمَـلأٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ إلاَّ قالُوْا: مُرْ أُمَّتَكَ بِالْحِجامَةِ»[2].

١٢٧ ـ ومنها: مداواة المرضى، ومباشرة علاجهم، ومؤانستهم:

وسبق في ذلك قصة عمران بن حصين مع الملائكة عليهم السَّلام[3].

---

(١) رواه الترمذي (٢٠٥٣) وحسنه، وابن ماجه (٣٤٧٧)، والحاكم في «المستدرك» (٧٤٧٣).

(٢) رواه ابن ماجـه (٣٤٧٩)، قال البوصيـري في «مصباح الزجاجة» (٤/ ٦٢): هذا إسناد ضعيف لضعف كثير وجبارة، ولـه شاهد من حديـث ابن مسعود رواه الترمذي. **قلت**: رواه الترمذي (٢٠٥٢) عن ابن مسعود وحسنه.

(٣) تقدم تخريجه.

وروى ابن أبي الدُّنيا في كتاب «المنامات» عن محمَّد بن المُنْكَدر قال: دخل رسول الله ﷺ على أبي بكر ﷺ فرآه ثقيلاً ـ يعني: في المرض ـ فخرج من عنده، ودخل على عائشة رضي الله تعالى عنها فإنه ليخبرها بوجع أبي بكر ﷺ إذ جاء أبو بكر يستأذن، فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: أبي ـ والله ـ، فدخل فجعل رسول الله ﷺ يتعجب لما عجل الله تعالى له من العافية، فقال: ما هو إلا أن خرجت من عندي فغفوت، فأتاني جبريل عليه السَّلام فسعطني سعطة، فقمت وقد برئت»[1].

وروى ابن أبي الدُّنيا في كتاب «الرضا» عن سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى قال: قال لقمان لابنه عليهما السَّلام: يا بُنَيَّ! لا ينزلن بك أمر ـ رضيته أو كرهته ـ إلا جعلت في الضمير منك أن ذلك خير لك، قال: أما هذه فلا أعطيكها دون أن أعلم ما قلت كما قلت، قال: يا بُنَيَّ! فإن الله قد بعث نبيّاً هلم حتى نأتيه فنصدقه، قال: اذهب يا أبه، فخرج على حمار وابنه على حمار، وتزودا، ثم سارا أياماً وليالي حتَّى لقيتهما مفازة، وأخذا أُهبتهما لها، فدخلا فسارا ما شاء الله حتَّى ظهرا وقد تعالى النهار واشتد الحر، ونفِدَ الماء والزاد، واستبطآ حماريهما، فنزلا، فجعلا يشتدان على مرقهما، فبينما هما كذلك إذ نظر لقمان أمامه، فإذا هو بسواد ودخان، فقال في نفسه: السواد الشجر، والدخان العمران والنَّاس، فبينما

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (ص: ١١٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٢١٥).

هما كذلك يشتدان إذ وطئ ابن لقمان على عظم ناتئ على الطريق، فخر مغشياً عليه، فوثب لقمان فضمه إلى صدره، واستخرج العظم بأسنانه، ثم نظر إليه فذرفت عيناه، فقال: يا أبه! أنت تبكي وأنت تقول: هذا خير لي؟ فكيف يكون هذا خيراً لي ونَفِدَ الطعام والماء، وبقيت أنا وأنت في هذا المكان، فإن ذهبت وتركتني على حالي ذهبت بهم وغم ما بقيت، وإن أقمت معي متنا جميعاً؟ فقال: يا بُنَيَّ! أما بكائي فَرِقَّةُ الوالدين، وأما ما قلت: كيف يكون هذا خياراً لي؟ فلعل ما صُرف عنك أعظم ما ابتليت به، ولعل ما ابتليت به أيسر مما صرف عنك، ثم نظر لقمان أمامه فلم ير ذلك الدخان والسواد، وإذا بشخص أقبل على فرس أبلق عليه ثياب بياض وعمامة بيضاء يمسح الهواء مسحاً، فلم يزل يرمُقُه بعينه حتى كان منه قريباً، فتوارى عنه، ثم صاح به: أنت لقمان؟ قال: نعم، قال: أنت الحكيم؟ قال: كذلك يقال، قال: ما قال لك ابنك؟ قال: يا عبدالله! من أنت؟ أسمع كلامك ولا أرى وجهك، قال: أنا جبريل؛ أمرني ربي بخسف هذه المدينة ومن فيها، فأخبرت أنكما تريدانها، فدعوت ربي أن يحبسكما عني بما شاء، فحبسكما بما ابتلى به ابنك، ولولا ذلك لخسف بكما مع من خسف، ثم مسح جبريل يده على قدم الغلام فاستوى قائماً، ومسح يده على الذي كان فيه الماء فامتلأ، ثم حملهما وحماريهما فرحل بهما كما يرحل الطير، فإذا هما في الدار [التي خرجا منها][1]

---

(١) زيادة من «الرضا عن الله بقضائه» لابن أبي الدنيا.

بعد أيام وليالي[1].

ولا شك أن مسح جبريل عليه السلام على قدم الغلام علاج ومداواة لو لم يكن إلا أناله بركة يده، وكان ذلك قائماً مقام التكميد، ومن هنا يستحب لعائد المريض أن يضع يده عليه.

كما روى الترمذي، وابن السُّنِّي عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَمامُ عِيادَةِ الْمَرِيْضِ أَنْ يَضَعَ أَحَدُكُمْ يَدَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ أَوْ عَلَى يَدِهِ، فَيَسْأَلُهُ: كَيْفَ هُوَ؟»[2].

ولفظ ابن السُّنِّي: «مِنْ تَمامِ الْعِيادَةِ أَنْ تَضَعَ يَدَكَ عَلَىْ الْمَرِيْضِ فَتَقُوْلَ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ وَكَيْفَ أَمْسَيْتَ؟»[3].

ويلوح لي أن وضع اليد على المريض إنما شرع لينال المريض بركة يد المؤمن.

وقول لقمان لابنه[4]: «لعل ما صرف عنك أعظم ما ابتليت به» هو أصل ما هو دائر على ألسنة الناس من قولهم: (ما دفع الله كان أعظم)، ولم أجده في الحديث المرفوع.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (ص: ٦٣ ـ ٦٥).

(٢) رواه الترمذي (٢٧٣١) وقال: هذا إسناد ليس بالقوي، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٤٨٥).

(٣) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٤٨٥).

(٤) في الأثر المتقدم.

١٢٨ ـ ومنها: الرقية بذكر الله تعالى، وأسمائه، وكلامه:

روى ابن ماجه، وغيره، وصححه الحاكم، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَلا أَرْقِيكُمْ بِرُقْيَةٍ رَقانِيْ بِها جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلامُ؟ يَقُوْلُ: بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيْكَ، وَاللهُ يَشْفِيْكَ، مِنْ كُلِّ داءٍ آتِيْكَ، مِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ فِيْ الْعُقَدِ، وَمِنْ شَرِّ حاسِدٍ إِذا حَسَدَ؛ يَرْقِيْ بِها ثَلاثَ مَرَّاتٍ»[1].

وروى مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان إذا اشتكى رسول الله ﷺ رقاه جبريل عليه السلام؛ قال: «بسم الله يبريك، ومن كل داء يشفيك، من شر حاسد إذا حسد، وشر كل ذي عين»[2].

وعن أبي سعيد: أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال: «يا محمد! اشتكيت؟» فقال: «نعَمْ»، قال: «بسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك، بسم الله أرقيك»[3].

وأخرجه الترمذي، والنَّسائي، وابن ماجه بالأسانيد الصحيحة، وصححه الترمذي[4].

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٥٢٤)، والحاكم (٣٩٩٠)، قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٤/ ٧٣): هذا إسناد فيه عاصم بن عبيدالله وهو ضعيف.

(٢) رواه مسلم (٢١٨٥).

(٣) رواه مسلم (٢١٨٦).

(٤) رواه الترمذي (٩٧٢) وصححه، والنَّسائي في «السنن الكبرى» (٧٦٦٠)، وابن ماجه (٣٥٢٣).

١٢٩ ـ ومنها: حضور العبد المؤمن عند وفاته، وتسليته، وتبشيره، وتطييب خاطره، وتحسين ظنه بربه، وتلقينه كلمة الشهادة، وتحريفه إلى القبلة، وتغميضه:

وأدلة ذلك كثيرة جداً.

منها قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾[فصلت: ٣٠] الآية.

قال مجاهد: ذلك عند الموت. رواه البيهقي[١].

وروى عنه ابن أبي حاتم، وغيره أنه قال في الآية: أي: لا تخافوا مما تقدمون عليه من الموت وأمر الآخرة، ولا تحزنوا على ما خلفتم من أمر الدُّنيا من ولد أو أهل، أو دَيْنٍ؛ فإنه سيخلفكم الله تعالى في ذلك كله[٢].

وروى الطَّبراني في «معجمه الكبير»، وأبو نعيم في «معرفة الصَّحابة» عن جعفر بن محمَّد، [عن أبيه، عن الحارث بن الخزرج، عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ][٣]: أن ملك الموت يتصفح وجوه أهل البيت عند مواقيت الصَّلاة، فإذا نظر عند الموت فإن كان ممن يحافظ على الصَّلاة

---

(١) رواه البيهقي في «إثبات عذاب القبر» (ص: ٦٦).

(٢) ورواه الطبري في «التفسير» (٢٤/ ١١٦).

(٣) ما بين معكوفتين من «المعجم الكبير» للطبراني (٤١٨٨)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٢/ ١٠٠٣).

دنا منه الملك، وطرد عنه الشَّيطان، ويلقنه الملك: لا إله إلا الله محمَّد رسول الله، في ذلك الحال العظيم[1].

وروى ابن أبي شيبة، وغيره عن الحسن قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: احضروا موتاكم، ولقنوهم: لا إله إلا الله؛ فإنهم يرون، ويقال لهم[2].

وروى سعيد بن منصور، وغيره عن مكحول قال: قال عمر رضي الله تعالى عنه: لقنوا موتاكم: لا إله إلا الله، واعقلوا ما تسمعون من المطيعين منكم؛ فإنه تجلى لهم أمور صادقة[3].

وروى عبد الرزاق عن الحسن قال: إن الملائكة وجَّهوا آدم حين حضره الموت، ثم غَمَّضوه[4].

* تَنْبِيْهٌ:

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمَلائِكَةَ لا تَحْضُرُ الْجُنُبَ، وَلا الْمُتَضَمِّخَ بِالْخَلُوْقِ حَتَّىْ يَغْتَسِلا».

رواه الطبراني في «الكبير» عن ابن عباس رضي الله عنهما[5].

---

(١) رواه الطَّبراني في «المعجم الكبير» (٤١٨٨)، وأبو نعيم في «معرفة الصَّحابة» (٢/ ١٠٠٣).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠٨٥٨).

(٣) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٢٣) إلى سعيد بن منصور.

(٤) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٦٠٦٥).

(٥) رواه الطَّبراني في «المعجم الكبير» (١٢٠١٧). قال الهيثمي في «مجمع =

وقالت ميمونة بنت سعد رضي الله تعالى عنها: يا رسول الله! هل يرقد الْجُنُبُ؟ قال: «ما أُحِبُّ أَنْ يَرْقُدَ حَتَّىْ يَتَوَضَّأَ؛ فَإِنِّي أَخافُ أَنْ يُتَوَفَّى وَلا يَحْضُرَهُ جِبْرِيْلُ».

رواه في «الكبير» أيضاً[1].

وروى الإمام أحمد، وأبو داود عن عمَّار بن ياسر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمَلائِكَةَ لا تَحْضُرُ جَنازَةَ الْكافِرِ بِخَيْرٍ، وَلا الْمُتَضَمِّخِ بِالزَّعْفَرانِ، وَلا الْجُنُبِ»[2].

وفي قولـه: «بخير» إشارة إلى أن الملائكة تحضر جنازة الكافر بشرٍّ.

وقد ذكرنا فيما سبق أن ملائكة العذاب تتبع جنازة الكافر، وملائكة الرحمة تتبع جنازة المؤمن، والله الموفق.

١٣٠ ـ ومنها: زيارة قبور الصالحين، وحَمَلَة القرآن:

روى أبـو نعيم عن علي رضي الله تعالى عنـه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «يا عَلِيُّ! تَعَلَّمِ الْقُرْآنَ وَعَلِّمْهُ النَّاسَ؛ فَلَكَ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَناتٍ، فَإِنْ

= الزوائد» (١/ ٢٧٥): وفيه يوسف بن خالد السمتي، قال فيـه ابن معين: كذاب خبيث عدو الله.

(١) رواه الطَّبـراني في «المعجم الكبيـر» (٢٥/ ٣٦)، وإسناده ضعيف. انظر: «مجمع الزوائد» للهيثمي (١/ ٢٧٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣٢٠)، وأبو داود (٤١٧٦).

مِتَّ مِـتَّ شَهِيْداً، يا عَلِيُّ! تَعَلَّمِ الْقُرْآنَ وَعَلِّمْـهُ النَّاسَ، فَإِنْ مِتَّ حَجَّتِ الْمَلائِكَةُ إِلَىْ قَبْرِكَ كَما يَحُجُّ النَّاسُ إِلَىْ بَيْتِ اللهِ»[1].

والمراد بالحج هنا قصد قبور حملة القرآن بالزيارة، والاستغفار لهم.

١٣١ ـ ومنها: طرد الشَّياطين:

ومن الأمثال السَّائرة: إذا حضرت الملائكة فرت الشَّياطين.

وقد تقدم في كلام جعفر بن محمَّد رضي الله تعالى عنه: أن الملائكة تطرد الشَّياطين عن المحافظ على الصلوات عند الموت.

وروى الإمام ابن الإمام، عبدالله بن أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنهما في «زوائـد الزهـد» عن يحيى بن سليم الطَّـائفي، عن من ذكـره قال: الكلمـة التي تزجر بها الملائكة الشياطين حين يسترقـون السمع: ما شاء الله[2].

وقال الله تعالى ـ حكـايـة عن الجـن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٨ ـ ٩].

قال ابن عباس: كانت الجن قبل أن يبعث النبي ﷺ يستمعون من السَّماء، فلما بعث حُرِسَتْ، فلم يستطيعوا أن يستمعـوا، فجـاؤوا إلى قومهم يقولـون للذين لم يستمعـوا: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: «الزهد» (ص: ٦٨).

حَرَسًا شَدِيدًا﴾[الجن: ٨] الملائكة، ﴿وَشُهُبًا﴾[الجن: ٨] وهي الكواكب، ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾[الجن: ٩]، يقول: نجماً قد أرصد له يرمى به. رواه ابن مردويه[١].

وقال ابن جريح في قوله: ﴿يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا﴾[الجن: ٩]، قال: من النجوم، ﴿رَّصَدًا﴾[الجن: ٩]: من الملائكة. رواه ابن المنذر[٢].

وروى الإمام أحمد، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وآخرون عن مَعْمَر، عن الزُّهريِّ، عن علي بن الحسين، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم قال: كان رسول الله ﷺ جالساً في نفر من أصحابه، فرمي بنجم، فاستنار، قال: «ما كُنْتُمْ تَقُوْلُوْنَ إِذا كانَ مِثْلُ هَذا فِيْ الْجَاهِلِيَّةِ؟» قالوا: كنا نقول: يولد عظيم، أو يموت عظيم، قال: «فَإِنَّها لا يُرْمَىْ بِها لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا حَياتِهِ، وَلَكِنْ رَبُّنا إِذا قَضَىْ أَمْراً يَهِيْجُ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، ثُمَّ يُسَبِّحُ أَهْلُ السَّماءِ، فَيَقُوْلُ الَّذِيْنَ يَلُوْنَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ: ما قالَ رَبُّكُمْ؟ فَيُخْبِرُوْنَهُمْ، وَيُخْبِرُ أَهْلُ كُلِّ سَماءٍ سَماءً حَتَّىْ يَنْتَهِيَ الْخَبَرُ إِلَىْ هَذِهِ السَّماءِ، وَيَخْطِفَ الْجِنُّ السَّمْعَ فَيُرْمَوْنُ، فَما جاؤُوْا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ، وَلَكِنَّهُمْ يُحَرِّفُوْنَ وَيَزِيْدُوْنَ فِيْهِ»[٣].

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٣٠٣).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٣٠٣).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢١٨)، ومسلم (٢٢٢٩)، والترمذي (٣٢٢٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٢٧٢).

قال معمر: قلت للزهري[1]: أكـان يرمى بهـا في الجاهليـة؟ قال معـمـر: قـال: أرأيـت: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٩]، قـال: غُلِّظَـت، وشـدد أمرهـا حين بعث رسول الله ﷺ[2].

١٣٢ ـ ومنها: تعظيم جلال الله تعالى، وأسمائه، وصفاته، وأمره:

روى الشيخـان، وأبـو داود، والتـرمـذي، وابن ماجـه عـن أبي هريرة ﷺ: أن النبي ﷺ قـال: «إِذا قُضِـيَ الأَمْـرُ فِيْ السَّـماءِ ضَـرَبَـتِ الْمَلائِكَةُ بِأَجْنِحَتِها خُضْعاناً لِقَوْلِـهِ كَأَنَّـهُ سِلْسِلَةٌ عَلَىْ الصَّفْـوانِ يَنْفُـذُهُمْ ذَلِكَ...»، الحديث[3].

وفي حديث خرجه أبـو نصـر السِّجْزِي في «الإبانـة» عن عائشـة رضي الله تعالى عنها [قالت: قال رسول الله ﷺ][4]: «فَإِذا أَرادَ ذُوْ الْعَرْشِ أَمْراً سَمِعَتِ الْمَلائِكَةُ كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَىْ الصَّفا فَيُغْشَىْ عَلَيْهِمْ، فَإِذا قامُوْا: ﴿قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣] قالَ مَنْ شاءَ اللهُ:

---

(١) في «أ»: «للزبير».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢١٨).

(٣) رواه البخاري (٤٥٢٢)، والترمذي (٣٢٢٣)، وابن ماجـه (١٩٤). وعزو المؤلف الحديث إلى مسلم وأبي داود، تابع فيه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٩٧).

(٤) زيادة من «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٧٠٠).

﴿ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾[سبأ: ٢٣]»[1].

وروى الطَّبراني عن علي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ كِتابٍ يُلْقَىٰ بِمَضْيَعَةٍ مِنَ الأَرْضِ إلاَّ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهِ مَلائِكَةً يَحُفُّوْنَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ، وَيُقَدِّسُوْنَهُ حَتَّىٰ يَبْعَثَ اللهُ إِلَيْهِ وَلِيّاً مِنْ أَوْلِيائِهِ يَرْفَعُهُ مِنَ الأَرْضِ، وَمَنْ رَفَعَ كِتاباً فِيْهِ اسْمٌ مِنْ أَسْماءِ اللهِ رَفَعَ اللهُ اسْمَهُ فِيْ عِلِّيِّيْنَ، وَخَفَّفَ عَنْ وَالِدَيْهِ الْعَذابَ وَإِنْ كانا كافِرَيْنِ»[2].

١٣٣ ـ ومنها: الحياء، وغض البصر:

روى ابن أبي شيبة، عن الحسن بن عبيدالله قال: مررت إلى الحمام فرآني أبو صادق، فقال: معك إزارٌ؟ فإن علياً كان يقول: من كشف عورته أعرض عنه الملَك[3].

وروى عبد الرزاق عن عطاء قال: لا تشهدك الملائكة وأنت على الخلاء[4].

وعن مجاهد قال: يجتنب الملك الإنسان في موطنين: عند

---

(١) وكذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧٠٠) إلى أبي نصر السجزي.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الصغير» (٤٠٣). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ١٦٩): وفيه الحسين بن عبد الغفار، وهو متروك.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١١٧٤).

(٤) ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢٢١).

غائطه، وعند جِماعِهِ.

وروى البزار عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَنْهاكُمْ عَنِ التَّعَرِّيْ؛ فَاسْتَحْيُوْا مِنْ مَلائِكَةِ اللهِ الَّذِيْنَ مَعَكُم، الْكِرامِ الْكاتِبِيْنَ الَّذِيْنَ لا يُفارِقُوْنَكُمْ إِلاَّ عِنْدَ إِحْدَىْ ثَلاثِ حاجاتٍ: الْغائِطِ، وَالْجَنابَةِ، وَالْغُسْلِ»[1].

١٣٤ ـ ومنها المبادرة إلى الطَّاعة:

قال تعالى: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[التحريم: ٦].

وقال تعالى: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾[الأنبياء: ٢٧].

* لَطِيْفَةٌ:

روى أبو نعيم عن عكرمة قال: قال جبريل عليه السلام: إن ربي ﷻ ليبعثني إلى شيء لأمضيه فأجد الكَونَ قد سبقني إليه[2].

أراد بالكون المشار إليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[يس: ٨٢].

---

(١) رواه البزار في «المسند» (٤٧٩٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٦٨): رواه البزار وقال: لا يروي عن ابن عباس إلا من هذا الوجه، وجعفر بن سليمان لين، قلت: جعفر بن سليمان من رجال الصحيح، وكذلك بقية رجاله.

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٣٣٥).

فإن قلت: إذا كان الكون سبق جبريل إلى ذلك الشيء، فما الحكمة في إرسال جبريل إليه؟

قلت: الحكمة فيه حصول جبريل عليه السلام على ثواب الطاعة، وإظهار عجائب القدرة الإلهية له ليسبح الله تعالى ويمجده، ويعترف له بالقدر.

١٣٥ ـ ومنها: استذلال النفوس في طاعة الله، وعدم الاستكبار والاستنكاف عنها:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ﴾[الأعراف: ٢٠٦].

وقال تعالى: ﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾[النساء: ١٧٢].

وقال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾[الأنبياء: ٢٠].

وروي أن أُويس القَرني رحمه الله تعالى قال: والله لأعبدن الله عبادة الملائكة، وكان ليلة يَقْطَعُها قائماً، وليلة يقطعها ساجداً[1].

وفي ذلك إشارة إلى أن أولياء الله من بني آدم تَرَبّاً هممُهم إلى التشبه بالملائكة، والاقتداء بهم، والتساوي معهم في الطَّاعات.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «التبصرة» (١/ ٤٤)، وروى بمعناه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٩/ ٤٤٣)، وقد تقدم.

١٣٦ ـ ومنها: التبري من الحول والقوة في الطَّاعة وغيرها، والاعتراف بالعجز عن القيام بحق الله تعالى وعدم الإعجاب بالطَّاعة، والنظر إليها:

روى الإمام عبدالله بن المبارك في «الزَّهد» عن سفيان، عن إسماعيل ابن أبي خالد، عن أبي عيسى شيخ قديم قال: إن ملكاً لما استوى الرب تبارك وتعالى على كرسيه سجد، فلم يرفع رأسه ولا يرفعه حتى تقوم الساعة، فيقول يوم القيامة: رب لم أعبدك حق عبادتك إلا أني لم أشرك بك شيئاً، ولم أتخذ من دونك ولياً[١].

وروى أبو نعيم عن صفوان بن سليم قال: ما نهض ملك من الأرض حتَّى يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله[٢].

وأخرجه الديلمي من طريقه ـ مرفوعاً ـ بسند ظريف تقدم[٣].

وروى ابن منده في «الصَّحابة» عن جرير رضي الله تعالى عنه قال: خرجت إلى فارس فقلت: ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله، فسمعني رجل فقال: ما هذا الكلام الذي لم أسمعه من أحد منذ سمعته من السماء؟ فقلت: ما أنت وخبر السماء؟ قال: إني كنت مع كسرى فأرسلني في بعض أموره، فخرجت ثم قدمت، فإذا شيطان خلفني في أهلي على

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٦١)، ورواه أيضاً الترمذي (٣٥٨٢).

(٣) تقدم تخريجه.

صورتي، فبدا لي، فقال: شارطني على أن يكون لي يوم ولك يوم وإلا أهلكتك، فرضيت بذلك، فصار جليسي يحادثني وأحادثه، فقال لي ذات يومٍ: إني ممن يسترق السمع والليلة نوبتي، قلت: فهل لك أن أختبئ معك؟ قال: نعم، فتهيأ، ثم أتاني، فقال: خذ بمعرفتي، وإياك أن تتركها فتهلك، فأخذت بمعرفته، فعرج حتى لمست السماء، فإذا قائل يقول: ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله، فسقطوا بوجوههم، فسقطت، فرجعت إلى أهلي، فإذا أنا به يدخل بعد أيام، فجعلت أقول: ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله، قال: فيذوب بذلك حتى يصير مثل الذباب، ثم قال لي: قد حفظتَه فانقطعْ عنَّا[1].

١٣٧ ـ ومنها: شدة التحرز عن المعصية، وفرط الانبعاث إلى الطاعة، وشدة المبادرة إلى الامتثال والاعتصام بالله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾[التحريم: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[التحريم: ٦].

١٣٨ ـ ومنها: التوبة، كما تقدم في حديث أنس رضي الله تعالى عنه: أنهم حين أعرض الله عنهم لقولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾[البقرة: ٣٠] طافوا بالعرش ست سنين يقولون: لبيك

---

(١) وكذا عزاه الحافظ ابن حجر في «الإصابة في تمييز الصحابة» (١/ ١٩٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٩٣).

لبيك، اعتذاراً إليك، لبيك لبيك، نستغفرك ونتوب إليك[١].

والملائكة ـ وإن كانوا معصومين على أحد القولين ـ فإن لهم توبةً تليق بهم كما في توبة الأنبياء، واستغفارهم مع أنهم معصومون أيضاً.

وقد قال ذو النون وغيره من العارفين: حسنات الأبرار سيئات المقربين[٢].

ولذلك خاطب الله تعالى جميع المؤمنين بالتوبة، فقال: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[النور: ٣١] مع أن هذا الخطاب شامل للمعصومين.

وقال رسول الله ﷺ: «يا أَيُّها النَّاسُ! تُوْبُـوْا إِلَىْ رَبِّكُمْ؛ فَوَاللهِ إِنِّيْ لأَتُوْبُ إِلَىْ اللهِ فِيْ الْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ». رواه أحمد، ومسلم[٣].

قيل: توبته ﷺ من تنزله إلى أوطان الرخصة لأجل التشريع.

أو من إقامته في طَور من أطوار الشريعة في نظرة، أو خطرة، أو

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) قال شيخ الإسلام في «رسالة في التوبة» (ص: ٢٥١): هذا اللفظ ليس محفوظاً عمن قوله حجة، لا عن النبي ﷺ ولا عن أحد من سلف الأمة وأئمتها، وإنما هو كلام وله معنى صحيح، وقد يحمل على معنى فاسد. انظر المعنيين في الرسالة المشار إليها.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢١١) واللفظ له، ومسلم (٢٧٠٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

نحو ذلك دون الترقي في مدارج الكمال، وسائر الأطوار والأحوال.

وقيل غير ذلك.

وكذلك تنزل توبة الملائكة على ما يليق بهم، فقد يكون توبة الملك حذراً من تقصير بفرض في وقت من الأوقات أو مخالفة لما هو من شأنهم من المداومة على الطَّاعة من غير فتور.

وقد روى الدينوري في «مجالسته» عن يوسف بن أسباط قال: سمعت الثوري يقول: بلغني أن الله تعالى يأمر الملك من الملائكة بالأمر فيقصر الطيران، فيقص جناحه، فلا يصعد إلى السَّماء إلى يوم القيامة[1].

وقد تكون توبة الملائكة من رؤية النفس، أو من سؤال عن وجه الحكمة كما في قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾[البقرة: ٣٠].

روى ابن جرير عن الحسن، وقتادة رحمهما الله تعالى قالا: لما أخذ الله في خلق آدم همست الملائكة فيما بينها، فقالوا: لن يخلق ربنا خلقاً إلا كنا أعلم منه وأكرم عليه منه، فلما خلقه أمرهم أن يسجدوا له لما قالوا، ففضله عليهم، فعلموا أنهم ليسوا بخير منه، فقالوا: إن لم نكن خيراً منه فنحن أعلم منه لأنا كنا قبله، ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[البقرة: ٣١]، فعُلِّمَ اسم كل شيء، [و]جعل يسمي كل شيء باسمه، وعرضوا عليه أمةً أمةً، ثم عرضهم على الملائكة فقال: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢٢٠).

صَٰدِقِينَ ﴾[البقرة: ٣١]، ففزعوا إلى التوبة فقالوا: ﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ ﴾[البقرة: ٣٢] الآية[1].

١٣٩ ـ ومنها: شدة الخوف من الله تعالى مع أنهم على قدم الاستقامة كما يظهر لك من هذه الآية: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[النحل: ٥٠] إذا جعلت الواو في قوله تعالى: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ واو الحال؛ أي: يخافون ربهم خوف العبد الذليل المفتقر من الرَّب العظيم المقتدر، كما يفهم من قوله: ﴿مِّن فَوْقِهِمْ﴾ إذ هي فوقية العظمة والاقتدار؛ أي: هذا شأنهم، والحال أنهم يفعلون ما يؤمرون بفعله على حد المبادرة إلى الامتثال، وعدم التأخر والتأمل بدليل أنه قال: ﴿مَا يُؤْمَرُونَ﴾، ولم يقل: ما أمروا، فخوف الملائكة مع الاستقامة والجد في الطَّاعة لا مع الانحراف والتقصير؛ ولذلك يقولون لأهل الإيمان والاستقامة: ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾[فصلت: ٣١]؛ فالحالة الجامعة بين الملائكة وبينهم هي الإيمان والاستقامة، وهي سبب الولاية التي بينهم.

وقد أثنى الله تعالى على من تشبه بالملائكة في هذه الخصلة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾[المؤمنون: ٥٧ ـ ٦١].

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (١/ ٢٠٦).

وروى الحاكم وصححه، عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قلت: يا رسول الله! قول الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[المؤمنون: ٦٠] أهو الرجل يزني، ويسرق، ويشرب الخمر وهو مع ذلك يخاف الله ﷻ؟ قال: «لا، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُوْمُ، وَيُصَلِّيْ، وَيَتَصَدَّقُ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَخافُ اللهَ ﷻ»(١).

وأما الأحاديث، والآثار الواردة في خوف الملائكة عليهم السلام فكثيرة نذكر منها نبذة هنا.

روى ابن عساكر في «تاريخه» عن عليٍّ رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «ما شِئْتُ أَنْ أَرَىْ جِبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلامُ مُتَعَلِّقاً بِأَسْتارِ الْكَعْبَةِ وَهُوَ يَقُوْلُ: يا واحِدُ! يا ماجِدُ! لا تُزِلْ عَنِّيْ نِعْمَةً أَنْعَمْتَ بِها عَلَيَّ، إِلاَّ رَأَيْتُهُ»(٢).

وروى محمد بن نصر المروزي في كتاب «الصَّلاة»، والبيهقي في «الدلائل» عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِيْ وَجِبْرِيْلُ بِالْمَلأِ الأَعْلَىْ كَالْحِلْسِ الْبالِيْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ»(٣).

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٤٨٦)، ورواه أيضاً الترمذي (٣١٧٥)، وابن ماجه (٤١٩٨).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥١/ ١٦٤).

(٣) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٦٩) لكن بلفظ مختلف، قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ١١٨١): وفيه الحارث بن عبيد الإيادي ضعفه الجمهور، انتهى.

والحلس هو: الكساء الذي يلقى على ظهر البعير مما يلي ظهره.

وروى أبو الشيخ الأصبهاني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن جبريل عليه السلام يوم القيامة لَقائمٌ بين يدي الجبار ترتعد فرائصه فَرَقاً من عقاب الله[1]؛ أي: خوفاً منه.

وروى الإمام أحمد، وابن أبي الدُّنيا بسند جيد، عن أنس رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ سأل جبريل عليه السلام: «ما لِيَ لا أَرَىٰ مِيْكائِيْلَ يَضْحَكُ؟» فقال جبريل: «ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار»[2].

---

(١) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٧٩٠)، قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ١٠٧٧): وفيه زميل بن سماك الحنفي يحتاج إلى معرفته.
وقال ابن حجر في «لسان الميزان» (٢/ ٤٩٠): قد ذكره في تخريج لشيخنا، وقال: يحتاج إلى معرفته، قلت ـ ابن حجر ـ: والذي أظن أنه أبو زميل سماك بن الوليد الحنفي، وهو من رجال مسلم فليراجع السند الذي وقع عند شيخنا، انتهى.
قلت: قد راجعت سند أبي الشيخ فوجدت فيه: حدثني خالي زميل بن سماك أنه سمع أباه. . .، فيظهر أن زميل بن سماك هو ابن سماك بن الوليد الذي طلب العراقي معرفته، وليس هو سماك بن الوليد الذي ظنه الحافظ ابن حجر، والله أعلم.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٢٢٤)، وابن أبي الدنيا في «صفة النار» (ص: ١٣٥)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٨٥): رواه أحمد من رواية إسماعيل بن عياش عن المدنيين، وهي ضعيفة، وبقية رجاله ثقات.

وروى البيهقي مثل ذلك في حق إسرافيل عليه السلام[1].

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «الخائفين» عن رباح بن زيد رحمه الله تعالى: أن النبي ﷺ قال لجبريل عليه السلام: «. . . ما لَكَ لا تَأْتِيْنِيْ إلاَّ وَأَنْتَ صارٌّ بَيْنَ عَيْنَيْكَ؟» قال: «إني لم أضحك منذ خلقت النار»[2].

وروى «فيه» عنه، عن أبي فضالة، عن أشياخه قال: إن لله تعالى ملائكة لم يضحك أحدهم منذ خلقت النار مخافة أن يغضب الله عليهم فيعذبهم[3].

وروى «فيه» عن بكر العابد قال: قلت لجليس لابن أبي ليلى - يعني: أبا الحسن -: أتضحك الملائكة؟ قال: ما ضحك مَنْ دُوْنَ العرش منذ خلقت جهنم[4].

وروى «فيه» عن محمد بن المُنْكَدر قال: لما خلقت النار طارت أفئدة الملائكة من أماكنها، فلما خُلِقت بنو آدم عادت[5].

وروى أبو نعيم عن طاوس رحمه الله تعالى قال: لما خلقت النار

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩١٣) عن المطلب.

(٢) كذا أشار العراقي في عزوه في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ١٠٧٧)، ورواه أيضاً الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٢٧).

(٣) ذكره ابن رجب في «التخويف من النار» (ص: ٣٨) وعزاه لابن أبي الدنيا.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «صفة النار» (ص: ١٣٦).

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في «صفة النار» (ص: ١٣٦).

طارت أفئدة الملائكة، فلما خلق آدم عليه السلام سكنت[1].

وقال الإمام عبدالله بن المبارك في «الزُّهد»: أخبرنا عبد العزيز بن أبي رَوَّاد، قال: إن من دعاء الملائكة عليهم السلام: اللهم ما لم تبلغه قلوبنا من خشيتك يوم نقمتك من أعدائك فاغفره لنا، أو نحو ذلك[2].

وروى الدِّينوري في «المجالسة» عن شعيب بن سليمان قال: أتى ذو القرنين مغرب الشمس، فرأى ملكاً من الملائكة كأنه يترجح في أرجوحة من خوف الله تعالى فهاله ذلك، فقال له: علِّمني علماً لعلي أزداد إيماناً، قال: إنك لا تطيق ذلك، قال: لعل الله أن يُطَوِّقَنِي ذلك، فقال له الملك: لا تغتم لغدٍ، واعمل في اليوم لغد، وإذا آتاك الله من الدنيا سلطاناً فلا تفرح به، وإذا صرفه عنك فلا تأسَ عليه، وكن حسن الظن بالله، وضع يدك على قلبك، فما أحببت أن تصنع لنفسك فاصنع بأخيك، ولا تغضب؛ فإن الشيطان أغضب ما يكون على ابن آدم حين يغضب، فَرُدَّ الغضب بالكظم، وسكِّنه بالتؤدة، وإياك والعجلة؛ فإنك إذا عجلت أخطأت، وكن سهلاً ليناً للقريب والبعيد، ولا تكن جباراً عنيداً[3].

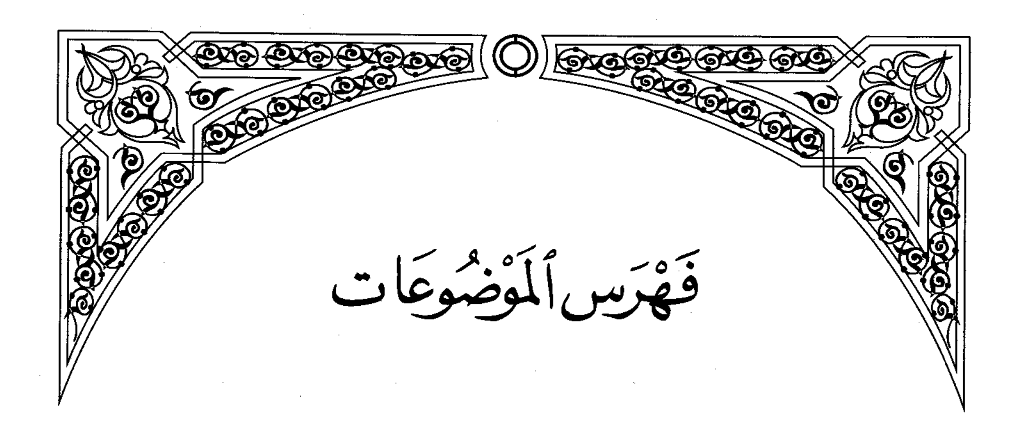
❒ ❒ ❒

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٥).

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٧٤).

(٣) رواه الدِّينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢٣٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٧/ ٣٥٢).



فهرس الموضوعات

باب
بيان الحكم الظاهرة في تأخير هذه الأمة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة
٦٧ ـ ومنها: قصد البيت الحرام بالحج، والعمرة، والزيارة، والطواف، والاعتكاف	٣٦٠
ـ فائدة لطيفة: الاقتداء بالملائكة في تعميم الدعاء عند الكعبة، وغيرها من الأماكن الشريفة	٣٦٥
ـ لطيفة أخرى	٣٦٦
٦٨ ـ ومنها: التلبية في النُّسُكِ وغيره	٣٦٧
٦٩ ـ ومنها: لقاء الحجاج، ومصافحتهم، ومعانقتهم	٣٦٧
٧٠ ـ ومنها: زيارة قبر النبي ﷺ	٣٦٨
ـ لطيفة	٣٦٩
٧١ ـ ومنها: إبلاغ النبي ﷺ من سلم عليه وصلاته	٣٧٣
٧٢ ـ ومنها: الصلاة، والسلام على النبي ﷺ	٣٧٤
٧٣ ـ ومنها: الإكثار من ذكره ﷺ المبنيُّ على محبته المستتبعة للإكثار من الصَّلاة والسَّلام عليه	٣٧٥
٧٤ ـ ومنها: موالاة النبي ﷺ، ومظاهرته، ومناصرته	٣٧٦
٧٥ ـ ومنها: محبة الصالحين، ومجالستهم، ومساعدتهم على طاعة الله تعالى، وتكثير سوادهم، ومؤانسة الغرباء	٣٧٦
٧٦ ـ ومنها: محبة العلم، والعالم، والمتعلم، وكراهية الجهل، وأهله	٣٧٧
٧٧ ـ ومنها: الإرشاد إلى أفاضل العلماء، وزهادهم، والدلالة عليهم، والإشارة بالتعلم منهم، واستفتائهم	٣٧٧

الموضــــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

